

أَسَالِيْبُ الْخَطَائِمِ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٥٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Wa' AL-Islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

الإصدار مائة وأحد عشر

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

العنوان

ص.ب ٢٣٦٦٧

الصفاء ١٣٠٩٧ - الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني

info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني

www.alwaei.gov.kw

الإشراف العام:

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

أساليب الخطاب في القرآن الكريم

دراسة تناول

تنوع أساليب الخطاب وأساليب الإنشاء اللغوي
في القرآن الكريم

الأمر والنهي والاستفهام والسؤال والدعاء والتعجب
والتعجب والتمني والعرض والتخصيص والتذكير

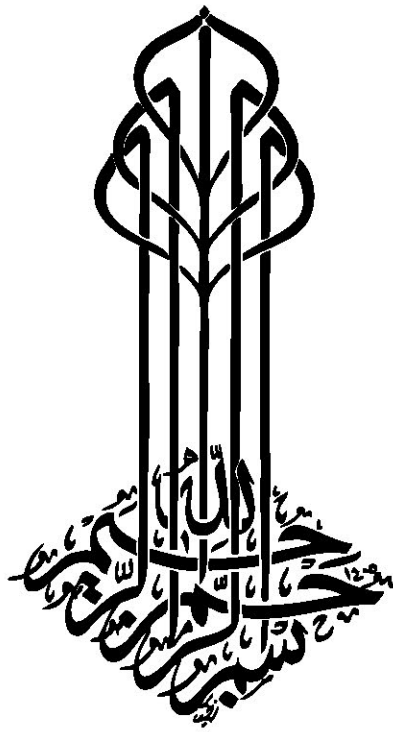
تأليف
الدكتور عبد الله بن محمد الفوزان

المجلد الثاني

الإصدار

مائة وأحد عشر

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



الفصل الثاني

أساليب الطلب في الخطاب القرآني

يتضمَّن:

المبحث الأول:

التعريف بموضوعات الأمر والنهي في الخطاب القرآني

المبحث الثاني:

تنوع أساليب الأمر والنهي والإباحة

المبحث الثالث:

الاستفهام والسؤال والدعاء والتمني

والترجي والعرض والتحفيز

توطئة في بيان معنى الإنشاء الطلبي

وبادئ ذي بدء أتعرض لبيان معنى الإنشاء، وبيان أهميته كأساسٍ لا بد منه، ثم بيان ما يتعلق بالإنشاء الطلبي.

أما (الإنشاء) لغة فهو ابتداء الشيء، ورفع، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وفعله المجرد: (نشأ ينشأ)، ومنه: (نشأ السحاب نشأً ونشوءاً): إذا ارتفع وبدا. وقوله عز وجل: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤]^(١). قيل: (المنشآت): السفن المرفوعة الشرع^(٢)، فهي كالجبال فقد شبه السفن بالجبال، والعرب تسمي كلَّ جبلٍ طويل علماً. قال مجاهد: ما رفع قلعه من السفن فهي منشأة^(٣).

والإنشاء عند (أهل الأدب): «هو كلُّ ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني»^(٤).

وأما في (اصطلاح البيانين والأصوليين) فالإنشاء أحد قسمي الكلام؛ إذ الكلام عندهم إمّا: خبرٌ أو إنشاء. فـ: (الخبر) هو: ما احتمل الصدق والكذب لذاته، كقام زيد، وأنت أخي. و(الإنشاء): الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب؛ إذ ليس له في الخارج نسبة

(١) ينظر: لسان العرب، مادة: (نشأ) (١/١٧٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٥/١٠٠)، وانظر: معاني القرآن، للقرطبي (٣/١١٥).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (٢/٦٤١)، صحيح البخاري، الجزء الخاص في التفسير (٤/١٨٤٧).

(٤) انظر: صبح الأعشى (١/٨٤).

تطابقه أو لا تطابقه. وسمي إنشاء؛ لأنك أنشأته، أي: ابتكرته، ولم يكن له في الخارج وجود^(١).

والإنشاء نوعان:

الأول: (الإنشاء الطلبي) -وهو الذي أعنى ببيانه-: وهو ما أفاد طلباً بالوضع، فيطلب به تحصيل غير حاصل في الخارج^(٢). فإن كان المطلوب ذكر الماهية فهو الاستفهام. وإن كان المطلوب إيجاد الماهية فهو أمر، أو الكف عنها فهو نهي. وهكذا^(٣).

الثاني: (الإنشاء غير الطلبي)^(٤). ويذهب بعض الأصوليين إلى أن قسمة الكلام ثلاثية، فهو إمّا خبرٌ، أو طلبٌ، أو إنشاءٌ. خص أصحاب

(١) انظر: شروح تلخيص المفتاح، مختصر العلامة سعد الدين التتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وحاشية الدسوقي على شرح السعد (١٦٣/١) فما بعد، و(تفسير الصدق والكذب) (١٧٣/١)، وينظر: (تعريف الإنشاء) (٢٣٤/٢) فما بعد.

(٢) لأنه إذا كان طلباً استدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع طلب الحاصل. انظر: المطول شرح تلخيص المفتاح (ص: ٢٢٤).

(٣) ينظر تعريف (الإنشاء الطلبي) في شروح تلخيص المفتاح (٢٣٤/٢) فما بعد. وانظر: المطول شرح تلخيص المفتاح، مع حاشية المير سيد شريف (ص: ٢٢٤-٢٢٥). ولتوضيح ذلك يقال: عندما تقول لشخص: (قم)، فقد قام بنفسك طلب القيام منه، وعندما تقول لشخص: (لا تقم)، فقد قام بنفسك عدم القيام، وعندما تقول لشخص: (ليته يقوم)، فقد قام بنفسك تمنّي القيام، وعندما تقول لشخص: (لعله يقوم)، فقد قام بنفسك ترجّي القيام، وعندما تقول لشخص: (هلا يقوم)، فقد قام بنفسك الحث والإزعاج، وعندما تقول لشخص: (هل تقوم؟)، فقد قام بنفسك الاستخبار والسؤال..

(٤) وفي (المطول) «وغير طلب كأفعال المقاربة وأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم ولعل =

هذا القول الطَّلَب بما سَمَّاه غيرهم: (الإنشاء الطَّلبي)، والإنشاء لما عداه، ك: (ألفاظ العقود) نحو: (بعت) و(اشتريت).

ويدخل في (الإنشاء الطَّلبي): الأمر والنهي والاستفهام والتَّمني والنِّداء^(١). ويدخل في الإنشاء غير الطَّلبي: أفعال المدح والذَّم، وفِعلا التَّعجب، والقَسَم^(٢).

= ورُبُّ و(كم) الخبريَّة ونحو ذلك. المطوَّل شرح تلخيص المفتاح (ص: ٢٢٤).
(١) وقد يقال: إنَّ النِّداء منه ما هو خبر لا إنشاء، وهو النِّداء بصفة نحو: (يا فاسق) و(يا فاضل)؛ لاحتمال الصُّدق والكذب في تلك الصِّفة.

(٢) أمَّا (الإنشاء غير الطَّلبي) فهو كالقَسَم، فإذا قلت: (والله لأفعلن)، فهو إنشاء، وليس فيه طلب، فكونك تقسم يعني أن يكون في نفسك القَسَم، فإنَّ صيغة القَسَم واضحة، لكن هل تُقسِم حقيقة أو لا؟ هل قُضِدَ في نفسك القَسَم أو لا؟ هذا شيء لا نعرفه. والحاصل أنَّ الأحكام الشرعيَّة إنَّما تؤخذ من الإنشاء، أو ما كان في معناه، وذلك أنَّ الجملة الخبريَّة إذا خرجت عن الغرضين الأصليين - (فائدة الخبر)، و(لازم الفائدة) - فقد تحوَّلت الجملة إلى الإنشاء. ومن ذلك قول الحارث بن وغلَّة من (البحر الكامل):

(قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت أصابني سهمي).

[انظر: دلائل الإعجاز (ص: ١٩٥-١٩٦)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٤٨)، المزهر (١/ ٣١٣)، ديوان الحماسة (ص: ٦٤)]. والدَّلالة على هذا المعنى الإنشائي هل يكون بالحقيقة أم بالمجاز؟ إنَّ الأغراض الَّتِي تخرج إليها الجملة الخبريَّة هي معانٍ نفسيَّة لا نسبة لدلوها في الخارج، فمن يقول مثلاً: (ما أجمل السَّماء) يتعجَّب، فكلُّ ما في الخارج كون السَّماء جميلة أو غير جميلة، أمَّا كون التَّعجب قائماً بنفسه، أو ليس كذلك - فقد يتظاهر بذلك أو يمثَّل علينا مثلاً - فهذه معانٍ نفسيَّة لا نسبة لدلوها في الخارج، بخلاف قولنا: (محمَّد قائم)، فإنَّ كان قائماً بالفعل فهو صدق، وإن كان ليس قائماً فهو كذب، فلهذا القول نسبة في الخارج. أمَّا إذا كانت المسألة نفسيَّة، فلا اطلاع لنا على دخيلة الأنفس، فلا نسبة لدلوها في الخارج. أمَّا عندما تقول للمخاطب: (قم) =

.....

= فهل طلب القيام قائم في نفسك، أو ليس قائمًا؟.. لا نعرف، وكذلك خروج الخبر من الخبرية إلى إرادة (المدح) مثلا، أو (الذم) أو الامتنان، أو التَّحسر، أو التَّعجب، أو الرثاء... لا نسبة لمدلول ذلك في الخارج؛ لأنَّها معانٍ نفسية. وإذا كانت قد صارت إنشائية، فهل دلَّت على الإنشائية على سبيل الحقيقة أم على سبيل المجاز أو الكناية؟ إنَّ الجملة الخبرية في أساس وضعها للإخبار الَّذي يحتمل الصُّدق والكذب، فإذا خرجت عمَّا يحتمل الصُّدق والكذب إلى ما لا يحتمل الصُّدق والكذب تكون بذلك قد خرجت عن الإخبار إلى الإنشاء، واستعملت في غير ما وضعت له على سبيل المجاز أو الكناية. أمَّا الإنشاء لفظًا فلا يتصوَّر إلا في الطَّلَب.

=

المبحث الأول

التعريف بموضوعات الأمر والنهي في الخطاب القرآني

● ويتضمّن:

المطلبُ الأول: التعريف بالأمر في القرآن.

المطلبُ الثاني: أفعال الأمر في القرآن.

المطلبُ الثالث: خروج صيغة الأمر عن معناها الأصلي في الخطاب القرآني.

المطلبُ الرابع: التعريف بموضوعات النهي في القرآن.

المطلبُ الخامس: خروج صيغة النهي عن معناها الأصلي في الخطاب القرآني.



المطلب الأول: التعريف بالأمر في القرآن

● ويتضمّن:

- ١ - بيان السبب في تقديم الأمر على النهي.
- ٢ - بيان أهمية الأمر والنهي في الخطاب القرآني.
- ٣ - تعريف الأمر.
- ٤ - بيان هل يشترط في الأمر إرادة الفعل؟
- ٥ - التعبير عن إرادة الفعل بالفعل.
- ٦ - صيغ الأمر في القرآن الكريم.
- ٧ - موجب الأمر.
- ٨ - دلالة الأمر على التكرار.
- ٩ - المأمور به المطلق والمؤقت.
- ١٠ - المأمور به المخير.

وسأتي على بيان ذلك لصلته المباشرة بمحور البحث، وهو الخطاب القرآني من حيث معناه الأخص.
وبيان ذلك على النحو التالي:

● أولاً : بيان السبب في تقديم الأمر على النهي

أمّا وجه تقدم الأمر على النهي في الكلام؛ فلأنّه طلب إيجاد الفعل، أمّا النهي فهو الاستمرار على عدم الفعل، فقدّم الموجود على المعدوم^(١).

● ثانيًا : بيان أهميّة الأمر والنهي في الخطاب القرآني

١ - إنّ الأمر والنهي هما أساسُ التّكليف في توجيه الخطاب إلى المكلفين.

٢ - إنّ معرفتهما تؤدّي إلى معرفة الأحكام الشرعيّة بتفاصيلها، وبها يتميّز الحلال من الحرام^(٢).

٣ - إنّ معرفتهما تؤدّي إلى امثال أمر المخاطب **وَلَا تَكْسِرُ الطَّاءَ** المهملة - ونهيه على الوجه المأمور به، وفيه: ما يضبط تصرفات المخاطب - بفتح الطاء المهملة -، كما أنّ فيه: إدراك مكانة كلّ من المخاطب والمخاطب .

٤ - إنّ امثال المخاطب - بفتح الطاء المهملة - للأمر والنهي يجعله في

(١) انظر: إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر (١٧٩/٥) .

(٢) انظر: المصدر نفسه (١٧٩/٥) .

راحة واطمئنان من حيث تأدية حق المخاطب ﷺ - بكسر الطاء المهملة - على النحو الذي يرضاه، وفيه ما يدلُّ على عاقبة ترك الامتثال.

● ثالثاً: تعريف الأمر

و(الأمرُ): طلبُ حصولِ الفعلِ من المخاطبِ على وجه الاستعلاء، وقول القائل لغيره: (افعل) أو ما يقوم مقامه؛ لإفادة معنى الطلب^(١). قال في (المراقي):

(هو اقتضاء فعل غير كَفْ دُلَّ عليه لا بنحو كُفِّي)^(٢). والأمرُ محمولٌ في أغلبه على الوجوبِ إلا إن صرفته قرينة عن الوجوب؛ لأنَّ الأصل في الأمرِ الوجوبُ، ...

(١) انظر: شرح كافية ابن الحاجب في النحو، للشيخ رضي الدين بن الحسن الاسترأبادي (٢/٢٦٦). وينظر التعريف في (المحصول) (١/٣١٧)، (٢/٢٢)، (٢/٤٥-٥٠)، (٢/٢٥١)، شرح التلويح (١/٢٨٣-٢٨٥)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام (١/١٥٥)، (١/٣٧٦)، إرشاد الفحول (ص: ١٦٧-١٦٩)، الإحكام، للآمدني (٢/١٢).
(٢) مراقي السُّعود [٢٣٦]، (ص: ٣٤)، وانظر: نثر الورود (١/١٧٢)، نشر البنود (١/١٤٧). وقوله: (كَفْ) مصدر (كَفْ)، وفي الثاني أمر للأنثى المخاطبة، يعني أنَّ الأمر هو اقتضاء، أي: طلب تحصيل فعل غير (كَفْ) مدلول عليه بغير كُفْ وَدَغ وَدَزَّ وَاَتَرَكَ وَخَلَّ. فيتناول الطَّلَب ما ليس بكَفْ نحو: (قم)، و(خذ)، وما هو كَفْ مدلول عليه بكَفْ ونحوه. فهذه كلها أوامر بخلاف الكَفْ المدلول عليه بنحو: (لا تفعل) فليس بأمر، بل هو نهي - كما سيأتي في النِّهي - ولا فرق في الاقتضاء بين الجازم وغيره - وإن كان الأمر حقيقة في الجازم فقط على الصَّحيح -، لكنَّ المراد بالأمر صيغة: (افعل). انظر: نشر البنود (١/١٤٧)، نثر الورود (١/١٧٢-١٧٣).

فإن صرفته قرينه عن الوجوب انصرف إليها^(١)، كما قيل في قول الله ﷻ: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]. فقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر أمر إرشادي واستحبابي وندب على الصحيح^(٢)، لا أمر تحثي وإيجاب^(٣)، بل السيد مخير إذا طلب منه عبده الكتابة، إن شاء كاتبه، وإن شاء لم يكاتبه^(٤).

وغالب الأمر في القرآن الكريم يدعمه تهديد، فالله ﷻ عندما يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، يدل على وجوب

(١) هذا ما يترجح عندي في صيغة: (افعل). وقال ابن رشيق في (لباب المحصول..): «الصحيح عندي مع القول بأنها للأمر التوقف في كونها للإيجاب أو الندب إلى أن يرد دليل فيحمل على ما يقتضيه..». لباب المحصول في علم الأصول (٢/٥٢١)، وهو خلاف الراجح.

وقد قال في (المراق):

(وافعل لدى الأكثر للوجوب وقيل للندب أو المطلوب)

(وقيل للوجوب أمر الرب وأمر من أرسله للندب)

مراقي الشعود، [٢٤٢-٢٤٣] (ص: ٣٥)، وانظر: نشر البنود (١/١٤٩-١٥٠)، نثر الورود (١/١٧٥-١٧٨).

(٢) وقيل: هو للوجوب. وهو مذهب عطاء، وعمرو بن دينار، والضحاك، وابن سيرين، وداود، وهو قول مرجوح لما ذكرنا من الصارف. انظر: روح المعاني (١٨/١٥٤)، والتحرير والتنوير (١٨/٢٢٠)، ابن عادل (١٤/٣٧٢)، وانظر: أضواء البيان (١/١٨٤).

(٣) انظر: المبدع (٦/٣٣٦)، منار السبيل (٢/١٠٩)، الرّوض المربع (٣/٥٦)، الكافي (٢/٥٩٦)، كشف القناع (٤/٥٤٠)، المغني (١٠/٣٣٣)، الأم (٨/٤٧).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٨٨)، وانظر: تفسير الطبري (١٨/١٢٦-١٢٧)، تفسير القرطبي (١٢/٢٤٠-٢٤٥)، نزهة الأعين التواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ٢٨٧)، وسيأتي مزيد بيان.

الصَّلَاة؛ لأنَّ الذين لا يصلُّون يتوعدهم ويهددهم في آياتٍ أخرى حيث يقول ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ [الماعون: ٤-٥]، ... ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

● رابعا: بيان هل يشترط في الأمر (في الخطاب القرآني) إرادة الفعل؟
لا يشترط في الأمر إرادة الفعل؛ لأنَّ الله ﷻ أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه عليه السلام. قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] ولم يرده منه.
وأمر إبليس بالسجود لآدم عليه السلام. قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝﴾ [البقرة: ٣٤]، ولم يرده منه، ولو أراد له وقوع؛ لأنَّه فعَّال لما يريد؛ ولأنَّه ﷻ أمر بأداء الأمانات إلى أهلها حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. ثمَّ إنَّه لو قال: (والله لأؤدِّينَّ إليك أمانتك غداً إن شاء الله ﷻ)، ولم يفعل لم يحنث^(١). واستعمالها في غير الأمر مجاز، فهي بإطلاقها له، ثمَّ الأمر والإرادة ينفكَّان، كمن يأمر ولا يريد، أو يريد ولا يأمر فلا يتلازمان، وإلا اجتمع التقيضان^(٢).

(١) ولو كان مراد الله عز وجل لوجب أن يحنث، ولا حنث بالإجماع. انظر: التَّحْبِيرُ شرح التحرير (٢١٨٢/٥).

(٢) انظر: شرح الكوكب المنير (١٥/٣-١٦)، وينظر: الأحكام، للآمدِّي (١٥٦/٢)، البحر المحيط، للزَّركشي (٨٥-٨٦)، التَّبْصَرَةُ (ص: ١٨)، المختصر، للبعلي (ص: ٩٨).

● خامساً: التعبير عن إرادة الفعل بالفعل

ومن ذلك قوله ﷺ:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] الآية.

وقوله ﷺ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

قال الألوسي: «﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾» ، أي: إذا أردتم القيام إليها والاشتغال بها، فعبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازاً. وفائدته: الإيجاز، والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة. وقيل: يجوز أن يكون المراد: (إذا قصدتم الصلاة)^(١)، فعبر عن أحد لازمي الشيء بلازمه الآخر. وظاهر

(١) قال الزمخشري: «وكقولك: (إذا ضربت غلامك فهو عن عليه)، في أن المراد إرادة الفعل. فإن قلت: لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل؟ قلت: لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له، وهو قصده إليه وميله وخلوص داعيه، فكما عبر عن القدرة عن الفعل بالفعل في قولهم: (الإنسان لا يطير)، و(الأعمى لا يبصر)، أي: لا يقدران على الطيران والإبصار. ومنه قوله ﷺ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] يعني: إِنَّا كُنَّا قَادِرِينَ عَلَى الإِعَادَةِ، كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل؛ وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة، فأقيم المسبب مقام السبب للملازمة بينهما، ولإيجاز الكلام. ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم: (كما تدين تدان)، إن عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه. وقيل: معنى قمتم إلى الصلاة قصدتموها؛ لأن من توجه إلى شيء وقام إليه كان قاصداً له لا محالة، فعبر عن القصد له بالقيام إليه». الكشاف (١/ ٥٩٦)، ابن عادل (٧/ ٢١٧).

الآية يوجب الوضوء على كلِّ قائمٍ إلى الصَّلَاة، وإن لم يكن محدثاً نظراً إلى عموم ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من غير اختصاص بالمحدثين، وإن لم يكن في الكلام دلالة على تكرار الفعل، وإنَّما ذلك من خارج على الصحيح، لكنَّ الإجماع على خلاف ذلك. وقد ورد أنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الخمس بوضوءٍ واحد (يوم الفتح)، فقال عمر رضي الله عنه: «صنعت شيئاً لم تكن تصنعه، فقال -عليه الصَّلَاة والسلام-: «عمداً صنعت يا عمر»^(١)، يعني: بياناً للجواز، فاستحسن الجمهور كون الآية مقيّدة. والمعنى: (إذا قمتم إلى الصَّلَاة محدثين) بقرينة دلالة الحال؛ ولأنَّه اشترط الحدث في البدل، وهو التَّيمم، فلو لم يكن له مدخل في الوضوء مع المدخلة في التَّيمم لم يكن البدل بدلاً^(٢).

ومن ذلك: ﴿إِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا﴾ [آل عمران: ٤٧]، أي: أراد. ومن ذلك قوله ﷺ:

﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ٥٨].

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢].

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: ٤]^(٣).

(١) أخرجه مسلم [٤١٥]. والحديث مرويٌّ عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ.

(٢) روح المعاني (٦/٦٨-٦٩)، وانظر: تفسير أبي السعود (٣/١٠)، وتفسير ابن عادل (٥/٤٩٦)، التحرير والتنوير (٨/٢٠)، (٢٨/١٦)، أضواء البيان (٢/٤٤٣)، (٣/٤١٩).

(٣) «لأنَّ الإهلاك إنَّما هو بعد مجيء البأس، وإنما خصَّ هذين الوقتين، أعني: البيات والقبلولة؛ لأنَّهما وقت الغفلة والدَّعة، فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأقطع». البرهان في علوم القرآن (٢/٢٩٥).

- ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٦].^(١)
 ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الأعراف: ١٧٨].^(٢)
 ﴿قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْتَنَا﴾ [هود: ٣٢].^(٣)
 ﴿مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأنبياء: ٦].
 ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ [الفرقان: ٦٧].
 ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ﴾ [المجادلة: ١٢].
 ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١].
 وقد ذكر الزركشي في ذلك كلامًا مطوَّلًا^(٤).

● سادسًا: صيغُ الأمرِ في القرآن الكريم

- إنَّ الأمرَ له أربعُ صيغ، وقد وردت في القرآن الكريم:
- ١ - فعلُ الأمر: وذلك كقوله ﷻ: ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ﴾ [الإسراء: ٧٨]،
 ﴿يَبْجِئْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].
- ٢ - المضارع المجزوم بلام الأمر كقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ

(١) «أي: فأردنا الانتقام منهم، وحكمته: أنا إذا أردنا أمرًا نقدر فيه إرادتنا وإن كان خارقًا للعادة». البرهان في علوم القرآن (٢/٢٩٥).

(٢) قال الزركشي: «قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «من يرد الله هديته». ولقد أحسن رضي الله عنه ثلاثًا يتحد الشرط والجزاء». البرهان في علوم القرآن (٢/٢٩٥)، (٢/٣٦٨)، وانظر: الإتيان (٢/١٠٣).

(٣) أي: أردت جدالنا. انظر قولَ الرَّخْشَرِيِّ في (الكشاف) (٢/٢٦٧)، وقوله الآنف الذكر (١/٥٩٦)، وتفسير النيسابوري (٤/١٩)، والبرهان في علوم القرآن (٢/٢٩٥).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٢٩٤-٢٩٦).

وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوُّوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ [الحج: ٢٩]،
﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧].

أما (لام الأمر) في القرآن الكريم فقد جاءت متعينة غير محتملة في
(ثمانين) موضعاً في القرآن الكريم.

أ. دخلت (لام الأمر) على المضارع المبدوء (بتاء الخطاب)، كما
في قوله ﷻ: ﴿فَبِذَلِكَ فَلتَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]^(١)، وكذلك قراءة:
(وَلتَعْفُوا وَلتَصْفَحُوا) [النور: ٢٢] - بالتاء - أمر خطاب للحاضرين^(٢).

ب. (لام الأمر) غير المسبوقه بحرف عطف:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِزَّزَكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النور: ٥٨].
﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْبُكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ﴾

(١) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٢/ ٤٢١). وقد سبق بيان القراءات في ذلك في
خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره.

(٢) وهي قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ والحسن وسفيان بن الحسن وأسماء بنت يزيد. انظر:
روح المعاني (١٨/ ١٢٥)، الدر المصون (٤/ ٤٥-٤٦)، الدر المنثور (٤/ ٣٦٧)، الكشف
والبيان (٥/ ١٣٦)، ابن عادل (١٠/ ٣٥٨)، (١٢/ ٧٤)، تفسير البحر المحيط (٥/ ١٧٠)،
(٨/ ٩)، المحرر الوجيز (٤/ ١٧٣)، وانظر: تحبير التيسير في القراءات العشر (ص: ٤٠٠)،
حجّة القراءات (ص: ٣٣٣). وفي (المحتسب) قال أبو الفتح -ابن جني-: «هذه القراءة -
بالتاء- كالأخرى المأثورة عنه ﷺ: ﴿فَبِذَلِكَ فَلتَفْرَحُوا﴾، وقد ذكرنا ذلك، وأنه هو الأصل،
إلا أنه أصل مرفوض، استغناء عنه بقولهم: (اعفوا واصفحوا). المحتسب (٢/ ١٠٦)،
دارسات لأسلوب القرآن الكريم (٢/ ٤٢٢-٤٢٣).

[الطلاق: ٧].

ج. (لام الأمر) للمتكلم:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾

[العنكبوت: ١٢].

وروى عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَنَسُوهُنَّ وَجُوهَهُنَّ) [الإسراء: ٧] -بالتون الخفيفة واللام المفتوحة- وهي (لام الأمر)..^(١).

د. (لام الأمر) بعد الفاء:

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿فَلْيَكْتُفْ وَلْيُمْلَأْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿فَلْيُمْلَأْ وَلِيَّهُ، بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، و[الآية: ١٦٠]،

[المائدة: ١١]، [التوبة: ٥١]، [إبراهيم: ١١]، [المجادلة: ١٠]،

[التغابن: ١٣].

﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

(١) المحتسب (١٥/٢)، المحرر الوجيز (٤٤٠/٣)، تفسير القرطبي (٢٢٣/١٠)، روح المعاني

(١٩/١٥)، معاني القرآن، للتحاس (١٢٥/٤)، فتح القدير (٢١٠/٣)، الدر المصون

(٣٧٣/٤)، ابن عادل (٢١٥/١٢)، والبحر المحيط (١٠/٦)، ومعاني القرآن، للقرء (١١٧/٢).

﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ٩].

﴿فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾

[النساء: ٧٤].

﴿فَلْيَصَلُّوا مَعَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٨٢].

﴿فَإِذْ لَكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨].

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]، [إبراهيم: ١٢].

﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ﴾ [الكهف: ١٩].

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٩].

﴿فَلْيَأْتِنَا بِنَايَةٍ﴾ [الأنبياء: ٥].

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥].

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ﴾ [الحج: ١٥].

﴿فَلْيَسْتَدِينُوا كَمَا اسْتَدْنَدَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣].

﴿لِيُثَلِّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

- ﴿فَلْيَرْفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص: ١٠].
- ﴿هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ﴾ (٥٧) [ص: ٥٧].
- ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤].
- ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَعِمُّهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [الطور: ٣٨].
- ﴿فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].
- ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ [القلم: ٤١].
- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) [عبس: ٢٤].
- ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].
- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥) [الطارق: ٥].
- ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) [العلق: ١٧].
- ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٣) [قريش: ٣].
- هـ. (لام الأمر) بعد الواو:

- ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].
- ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢، ٢٨٣].
- ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].
- ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعَفَاءُ﴾ [النساء: ٩].
- ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ [النساء: ١٠٢].
- ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].
- ﴿وَلْيَرْضَوْهُ وَلْيَقْرِئُوا مَا هُمْ مُقَرِّئُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣].
- ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢].

﴿وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [غافر: ٢٦].

﴿وَلْنَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإِعْدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

﴿وَلْيَسْأَلُوا مَّا أَفْقُوا﴾ [الممتحنة: ١٠].

و. (لام الأمر) بعد (ثم):

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ

﴾ [الحج: ٢٩].

﴿ثُمَّ لِيَقْطَعَ فَلْيَنْظُرَ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥].

٣ - اسم فعل الأمر، نحو: ﴿يَنَّايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾

[المائدة: ١٠٥].

وقد قيل في قوله ﷻ: ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُؤْيَا﴾ [الطارق: ١٧]: إِنَّ

﴿رُؤْيَا﴾ اسم فعل بمعنى: (أْمَهْلُ)^(١).

و(الرؤيد) في كلام العرب: تصغير (رود). وقوله ﷻ: ﴿رُؤْيَا﴾ ،

[أي]: مهلا، وتفسير (رويدك): أمهل؛ لأنَّ الكاف إنما تدخله إذا كان

بمعنى: (أفعل) دون غيره، وإنما حُرِّكَتِ الدَّالُ لالتقاء الساكنين،

(١) انظر: زاد المسير (٨٥/٩)، روح المعاني (١٠١/٣٠).

فنصب نصب المصادر، وهو مصغرٌ مأمور به؛ لأنه تصغير التَّرخيم من (إرواد)، وهو مصدر (أرود يرود). وله أربعة أوجه: اسم للفعل، وصفة، وحال، ومصدر، فالاسم نحو قولك: (رويد عمرًا)، أي: (أرود عمرًا)، بمعنى: أمهله. والصفة نحو قولك: (ساروا سيرًا رويدًا). والحال نحو قولك: (سار القوم رويدًا)، لما اتصل بالمعرفة صار حالًا لها. والمصدر نحو قولك: (رويد عمرو) بالإضافة، كقوله **عَلَيْكَ: ﴿فَضْرِبَ الرِّقَابَ﴾** [محمد: ٤]. والذي في الآية من هذه الوجوه أن يكون نعتًا للمصدر، أي: إمهالًا رويدًا^(١). ويجوز أن يكون للحال، أي: أمهلهم غير مستعجل لهم العذاب^(٢).

«وقد جَوَّز أن يكون اسمًا يسمَّى به الفعل ويتضمَّن معناه، و﴿رُودًا﴾ على هذا مبنيٌّ على الفتح أو الظَّرفية، والتَّنوين للتَّنكير، كما أدخل نحو: (صه) و(مه). أي: أرودهم إروادًا، كما تقول: (صِهْ) - بالتَّنوين -، أي: اسكت سكوتًا، فاعرفه فإنَّه موضع»^(٣).

(١) وفي (الفريد): التَّقدير: «(مهلهم إمهالًا ذا رويد)». وليس فيه معنى الفعل؛ إذ ليس باسم يسمَّى به الفعل». الفريد (٤/٦٥٨). ثمَّ قال: وقد جَوَّز أن يكون اسمًا يسمَّى به الفعل... إلخ.

(٢) انظر: الصَّحاح، للجوهري، مادَّة: (رود) (٢/٤٧٨-٤٧٩)، تفسير القرطبي (٢٠/١٢)، وانظر: ابن عادل (٢٠/٢٧٠).

(٣) الفريد (٤/٦٨٥).

● تنبيه

ترد (ها) (اسم فعل) بمعنى: (خذ). ويجوز مدُّ ألفه^(١) فيتصرف حيثل للمثنى والجمع^(٢) نحو: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَؤُوا كِتَابِيَةَ﴾ [الحاقة: ١٩]، فإن (هَآؤُمْ) اسم فعل.

قال ابن عطية: «معناه: تعالوا»^(٣).

وقال الزمخشري: «صوت يفهم منه معنى: (خذ)»^(٤).

و﴿كِتَابِيَةَ﴾ مفعول يطلبه ﴿هَآؤُمْ﴾، و﴿أَقْرَؤُوا﴾ من ضمير المعنى، تقديره: (هاؤم كتابي اقرؤوا كتابيه)، ثم حذف، أي: الأول؛ لدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل^(٥).

الثاني: وهو (اقرؤوا) عند البصريين،...

والعامل الأول هو (هَآؤُمْ) عند الكوفيين، والدليل على صحة قول

(١) فيقال: هاء، أي: فيصبح ثلاثيًا بعد المد، وقد كان من قبل ثنائيًا... انظر: المفصل (٤٣/٤).
(٢) قال ابن هشام: «يجوز مدُّ ألفها، ويستعملان بكاف الخطاب وبدونها [أي: يقال: (ها) و(هاء) - بالألف وبالمد -، و(هاك) و(هأك)... انظر هذه اللغات في (الدر المصون) (٣٦٥/٦)، ابن عادل (٣٣٢/١٩)، الخصائص، لابن جني (١٩٦/٢)، سرُّ صناعة الإعراب (٣١٩/١)، المفصل (ص: ١٩٤)]. ويجوز في الممدودة أن يستغنى عن الكاف بتصرف همزتها تصاريف الكاف فيقال: (هاء) للمذكر - بالفتح -، و(هاء) للمؤنث - بالكسر - و(هاؤما)، و(هاؤن) و(هاؤم)». مغني اللبيب (ص: ٤٥٥).

(٣) المحرر الوجيز (٣٦٠/٥).

(٤) الكشف (١٥٢/٤)، وانظر: الجنى الداني (ص: ٣٤٦)، مصابيح المعاني (ص: ٤٠٦)، رصف المباني (ص: ٤٠٤).

(٥) وفي (الكشاف): «ونظيره: ﴿مَا تَوْفَّيْ أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، قالوا: ولو كان العامل الأول ل قيل: اقرؤه وأفرغه...». الكشف (١٥٢/٤).

البصريين أنه لو عمل الأوّل لقال: اقرؤوه^(١).

والحاصل أن (هاؤم): اسم فعل، بمعنى: خذوا، وفيه لغات، أجودهن: المطابقة تقول: (هائ يا رجل)، و(هائ يا امرأة) - بهمزة مكسورة من غير ياء-، و(هاؤما يا رجلاَن وامرأتان)، و(هاؤم يا رجال)، و(هاؤن يا نساء)^(٢).

٤ - المصدر النائب عن فعل الأمر^(٣)، نحو: ﴿فَإِذَا لَقِيتُ الَّذِينَ كَفَرُوا قَضَبَ الرَّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، أي: فاضربوا رقابهم، ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١].

ونحو قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ لَمْ يَحْذَ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]، أي: فليصم شهرين متتابعين، أو فليطعم ستين مسكينًا. وقد سبق في بيان مادّة: (أمر) أن اللفظ المركّب من (همزة وميم

(١) انظر: تفسير ابن جزي (٤/١٤٣)، وانظر: روح المعاني (٢٩/٤٧)، البحر المديد (٨/١٢٦). و«هاؤم» بتصاريفه معتبر (اسم فعل أمر) بمعنى: (خذ)، كما في (الكشاف) (٤/١٥٢) وبمعنى: (تعال) أيضًا كما في (النهاية في غريب الحديث والأثر)، لابن الأثير (٥/٦٦٢). و«أقرؤوا» بيان للمقصود من (اسم الفعل) من قوله: «هاؤم». وقد تنازع كل من «هاؤم» و«أقرؤوا» قوله: «كُتِبَ». والتقدير: (هاؤم كتابيه اقرؤوا كتابيه). والهاء في «كُتِبَ» ونظائرها للسكت حين الوقف. انظر: التحرير والتنوير (٢٩/١٣١)، الفريد (٤/٥١٩-٥٢٠).

(٢) انظر: البحر المديد (٨/١٢٦)، الدر المصون (٦/٣٦٥)، ابن عادل (١٩/٣٣٢).

(٣) وهو الذي يقع جزاء لشرط.

وراء) هو القول الطالب الفعل^(١).

• فرع في بيان ما اختلف في كونه فعل أمر:

أما ما اختلف في كونه فعل أمر فمن ذلك: (هَلُمَّ) في لَعَةِ (تَمِيم)^(٢) و(هَاتِ) و(تَعَالَ) في الأصَحِّ. هذا فيه بيان أن هذه الكلمات الثلاث أفعال أمر في أصح الأقوال. فأما (هَلُمَّ) فلها معنيان:

١- بمعنى (أقبل) نحو: (هَلُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ). قال عَلَّك: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨]، أي: أقبلوا^(٣).

٢- بمعنى: (أحضِرْ) نحو: (هَلُمَّ أَحَاكَ)، أي: أحضره، قال عَلَّك: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، أي: أحضروا شهداءكم^(٤).

(١) وقد يطلق الأمر على الفعل مثل: ﴿وَمَا أَمْرٌ فَرَعَوْتَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]؛ لأن القول لا يوصف بالرشد، وإنما يوصف بالسداد، وأيضاً يقال في هذه الآية أن الأمر قد أطلق هنا وأريد به الشأن، أي: شأنه والمعنى الذي هو مباشر له. حيث إن الأمر يطلق على (الشأن) كما في قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]. ويطلق على الفعل كما في قوله عز وجل: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أي: في الفعل، ونحوه، وقوله عز وجل: ﴿قَالُوا أَتَتَّبِعِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٧٣]، ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: ٤٠]، إلى غير ذلك.. انظر في بيان ذلك: شرح البدخشي ومعه شرح الإسنوي على منهاج الوصول (٢/٥-٦)، وشرح الكوكب المنير (٣/٦-٧)، وينظر في ذلك: التَّحْصِيلُ مِنَ الْمَحْصُولِ، للأرموي (١/٢٦٢-٢٦٣).

(٢) (قبيلة تميم): من أشهر القبائل العربيَّة، يقيمون في (عنيزة) بنجد. انظر: معجم قبائل العرب (١/٧٩).

(٣) انظر: روح المعاني (٢١/١٦٣)، مشكل إعراب القرآن، لمكي (٢/٧٥٧).

(٤) انظر: البحر المديد (٢/٣٢١)، وقد جاء في كثير من التفسيرات وكتب النحو أن ﴿هَلُمَّ﴾ هنا (اسم فعل) بمعنى: (أحضروا)، و﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾ مفعول به، فإنَّ اسم الفعل يعمل عملَ =

وهي فعل أمر على لغة (تميم)؛ لدلالاتها على الطَّلَب، وقبولها (ياء المخاطبة). وتلحقها الضمائر البارزة بحسب من هي مسندة إليه. فتقول: (هَلَمْ يا صالح)، و(هَلْمِي يا عائشة). و(هَلَمَّا يا مُحَمَّدان)، و(هَلُمُّوا يا مُحَمَّدون)، و(يا هندات هَلُمُّنَ) «-بالفك^(١) وسكون اللام- وهَلْمِي، وهي لغة (بني تميم)، وهي عند هؤلاء فعل أمر؛ لدلالاتها على الطَّلَب وقبولها (ياء المخاطبة) -كما سبق-»^(٢).

وأما عند الحجازيين فتلزم طريقة واحدة فلا تلحقها الضمائر. فتقول: (هَلَمْ يا مُحَمَّد)، و(هَلَمْ يا عائشة)، و(هَلَمْ يا مُحَمَّدان)، و(هَلَمْ يا مُحَمَّدون)، و(هَلَمْ يا هندات)، وبلغتهم جاء التنزيل قال

= مُسَمَّاه من تَعَدُّ ولزوم. والحاصل أنَّ (هَلَمْ) فيها لغتان: لغة الحجازيين، ولغة التميميين: فأما لغة (الحجاز) فإنها فيها بصيغة واحدة سواء أُسْنِدَتْ لمفرد أم مثنى أم مجموع أم مؤنث، نحو: هَلَمْ يا زيد يا زيدان يا زيدون يا هند يا هندان يا هندات، وهي على هذه اللغة عند النحاة (اسم فعل) لعدم تغييرها، والتزمت العرب فَتَحَ الميم على هذه اللغة، وهي حركة بناء بُنِيَتْ على الفتح تخفيفاً، وأما لغة تميم.. فتلحقها الضمائر كما تَلْحَق سائر الأفعال، فيقال: هَلَمَّا هَلُمُّوا هَلْمِي هَلُمُّنَ. وحُكِيَ عن العرب: (يقال هَلُمُّنَ يا نسوة)، وهي على هذه اللغة فعل صريح لا يتصرف. هذا قول الجمهور. وقد خالف بعضهم في فعليتها على هذه اللغة، وليس بشيء، والتزمت العرب أيضاً فيها على لغة (تميم) فَتَحَ الميم إذا كانت مسندة لضمير الواحد المذكور، ولو يُجَيِّزُوا فيها ما أجازوا في ردٍّ وشذٍّ من الضم والكسر. انظر ذلك مفصلاً في (الدَّر المصون) (٢١٢/٣)، (٤٠٧/٥)، تفسير ابن عادل (٥٠٢/٨)، البحر المحيط (٢٤٩/٤)، (٢١٤/٧)، الكشف (٥٩/٢)، (٢٥٥/٣).

(١) أي: بفك الإدغام، وإنما وجب الفك وامتنع الإدغام؛ لأنَّ الثاني ساكن (هَلُمُّنَ)، ومن شروط الإدغام إلا يكون الحرف الثاني ساكناً.

(٢) شرح قطر الندى (ص: ٢٦-٣١)، تعجيل الندى (ص: ٢٢-٢٣).

عَلَيْكَ: ﴿قُلْ هَلَمْ شُهِدَاءُكُمْ﴾ ، ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلَمْ إِيتَانَا﴾ ، وهي عندهم (اسم فعل أمر)، لا (فعل أمر)؛ لأنها وإن كانت دالة على الطلب لكنها لا تقبل (ياء المخاطبة).

وأما (هات) و(تعال) فعدهما جماعة من النحويين في (أسماء الأفعال)^(١)، والأصح أنهما فعلا أمر؛ لدلالتهما على الطلب، وقبولهما (ياء المخاطبة)^(٢) نحو: (يا عائشة هاتي الكتاب)، (يا عائشة تعالي). و(هات): ملازم للكسر دائماً إلا إذا كان لجماعة المذكرين فإنه يضم، تقول: (يا محمد هات الكتاب). و(يا محمدون هاتوا كتبكم). قال عَمَّكَ: ﴿قُلْ هَاؤُا بُرْهَانِكُمْ﴾ [البقرة: ١١١]^(٣)، فـ: (هات) فعل أمر مبني على حذف الياء، و(هاتوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل.

وأما (تعال): فهو مفتوح الآخر في جميع أحواله من غير استثناء تقول: (تعال يا محمد)، و(تعال يا عائشة). و(تعال يا محمدان). و(تعالوا يا محمدون). و(تعالين يا هندات). كل ذلك بفتح اللام. وربما ضمت اللام مع جمع المذكر السالم وكسرت مع المؤنثة، وقد قرئ: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا﴾ [آل عمران: ٦٤] - بضم اللام

(١) انظر: شذور الذهب (١/١٥٦)، شرح قطر الندى (ص: ٣١)، تفسير ابن جزي (١/٢٥)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (٣/٩٣-٩٦)، وانظر: المحرر الوجيز (٤/٣٧٥).
(٢) انظر: شذور الذهب (١/١٥٥-١٥٦)، شرح قطر الندى (ص: ٣١-٣٢)، وانظر: المصادر السابقة.
(٣) وانظر: [الأنبياء: ٢٤]، [النمل: ٦٤]، [القصص: ٥٧].

لمجانسة الواو-^(١).

قال الله ﷻ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ﴾ [آل عمران: ٦١]، .. ف: (تعالوا) فعل
أمر مبني على حذف النون؛ لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل^(٢).
وقال ﷻ: ﴿فَتَعَالَيْنِ أُمَتِّعَنَّ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ف (تعالين) فعل
أمر مبني على الشكون بنون الإناث، ونون الإناث فاعل^(٣).

(١) قرأ الحسن البصري، وأبو السَّمال العدوي وأبو واقد الليثي: (تعالوا) -بضم اللام-،
ووجهوها على أَنَّ الأصل: (تعالوا).. الدر المصون (١/١٢١)، الكشف (١/٥٣٦)،
المصباح المنير، مادة: (عَلُو) (٢/٤٢٧-٤٢٨)، تاج العروس، مادة: (عَلُو) (٣٩/٩٠).
(٢) وفي (المصباح): «(تَعَالَوْا) فعل أمر من ذلك، وأصله أَنَّ الرَّجُلَ الْعَالِيَّ كَانَ يَنَادِي السَّافِلَ
فيقول: (تَعَالِ)، ثُمَّ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى اسْتَعْمَلَ بِمَعْنَى: (هَلُمَّ) مطلقاً، وسواء كان
موضع المدعو أعلى أو أسفل أو مساوياً فهو في الأصل لمعنى خاص، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي مَعْنَى
عام، ويتصل به الضمائر باقياً على فتحه فيقال: (تَعَالَوْا تَعَالَيْنِ)، وربما ضُمَّت اللام
مع جمع المذكر السالم، وكسرت مع المؤنثة، وبه قرأ الحسن البصري في قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ
يَتَّخِذِ الْكَافِرِينَ تَعَالَوْا﴾ ؛ لمجانسة الواو.. انظر: المصباح المنير، مادة: (عَلُو) (٢/٤٢٧-
٤٢٨). وقال الطاهر: «قيل: هو اسم فعل أمر بمعنى: (أقدم)؛ لأنهم وجدوه غير متصرف
في الكلام، إذ لا يقال: (تعاليت) بمعنى: (قدِمتُ)، و(لا تعالِ إليَّ فلانٌ) بمعنى: جاء،
وأيما ما كان فقد لزمته علامات مناسبة لحال المخاطب به، فيقال: تعالوا وتعالين. وبذلك
رجَّح جمهور النحاة أَنَّهُ فعل أمر، وليس باسم فعل، ولأنَّه لو كان اسم فعل لما لحقته
العلامات، ولكان مثل: هَلُمَّ وهيئات. التحرير والتنوير (٨/١٥٧). وقال في موضع آخر:
«(تعالوا) طَلَبٌ مِنَ الْمَخَاطَبِ بِالْحَضُورِ عِنْدَ الطَّالِبِ، وَأصله: فَعَلَ أَمْرٌ مِنَ التَّعَالَى، وَهُوَ تَكَلَّفُ
الْعُلُوِّ، أَي: الضُّعُودِ، وَتَنَوُّسِي ذَلِكَ وَصَارَ لِمَجْرَدِ طَلَبِ الْحَضُورِ، فَلَزِمَ حَالَهُ وَاحِدَةُ فَصَارَ (اسم
فعل) ..». التحرير والتنوير (٢٨/٢٤٣). والحاصل أنهم قد اختلفوا في (تعالوا)، هل هو فعل
أمر حقيقي أو اسم فعل أمر؟ لكنَّ الراجح: أَنَّهُ فعل أمر؛ لأنَّه يقبل العلامة؛ ولأنَّه -أيضاً-
تدخل عليه الضمائر، ويتغيَّر بحسب الضمائر الدَّاخلَة عليه - كما سبق -.

(٣) وقد ذكروا أَنَّهُ اسم فعل أمر بمعنى: (أقبلن)، وهو هنا مستعمل تمثيلاً لحال تَهَيُّؤِ الأزواج =

● سابعًا : موجب الأمر

والمراد به مدلول صيغة الأمر، لا مدلول اللفظ المرگب من (همزة وميم وراء)، فالكلام هنا فيما يدل عليه لفظ: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]، ونحو ذلك..

فأكثر العلماء قالوا: صيغة الأمر تدلُّ على الوجوب دلالةً حقيقيةً، ولا تدلُّ على غير الوجوب من الندب والإباحة ونحوهما إلا بقرينة. والدليل على ذلك:

أولاً: إِنَّ تارك المأمور يسمَّى: عاصياً، وذلك لقوله ﷻ: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [٣٦] [الأحزاب: ٣٦]، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].
وقال ﷻ عن الذين يعصونه:

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [١٤] [النساء: ١٤]، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. فدلَّ ذلك على أنَّ تارك المأمور يستحقُّ العذاب، واستحقاق العذاب على المأمور دليل على

= لأخذ التمتع وسماع التَّسريح بحال من يُحضر إلى مكان المتكلم. انظر: التَّحرير والتَّنوير = (٣١٦/٢١)، البحر المديد (٢٢/٦)، الكشاف (٢٥٨/٣)، تفسير ابن جزي (١٣٦/٣). =

وجوبه؛ إذ غير الواجب لا عقاب على تركه بلا خلاف.

ثانياً: قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ثالثاً: قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [١٨] [المرسلات: ٤٨]، فهو ذمٌّ على ترك امتثال الأمر بالركوع، وهو دليل الوجوب.

رابعاً: قال الله ﷻ لإبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]. فقرّعه على مخالفة الأمر^(١).

(١) انظر: مذكرة الشيخ الشنقيطي على روضة الناظر (ص: ١٩١-١٩٢)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٠)، وينظر: شرح مختصر الروضة (٢/ ٣٦٥-٣٦٩)، شرح البدخشي، ومعه شرح السنوي على منهاج الوصول (٢/ ٢٤) فما بعد، المغني في أصول الفقه (ص: ٣١). قال في (المراقي):

(ومفهم الوجوب يُذري الشرع أو الحجا أو المفيد الوضع). المراقي [٢٤٤]، (ص: ٣٥). والحاصل أنّهم قد اختلفوا من الذي يفهم منه دلالة الأمر على الوجوب، هل هو الشرع أو العقل أو اللغة؟ وحجّة الأوّل ما سبق بيانه من الآيات. ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسّواك». أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه [٨٣٨]، ومسلم [٣٧٠]. وأيضاً المنقول عن الصحابة والأئمّة المتقدّمين التمسك بمطلق الأمر في إثبات الوجوب إلا بصارف عنه، فترتب العقاب على التّرك إنمّا يستفاد من أمر الشارع، وأمر من أوجب طاعته. وحجّة من قال: إنّّه بالعقل هي أنّ ما تفيده اللغة من الطّلب يتعيّن أن يكون للوجوب؛ لأنّ حمله على التّدب يصير المعنى: (افعل إن شئت) وهذا القيد ليس مذكوراً.. والقائل إنّّه اللغة يقول: إنّ أهل اللغة يحكمون باستحقاق عبد مخالفٍ أمر

● ثامناً : دلالة الأمر على التكرار:

الأمر المقيّد بالمرّة يدلّ على المرّة عملاً بهذا القيد، والأمر المقيّد بالتكرار يدلّ على التكرار عملاً بهذا القيد..

والأمر المقيّد بشرط أو صفة لا يدلّ على التكرار لفظاً، ولكن يدلّ على التكرار قياساً^(١)، مثل قوله ﷻ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

والأمر العاري عن القيود المتقدمة لا يدلّ بذاته على التكرار، ولا على المرّة، وإنما يفيد طلب الماهية من غير إشعار بوحدة أو كثرة، ولا يمكن إدخال الماهية في الوجود بأقلّ من مرّة، فوجبت المرة؛

سيّده للعقاب. ورد بأنّ حكم أهل اللّغة المذكور مأخوذ من الشّرع؛ لإيجابه على العبد طاعة سيّده. انظر: نشر البنود (١/١٥٠)، نثر الورود (١/١٧٧-١٧٨). وقد قيل أيضاً: إن (أمر) فعل متعّد لازمه (اتّمر)، والمتعّدّ بدون لازمه محال كالجمع بدون الاجتماع، والجرح بدون الانجراح، والكسر بدون الانكسار، [أي: فيقتضي القياس أن لا يتفكّك الاتّمار عن الأمر] إلا أنّه تراخى الوجوب إلى زمان اختيار المكلف، فبقي في ذمّته جبراً على وجه لا بدّ منه حكماً. [أي: تراخى وجود اللّازم تحامياً من الجبر]. انظر: المغني في أصول الفقه، للخبازي (ص: ٣١).

(١) أمّا أنّه لا يدلّ لفظاً؛ فلاّنه لو قال رجل لوكيله: طلق زوجتي، ولا تطلقها إلا إذا دخلت الدّار، لم يتكرّر الطّلاق في هذه الصّورة بتكرار الدّخول. ولو دلّ عليه لفظاً لتكرّر، كما لو قال: كلّما دخلت زوجتي الدّار فطلقها. وأمّا أنّه يدلّ قياساً فلاّن ترتيب الحكم على الشّروط أو الصّفة يفيد عليّة ذلك الشّروط وتلك الصّفة لذلك الحكم، ولا شكّ أنّ المعلول يتكرّر بتكرّر علّته.

لهذا، لا لأنَّ الأمر يدلُّ عليها بذاته. ويشهد لكون الأمر لا يدلُّ بذاته على المرَّة ولا على التكرار أنَّ الأمر ورد في الشَّرع تارة على التكرار، كآيات الصَّلَاة والصَّيام والزَّكاة.

وورد عرفاً مع التكرار، نحو: (أحسن إلى النَّاس). كما أنَّه ورد في الشَّرع وفي العرف مع المرَّة كآية الحجَّ^(١)، وكقول القائل: (اشتر اللحم). ويلزم من هذا كونه حقيقةً في القدر المشترك بين التكرار والمرَّة، وإلا لزم الاشتراك اللَّفْظي أو المجاز، وهما خلاف الأصل. وكما لا يدلُّ على التكرار بذاته لا يدلُّ على وجوب المبادرة عقبه إلى الإتيان بالمأمور به، ولا على وجوب التراخي^(٢). وفي المسألة أربعة أقوالٍ مبسوطة في كتب الأصول^(٣).

● تاسعاً : المأمور به المطلق والمؤقت :

الواجبُ المطلق: هو الفعلُ المطلوب طلباً جازماً، وليس لأدائه وقتٌ معيَّن شرعاً، كالنَّذور المطلقة والكفَّارات، فإنَّ طلب إيقاعها لم يقيد بوقت من العمر بحيث لا يجوز قبله، ويفوت بفواته، وإن كانت واقعة في وقت من العمر لا محالة^(٤).

(١) قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

(٢) انظر: الموجز في أصول الفقه، عبد الجليل القرنشاوي، ومحمد فرج سليم، ومحمود شوكيت العدوي، والحسيني يوسف الشَّيخ، وفرج السيد فرج (ص: ٩٩-١٠٠)، وينظر: الإحكام، للأمدِّي (٢/ ١٧٠)، البحر المحيط، للزَّركشي (٢/ ١٢٠)، الإبهاج (٢/ ٥٠).

(٣) تنظر هذه الأقوال في مذكرة الشَّيخ الشَّنْقِيطِي على روضة النَّاظِر (ص: ١٩٤)، وانظر: اللَّمع

في أصول الفقه، للشَّيرازي (ص: ١٤-١٥)، والتَّبصرة (ص: ٤٤-٥٥).

(٤) الموجز (ص: ١٠٥)، نسمات الأسحار على شرح المنار (ص: ٦١-٦٢).

الواجب المؤقت: هو الفعل المطلوب طلباً جازماً، وكان لأدائه وقت كالصلوات الخمس، وكالصوم.
ثم إنَّ المؤقت نوعان؛ لأنَّ الوقت إن كان يفضل عن الفعل يسمَّى الواجب: موسَّعاً، كالصلوات الخمس، وإن كان مساوياً للفعل يسمَّى الواجب: مضيقاً، كصوم رمضان.
وإنَّ التضييق في الحقيقة إنما هو في وقت الواجب، وليس في الواجب نفسه، فالتسمية بالمضيق أو الموسَّع تسمية مجازية. وإن كان الواجب موسَّعاً فالمكلف بالخيار في أن يأتي بالواجب في أي وقت شاء من وقته المقدر، وإن كان المحذور هو ترك الفعل في كل الوقت^(١).

● عاشرًا : المأمور به المختار :

الأمر بواحد غير معيَّن من أمور معينة جائز وواقع، وهو الفعل المبهم من أمور معينة الذي طلب طلباً جازماً..
وذلك كقول الله ﷻ:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُمْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُم أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرتُمْ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

(١) انظر: الموجز (ص: ١٠٥-١٠٦)، البحر المحيط، للزركشي (١/١٧٦)، تيسير التحرير (٣/١٩٠)، (٣/٢٧٥)، كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام (١/٣٧٤)، (٢/٤٨٥).

فإنَّ هذه الآية في قوَّة الأمر بالإطعام أو الكسوة أو تحرير الرِّقبة. وكلُّ واحد من هذه الثلاثة واجب على البدل لا على سبيل الاجتماع كما تدلُّ على البدل كلمة: ﴿أَوْ﴾ المفيدة للتَّخيير في الأفراد^(١). فلا يجوز للحدث في يمينه ترك جميع هذه الخصال، ولا يجب عليه الإتيان بها كلها، وإنما الواجب الإتيان بإحداها. فتحقق في خصال كفارة اليمين الوجوب والتَّخيير. والحدث التَّارك لخصال الكفارة يأثم إثم من ترك واجبًا واحدًا، لا من ترك واجبات متعدِّدة. ومن أتى بخصال الكفارة كلِّها لم يشب ثواب واجبات؛ لوقوع الامتثال بخصلة واحدة^(٢). لكن إن كان في المخير ما هو أعلى ثوابًا وفعل المكلف الكلَّ، فالمثاب عليه ثواب واجب هو الأعلى سواء فعل الخصال مرتبًا أو معًا، وإن ترك الكلَّ عوقب على أدناه^(٣).



(١) انظر: تيسير التَّحْريير (٢/٣٦١)، روضة الناظر (١/٢٠٤)، المدخل (ص: ٢٢٧)، الموجز (ص: ١٠٧).

(٢) حاشيتا السَّعد والجرجاني على ابن الحاجب (١/٢٣٦).

(٣) تيسير التَّحْريير (٢/٣٦٣)، حاشية العطار على جمع الجوامع (١/٢٠٦)، الموجز (ص: ١٠٧).

المطلب الثاني : أفعال الأمر في القرآن

وهذا إحصاء لأفعال الأمر في القرآن الكريم، وتأتي مرتبة على النحو التالي:

		سورة الفاتحة		
		اهْدِنَا: ٦		
		سورة البقرة		
ابْعَثْ: ٢٤٦	اتَّبِعُوا: ١٧٠	اتَّقِ: ٢٠٦	اتَّقُوا: ٢٧٨	أَيِّمُوا: ١٨٧
آتَا: ٢٠٠ -	اجْعَلْ: ١٢٦ -	ادْخُلُوا: ٥٨ -	ادْعُ: ٦٨ - ٦٩	ادْعُهُنَّ: ٢٦٠
٢٠١	٢٦٠	٢٠٨	- ٧٠	
ادْكُرُوا: ٤٠ -	أَرِنَا: ١٥٣	أَرِنِي: ٢٦٠	اسْتَعِينُوا: ١٥٣	اسْجُدُوا: ٣٤
٤٧ - ١٢٢				
اسْكُنْ: ٣٥	أَسْلِمَ: ١٣١	اضْرِبْ: ٦٠	اضْرِبُوهُ: ٧٣	اعْبُدُوا: ٢١
أَفْرِغْ: ٢٥٠	أَفِضُوا: ١١٩	آمِنُوا: ١٣ -	أَنْتَهُم: ٣٣	أَنْبِئُونِي: ٣١
		٩١		
انْظُرْنَا: ١٠٤	أَنْفِقُوا: ٢٥٤ -	اهْبِطُوا: ٣٦ -	بَاشِرُوهُنَّ: ١٨٧	تَقَبَّلْ: ١٢٧
	٢٦٧	٣٨ - ٦١		
حَافِظُوا: ٢٣٨	خُذُوا: ٦٣ -	رَاعِنَا: ١٠٤	سَرَّحُوهُنَّ: ٢٣١	سَلْ: ٢١١
٩٣				
طَهَّرَا: ١٢٥	فَات: ٢٥٨	فَاتَّقُونِ: ٤١	فَاتُوا: ٢٣ -	فَاتُوهُنَّ: ٢٢٢
			٢٢٣	
فَاحْذَرُوهُ: ٢٣٥	فَادْعُ: ٦١	فَادْكُرُوا: ١٩٨ -	فَادْكُرُونِي: ١٥٢	فَادْنُوا: ٢٧٩
		٢٣٩ - ٢٠٠		
فَازْهَبُونِ: ٤٠	فَاسْتَقْبُوا: ١٤٨	فَاعْتَدُوا: ١٩٤	فَاعْتَرَلُوا: ٢٢٢	فَاعْفُوا: ١٠٩
فَاعْلَمُوا: ٢٠٩	فَاعْمَلُوا: ٦٨	فَاقْتُلُوا: ٥٤	فَاكْتُبُوهُ: ٢٨٢	فَأَمْسِكُوهُنَّ: ٢٣١

فَانْصُرْنَا: ٢٨٦.	فَانْظُرْ: ٢٥٩.	فَتَمَتُّوا: ٩٤.	فَتَوَبُّوا: ٥٤.	فَخَذَ: ٢٦٠.
فَصُرْهُنَّ: ٢٦٠.	فَكُلُّوا: ٥٨.	قُولُوا: ١٣٦.	كُلُّوا: ٦٠ - ١٦٨ - ١٧٢.	كُنْ: ١١٧.
كُونُوا: ٦٥ - ١٣٥.	مُوتُوا: ٢٤٣.	هَاتُوا: ١١١.	وَابْتَغُوا: ١٨٧.	وَابْعَثْ: ١٢٩.
واتخذوا: ١٢٥.	وَاتَّقُونِ: ١٩٧.	وَأَيُّمُوا: ١٩٦.	وَاتُوا: ٤٣ - ٨٣ - ١١٠.	وَاتُوا: ١٨٩.
وَأَجْعَلْنَا: ١٢٨.	وَأَحْسِنُوا: ١٩٥.	وَأَخْرِجُوهُمْ: ١٩١.	وَأَخْشَوْنِي: ١٥٠.	وَادْخُلُوا: ٥٨.
وَادْعُوا: ٢٣.	وَادْكُرُوا: ٦٣ - ٢٠٣ - ٢٣١.	وَادْكُرُوهُ: ١٩٨.	وَارْزُقْ: ١٢٦.	وَارْكَعُوا: ٤٣.
وَأَسْتَشْهِدُوا: ٢٨٢.	وَأَسْتَعِينُوا: ٤٥.	وَأَسْتَغْفِرُوا: ١٩٩.	وَأَسْمَعُوا: ٩٣ - ١٠٤.	وَأَشْرَبُوا: ٦٠ - ١٨٧.
وَأَشْكُرُوا: ١٥٢ - ١٧٢.	وَأَشْهِدُوا: ٢٨٢.	وَأَصْفَحُوا: ١٠٩.	وَأَعْفُ: ٢٨٦.	وَأَعْلَمْ: ٢٦٠.
وَأَعْلَمُوا: ١٩٤ - ١٩٦ - ٢٠٣ - ٢٢٣ - ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - (مرتين) - ٢٤٤ - ٢٦٧.	وَأَعِزْ لَنَا: ٢٨٦.	وَأَعِزْ: ٢٨٦.	وَأَقْتُلُوهُمْ: ١٩١.	وَأَقِيمُوا: ٤٣ - ٨٣ - ١١٠.
وَأَمِنُوا: ٤١.	وَأَنْصُرْنَا: ٢٥٠.	وَأَنْظُرْ: ٢٥٩ (مرتين).	وَأَنْفِقُوا: ١٩٥.	وَأَوْفُوا: ٤٠.
وَبَشِّرْ: ٢٥ - ٢٢٣.	وَتُبْ: ١٢٨.	وَتَبَّتْ: ٢٥٠.	وَدَرُوا: ٢٧٨.	وَقَاتِلُوا: ١٩٠ - ٢٤٤.
وَقَاتِلُوهُمْ: ١٩٣.	وَقَدِّمُوا: ٢٢٣.	وَقِنَا: ٢٠١.	وَقُولُوا: ٥٨ - ٨٣ - ١٠٤.	وَقُومُوا: ٢٣٨.

وَكَلَّا: ٣٥.	وَكُلُّوْا: ١٨٧.	وَمَتَّعُوْهُنَّ: ٢٣٦.		
		سورة آل عمران		
اتَّقُوا: ١٠٢.	اجْعَلْ: ٤١.	ادْفَعُوا: ١٦٧.	اشْهَدُوا: ٦٤.	اصْبِرُوا: ٢٠٠. وَصَابِرُوا: ٢٠٠.
أَطِيعُوا: ٣٢.	اغْفِرْ: ١٤٧.	افْتَتِي: ٤٣.	آمِنُوا: ٧٢ - ١٩٣.	تَعَالَوْا: ٦١ - ١٦٧.
ذُقُوا: ١٨١.	فَاتَّبِعُونِي: ٩٥.	فَاتَّبِعُونِي: ٣١.	فَاتْلُوهَا: ٩٣.	فَاتُوا: ٩٣.
فَاخْشَوْهُمْ: ١٧٣.	فَاذْرُهُا: ١٦٨.	فَاشْهَدُوا: ٨١.	فَاعْبُدُوهُ: ٥١.	فَاعْفُ: ١٥٩.
فَاعْفِرْ: ١٦ - ١٩٣.	فَاكْتَبْنَا: ٥٣.	فَاْمِنُوا: ١٧٩.	فَانْظُرُوا: ١٣٧.	فَبَشِّرْهُمْ: ٢١.
فَتَقَبَّلْ: ٣٥.	فَتَوَكَّلْ: ١٥٩.	فَذُوقُوا: ١٠٦.	فَسِيرُوا: ١٣٧.	فَقَيْنَا: ١٩١.
فَقُولُوا: ٦٤.	قَاتِلُوا: ١٦٧.	كُنْ: ٤٧ - ٥٩.	كُونُوا: ٧٩ (مرتين).	مُوتُوا: ١١٩.
هَبْ: ٣٨.	وَاتْنَا: ١٩٤.	وَاذْكُرْ: ٤١.	وَاذْكُرُوا: ١٠٣.	وَاذْكُرْ: ٤٣.
وَاسْتَغْفِرْ: ١٥٩.	وَاسْجُدِي: ٤٣.	وَاشْهَدْ: ٥٢.	وَاطِيعُوا: ١٣٢.	وَاطِيعُونَ: ٥٠.
وَاعْتَصِمُوا: ١٠٣.	وَافْكُرُوا: ٧٢.	وَانصُرْنَا: ١٤٧.	وَتَوَقَّنَا: ١٩٣.	وَتَبَّتْ: ١٤٧.
وَخَافُونَ: ١٧٥.	وَرَابِطُوا: ٢٠٠.	وَسَارِعُوا: ١٣٣.	وَسَبَّحْ: ٤١.	وَشَاوِرْهُمْ: ١٥٩.
وَقِنَا: ١٦.	وَهَبْ: ٨.			
		سورة النساء		
اتَّقُوا: ١ - ١٣١.	أَخْرِجْنَا: ٧٥.	أَخْرِجُوا: ٦٦.	ادْخُلُوا: ١٥٤.	أَطِيعُوا: ٥٩.
اقْتُلُوا: ٦٦.	آمِنُوا: ٤٧.	انتهوا: ١٧١.	انظُرْ: ٥٠.	انْفِرُوا: ٧١.
بَشِّرْ: ١٣٨.	تَعَالَوْا: ٦١.	خذوا: ٧١.	رُدُّوْهَا: ٨٦.	فَانْعَثُوا: ٣٥.
فَاتُوْهُمْ: ٣٣.	فَاتُوْهُمْ: ٢٤.	فَاذْفَعُوا: ٦.	فَاذْكُرُوا: ١٠٣.	فَاذْهَبَا: ١٦.
فَارْزُقُوْهُمْ: ٨.	فَاسْتَشْهَدُوا: ١٥.	فَاشْهَدُوا: ٦.	فَاعْرِضْ: ٦٣ - ٨١.	فَاعْرِضُوا: ١٦.

فَأَقِمْوْا: ١٠٣.	فَأَمْسَحُوا: ٤٣.	فَأَمْسِكُوهُمْ: ١٥.	فَأَمِنُوا: ١٧٠ - ١٧١.	فَأَنْفِرُوا: ٧١.
فَأَنْكِحُوا: ٣.	فَأَنْكِحُوهُمْ: ٢٥.	فَتَبَيَّنُوا: ٩٤.	فَتَيَمَّمُوا: ٤٣.	فَحْيُوا: ٨٦.
فَخَذَوْهُمْ: ٨٩ - ٩١.	فَرَدُّوهُ: ٥٩.	فَعِظُوهُمْ: ٣٤.	فَقَاتِلْ: ٨٤.	فَقَاتِلُوا: ٧٦.
كُفُّوا: ٧٧.	كُونُوا: ١٣٥.	وَابْتَغُوا: ٦.	وَاتُوا: ٢ - ٤ - ٧٧.	وَاتَوْهُمْ: ٢٥.
وَأَجْعَلْ: ٧٥.	وَارْزُقُوهُمْ: ٥.	وَأَسْأَلُوا: ٣٢.	وَأَسْتَغْفِرْ: ١٠٦.	وَأَسْمَعْ: ٤٦.
وَأَضْرِبُوهُمْ: ٣٤.	وَأَطِيعُوا: ٥٩.	وَأَعْبُدُوا: ٣٦.	وَأَقْتُلُوهُمْ: ٨٩ - ٩١.	وَأَقِمْوْا: ٧٧.
وَأَكْسُوهُمْ: ٥.	وَأَنْظُرْنَا: ٤٦.	وَأَهْجُرُوهُمْ: ٣٤.	وَتَوَكَّلْ: ٨١.	وَحَرِّضْ: ٨٤.
وَاخْذُوا: ١٠٢.	وَرَاعِنَا: ٤٦.	وَعَاشِرُوهُمْ: ١٩.	وَقُولُوا: ٥ - ٨.	
		سورة المائدة		
اتخذوني: ١١٦.	اتَّقُوا: ٣٥ - ١١٢.	احْكُم: ٤٩.	ادْخُلُوا: ٢١ - ٢٣.	اذْكُرْ: ١١٠.
اذْكُرُوا: ١١ - ٢٠.	اعْبُدُوا: ٧٢ - ١١٧.	اعْدِلُوا: ٨.	أَعْرِضْ: ٤٢.	اعْلَمُوا: ٩٨.
آمِنُوا: ١١١.	أَنْزِلْ: ١١٤.	انْظُرْ: ٧٥ (مرتين).	أَوْفُوا: ١.	بَلِّغْ: ٦٧.
تَعَالَوْا: ١٠٤.	فَاجْتَنِبُوهُ: ٩٠.	فَاحْكُم - ٤٢ - ٤٨.	فَاذْهَبْ: ٢٤.	فَاسْتَقِمْ: ٤٨.
فَاصْطَادُوا: ٢.	فَاطْهَرُوا: ٦.	فَاعْفُ: ١٣.	فَاعْلَمْ: ٤٩.	فَاعْلَمُوا: ٣٤ - ٩٢.
فَاغْسِلُوا: ٦.	فَافْرُقْ: ٢٥.	فَاقْطِعُوا: ٣٨.	فَاكْتَبْنَا: ٨٣.	فَأَمْسَحُوا: ٦.
وَأَمْسَحُوا: ٦.	فَتَوَكَّلُوا: ٢٣.	فَتَيَمَّمُوا: ٦.	فَخَذَوْهُ: ٤١.	فَقَاتِلَا: ٢٤.

فَكُلُوا: ٤.	كُونُوا: ٨.	وَابْتَغُوا: ٣٥.	وَائْتَلُ: ٢٧.	وَاحْذَرُهم: ٤٩.
وَاحْذَرُوا: ٩٢.	وَاحْفَظُوا: ٨٩.	وَاحْشُون: ٣ -	وَادْكُرُوا: ٤ -	وَارْزُقْنَا: ١١٤.
		٤٤.	٧.	
وَأَسْمَعُوا: ١٠٨.	وَأَشْهَدْ: ١١١.	وَأَصْفَح: ١٣.	وَأَطِيعُوا: ٩٢.	وَتَعَاوَنُوا: ٢.
وَجَاهِدُوا: ٣٥.	وَكُلُوا: ٨٨.			
		سورة الأنعام		
اِتْنَا: ٧١.	اتَّبِع: ١٠٦.	أَخْرِجُوا: ٩٣.	اعْمَلُوا: ١٣٥.	اقْتَلِهِ: ٩٠.
أَقِيمُوا: ٧٢.	انْتَظِرُوا: ١٥٨.	انْظُر: ٢٤ - ٤٦	انْظُرُوا: ١١ -	أَوْفُوا: ١٥٢.
		٦٥ -	٩٩.	
تَعَالَوْا: ١٥١.	ذَرَهُم: ٩١.	سِيرُوا: ١١.	فَاتَّبِعُوهُ: ١٥٣ -	فَاعْبُدُوهُ: ١٠٢.
			١٥٥.	
فَاعْبُدُوا: ١٥٢.	فَأَعْرِضْ: ٦٨.	فَذَرُهم: ١١٢ -	فَذُوقُوا: ٣٠.	فَكُلُوا: ١١٨.
		١٣٧.		
كُلُوا: ١٤١ -	كُنْ: ٧٣.	وَأَتَّقُوهُ: ٧٢.	وَأَتُوا: ١٤١.	وَأَعْرِضْ: ١٠٦.
١٤٢.				
وَأَنْذِرْ: ٥١.	وَأَوْفُوا: ١٥٢.	وَذَرِ: ٧٠.	وَذَرُوا: ١٢٠.	وَذَكِّرْ: ٧٠.
		سورة الأعراف		
اِتْنَا: ٧٧.	اتَّبِعُوا: ٣.	اجْعَلْ: ١٣٨.	اخْرُجْ: ١٨.	أَخْرِجُوهم: ٨٢.
اخْلُفْنِي: ١٤٢.	ادْخُلُوا: ٣٨ -	ادْعُ: ١٣٤.	ادْعُوا: ٥٥ -	أَرْجِهْ: ١١١.
	٤٩.		١٩٥.	
أَرْسِلْ: ١١١.	أَرْنِي: ١٤٣.	اسْتَعِينُوا: ١٢٨.	اسْجُدُوا: ١١.	اسْكُنْ: ١٩.
اسْكُنُوا: ١٦١.	اضْرِبْ: ١٦٠.	اعْبُدُوا: ٥٩ -	اغْفِرْ: ١٥١.	اقْتَحْ: ٨٩.
		٦٥ - ٧٣ - ٨٥.		
أَفِضُوا: ٥٠.	أَلْتِ: ١١٧.	أَلْقُوا: ١١٦.	انْظُرْ: ١٤٣.	انْظُرْنِي: ١٤.
اهْبِطُوا: ٢٤.	خَذْ: ١٩٩.	خَذُوا: ٣١ -	فَاتْ: ١٠٦.	
		١٧١.		

فَاتِنَا: ٧٠.	فَاتِهِم: ٣٨.	فَاتُوا: ١٣٨.	فَاخْرُجْ: ١٣.	فَادْعُوهُمْ: ١٩٤.
فَاذْكُرُوا: ٦٩ - ٧٤.	فَارْسِلْ: ١٠٥.	فَاسْتَعِذْ: ٢٠٠.	فَاسْتَمِعُوا: ٢٠٤.	فَاصْبِرُوا: ٨٧.
فَاعْفِرْ: ١٥٥.	فَاقْصُصْ: ١٧٦.	فَآمِنُوا: ١٥٨.	فَانْتَظِرُوا: ٧١.	فَانْظُرْ: ٨٤ - ١٠٣.
فَاهْبِطْ: ١٣.	فَاوْقُوا: ٨٥.	فَخُذْ: ١٤٤.	فَخُذْهَا: ١٤٥.	فَذَرُوهَا: ٧٣.
فَقْدُوا: ٣٩.	فَكَلَّا: ١٩.	كُلُوا: ١٦٠.	كُونُوا: ١٦٦.	كَيْدُون: ١٩٥.
وَاتَّبِعُوهُ: ١٥٨.	وَاتْلُ: ١٧٥.	وَأَدْخَلْنَا: ١٥١.	وَأَدْخُلُوا: ١٦١.	وَادْعُوهُ: ٢٩ - ٥٦.
وَاذْكُرْ: ٢٠٥.	وَاذْكُرُوا: ٦٩ - ٧٤ - ٨٦ - ١٧١.	وَارْحَمْنَا: ١٥٥.	وَأَسْأَلُهُم: ١٦٣.	وَأَشْرِبُوا: ٣١.
وَاصْبِرُوا: ١٢٨.	وَأَصْلِحْ: ١٤٢.	وَأَعْرِضْ: ١٩٩.	وَأَقِيمُوا: ٢٩.	وَاكْتُبْ: ١٥٦.
وَأْمُرْ: ١٤٥ - ١٩٩.	وَأَنْصِتُوا: ٢٠٤.	وَانْظُرُوا: ٨٦.	وَتَوَقَّنَا: ١٢٦.	وَذَرُوا: ١٨٠.
وَقُولُوا: ١٦١.	وَكُلُوا: ٣١ - ١٦١.	وَكُنْ: ١٤٤.		
سورة الأنفال				
اِئْتِنَا: ٣٢.	اسْتَجِيبُوا: ٢٤.	أَطِيعُوا: ٢٠.	حَرِّضْ: ٦٥.	فَأُتْبِتُوا: ٤٥.
فَأَجْنَحْ: ٦١.	فَاصْبِرُوا: ١٢.	فَاعْلَمُوا: ٤٠.	فَأَمْطِرْ: ٣٢.	فَأَنْيِدْ: ٥٨.
فَتَبَّتْ: ١٢.	فَقْدُوا: ٣٥.	فَقْدُوهُ: ١٤.	فَقْشَرْدْ: ٥٧.	فَكُلُوا: ٦٩.
وَاذْكُرُوا: ٢٦ - ٤٥.	وَاصْبِرُوا: ٤٦.	وَأَصْلِحُوا: ١.	وَأَطِيعُوا: ١ - ٤٦.	وَأَعِدُّوا: ٦٠.
وَأَعْلَمُوا: ٢٤ - ٢٥ - ٢٨ - ٤١.	وَتَوَكَّلْ: ٦١.	وَذُوقُوا: ٥٠.	وَقَاتِلُوهُمْ: ٣٩.	
سورة التوبة				
اِئْذَنْ: ٤٩.	أَبْلِغْهُ: ٦.	اتَّقُوا: ١١٩.	اسْتَهِزُّوا: ٦٤.	اعْمَلُوا: ١٠٥.

آمِنُوا : ٨٦.	اتَّقُوا : ٣٨ - ٤١.	اتَّقُوا : ٥٣.	جَاهِدُوا : ٧٣.	خُذُوا : ١٠٣.
ذَرُونَا : ٨٦.	فَآيَمُوا : ٤.	فَآجِرُهُ : ٦.	فَاسْتَبْشِرُوا : ١١١.	فَاسْتَقِيمُوا : ٧.
فَاعْرِضُوا : ٩٥.	فَاعْلَمُوا : ٣.	فَاقْتُلُوا : ٥.	فَبَشِّرْهُمْ : ٣٤.	فَتَرَبَّصُوا : ٢٤ - ٥٢.
فَخَلُّوا : ٥.	فَذُوقُوا : ٣٥.	فَسِيحُوا : ٢.	فَقَاتِلُوا : ١٢.	قَوْلٌ : ١٤٤ - ١٤٩ - ١٥٠.
قُولُوا : ١٤٤ - ١٥٠.	قَاتِلُوا : ٢٩ - ١٢٣.	قَاتِلُوهُمْ : ١٤.	وَاعْلَمُوا : ٢ - ١٢٣ - ٣٦.	وَاعْلُظُوا : ٧٣.
وَاقْعُدُوا : ٥.	اقْعُدُوا : ٤٦.	فَاقْعُدُوا : ٨٣.	وَبَشِّرِ : ٣ - ١١٢.	وَجَاهِدُوا : ٤١ - ٤١.
وخذوهم : ٥.	وَصَلِّ : ١٠٣.	وَقَاتِلُوا : ٣٦.	وَكُونُوا : ١١٩.	
		سورة يونس		
اطْمَئِنُّوا : ٨٨.	اقضوا : ٧١.	أَقِمُّوا : ١٠٥.	الْقُلُوبُ : ٨٠.	الْأَنْزِيلُ : ٢.
انظُرُوا : ١٠١.	بَدَلْهُ : ١٥.	تَبَوَّءُوا : ٨٧.	تَوَكَّلُوا : ٨٤.	ذُوقُوا : ٥٢.
فاتوا : ٣٨.	فَأَجْمِعُوا : ٧١.	فَاسْأَلْ : ٩٤.	فَاسْتَقِيمُوا : ٨٩.	فَاعْبُدُوهُ : ٣.
فَانْتَظِرُوا : ٢٠ - ١٠٢.	فَانْظُرْ : ٣٩ - ٧٣.	وَاتَّبِعْ : ١٠٩.	وَائْتَلْ : ٧١.	وَاجْعَلُوا : ٨٧.
وَادْعُوا : ٣٨.	وَاشْدُدْ : ٨٨.	وَاصْبِرْ : ١٠٩.	وَأَقِيمُوا : ٨٧.	وَبَشِّرِ : ٢ - ٨٧.
وَنَجِّنَا : ٨٦.				
		سورة هود		
ابْلِغِي : ٤٤.	احْمِلْ : ٤٠.	ارْكَبْ : ٤٢.	ارْكَبُوا : ٤١.	اسْتَغْفِرُوا : ٣ - ٥٢.
اعْبُدُوا : ٥٠ - ٨٤.	أَعْرِضْ : ٧٦.	اعْمَلُوا : ٩٣ - ١٢١.	أَفْلِحِي : ٤٤.	اهْبِطْ : ٤٨.
أَوْفُوا : ٨٥.	تَمَتَّعُوا : ٦٥.	تُوبُوا : ٣ - ٥٢ - ٦١ - ٩٠.	فَاتَّبِعُوا : ٩٧.	فَاتَّبِعْنَا : ٣٢.

فَاتُوا: ١٣.	فَاسْتَغْفِرُوا: ٦١.	فَاسْتَقِيمْ: ١١٢.	فَاسْرُ: ٧١.	فَاصْبِرْ: ٤٩.
فَاعْبُدْهُ: ١٢٣.	فَاعْلَمُوا: ١٤.	فَذَرُوهَا: ٦٤.	فَكِيدُونِي: ٥٥.	وَادْعُوا: ١٣.
وَازْتَقُوا: ٩٣.	وَاسْتَغْفِرُوا: ٩٠.	وَاشْهَدُوا: ٥٤.	وَاصْبِرْ: ١١٥.	وَاصْنَعْ: ٣٧.
وَأَقِم: ١١٤.	وَأَنْتَظِرُوا: ١٢٢.	وَتَوَكَّلْ: ١٢٣.		
		سورة يوسف		
اجْعَلْنِي: ٥٥.	اجْعَلُوا: ٦٢.	اُخْرِجْ: ٣١.	ادْخُلُوا: ٩٩.	ادْكُرْنِي: ٤٢.
ادْهَبُوا ٨٧ - ٩٣.	ارْجِعْ: ٥٠.	ارْجِعُوا: ٨١.	أَرْسِلْهُ: ١٢.	اطْرَحُوهُ: ٩.
أَعْرِضْ: ٢٩.	أَفْتِنَا: ٤٦.	أَفْتُونِي: ٤٣.	اقْتُلُوا: ٩.	أَكْرِمِي: ٢١.
تَوَفَّنِي: ١٠١.	فَارْسِلْ: ٦٣.	فَارْسِلُونِ: ٤٥.	فَاسْأَلْهُ: ٥٠.	فَالْقُوهُ: ٩٣.
فَأَوْفِ: ٨٨.	فَتَحَسَّسُوا: ٨٧.	فخذ: ٧٨.	فَذَرُوهُ: ٤٧.	فَقُولُوا: ٨١.
نَبِّئْنَا: ٣٦.	واتوني: ٩٣.	وَادْخُلُوا: ٦٧.	وَاسْأَلْ: ٨٢.	وَاسْتَغْفِرِي: ٢٩.
وَأَلْجِئْنِي: ١٠١.	وَأَلْقُوهُ: ١٠.	وَتَصَدَّقْ: ٨٨.	وَقُلْنِ: ٣١.	
		سورة الرعد		
		سَمُوهُمْ: ٣٣		
		سورة إبراهيم		
اجْعَلْ: ٣٥.	اجْعَلْنِي: ٤٠.	أَخْرِجْ: ٥.	أُخْرِنَا: ٤٤.	ادْكُرُوا: ٦.
اغْفِرْ: ٤١.	تَمَتَّعُوا: ٣٠.	فاتونا: ١٠.	فَاجْعَلْ: ٣٧.	وَاجْتَنِبِي: ٣٥.
وَازْرُقْهُمْ: ٣٧.	وَأَنْذِرْ: ٤٤.	وَتَقَبَّلْ: ٤٠.	وَذَكِّرْهُمْ: ٥.	وَلُومُوا: ٢٢.
وَهَبْ: ٣٩.				
		سورة الحجر		
ادْخُلُوهَا: ٤٦.	ذَرُهُمْ: ٣.	فَاخْرِجْ: ٣٤.	فَاسْرُ: ٦٥.	فَاصْدَعْ: ٩٤.
فَاصْصَحْ: ٨٥.	فَأَنْظِرْنِي: ٣٦.	فَسَبِّحْ: ٩٨.	فَقْعُوا: ٢٩.	نَبِّئْ: ٤٩.
وَأَتَّبِعْ: ٦٥.	وَاخْفِضْ: ٨٨.	وَاعْبُدْ: ٩٩.	وَاعْرِضْ: ٩٤.	وَأَمْضُوا: ٦٥.
وَكُنْ: ٩٨.	وَبَيِّنْهُمْ: ٥١.			

		سورة النحل		
اتَّبِعْ: ١٢٣.	اتخذني: ٦٨.	ادْخُلُوا: ٣٢.	ادْعُ: ١٢٥.	اعْبُدُوا: ٣٦.
أَنْذِرُوا: ٢.	فَاتَّقُونِ: ٢.	فَادْخُلُوا: ٢٩.	فَارْهَبُونِ: ٥١.	فَاسْأَلُوا: ٤٣.
فَاسْتَعِذْ: ٩٨.	فَاسْأَلِكِي: ٦٩.	فَانْظُرُوا: ٣٦.	فَتَمَتَّعُوا: ٥٥.	فَسِيرُوا: ٣٦.
فَعَايَبُوا: ١٢٦.	فَكَلُوا: ١١٤.	كُلِّي: ٦٩.	كُنْ: ٤٠.	وَاجْتَنِبُوا: ٣٦.
وَاشْكُرُوا: ١١٤.	وَاصْبِرْ: ١٢٧.	وَأَوْفُوا: ٩١.	وَجَادِلْهُمْ: ١٢٥.	
		سورة الإسراء		
أَدْخُلْنِي: ٨٠.	ادْعُوا: ١١٠.	ادْهَبْ: ٦٣.	ارْحَمَهُمَا: ٢٤.	اسْجُدُوا: ٦١.
اسْكُنُوا: ١٠٤.	افْرَأْ: ١٤.	أَقِمْ: ٧٨.	آمِنُوا: ١٠٧.	انْظُرْ: ٢١ - ٤٨.
فَاسْأَلْ: ١٠١.	فَتَهَجَّدْ: ٧٩.	كُونُوا: ٥٠.	وَابْتَغْ: ١١٠.	وَأْتِ: ٢٦.
وَاجْعَلْ: ٨٠.	وَأَجْلِبْ: ٦٤.	وَأَخْرِجْنِي: ٨٠.	وَاخْفِضْ: ٢٤.	وَاسْتَفْزِرْ: ٦٤.
وَأَوْفُوا: ٣٤ - ٣٥.	وَزِنُوا: ٣٥.	وَشَارِكْهُمْ: ٦٤.	وَعِدْهُمْ: ٦٤.	وَكَبِّرْهُ: ١١١.
		سورة الكهف		
ابْنُوا: ٢١.	آتْنَا: ١٠ - ٦٢.	آتُونِي: ٩٦.	اسْجُدُوا: ٥٠.	انْفُخُوا: ٩٦.
فَابْعَثُوا: ١٩.	فَاعْيُتُونِي: ٩٥.	فَأُورُوا: ١٦.	نَادُوا: ٥٢.	وَأَثَلْ: ٢٧.
وَأَذْكُرْ: ٢٤.	وَاصْبِرْ: ٢٨.	وَاصْبِرْ: ٣٢ - ٤٥.	وَهَيِّئْ: ١٠.	
		سورة مريم		
اجْعَلْ: ١٠.	خذ: ١٢.	سَبِّحُوا: ١١.	فَاعْبُدْهُ: ٦٥.	فَاعْبُدُوهُ: ٣٦.
فَقُولِي: ٢٦.	فكلمي: ٢٦.	فَهَبْ: ٥.	كُنْ: ٣٥.	وَأَبْصِرْ: ٣٨.
وَاجْعَلْهُ: ٦.	وَأَذْكُرْ: ٤١ - ١٦ - ٥٦ - ٥٤ - ٥١.	وَاشْرِي: ٢٦.	وَاصْطَبِرْ: ٦٥.	وَأَنْذِرْهُمْ: ٣٩.
وَاهْجُرْنِي: ٤٦.	وَقَرِّي: ٢٦.	وَهْزِي: ٢٥.		
		سورة طه		
اتنوا: ٦٤.	ادْهَبْ: ٢٤ - ٤٢.	ادْهَبَا: ٤٣.	اسْجُدُوا: ١١٦.	أَسْرِ: ٧٧.
اشْدُدْ: ٣١.	اشْرَحْ: ٢٥.	اقْذِفِيهِ: ٣٩.	فَاقْذِفِيهِ: ٣٩.	الْقَهَا: ١٩.

أَلْقُوا: ٦٦.	امْكُثُوا: ١٠.	اهْبِطَا: ١٢٣.	خُذْهَا: ٢١.	زِدْنِي: ١١٤.
فَاتَّبِعُونِي: ٩٠.	فَاتْيَاه: ٤٧.	فَاجْعَلْ: ٥٨.	فَاجْمِعُوا: ٦٤.	فَاخْلَعْ: ١٢.
فَاذْهَبْ: ٩٧.	فَأَرْسِلْ: ٤٧.	فَاسْتَمِعْ: ١٣.	فَاصْبِرْ: ١٣٠.	فَاضْرِبْ: ٧٧.
فَاعْبُدْنِي: ١٤.	فَاقْضِ: ٧٢.	فَتَرَبَّصُوا: ١٣٥.	فَسَبِّحْ: ١٣٠.	فَقُولَا: ٤٤ - ٤٧.
كُلُوا: ٥٤-٨١.	وَاجْعَلْ: ٢٩.	وَاخْلُلْ: ٢٧.	وَارْعُوا: ٥٤.	وَاصْطَبِرْ: ١٣٢.
وَاضْمُمْ: ٢٢.	وَاطِيعُوا: ٩٠.	وَأَقِمِ: ١٤.	وَأَلْقِ: ٦٩.	وَأْمُرْ: ١٣٢.
وَانْظُرْ: ٩٧.	وَسَبِّحْ: ١٣٠.	وَيَسِّرْ: ٢٦.		
		سورة الأنبياء		
احْكُم: ١١٢.	حَرِّقُوهُ: ٦٨.	فَاتُوا: ٦١.	فَاسْأَلُوا: ٧.	فَاسْأَلُوهُمْ: ٦٣.
فَاعْبُدُونِ: ٢٥ - ٩٢.	كُونِي: ٦٩.	هَاتُوا: ٢٤.	وَارْجِعُوا: ١٣.	وَانْصُرُوا: ٦٨.
		سورة الحج		
اتَّقُوا: ١.	ارْكَعُوا: ٧٧.	أَسْلِمُوا: ٣٤.	فَاجْتَنِبُوا: ٣٠.	فَاذْكُرُوا: ٣٦.
فَاسْتَمِعُوا: ٧٣.	فَأَقِمْ: ٧٨.	كُلُوا: ٢٨ - ٣٦.	وَاتُوا: ٧٨.	وَادْعُ: ٦٧.
وَأَذِّنْ: ٢٧.	وَاسْجُدُوا: ٧٧.	وَاطْعِمُوا: ٢٨ - ٣٦.	وَاعْبُدُوا: ٧٧.	وَاعْتَصِمُوا: ٧٨.
وَأَفْعَلُوا: ٧٧.	وَبَشِّرْ: ٣٤ - ٣٧.	وَجَاهِدُوا: ٧٨.	وَذُوقُوا: ٢٢.	وَطَهِّرْ: ٢٦.
		سورة المؤمنون		
أَخْرِجْنَا: ١٠٧.	اخْسُوا: ١٠٨.	ادْفَعْ: ٩٦.	ارْجِعُونِ: ٩٩.	اصْنَعْ: ٢٧.
اعْبُدُوا: ٢٣ - ٣٢.	اغْفِرْ: ١١٨.	أَنْزِلْنِي: ٢٩.	انْصُرْنِي: ٢٦ - ٣٩.	فَاتَّقُونِ: ٥٢.
فَاسْأَلْ: ١١٣.	فَاسْأَلْكَ: ٢٧.	فَاعْفِرْ: ١٠٩.	فَتَرَبَّصُوا: ٢٥.	فَذَرَهُمْ: ٥٤.
كُلُوا: ٥١.	وَارْحَمْ: ١١٨.	وَارْحَمْنَا: ١٠٩.	وَاعْمَلُوا: ٥١.	
		سورة النور		
ارْجِعُوا: ٢٨.	أَطِيعُوا: ٥٤.	فَاجْلِدُوا: ٢.	فَاجْلِدُوهُمْ: ٤.	فَأَذِّنْ: ٦٢.

فَارْجِعُوا: ٢٨.	فَسَلِّمُوا: ٦١.	فَكَاتِبُوهُمْ: ٣٣.	وَأَتُوا: ٥٦.	وَأَتَوْهُمْ: ٣٣.
وَاسْتَغْفِرْ: ٦٢.	وَأَطِيعُوا: ٥٤ - ٥٦.	وَأَقِيمُوا: ٥٦.	وَأَنْكِحُوا: ٣٢.	وَتُوبُوا: ٣١.
		سورة الفرقان		
اَذْهَبَا: ٣٦.	اسْجُدُوا: ٦٠.	اصْرَفْ: ٦٥.	انْظُرْ: ٩.	فَاسْأَلْ: ٥٩.
وَاجْعَلْنَا: ٧٤.	وَادْعُوا: ١٤.	وَتَوَكَّلْ: ٥٨.	وَجَاهِدْهُمْ: ٥٢.	وَسَبِّحْ: ٥٨.
		سورة الشعراء		
أَرْجِهْ: ٣٦.	أَرْسِلْ: ١٧.	أَسْرِ: ٥٢.	اضْرِبْ: ٦٣.	أَلْقُوا: ٤٣.
أَوْفُوا: ١٨١.	فات: ٣١ - ١٥٤.	فاتيا: ١٦.	فَاذْهَبَا: ١٥.	فَأَرْسِلْ: ١٣.
فَأَسْقِطْ: ١٨٧.	فَأَنْفُخْ: ١١٨.	فَقُولَا: ١٦.	نَجِّنِي: ١٦٩.	هَبْ: ٨٣.
وَابْعَثْ: ٣٦.	وَائْتَلْ: ٦٩.	وَاجْعَلْ: ٨٤.	وَاجْعَلْنِي: ٨٥.	وَاحْفَظْ: ٢١٥.
وَأَطِيعُونِ: ١٠٨ - ١١٠ - ١٢٦ - ١٣١ - ١٤٤ - ١٥٠ - ١٦٣ - ١٧٩.	وَاعْفِرْ: ٨٦.	وَأَلْحِقْنِي: ٨٣.	وَأَنْذِرْ: ٢١٤.	وَتَوَكَّلْ: ٢١٧.
وَزِنُوا: ١٨٢.	وَنَجِّنِي: ١١٨.			
		سورة النمل		
أَخْرِجُوا: ٥٦.	ادْخُلُوا: ١٨.	ادْخُلِي: ٤٤.	اَذْهَبْ: ٢٨.	ارْجِعْ: ٣٧.
اعْبُدُوا: ٤٥.	أَقْتُونِي: ٣٢.	أَوْزِعْنِي: ١٩.	تَقَاسَمُوا: ٤٩.	تَوَلَّ: ٢٨.
سيرُوا: ٦٩.	فَأَلْقِهْ: ٢٨.	فَانْظُرْ: ١٤ - ٢٨ - ٥١.	فَانْظُرُوا: ٩٦.	فَانْظُرِي: ٣٣.
فَتَوَكَّلْ: ٧٩.	نَكِّرُوا: ٤١.	هَاتُوا: ٦٤.	وَاتُونِي: ٣١.	وَأَدْخِلْ: ١٢.
وَأَدْخِلْنِي: ١٩.	وَأَلْتِ: ١٠.			
		سورة القصص		
ادْعُوا: ٦٤.	استأجره: ٢٦.	اسْأَلْ: ٣٢.	أَقْبِلْ: ٣١.	أَلْتِ: ٣١.

أَمْكُثُوا: ٢٩.	فَاتُوا: ٤٩.	فَاجْعَلْ: ٣٨.	فَاخْرُجْ: ٢٠.	فَأَرْسِلْهُ: ٣٤.
فَاعْلَمْ: ٥٠.	فَاغْفِرْ: ١٦.	فَأَلْقِيهِ: ٧.	فَانْظُرْ: ٤٠.	فَأَوْقِدْ: ٣٨.
فُصِّيه: ١١.	نَجِّنِي: ٢١.	هَاتُوا: ٧٥.	وَإِنِّغ: ٧٧.	وَأَحْسِن: ٧٧.
وَادْعُ: ٨٧.	وَاضْمُمْ: ٣٢.			
سورة العنكبوت				
اِئْتِنَا: ٢٩.	اتَّبِعُوا: ١٢.	اتْلُ: ٤٥.	اعْبُدُوا: ١٦ - ٣٦.	اقْتُلُوهُ: ٢٤.
انْصُرْنِي: ٣٠.	حَرِّقُوهُ: ٢٤.	ذُوقُوا: ٥٥.	سَيِّرُوا: ٢٠.	فَاتَّبِعُوا: ١٧.
فَاعْبُدُونِ: ٥٦.	فَانْظَرُوا: ٢٠.	وَأَتَّقُوهُ: ١٦.	وَأَشْكُرُوا: ١٧.	وَاعْبُدُوهُ: ١٧.
وَأَقِم: ٤٥.	وَقُولُوا: ٤٦.			
سورة الروم				
سَيِّرُوا: ٤٢.	فَات: ٣٨.	فَاصْبِرْ: ٦٠.	فَأَقِمْ: ٣٠ - ٤٣.	فَانْظُرْ: ٥٠.
فَانْظَرُوا: ٤٢.	فَتَمَتَّعُوا: ٣٤.	وَأَتَّقُوهُ: ٣١.	وَأَقِيمُوا: ٣١.	
سورة لقمان				
اتَّبِعُوا: ٢١.	اتَّقُوا: ٣٣.	اشْكُرْ: ١٢ - ١٤.	أَقِمْ: ١٧.	فَأَرُونِي: ١١.
فَبَشِّرْهُ: ٧.	وَاتَّبِعْ: ١٥.	وَاحْشُوا: ٣٣.	وَاصْبِرْ: ١٧.	وَاعْضَضْ: ١٩.
وَأَقْصِدْ: ١٩.	وَأْمُرْ: ١٧.	وَأَنَّهُ: ١٧.	وَصَاحِبُهُمَا: ١٥.	
سورة السجدة				
ذُوقُوا: ٢٠.	فَارْجِعْنَا: ١٢.	فَأَعْرِضْ: ٣٠.	فَذُوقُوا: ١٤.	وَأَنْتَظِرْ: ٣٠.
وَذُوقُوا: ١٤.				
سورة الأحزاب				
اتَّقِ: ١.	اتَّقُوا: ٧٠.	آتَهُمْ: ٦٨.	ادْعُوهُمْ: ٥.	ادْكُرُوا: ٩ - ٤١.
أَمْسِكْ: ٣٧.	صَلُّوا: ٥٦.	فَادْخُلُوا: ٥٣.	فَارْجِعُوا: ١٣.	فَاسْأَلُوهُمْ: ٥٣.
فَانْتَشِرُوا: ٥٣.	فَتَعَالَيْنِ: ٢٨.	فَمَتَّعُوهُمْ: ٤٩.	وَاتَّبِعْ: ٢.	وَأَتَّقِينَ: ٥٥.
وَاتَيْنِ: ٣٣.	وَاذْكُرْنَ: ٣٤.	وَأَطِيعْنَ: ٣٣.	وَأَقِمْنَ: ٣٣.	وَالْعَنَهُمْ: ٦٨.
وَبَشِّرْ: ٤٧.	وَتَوَكَّلْ: ٣ - ٤٨.	وَدَعْ: ٤٨.	وَسَبِّحُوهُ: ٤٢.	وَسَرَّحُوهُمْ: ٤٩.
وَسَلِّمُوا: ٥٦.	وَقَرْنَ: ٣٣.	وَقُلْنَ: ٣٢.	وَقُولُوا: ٧٠.	

		سورة سبأ		
ادْعُوا: ٢٢.	أَرْوْنِي: ٢٧.	اعْمَلْ: ١١.	اعْمَلُوا: ١٣.	أَوْبِي: ١٠.
بَاعِدْ: ١٩.	دُوقُوا: ٤٢.	سِيرُوا: ١٨.	كُلُوا: ١٥.	وَاشْكُرُوا: ١٥.
وَاعْمَلُوا: ١١.	وَقَلِّزْ: ١١.			
		سورة فاطر		
أَخْرِجْنَا: ٣٧.	ادْكُرُوا: ٣.	أَرْوْنِي: ٤٠.	فَاتَّخِذُوهُ: ٦.	فَدُوقُوا: ٣٧.
		سورة يس		
اتَّبِعُوا: ٢٠.	اتَّقُوا: ٤٥.	ادْخُلْ: ٢٦.	اصْلَوْهَا: ٦٤.	اعْبُدُونِي: ٦١.
أَنْفِقُوا: ٤٧.	فَاسْمَعُونِ: ٢٥.	فَبَشِّرْهُ: ١١.	كُنْ: ٨٢.	مُوتُوا: ١١٩.
وَاضْرِبْ: ١٣.				
		سورة الصافات		
ابْنُوا: ٩٧.	احْشُرُوا: ٢٢.	افْعَلْ: ١٠٢.	فَاتُوا: ١٥٧.	فَاسْتَفْتِهِمْ: ١١ - ١٤٩.
فَالْقُوَّةُ: ٩٧.	فَانْظُرْ: ٧٣ - ١٠٢.	فَاهْذُوهُمْ: ٢٣.	فَقَتَلْ: ١٧٤.	هَبْ: ١٠٠.
وَأَبْصِرْ: ١٧٩.	وَأَبْصِرْهُمْ: ١٧٥.	وَتَوَلَّ: ١٧٨.	وَقِفُّهُمْ: ٢٤.	
		سورة ص		
ارْكُضْ: ٤٢.	اغْفِرْ: ٣٥.	أَكْفِلْنِيهَا: ٢٣.	أَمْسِكْ: ٣٩.	امْشُوا: ٦.
رُدُّوَهَا: ٣٣.	عَجَلْ: ١٦.	فَاحْكُمْ: ٢٢ - ٢٦.	فَاخْرُجْ: ٧٧.	فَاضْرِبْ: ٤٤.
فَإْمْنُنْ: ٣٩.	فَإَنْظِرْنِي: ٧٩.	فَزِدْهُ: ٦١.	فَقْعُوا: ٧٢.	وَإِذْكُرْ: ١٧ - ٤١ - ٤٥ - ٤٨.
وَاصْبِرُوا: ٦.	وَاهْدِنَا: ٢٢.	وَخُذْ: ٤٤.	وَهَبْ: ٣٥.	
		سورة الزمر		
اتَّقُوا: ١٠.	ادْخُلُوا: ٧٢.	اعْمَلُوا: ٣٩.	تَمَتَّعْ: ٨.	دُوقُوا: ٢٤.
فَاتَّقُونِ: ١٦.	فَادْخُلُوهَا: ٧٣.	فَاعْبُدْ: ٢ - ٦٦.	فَاعْبُدُوا: ١٥.	فَبَشِّرْ: ١٧.
وَاتَّبِعُوا: ٥٥.	وَأَسْلِمُوا: ٥٤.	وَأَنِيبُوا: ٥٤.	وَكُنْ: ٦٦.	

		سورة غافر		
ابن : ٣٦	اتَّبِعُونِ : ٣٨	ادْخُلُوا : ٧٦	ادْعُوا : ٤٩	ادْعُونِي : ٦٠
اقْتُلُوا : ٢٥	فَادْعُوا : ١٤ - ٥٠	فَاسْتَعِذْ : ٥٦	فَاصْبِرْ : ٥٥ - ٧٧	فَاعْفُزْ : ٧
كُنْ : ٦٨	وَأَدْخِلْهُمْ : ٨	وَاسْتَحْيُوا : ٢٥	وَاسْتَغْفِرْ : ٥٥	وَأَنْذِرْهُمْ : ١٨
وَسَبِّحْ : ٥٥	وَقِهِمْ : ٧ - ٩			
		سورة فصلت		
اتَّبِئَا : ١١	ادْفَعْ : ٣٤	أَرِنَا : ٢٩	اعْمَلُوا : ٤٠	فَاسْتَعِذْ : ٣٦
فَاسْتَقِمْ : ٦	فَاعْمَلْ : ٥	وَأَبْشِرُوا : ٣٠	وَاسْتَغْفِرُوا : ٦	وَاسْجُدُوا : ٣٧
				وَالْعَوَا : ٢٦
		سورة الشورى		
اسْتَجِيبُوا : ٤٧	أَقِمْ : ١٣	فَادْعُ : ١٥	وَاسْتَقِمْ : ١٥	
		سورة الزخرف		
ادْخُلُوا : ٧٠	ادْعُ : ٤٩	فَاسْتَمْسِكْ : ٤٣	فَاصْفَحْ : ٨٩	فَاعْبُدْهُ : ٦٤
فَانْظُرْ : ٢٥	فَذَرَهُمْ : ٨٣	وَاتَّبِعُونِ : ٦١	وَاسْأَلْ : ٨٢	وَاطِيعُونَ : ٦٣
		سورة الدخان		
أدوا : ١٨	اكْثِفْ : ١٢	خَذُوهُ : ٤٧	ذُقْ : ٤٩	صُبُّوا : ٤٨
فَاتُوا : ٣٦	فَارْتَقِبْ : ١٠ - ٥٩	فَأَسْرِ : ٢٣	فَاعْتَرِلُونِ : ٢١	فَاعْتَلَوْهُ : ٤٧
				وَأَنْزَلْكُمْ : ٢٤
		سورة الجاثية		
اتنوا : ٢٥	فَاتَّبِعْهَا : ١٨	فَبَسِّرْهُ : ٨		
		سورة الأحقاف		
اثْنُونِي : ٤	أَجِيبُوا : ٣١	أَرُونِي : ٤	أَمِنْ : ١٧	أَنْصِتُوا : ٢٩
أَوْزَعْنِي : ١٥	فَاتْنَا : ٢٢	فَاصْبِرْ : ٣٥	فَذَوْقُوا : ٣٤	وَأَذْكُرْ : ٢١
وَأَصْلِحْ : ١٥	وَأَمِنُوا : ٣١			

		سورة محمد		
أَطِيعُوا: ٣٣.	فَاعْلَمْ: ١٩.	فَسُدُّوا: ٤.	وَاسْتَغْفِرْ: ١٩.	وَأَطِيعُوا: ٣٣.
		سورة الفتح		
		فَاسْتَغْفِرْ: ١١		
		سورة الحجرات		
اجْتَنِبُوا: ١٢.	فَأَصْلِحُوا: ٩ - ١٠.	فَتَّبِعُونَا: ٦.	فَقَاتِلُوا: ٩.	قُولُوا: ١٤.
وَاَعْلَمُوا: ٧.	وَأَقْسِطُوا: ٩.			
		سورة ق		
ادْخُلُوهَا: ٣٤.	الْقِيَا: ٢٤.	فَأَلْقِيَاهُ: ٢٦.	فَاصْبِرْ: ٣٩.	فَذَكِّرْ: ٤٥.
فَسَبِّحْهُ: ٤٠.	وَاسْتَمِعْ: ٤١.	وَسَبِّحْ: ٣٩.		
		سورة الذاريات		
تَمَتَّعُوا: ٤٣.	ذُوقُوا: ١٤.	فَتَوَلَّ: ٥٤.	فَقِيرُوا: ٥٠.	وَذَكِّرْ: ٥٥.
		سورة الطور		
اصْلَوْهَا: ١٦.	تَرَبَّصُوا: ٣١.	فَاصْبِرُوا: ١٦.	فَذَرَهُمْ: ٤٥.	فَذَكِّرْ: ٢٩.
فَسَبِّحْهُ: ٤٩.	كُلُوا: ١٩.	وَاشْرَبُوا: ١٩.	وَاصْبِرْ: ٤٨.	وَسَبِّحْ: ٤٨.
		سورة النجم		
	فَاسْجُدُوا: ٦٢.	فَأَعْرِضْ: ٢٩.	وَاعْبُدُوا: ٦٢.	
		سورة القمر		
ذُوقُوا: ٤٨.	فَارْتَبِعْهُمْ: ٢٧.	فَأَنْتَصِرْ: ١٠.	فَتَوَلَّ: ٦.	فَذُوقُوا: ٣٧ - ٣٩.
وَاصْطَبِرْ: ٢٧.	وَنَبِّئْهُمْ: ٢٨.			
		سورة الرحمن		
	فَأَنْقُذُوا: ٣٣.	وَأَقِمْوا: ٩.		
		سورة الواقعة		
		فَسَبِّحْ: ٧٤ - ٩٦.		

		سورة الحديد		
اتَّقُوا: ٢٨.	ارْجِعُوا: ١٣.	اعْلَمُوا: ١٧ - ٢٠.	آمِنُوا: ٧.	انْظُرُونَا: ١٣.
سَابِقُوا: ٢١.	فَالْتَمِسُوا: ١٣.	وَأَقْرَضُوا: ١٨.	وَأَمِنُوا: ٢٨.	وَأَنْفِقُوا: ٧.
		سورة المجادلة		
انْشُرُوا: ١١.	تَفَسَّحُوا: ١١.	فَافْسَحُوا: ١١.	فَأَقِمْوا: ١٣.	فَانْشُرُوا: ١١.
فَقْدُمُوا: ١٢.	وَأَتُوا: ١٣.	وَتَنَاجَوْا: ٩.		
		سورة الحشر		
اتَّقُوا: ١٨.	اغْفِرْ: ١٠.	اكْفُرْ: ١٦.	فَاعْتَبِرُوا: ٢.	فَانْتَهُوا: ٧.
فخذوه: ٧.				
		سورة الممتحنة		
فَامْتَحِنُوهُمْ: ١٠.	فَبَايِعْهُمْ: ١٢.	وَأَتَوْهُمْ: ١٠.	وَأَسْأَلُوا: ١٠.	وَأَسْتَغْفِرْ: ١٢.
وَاعْفِرْ: ٥.				
		سورة الصف		
	كُونُوا: ١٤.	وَبَشِّرْ: ١٣.		
		سورة الجمعة		
فَاسْعُوا: ٩.	فَانْتَشِرُوا: ١٠.	فَتَمَنُّوا: ٦.	وَابْتَغُوا: ١٠.	وَأَذْكُرُوا: ١٠.
وَذَرُوا: ٩.				
		سورة المنافقون		
	تَعَالَوْا: ٥.	وَأَنْفِقُوا: ١٠.		
		سورة التغابن		
فَاخْذَرُوهُمْ: ١٤.	فَأَمِنُوا: ٨.	وَأَسْمِعُوا: ١٦.	وَأَطِيعُوا: ١٢ - ١٦.	وَأَنْفِقُوا: ١٩.
		سورة الطلاق		
أَسْكِنُوهُمْ: ٦.	فَاتَوْهُمْ: ٦.	فَارْقُوهُمْ: ٢.	فَأَمْسِكُوهُمْ: ٢.	فَأَنْفِقُوا: ٦.
فَطَلِّقُوهُمْ: ١.	وَأَتَمِرُوا: ٦.	وَأَشْهِدُوا: ٢.	وَأَطِيعُوا: ١٣.	وَأَقِيمُوا: ٢.

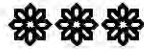
		سورة التحريم		
ابْنِ : ١١.	أَتَيْمٌ : ٨.	ادْخُلَا : ١٠.	تُوبُوا : ٨.	جَاهِدِ : ٩.
قُوا : ٦.	وَأَعِزُّوا : ٨.	وَأَعْلَظُ : ٩.	وَنَجِّنِي : ١١.	
		سورة الملك		
اجْهَرُوا : ١٣.	ارْجِعْ : ٤.	فَارْجِعْ : ٣.	فَامشُوا : ١٥.	وَأَسِيرُوا : ١٣.
وَكُلُوا : ١٥.				
		سورة القلم		
اعْدُوا : ٢٢.	سَلِّمُ : ٤٠.	فَاصْبِرْ : ٤٨.	فَدَرْنِي : ٤٤.	
		سورة الحاقة		
اقْرَأُوا : ١٩.	خَذُوهُ : ٣٠.	صَلُّوهُ : ٣١.	فَاسْلُكُوهُ : ٣٢.	فَسَبِّحْ : ٥٢.
فَعْلُوهُ : ٣٠.	كُلُوا : ٢٤.	وَأَشْرَبُوا : ٢٤.		
		سورة المعارج		
	فَاصْبِرْ : ٥.	فَدَرَهُمْ : ٤٢.		
		سورة نوح		
اسْتَغْفِرُوا : ١٠.	اعْبُدُوا : ٣.	اعْفُوا : ٢٨.	أَنْذِرِ : ١.	وَاتَّقُوا : ٣.
وَأَطِيعُوا : ٣.				
		سورة المزمل		
انْقُصْ : ٣.	رُدْ : ٤.	فَاتَّخِذْهُ : ٩.	فَاقْرَأُوا : ٢٠.	قُمْ : ٢.
وَأَتُوا : ٢٠.	وَأَذْكُرْ : ٨.	وَاصْبِرْ : ١٠.	وَأَقْرَضُوا : ٢٠.	وَأَقِيمُوا : ٢٠.
وَاهْجُرْهُمْ : ١٠.	وَتَبَتَّلْ : ٨.	وَدَرْنِي : ١١.	وَرَتِّلْ : ٤.	وَمَهِّلْهُمْ : ١١.
		سورة المدثر		
دَرْنِي : ١١.	فَاصْبِرْ : ٧.	فَأَنْذِرْ : ٢.	فَاهْجُرْ : ٥.	فَطَهِّرْ : ٤.
فَكِّيرْ : ٣.	قُمْ : ٢.			
		سورة القيامة		
		فَاتَّبِعْ : ١٨.		

		سورة الإنسان		
فَاسْجُدْ: ٢٦.	فَاصْبِرْ: ٢٤.	وَادْكُرْ: ٢٥.	وَسَبِّحْهُ: ٢٦.	
		سورة المرسلات		
ارْكُعُوا: ٤٨.	انْطَلِقُوا: ٢٩ - ٣٠.	فَكِيدُونِ: ٣٩.	كُلُوا: ٤٣ - ٤٦.	وَاشْرَبُوا: ٤٣.
وَتَمَتَّعُوا: ٤٦.				
		سورة النبأ		
		فَذُوقُوا: ٣٠.		
		سورة التازعات		
		اذهب: ١٧.		
سورة عبس	سورة التكويد	سورة الانقطار	سورة المطففين	
		سورة الانشقاق	سورة البروج	
		فَبَشِّرْهُمْ: ٢٤.		
		سورة الطارق		
		فَمَهْلٍ: ١٧.		
		سورة الأعلى		
سَبِّحْ: ١.		فَذَكِّرْ: ٩.		
		سورة الغاشية		
		فَذَكِّرْ: ٢١.		
		سورة الفجر		
ارْجِعِي: ٢٨.	فَادْخُلِي: ٢٩.	وَادْخُلِي: ٣٠.		
سورة البلد	سورة الشمس	سورة الليل		
		سورة الضحى		
		فَمَحَدَّثْ: ١١.		
		سورة الشرح	التين	
فَارْغَبْ: ٨.	فَأَنْصَبْ: ٧.			

		سورة العلق		
		وَاسْجُدْ: ١٩.	اقْرَأْ: ١ - ٣.	
سورة القارعة	سورة العاديات	سورة الزلزلة	سورة البينة	سورة القدر
سورة قريش	سورة الفيل	سورة الحمزة	سورة العصر	سورة التكاثر
		سورة الكوثر		سورة الماعون
		وَأَنْخَزْ: ٢.	فَصَّلْ: ٢.	
		سورة النصر		سورة الكافرون
		وَاسْتَغْفِرْهُ: ٣.	فَسَبِّحْ: ٢.	
	سورة الناس	سورة الفلق	سورة الإخلاص	سورة المسد

● ملاحظة

أمّا الخطاب القرآني بصيغة الأمر: ﴿قُلْ﴾ فإنّ عدد الآيات: [٢٧٠]، وأمّا عدد التكرار فهو: [٢٩٤]. - قد سبق بيان هذه المواضع فأغنى عن ذكرها هنا - ..



المطلب الثالث خروج صيغة الأمر عن معناها الأصلي في الخطاب القرآني

وقد تخرجُ صيغُ الأمرِ عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن ذلك:

١ - الإباحة:

نحو قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ^(١) فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]. ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقوله ﷻ: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]^(٢). ولكن ممَّا ينبغي التنبه إليه أنَّ الإباحة إنما تستفاد من خارج؛ فلهذا يحمل الأمر عليها مجازًا بعلاقة المشابهة المعنوية؛ لأنَّ كلا منهما مأذون فيه^(٣).

وسياتي بيان ذلك مفصلاً.

٢ - الاحتقار:

وذلك كقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ

(١) ينظر: لباب المحصول في علم الأصول، لابن رشيقي (٥١٣/٢).

(٢) انظر: شرح مختصر الروضة (٣٥٥/٢)، وانظر: إتحاف ذوي البصائر (١٩٨/٥)، شرح الكوكب المنير (١٧/٣ - ١٨)، وانظر: الإبهاج (١٥/٢ - ١٩)، التَّحْصِيل من المحصول (٢٧٢/١).

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير (١٧/٣ - ١٨).

﴿٨٠﴾ [يونس: ٨٠]، وقوله: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقَوْتُ﴾ [طه: ٦٦]، يعني أن السحر في مقابلة المعجزة حقير. والفرق بينه^(١) وبين الإهانة أن الإهانة تكون بقول أو فعل، أو ترك قول أو ترك فعل، كترك إجابته، والقيام له^(٢) عند سبق عاداته، ولا يكون بمجرد الاعتقاد؛ فإن من اعتقد في شيء أنه لا يعاب به، ولا يلتفت إليه لا يقال: إنه احتقره، ولا يقال: إنه إهانة. والحاصل أن الإهانة هي الإنكار كقوله ﷻ: ﴿ذُق﴾ [الدخان: ٤٩]، و(الاحتقار): عدم المبالاة كقوله: ﴿بَلْ أَلْقَوْتُ﴾^(٣).

٣ - الإرشاد:

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُ يَدَيْنِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]^(٤). ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. والضابط فيه أن يرجع لمصلحة في الدنيا بخلاف الندب فإنه لمصالح الآخرة، وأيضاً: الإرشاد لا ثواب فيه، والندب فيه الثواب^(٥).

أقول: ولا ينفك عن معنى الإرشاد، فقد يكون لمصلحة في الدنيا،

(١) أي: بين الاحتقار وبين الإهانة.

(٢) أي: وكرت القيام له.

(٣) شرح البدخشي على منهاج الوصول (٢/٢٣).

(٤) سبق بيانه.

(٥) انظر: التّحبير شرح التّحرير (٥/٢١٨٦)، شرح الكوكب المنير (٣/٢٠)، وانظر:

المحصول (٢/٥٧-٥٨)، فواتح الرّحموت (١/٣٧٢)، المستصفى (١/٤١٩-٤٢٢).

ولمصلحة في الدنيا والآخرة معا كما في قوله ﷻ: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]، يعني بالتأديب والتعليم.
ونحو قوله ﷻ: ﴿خُذِ الْعَقْرَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٤ - الاعتبار:

نحو: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].
- وقد سبق بيانه مفصلاً..

٥ - الإكرام:

نحو: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]. فإن قرينة قوله ﷻ: ﴿بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾ يدل عليه، والعلاقة هي المشابهة في الإذن^(١)، ..

وكقوله ﷻ أيضاً: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤].
وقد سبق بيان ذلك مفصلاً...

٦ - الامتنان:

نحو: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧]، ﴿فَكُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [النحل: ١١٤]، ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾ [سبأ: ١٥]،

(١) انظر: شرح البدهشي على منهاج الوصول (٢/٢١)، إتحاف ذوي البصائر (٥/١٩٨)،
شرح الكوكب المنير (٣/٢٣)، نهاية السؤل (٢/١٨)، جمع الجوامع (١/٣٧٣).

أو يقال فيه: إِنَّه لبيان النعمة، وتمام المنّة^(١). «والفرق بينه وبين الإباحة أَنَّ الإباحة هي الإذن المجرد، والامتنان أن يقترن به ذكر احتياجنا إليه، أو عدم قدرتنا عليه، ونحوه، كالتعرض في هذه الآية إلى أَنَّ الله ﷻ هو الَّذي رزقه. وفرّق بعضهم بأنَّ الإباحة تكون في الشيء الَّذي سيوجد، بخلاف الامتنان، والعلاقة هي مشابهة الإيجاب في الإذن؛ لأنَّ الامتنان يكون في مأذون فيه»^(٢).

٧ - الإنذار:

نحو: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]. وإذا ثبت استعمال هذه الصيغة في هذه المعاني، فهو حقيقة في الطلب الجازم منها، مجاز في غيره من المعاني^(٣).
ومثل قوله ﷻ:

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ [الحجر: ٣]. وقد جعله بعضهم نوعاً من التهديد^(٤)، ولكنَّ الصحيح أنَّ هناك فرقاً بينه وبين التهديد، وذلك من

(١) انظر: لباب المحصول في علم الأصول (٢/٥١٨).

(٢) شرح البدخشي على منهاج الوصول (٢/٢١)، وينظر: إتحاف ذوي البصائر (٥/٢٠٤)، وينظر الفرق أيضاً في (شرح الكوكب المنير) (٣/٢٢)، وفي (البحر المحيط).

(٣) انظر: شرح مختصر الروضة (٢/٣٥٧-٣٥٨).

(٤) انظر: تفسير الرأزي (١٩/١٢٤). قال الشيخ الشنقيطي في (تفسيره): «هَدَّدَ الله عز وجل الكفار في هذه الآية الكريمة بأمره نبيه ﷺ أن يتركهم يأكلون ويتمتعون فسوف يعلمون حقيقة ما يؤول إليه الأمر من شدة تعذيبهم وإهانتهم، وهُدِّدَهم هذا النوع من التهديد في

وجوه:

الأول: الإنذارُ يجبُ أن يكون مقرونًا بالوعيد، كآية السابقة،
والتهديد لا يجب فيه ذلك.

الثاني: أنَّ الفعل المهدّد عليه يكون ظاهر التّحريم والبطلان، أمّا
الإنذار فقد يكون ذلك وقد لا يكون.

الثالث: أنَّ التهديد عرفًا أبلغ في الوعيد والغضب من الإنذار^(١).

قال العلامة الطاهر في (تفسيره): «وصيغة الأمر فيه مستعملة في
(الإنذار)، ويسمّى: (المتاركة)، أي: نترككم وتربصكم؛ لأنّا مؤمنون
بسوء مصيركم. وفي معناه قوله ﷻ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ
مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾ [السجدة: ٣٠]. وفي ما يقرب من هذا جاء قوله ﷻ:
﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾

= مواضع أخر كقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ
إِلَى النَّارِ ﴿٢٥﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وقوله عز وجل: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤١﴾ [المرسلات: ٤٦]، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿الزمر: ٨]، وقوله عز وجل: ﴿فَلَذَرُهُمْ يَخَوتُوا وَيَلْبِسُوا حَقَّ يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿الزخرف: ٨٣]، و[المعارج: ٤٢]، وقوله عز وجل: ﴿فَلَذَرُهُمْ حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ
يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ [الطور: ٤٥]، إلى غير ذلك من الآيات. وقد تقرّر في (فنّ المعاني) وفي
مبحث (الأمر) عند الأصوليين أنَّ من المعاني التي تأتي لها صيغة (افعل) التهديد - كما في
الآية المذكورة -». أضواء البيان (٢/ ٢٥٣).

(١) انظر الفرق بينهما في (شرح الكوكب المنير) (٣/ ٢٤-٢٥)، الإيهام (٢/ ١٨)، وفي إتحاف
ذوي البصائر (٥/ ٢٠٥)، البرهان في أصول الفقه (١/ ٢١٧)، حاشية العطار (١/ ٤٧٠).

اللَّهُ يَعَذَابُ مَنْ عِنْدَهُ أَوْ يَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ [التوبة: ٥٢]، و(التَّربص): الانتظار. تفعل من (الربص)، وهو انتظار حصول حدث من خيرٍ أو شرٍّ، وفرع على (المشاركة) إعلامهم بأنهم يعلمون في المستقبل مَنْ مِنَ الفريقين أصحاب الصُّراط المستقيم، ومن هم المهتدون؟ وهذا تعريض بأنَّ المؤمنين هم أصحاب الصُّراط المستقيم المهتدون؛ لأنَّ مثل هذا الكلام لا يقوله في مقام المحاجة والمشاركة إلا الموقن بأنَّه المحقُّ^(١).

٨ - الإهانة:

ومن خروج الأمر إلى معنى (الإهانة) قوله ﷻ: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، و[الحج: ٢٢]^(٢). ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ [هود: ٥٥]. وقوله ﷻ: ﴿وَأَجَلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الإسراء: ٦٤]^(٣). وقوله ﷻ:

﴿فَذُوقُوا بِمَا سَبَّيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ

(١) التحرير والتنوير (٣٤٨/١٦).

(٢) انظر: شرح مختصر الرُّوضة (٣٥٥/٢).

(٣) انظر: البحر المحيط، للزركشي (٩٨/٢).

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ [السجدة: ١٤] ^(١).

ومن خروج الأمر إلى معنى (الإهانة) ما قيل في قوله ﷻ:
﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]. والعلاقة فيه
وفي الاحتقار هو المضادة؛ لأن الإيجاب على العباد تشريف لهم لما
فيه من تأهيلهم لخدمته؛ إذ كلُّ أحد لا يصلح لخدمة الملك، ولما فيه
من رفع درجاتهم. وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي
وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا
افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا
أُحِبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي
يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي
لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ
الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» ^(٢).

ومنهم من ذكر في المثال السابق أنه للتقريع والتوبيخ ^(٣)، والمعنى
مقارب.

وقد بينت في غير موضع أن مثل هذا الخطاب هو أيضًا من (خطاب

(١) ينظر: شرح البدخشي ومعه شرح الإسني على منهاج الوصول (١٧/٢-٢٣).

(٢) أخرجه البخاري [٦٠٢١]. انظر: شرح البدخشي (٢٢/٢)، وانظر: إتحاف ذوي البصائر (١٩٨/٥).

(٣) انظر: لباب المحصول في علم الأصول (٥١٨/٢).

التَّهْكُم^(١)، ولعلَّ معنى التَّهْكُم فيه أظهر، وقد سبق بيان ذلك في (خطاب التَّهْكُم). وضابطه: أن يأتي بلفظ ظاهره الخير والكرامة، والمراد ضده، ويمثل بقوله ﷻ: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخِلِكَ وَرَجَلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، والعلاقة أيضا هنا: المضادة^(٢).

وقد بيّن ذلك الحافظ ابن كثير في (تفسيره)^(٣).

ومن خروج الأمر إلى معنى الإهانة قوله ﷻ:

﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]

٩ - التَّبْصُر:

نحو قوله ﷻ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿فَلَذَرُهُمْ يَخُوضُوا وَلَبِعُوا﴾ [الزخرف: ٨٣]، [المعارج: ٤٢]، ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ

(١) انظر: المستصفى (٤١٨/١)، الأحكام، للآمدني (١٤٣/٢)، المنحول (ص: ١٣٣)، نهاية السؤل (١٩/٢)، جمع الجوامع (٣٧٤/١)، التوضيح على التثقيح (٥١/٢).

(٢) انظر: شرح الكوكب المنير (٢٦-٢٧/٣)، التَّحْبِير (٢١٩١/٥). والحاصل أنه خبر مستعمل في التَّهْكُم والتَّفْرِيع والإهانة والتَّهْدِيد بعلاقة الضدية. أي: المقصود عكس مدلوله، فيكون المعنى: أنت الدليل المهان، والتأكيد للمعنى التَّهْكُمي. انظر: التَّحْرِير والتَّنْوِير (٣١٦/٢٥)، تفسير أبي السعود (٢٣٣/٤)، السراج المنير (٤٤/١)، (٢٢٣/١).

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير قول الله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ لَكَ فَالُوكَ﴾ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أُولَٰئِكَ لَكَ فَالُوكَ ﴿٢٥﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥]. وهذا تهديد ووعد أكيد من الله عز وجل للكافر به المتبختر في مشيه، أي: يحق لك أن تمشي هكذا، وقد كفرت بخالفك وبارئك، كما يقال في المثل هذا على سبيل التَّهْكُم والتَّهْدِيد، كقوله عز وجل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٤١﴾، وكقوله عز وجل: ﴿كُلُوا وَتَمَنَّوْا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [المرسلات: ٤٦]، وكقوله عز وجل: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ [الزمر: ١٥]، وكقوله عز وجل: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، إلى غير ذلك. تفسير ابن كثير (٤٥٢/٤)، وانظر: (١٤٧/٤).

رُؤْيَا ﴿١٧﴾ [الطارق: ١٧].

١٠ - التحذير والإخبار عما يؤول إليه الأمر:

نحو قوله ﷺ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]^(١).

١١ - التحسير:

﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩]، ﴿قَالَ أَخَشُّوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].
- وقد سبق بيان ذلك مفصلاً.

١٢ - التخيير:

﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢]^(٢).
قيل: كان رسول الله ﷺ مخيراً إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم بينهم .

وقيل: نسخ التخيير بقوله ﷺ: ﴿وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿وَأَن تُعْرِضَ عَنْهُمْ فَكَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً﴾ [المائدة: ٤٢]، فلن يقدروا على الإضرار بك؛ لأن الله ﷻ يعصمك من الناس^(٣). وقد بسط الخلاف في ذلك القرطبي

(١) شرح الكوكب المنير (٣/٣٧-٣٨).

(٢) انظر: البحر المحيط، للزركشي (٢/٩٨)، التحيير (٥/٢١٩٩)، الفصول في الأصول

(٢/٢٧٦-٢٧٧)، شرح الكوكب المنير (٣/٣٦).

(٣) انظر: تفسير التفسيفي (١/٤١١)، وانظر: تفسير الطبري (٦/٢٤٥)، روح المعاني

(٦/١٤١)، تفسير الثعالبي (١/٤٦٣).

وغيره (١). (٢).

١٣ - التسخير:

﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، [الأعراف: ١٦٦].

والفرق بينه وبين التكوين - الآتي - أن التكوين: سرعة الوجود عن العدم، وليس فيه انتقال من حالة إلى حالة، والتسخير هو الانتقال إلى

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٧٩/٦-١٨٥)، وكذلك ذكر الخلاف عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكنيا الهراسي في (أحكام القرآن) (٣/٥٧-٧٩)، وانظر: تفسير الطبري (٦/٢٤٥)، وروح المعاني (٦/١٤١)، والمحرر الوجيز (٢/١٩٤).

(٢) والحاصل أنه قد اختلف علماء التفسير في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها منسوخة، وذلك أن أهل الكتاب كانوا إذا ترفعوا إلى النبي ﷺ كان مخيرًا إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَأَنِّي أَخْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ أَنزَلْتُ إِلَهُكَ﴾ فلزمه الحكم، وزال التخيير. وهذا مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي. والثاني: أنها محكمة، وأن الإمام ونوابه في الحكم مخيرون إذا ترفعوا إليهم إن شاءوا حكموا بينهم، وإن شاءوا أعرضوا عنهم، وهذا مروي عن الحسن والشعبي والنخعي والزهرري، وبه قال أحمد بن حنبل. وهو الصحيح؛ لأنه لا تنافي بين الآيتين؛ لأن إحداهما خيّر بين الحكم وتركه، والثانية بينت كيفية الحكم إذا كان. زاد المسير (٢/٣١٦-٣١٧). والقول الأخير هو الذي أرجحه؛ لأن إعمال الآية أولى. وفي (زهرة التفاسير): «ولقد زعم بعض العلماء أن الحكم الشرعي كان هو التخيير عند تحاكم غير المسلمين، ثم نسخ، وصار الحكم لازماً. والحق أن التخيير لا يزال قائماً بالنسبة لغير المسلمين الذين يطلبون حكم الإسلام من الحاكم المسلم ليفضوه في ديارهم، والتخيير ليتعرف الحاكم حالهم، فيحكم حكماً إن كانوا طلاب حق، وله أن يرفض إن كان في قلوبهم مرض، ولا ضرر من الإعراض؛ ولذلك قال عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرُضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضْرُوكَ شَيْئًا﴾، وإنه في حال الإعراض يصاب أولئك الذين يريدون الحكم لهوهم لا للحق». زهرة التفاسير (ص: ٢١٩٤)، وكذلك رجح ابن عطية في (المحرر الوجيز) (٢/١٩٤) كونها محكمة.

حالة ممتحنة؛ إذ التَّسخير لغة: هو الدُّلة والامتحان في العمل، ومنه قوله ﷻ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ [الزخرف: ١٣]، أي: ذلَّله لنا لنركبه، وقولهم: فلان سَخَّره السُّلطان. والبارئُ ﷻ خاطبهم بذلك في معرض التذليل.

والعلاقة فيه وفي التكوين هي المشابهة المعنوية، وهي التَّحتم في وقوع هاتين، وفي فعل الواجب. وقد يقال: العلاقة فيهما الطَّلَب. والتَّعبير بالتَّسخير صرَّح به غير واحد. وادَّعى بعض الشَّارحين أنَّ الصَّواب الشُّخريَّة، وهي الاستهزاء، ومنه قوله ﷻ: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]، وهذا عجيب، فإن فيه ذهولاً عن المدلول السَّابق الَّذي ذكرته وتغليظاً^(١) لهؤلاء الأئمة، وتكراراً لما يأتي؛ فإنَّ الاستهزاء لا يخرج عن الإهانة أو الاحتقار^(٢).

وقد سبق تحقيق المراد مفصَّلاً. ومنهم من أطلق على المثال السَّابق أنَّه من (إظهار القدرة)^(٣).

١٤ - التَّسوية:

﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور: ١٦].

-
- (١) أي: تجهيلاً أو تجاهلاً لما بيَّنه الأئمة الَّذِينَ قالوا: إنَّه من التَّسخير.
 (٢) انظر: شرح البدخشي على منهاج الوصول (٢/٢١-٢٢)، المستصفى (ص: ٧٠)، وانظر: التَّحصيل من المحصول (١/٢٧٢)،
 (٣) انظر: لباب المحصول في علم الأصول (٢/٥١٩)، المستصفى (ص: ٧٠)،
 و(ص: ٢٠٤)، التَّحبير (٥/٢١٩٤)، شرح الكوكب المنير (٣/٣٠). وسَمَّاهُ الغزاليُّ في (المنحول) (ص: ٢٠٤): (نهاية الاقتدار).

وعلاقته: المضادة؛ لأنَّ التسوية بين الفعل والتَّرك مضادةٌ لوجوب الفعل^(١).

١٥ - التَّعجب:

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرُونُ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النساء: ٥٠]^(٢).
 ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُبِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَفَ يُؤْفَكُونَ﴾
 [المائدة: ٧٥]^(٣).

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨]^(٤).

١٦ - التَّعجيز:

﴿فَأَنذَرُوا بُسُورَةَ﴾ [البقرة: ٢٣].

والعلاقة بينه وبين الإيجاب هي المضادة؛ لأنَّ التَّعجيز إنما هي في الممتنعات، والإيجاب في الممكنات^(٥).
 - وقد سبق الكلام عن التَّعجيز مفصلاً..

(١) انظر: شرح البدخشي (٢٢/٢)، شرح الكوكب المنير (٢٧/٣-٢٨)، إتحاف ذوي البصائر (٢٠١/٥).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢٨٧/٢).

(٣) انظر: أضواء البيان (٤١٩/١).

(٤) انظر: البحر المحيط، للزركشي (٩٧/٢)، التَّحبير (٢١٩٧/٥)، الإيهاج (٢١/٢)، ومثَّل له البعض بقول الله عز وجل: ﴿ثَلَّ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠]. انظر: شرح الكوكب المنير (٣٤-٣٥)، وانظر: البحر المحيط، للزركشي (٩٧/٢)، وقد تقدَّم أنَّ بعضهم مثَّل به للتَّعجيز. انظر: شرح الكوكب المنير (٣٤/٣ - ٣٥). وقد سبق التَّعقيب على ذلك. وانظر كذلك: روح المعاني (٩٠/١٥).

(٥) انظر: شرح البدخشي على منهاج الوصول (٢٢/٢).

١٧ - التفويض:

﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، وسمي (بالتسليم)، وسمي (بالاستبسال)...

وسمي أيضًا بالتحكيم^(١).

١٨ - التكذيب:

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]^(٢)، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]..

﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠]^(٣).

١٩ - التهديد:

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، ﴿فَهَذَا أَمْرٌ بِالْأَمْرِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ﴾ [العنكبوت: ٦٦]، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٦]، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

(١) انظر: التّحجير شرح التّحرير (٢١٦٩/٥)، شرح الكوكب المنير (٣٢/٣)، المدخل (ص: ٢٢٦)، إتحاف ذوي البصائر (٢٠٦/٥)، جمع الجوامع (٣٧٤/١)، ويسمى أيضًا: (التّحكيم)، ويسمى: (التّسليم)، ويسمى: (الاستبسال)، أعلموه أنهم قد استعدّوا له بالصّبر، وأنهم غير تاركين لدينهم، وأنهم يستقلّون بما هو فاعل في جنب ما يتوقعونه من ثواب الله عز وجل، ومنه قول نوح عليه السلام: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، أخبرهم بهوانهم عليه، انظر: البحر المحيط، للزّركشي (٩٧/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤١٩/١)، البرهان في علوم القرآن (٢٥١/٢).

(٣) انظر: البحر المحيط، للزّركشي (٩٧/٢)، التّحجير (٢١٩٧/٥)، الإيهاج (٢١/٢)، شرح الكوكب المنير (٣٣-٣٤).

[النحل: ٥٥]، و[الروم: ٤٣]، ومن التهديد قوله ﷻ: ﴿وَأَسْتَفِزُّ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخِيلِكَ وَرَجِّلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ﴾ [الإسراء: ٦٤]^(١).

٢٠ - التكوين:

كقوله ﷻ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، و[آل عمران: ٤٧]، و[٥٩]، و[الأنعام: ٧٣]، و[النحل: ٤٠]، [مريم: ٣٥]، و[يس: ٨٢]، و[غافر: ٦٨]^(٢).

٢١ - الجزاء:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]^(٣).

٢٢ - الخبر:

نحو: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأُبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨]، أي: أسمع وأبصرت. ونحو قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، أي: مد له الرحمن مدًّا.

ونحو قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، ..

(١) انظر: شرح مختصر الرُّوضة (٣٥٦/٢)، إتحاف ذوي البصائر (١٩٩/٥)، شرح الكوكب المنير (٢٣/٣-٢٤)، التَّحْصِيلُ مِنَ الْمَحْصُولِ (٢٧٢/١).

(٢) انظر: أصول السرخسي (١٨/١)، الإبهاج (١٦/٢)، (٢٠/٢)، البحر المحيط في أصول الفقه (٩٤/٢)، التَّحْيِيرُ (١٢٦٦/٣)، التَّفْهِيمُ وَالتَّحْيِيرُ (٨/١) .. إلخ. وسيأتي أنَّ منهم من يسمِّيه: (كمال القدرة) أو (نهاية الاقتدار) ..

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير (٢٣/٣).

أي: ونحن نحمل خطاياكم؛ لأنَّ الأمر لا يأمر نفسه فتعيَّن الخبر^(١).

ومثل بعضهم بقوله ﷻ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ على أنها للتعجب، أي: ما أسمعهم وأبصرهم!!
والحاصل أنَّ لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر^(٢).

والأولى في التمثيل للتعجب قول الله ﷻ: ﴿انْظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلُ﴾ [الإسراء: ٤٨]^(٣).

٢٣ - الدعاء:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، ومن ذلك: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]^(٤).

(١) انظر: إتحاف ذوي البصائر (٢٠٢/٥)، البحر المحيط، للزركشي (٥٦٦/١)، التعبير شرح التحرير (٤١٨/١)، (٢١٩٥/٥)، شرح الكوكب المنير (٣١/٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨٦/١٦)، ابن كثير (٥٨٢/٢)، (١٢٣/٣)، تفسير البحر المحيط (١/٤٧٧، ٦٦٨)، الثبيان في تفسير غريب القرآن الكريم (١/٢٨٢).

(٣) انظر: إتحاف ذوي البصائر (٢٠٢/٥)، (٢٠٥/٥)، البحر المحيط، للزركشي (٢٩٢/٣).

(٤) انظر: شرح مختصر الروضة (٣٥٦/٢)، إتحاف ذوي البصائر (٢٠١/٥)، شرح الكوكب المنير (٢٨/٣)، وانظر: الآيات الثألية: [البقرة: ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ٢٠٠، ٢٠١،

٢٥٠، ٢٨٦]، [آل عمران: ٧، ١٦، ٥٣، ١٤٧، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤]، [النساء: ٧٥]،

[المائدة: ٨٣، ١١٤]، [الأعراف: ١٢٦، ١٥١]، [يونس: ٨٥، ٨٨]، [إبراهيم: ٣٧،

٤٠، ٤١]، [الكهف: ١٠]، [المؤمنون: ١٠٩، ١١٨]، [الفرقان: ٦٥، ٧٤]،

[الأحزاب: ٦٨]، [سبأ: ١٩]، [فاطر: ٣٧]، [ص: ١٦، ٣٥]، [غافر: ٧، ٨]،

[فصلت: ٢٩]، [الدخان: ١٢]، [الحشر: ١٠]، [المتحنة: ٥]، [التحریم: ٨]، [نوح: ٢٨].

٢٤ - الدَّوام:

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] ^(١).

قال العلامة الطَّاهر في (تفسيره): «صيغة الطَّلِبِ موضوعَةٌ لطلبِ حصولِ الماهية المطلوبة من فعلٍ أو كَفٍّ، فإذا استعملت في (طلب الدَّوام) كان استعمالها مجازًا نحو: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ﴾ [النساء: ١٣٦]، وذلك حيث لا يراد بها إلا طلب الدَّوام. وأمَّا إذا استعملت في طلب الدَّوام للزيادة ممَّا حصل بعضه ولم يحصل بعضه، فهي مستعملة في معناها، وهو: (طلب الحصول)؛ لأنَّ الزيادة مراتب الهداية مثلاً تحصيل لمواد أخرى منها. ولما كان طلب الزيادة يستلزم طلب دوام ما حصل إذ لا تكاد تنفع الزيادة إذا انتقض الأصل كان استعمالها حينئذٍ في لازم المعنى مع المعنى، فهو كناية. أمَّا إذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ من بلغ جميع مراتب الهداية، ورقى إلى قمة غاياتها، وهو النبي ﷺ، فإنَّ دعاءه حينئذٍ يكون من استعمال اللفظ في مجاز معناه، ويكون دعاؤه ذلك اقتباساً من لآية، وليس عين المراد من لآية؛ لأنَّ المراد منها: (طلب الحصول بالمزيد مع طلب الدَّوام بطريقة الالتزام)، ولا محالة أنَّ المقصود في الآية هو: (طلب الهداية الكاملة).. وإنَّ المرءَ بحاجة إلى هذه الهداية في جميع شؤونهِ كُلِّها، حتَّى في الدَّوام على ما هو متلبس به من الخير

(١) انظر: التحرير والتنوير (١/١٨٩)، (١/١٩٤)، (٢٥/٢١٩)، زهرة التفاسير

(ص: ٢٦٦٣)، جواهر البلاغة (ص: ٥٢)، الموافقات (١/١٨٠).

للوفاية من التّقصير فيه أو الزّيف عنه»^(١).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَبَضٍّ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى

﴿١٣٥﴾ [طه: ١٣٥]. فَإِنَّ مَادَّةَ الفعل المأمور به مستعملة في الدّوام بالقرينة، نحو: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ﴾، أي: فداوموا على تربّصكم^(٢).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

«الأمر به مستعمل في طلب الدّوام؛ لأنّ الأمر بفعل لمن هو مُتلبّس به لا يكون لطلب الفعل، بل لمعنى آخر، وهو هنا طلب الثّبات على التّمسك بما أوحى إليه كما دلّ عليه قوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهذا كما يدعى للعزیز المكرم، فيقال: (أعزّك الله وأكرمك)، أي: أدام ذلك، وقوله: (أحياك الله)، أي: أطال حياتك، ومنه قوله ﷻ (في تعليم الدّعاء): ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾»^(٣).

٢٥ - قرب المنزلة:

نحو قوله ﷻ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٩]، و[النحل: ٣٢]،

و[الزخرف: ٧٠]^(٤).

(١) التّحرير والتّنوير (١/ ١٩٠-١٩١).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٦/ ٣٤٧).

(٣) المصدر السابق (٢٥/ ٢١٩).

(٤) انظر: البحر المحيط، للزّركشي (٢/ ٩٧)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٧)، التّحبير

(٥/ ٢٢٠٠).

٢٦ - كمال القدرة^(١):

وذلك كقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. وقد سبق أن من العلماء من يسميه: (خطاب التكوين). .

٢٧ - المشورة:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]^(٢).

٢٨ - الندب:

نحو: ﴿فَكَاتَبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]^(٣). والكتابة مندوبة عند الأكثرين^(٤) - وقد سبق بيان ذلك -
ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فالأمر بالإشهاد على

(١) من العلماء من يسميه: (كمال القدرة). انظر: المستصفى (٤١٨/١)، الإحكام، للآمدي (١٤٣/٢)، فوائح الرِّحْموت (٩/٢)، وبعضهم يسميه: (نهاية الاقتدار). انظر: المنحول (ص: ١٣٤)، وبعضهم يعبر عنه بـ: (التكوين). انظر: التوضيح (٥١/٢-٥٣)، فوائح الرِّحْموت (٢٧٢/١)، التَّبْصِرة (ص: ٢٠). وبعضهم بـ: (التَّسْخِير)، فتكوين الشيء لإيجاده من العدم، والله عز وجل هو الموجد لكل شيء وخالقه. شرح الكوكب المنير (٣٠/٣-٣١)، التَّحْيِير شرح التَّحْرِير (٢١٩٤/٥-٢١٩٥).

(٢) انظر: البحر المحيط، للزركشي (٩٧/٢)، التَّحْيِير (٢١٩٧/٥)، المدخل (ص: ٢٢٦)، شرح الكوكب المنير (٣٤/٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢٦/١٨)، روح المعاني (١٥٥/١٨)، وقد سبق بيان ذلك.

(٤) انظر: شرح مختصر الرُّوضَة (٣٥٥/٢)، إتحاف ذوي البصائر (١٩٧/٥).

التَّبَاعِ لِلنَّدْبِ، بِدَلِيلِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَى فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ وَلَمْ يَشْهَدْ^(١).
٢٩ - الوعد:

﴿وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. وقد يقال
بدخول ذلك بالامتنان، فَإِنَّ بَشْرَى الْعَبْدِ مَنَّةٌ عَلَيْهِ^(٢).
٣٠ - الوعيد:

نحو قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾
[الكهف: ٢٩].. الآية^(٣). ومنهم من قال: هذا من التَّهْدِيدِ^(٤). وقال
بعضهم: التَّهْدِيدُ أبلغ من الوعيد^(٥). وذكرُ الوعيد بعد الأمر المذكور
دليل على أَنَّهُ لِلتَّهْدِيدِ^(٦). ومنهم من يجعله

(١) انظر: الأصول من علم الأصول (ص: ٢٢). والحديث صحيح أخرجه أبو داود [٣١٣٠]،
والنسائي [٤٥٦٨]، أخرجه أحمد [٢٠٨٧٨]، ورواه الطَّبْرَانِي [٣٧٣٠]، ورجاله كلُّهم
ثقات كما في (مجمع الزوائد) (٥٣٣/٩).

(٢) انظر: شرح الكوكب المنير (٢٣/٣)، التَّحْيِير (٢١٨٩/٥).

(٣) ذكر الرَّازِي فِي (تفسيره) أَنَّ صِيغَةَ الْأَمْرِ لَا لِمَعْنَى الطَّلَبِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرَةٌ، ثُمَّ
نَقَلَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هَذِهِ الصِّيغَةُ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ، وَلَيْسَتْ
بِتَخْيِيرٍ. انظر: تفسير الرَّازِي (١٢٠/٢١)، وانظر: تفسير الثَّعَالِبِي (٣٧٩/٢)، تفسير ابن
عَادِل (٥٣١/١٩)، البحر المديد (١٥٧/٤)، التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ (٤٥٥/١).

(٤) انظر: البحر المحيط، لِلزَّرْكَشِيِّ (٩٣/٢)، التَّحْيِير (٢٢٠٠/٥)، كشف الأسرار عن أصول
فخر الإسلام البزدوي (١٦٥/١)، الموافقات (١١٥/٣).

(٥) انظر: البحر المحيط، لِلزَّرْكَشِيِّ (٩٣/٢)، التَّحْيِير (٢٢٠٠/٥)، شرح الكوكب المنير
(٣٧/٣).

(٦) انظر: الأصول من علم الأصول (ص: ٢٣). قال الشَّيْخُ الشَّنَقِيطِيُّ فِي (تفسيره): «ظاهر
هذه الآية الكريمة بحسب الوضع اللُّغَوِيِّ التَّخْيِيرُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَلَكِنْ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ =

للتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ^(١).

= الكريمة ليس هو التَّخْيِير، وإنما المراد بها التَّهْدِيدِ والتَّخْوِيفِ والتَّهْدِيدِ بمثل هذه الصَّيْغَةِ الَّتِي ظَاهِرُهَا التَّخْيِيرُ أَسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالدَّلِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ فِي آيَةِ التَّهْدِيدِ وَالتَّخْوِيفِ أَنَّهُ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاوُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. وهذا أَصْرَحُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ التَّهْدِيدِ وَالتَّخْوِيفَ؛ إِذْ لَوْ كَانَ التَّخْيِيرُ عَلَى بَابِهِ لَمَا تَوَعَّدَ فَاعِلُ أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ الْمَخْيَرِ بَيْنَهُمَا بِهَذَا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَهَذَا وَاضِحٌ كَمَا تَرَى». أَضْوَاءُ الْبَيَانِ (٣/٢٦٦)، وَانْظُرْ: (٨/٤١٤).

(١) قَالَ الطَّبْرِي: «وَقَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ الْعَرَبَ تُخْرِجُ الْكَلَامَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ وَمَعْنَاهَا فِيهِ النَّهْيُ أَوْ التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وَكَمَا قَالَ: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاءَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥]، [الروم: ٣٤]، فَخَرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ وَالزَّجْرُ وَالنَّهْيُ». تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (٤/٢٣٨)، تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ (١٤/٣٣)، الْبَغْوِيُّ (٣/١٥٩)، تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ (٢/٤١٦)، تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ (٥/٢١٩).

المطلب الرَّابِع التَّعْرِيفُ بِمَوْضُوعَاتِ النَّهْيِ فِي الْقُرْآنِ

أ. التَّعْرِيفُ وَبَيَانُ الصَّيْغِ:

النَّهْيُ ضِدُّ الْأَمْرِ، فَكُلُّ مَا قَرَّرَ فِي الْأَمْرِ، فَلَيْفَهُمْ عَكْسُهُ فِي النَّهْيِ، وَكَمَا أَنَّ الْأَمْرَ ظَاهِرٌ فِي الْوَجُوبِ، فَالنَّهْيُ ظَاهِرٌ فِي التَّحْرِيمِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا نَهَيْكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْا﴾ [الحشر: ٧]^(١). فَالنَّهْيُ هُوَ الْقَوْلُ الدَّالُّ عَلَى تَرْكِ الْفِعْلِ دَلَالَةً أَوَّلِيَّةً، وَقَوْلُ الْقَائِلِ لغيره: (لَا تَفْعَلْ)، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ؛ لِإِفَادَةِ مَعْنَى الْكَفِّ وَالامْتِنَاعِ عَنِ الْفِعْلِ^(٢).
وَالنَّهْيُ لَهُ صِيغَةٌ أَصْلِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الْمَضَارِعُ الْمُجْزُومُ بِـ (لَا) النَّاهِيَةِ^(٣).

(١) فَمَنْ قَالَ بِوَجُوبِ الْإِتِمَارِ يَقُولُ بِوَجُوبِ الْإِنْتِهَاءِ؛ لِأَنَّ الْإِنْتِهَاءَ مَأْمُورٌ بِهِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا نَهَيْكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْا﴾، وَالْأَمْرُ لِلْوَجُوبِ؛ وَلِأَنَّ ارْتِكَابَ الْمُنْهَى عَنْهُ مَعْصِيَةٌ، بِدَلِيلِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْمَعْصِيَةِ عَلَى قُرْبَانِ الشَّجَرَةِ فِي قِصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، وَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا بِتَرْكِ الْوَاجِبِ. انْظُرْ: الْمَغْنِي فِي أَصُولِ الْفَقْهِ (ص: ٦٧-٦٨).

(٢) أَيُّ: فِعْلُ الْأَمْرِ الَّذِي يَدُلُّ بِمَادَّتِهِ عَلَى طَلَبِ الْكَفِّ، نَحْوُ: (دَع)، وَ(ذَر). انْظُرْ: إِرْشَادُ الْفَحُولِ (ص: ١٨٤-١٩٣)، الْإِحْكَامُ، لِلْأَمْدِيِّ (٢/ ٢١٠-٢١٥)، (٣/ ٢٨٥). إلخ.
(٣) أَمَّا بَيَانُ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ اللَّغَةِ فَإِنَّ مِنْ أَوْجِهٍ (لَا) أَنَّهَا تَكُونُ مَوْضُوعَةً لَطَلَبِ التَّركِ، وَتَخْتَصُّ بِالْإِدْخَالِ عَلَى الْمَضَارِعِ، وَتَقْتَضِي جِزْمَهُ وَاسْتِقْبَالَهُ، سَوَاءً كَانَ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ مَخَاطَبًا نَحْوُ: ﴿لَا تَنْجِدُوا عِدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الْمُتَحَنَّة: ١]، أَمْ غَائِبًا نَحْوُ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٢٨]، أَمْ مُتَكَلِّمًا نَحْوُ: (لَا أَرِيكَ هَاهُنَا)، فَالْمُتَكَلِّمُ يَنْهَى نَفْسَهُ عَنْ رُؤْيَا الْمَخَاطَبِ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْهُ.. انْظُرْ: مَغْنِي اللَّيْبِ (ص: ٣٢٣)، وَانْظُرْ: الشَّمْنِي =

ويدلُّ عليه ما سيأتي بيانه مفصَّلًا من بيانٍ لمادَّة: (نهى)، والجمل

= (٤٩/٢)، والدُّسوقي (٢٥٥/١)، وشرح مغني اللَّيْب، للدُّكتور عبد اللطيف محمَّد الخطيب (٢٣٠/٣ - ٢٣١). وتوكيد الفعل بالثُّون يدلُّ على أنَّ المراد بـ: (لا) الطَّلَب، كما في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا﴾ [إبراهيم: ٤٢]؛ لأنَّ توكيد المنفيِّ مختلفٌ فيه.. انظر: مغني اللَّيْب (ص: ٣٢٥)، وانظر: (ص: ٥٦٣)، و(ص: ٨٩١)، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (١١٧٢/٣)، [وقد مال أبو حيَّان في (البحر) (٤/٤٧٧) إلى الجواز]، ولكنَّ وقوع الطَّلَب صفةً للنكرة ممتنع فوجب إضمار القول، أي: واتقوا فتنةً مقولا فيها ذلك. مغني اللَّيْب (ص: ٣٢٥)، وانظر: (ص: ٥٦٣)، قال الزَّخَّشِيُّ: «وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول، كأنه قيل: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ...﴾ [الأنفال: ٢٥]، ونظيره قوله:

حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطَ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطًّا؟

أي: بمذق مقول فيه هذا القول». الكشف (١٥٢/٢)، وانظر: البحر المحيط (٤/٤٧٧)، تفسير ابن عادل (٩/٤٩١)، (١٢/٤٣٨)، (١٣/٣٣٤)، (١٦/٤٤٧)... إلخ. قائله: قيل ينسب إلى راجز لم يعين اسمه، وقيل: لرؤبة بن العجاج وقد نزل ضيفًا بقوم وطال انتظاره للطَّعام حتَّى جاء اللَّيْل، ثمَّ أتوه بلبنٍ قليلٍ خلطوه بماءٍ كثير، حتَّى صار لونه مثل لون الذُّب في الزُّرقة. والشَّاهد فيه قوله: (بمذق هل رأيت الذُّب قط) فإنَّ الظاهر يشعر بوقوع الجملة الاستفهامية نعتًا للنكرة، وهو (مذق) وليس كذلك، بل جملة الاستفهام معمولة لقول محذوف هو الواقع نعتًا، والتَّقدير: (بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَ قَطًّا؟).. انظر: خزانة الأدب (٢/٩٥)، شرح البغدادى (٥/٥)، أمالي الشَّجري (٢/١٤٩)، الإنصاف (١/١١٥)، شواهد العيني (٤/٦١). قال الطَّاهر: «وحرف (لا) في قوله عز وجل: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ نهيٌّ بقرينة اتِّصال مدخولها بنون التَّوكيد المختصة بالإثبات في الخبر وبالطَّلَب، فالجملة الطَّلِيبِيَّة: إمَّا نعت لـ: (فتنة) بتقدير قولٍ محذوف.. وباب حذف القول بابٌ متَّسع، وقد اقتضاه مقام المبالغة في التَّحذير هنا والاتِّقاء من الفتنة، فأكد الأمر باتِّقائها بنهيها هي عن إصابتها إيَّاهم؛ لأنَّ هذا النَّهي من أبلغ صيغ النَّهي بأنَّ يُوجَّه النَّهي إلى غير المراد نهيهِ تنبيهًا له على =

الخبرية المستعملة في النهي، إلى غير ذلك^(١).

والمنهي عنه إما أن يكون فعلاً، أو يكون قولاً، فالأول: كما في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، ﴿وَأَتُوا إِلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهِنَّ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

= تحذيره من الأمر المنهي عنه في اللفظ، والمقصود تحذير المخاطب بطريق الكناية؛ لأن نهي ذلك المذكور في صيغة النهي يستلزم تحذير المخاطب فكأن المتكلم يجمع بين نهين، ومنه قول العرب: (لا أعرفك تفعل كذا)، فإنه في الظاهر المتكلم نفسه عن فعل المخاطب، ومنه قوله عز وجل: ﴿لَا يَفْقِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ويسمى هذا (بالنهي المحوّل)، فلا ضمير في التعت بالجملة الطليئة. ويجوز أن تكون جملة: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ نهيًا مستأنفًا تأكيدًا للأمر باتقائها مع زيادة التحذير بشمولها من لم يكن من الظالمين. ولا يصح جعل جملة: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ جوابًا للأمر في قوله: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةً﴾؛ لأنه يمنع منه قوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وإنما كان يجوز لو قال: (لا تصيبنكم) كما يظهر بالتأمل، وقد أبطل في (مغني اللبيب) جعل (لا) نافية هنا، وردّ على الزمخشريّ تجويزه ذلك. التحرير والتنوير (٩/ ٣١٧-٣١٨)، وانظر: الكشاف (٢/ ١٥٢).

(١) وهل ما وضعت له هذه الصيغة للتحريم، أم للكرهية، أم للقدر المشترك بينهما؟ المختار أنه للتحريم لفهم المنع من الصيغ المجردة، ويستعمل في غير التحريم مجازًا. انظر: روضة الناظر (ص: ١٩٢).

أَحْسَنُ ﴿ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿ [الإسراء: ٣٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الإسراء: ٣٤] .

والثاني: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُلَاحِظُونَ﴾ [النحل: ١١٦] .

ويقال في أكثر مسائل النهي عكس ما يذكر في مسائل الأمر؛ لأنَّ النهي يقابل الأمر، ويشاركه معه في كثير من المسائل. ولذلك من العلماء من يترك الكثير من مسائل النهي تفادياً للتكرار^(١).

ب. ذكر مواضع الصيغ من القرآن الكريم:

١ - مواضع (لا) الناهية:

أمَّا مواضع (لا) الناهية في القرآن فهي على النحو التالي:

[البقرة: ١٠٤ - ٢٣٣ - ٣٥٢ - ٢٨٦]، [آل عمران: ٨ - ٢٨ - ١١٨ - ١٣٠ - ١٥٦ - ١٨٨ - ١٩٦]، [النساء: ١٩ - ٢٩ - ٤٣ - ١٤٤ - ١٥٤ - ١٧١]، [المائدة: ٢ - ٤١ - ٥١ - ٧٧ - ٧٨ - ٩٥ -

(١) انظر: إتحاف ذوي البصائر (٥/٣٩٨).

[١٠١]، [الأعراف: ٢٧ - ٤٧]، [الأنفال: ٢٧]، [التوبة: ٢٣ - ٤٠ - ٦٦ - ٨٠ - ٨١ - ٩٤ - ١٠٨]، [يونس: ٧١ - ٨٥]، [هود: ٥٥ - ٧٠ - ٨٩]، [يوسف: ٥ - ١٠ - ٦٧]، [الحجر: ٥٣]، [النحل: ٥١]، [الإسراء: ٢٢]، [مريم: ٤٤]، [طه: ٤٦ - ٦١ - ٦٨ - ٩٤]، [الأنبياء: ١٣ - ٨٩]، [المؤمنون: ٥٦]، [النور: ١١ - ٢١ - ٥٣ - ٥٧ - ٦٣]، [الفرقان: ٤]، [النمل: ١٠ - ١٨]، [القصص: ٩ - ٢٥ - ٧٦]، [العنكبوت: ٣٣]، [لقمان: ١٣]، [الأحزاب: ٥٣ - ٦٩]، [يس: ٦٠]، [ص: ٢٢]، [الزمر: ٥٣]، [فصلت: ٢٦ - ٣٧]، [الدخان: ١٩]، [الحجرات: ١ - ١١]، [ق: ٢٨]، [الذاريات: ٢٨]، [الطور: ١٦]، [الممتحنة: ١ - ٥ - ١٢ - ١٣]، [المنافقون: ٧ - ٩]، [الطلاق: ١]، [التحريم: ٧]، [القلم: ٢٤ - ٧١ - ٢٦]، [القيامة: ١٦]، [العلق: ١٩]^(١).

٢ - أمّا مواضع (فلا) في الخطاب القرآني فهي على النحو التالي:
[البقرة: ٢٢ - ١٠٢ - ١٤٧ - ١٥٠ - ٢٢٩ - ٢٣٢]، [آل عمران: ٦٠ - ١٧٥ - ١٨٨]، [النساء: ٢٠ - ١٥٠ - ١٩٥]، [الأنعام: ١٥٠]، [الأنفال: ١٥]، [التوبة: ٢٨ - ٣٦ - ٥٥]، [يونس: ٨٨ - ٩٤]، [هود: ١٧ - ٣٦ - ٤٦ - ١٠٩]، [يوسف: ٦٩]، [إبراهيم: ٢٢ - ٤٧]، [الحجر: ٦٨]، [النحل: ١ - ٧٤]، [الإسراء: ٢٣ - ٣٣]، [الكهف: ٢٢ - ٧٠ - ٧٦]، [مريم: ٨٤]

(١) بتصرف عن (دارسات لأسلوب القرآن الكريم) (٢/٤٣٩-٤٤٠).

[طه: ١٦-١١٧]، [الأنبياء: ٣٧]، [الحج: ٦٧]، [المؤمنون: ٩٤]،
 [النور: ٢٨]، [الفرقان: ٥٢]، [الشعراء: ٢١٣]، [القصص: ٨٦]،
 [العنكبوت: ٨]، [لقمان: ١٥-٣٣]، [السجدة: ٢٣]، [الأحزاب: ٣٢]،
 [فاطر: ٥]، [يس: ٧٦]، [غافر: ٤]، [الزخرف: ٦١]،
 [محمد: ٣٥]، [الذاريات: ٥٩]، [النجم: ٣٢]، [المجادلة: ٩]،
 [المتحنة: ١٠]، [القلم: ٨]، [الجن: ١٨]، [الضحى: ٩-١٠].

٣- أمّا موضع (ولا) في الخطاب القرآني فهو على النحو التالي:
 [البقرة: ٣٥-٤١-٤٢-٦٠-١٥٢-١٥٤-١٨٧-١٨٨-١٩٠-١٩١-١٩٥-١٩٦-٢٢١-٢٢٢-٢٢٤-٢٣١-٢٣٥-٢٣٧-٢٦٧-٢٨٢-٢٨٣-٢٨٦]، [آل عمران: ٧٣-١٠٢-١٠٣-١٠٥-١٣٩-١٦٩-١٧٦-١٧٨-١٨٠-١٩٤]، [النساء: ٢-٥-٦-٢٢-٢٩-٣٦-٨٩-٩٤-١٠٤-١٠٥-١٠٧-١٧١]،
 [المائدة: ٢-٨-٢١-٤٤-٤٨-٧٧]، [الأنعام: ١٤-١٥٢-١٢١-١٤٢-١٥٠-١٥١م-١٥٢-١٥٣]، [الأعراف: ٣-١٩-٣١-٥٦-٧٣-٧٤-٨٥-٨٦-١٤٢-١٥٠-٢٠٥]،
 [الأنفال: ٢٠-٢١-٤٦-٤٧-٥٩]، [التوبة: ٤٩-٨٤-٨٥-٨٩-٩٥-١٠٥-١٠٦]،
 [يونس: ٦٥-٧١-٨٩-٩٥-١٠٥-١٠٦]، [هود: ٣٧-٤٢-٥٢-٦٤-٧٨-٨١-٨٤-٨٥-١١٢-١١٣]،
 [يوسف: ٦٠-٨٧]، [إبراهيم: ٤٢]، [الحجر: ٦٥-٦٩-٨٨]، [النحل: ٩١-٩٢-٩٤-٩٥-١١٦-١٢٧]، [الإسراء: ٨٨]

٢٣-٢٦-٢٩-٣١-٣٣-٣٤-٣٦-٣٧-٣٩-١١٠]، [الكهف:
 ١٩-٢٢-٢٣-٢٨-٧٣-١١٠]، [طه: ٢١-٤٢-٤٧-٨١-
 ١١٤-١٣١]، [المؤمنون: ٢٧-١٠٨]، [النور: ٢-٤-٢١-
 ٣٣]، [الشعراء: ١٥١-١٥٦-١٨١-١٨٣]، [النمل: ٧٠]،
 [القصص: ٣١-٧٧-٨٧-٨٨]، [العنكبوت: ٣٣-٣٦-٤٦]،
 [الرُّوم: ٣١-٦٠]، [لقمان: ١٨-٣٣]، [الأحزاب: ١-٣٣-٤٨]،
 [فاطر: ٥]، [ص: ٢٢-٢٦-٤٤]، [فصلت: ٣٠]، [الشورى:
 ١٣-١٥]، [الزُّخرف: ٦٢]، [الجاثية: ١٨]، [الأحقاف: ٣٥]،
 [محمّد: ٣٣]، [الحجرات: ٢-١١-١٢]، [الذّاريات: ٥١]،
 [الرَّحْمَن: ٩]، [الحديد: ٢٣]، [الحشر: ١٠-١٩]، [المتحنة:
 ١٠-١٢]، [الطّلاق: ١-٦]، [القلم: ١٠-٤٨]، [نوح: ٢٣-٢٤-
 ٢٨]، [المدّثر: ٦]، [الإنسان: ٢٤]^(١).



(١) بتصرف عن (المصدر نفسه) (ص: ٤٤٠-٤٤١).

المطلب الخامس خروج صيغة النَّهي عن معناها الأصلي في الخطاب القرآني

وقد تخرجُ صيغةُ النَّهي عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أخرى تستفادُ من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن ذلك:

١ - الاحتقار والتقليل^(١):

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، أي: فهو قليل حقير^(٢). وقد قال الله ﷻ ﴿فَمَا مَنَعَ الْحَيَوَّةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

٢ - الإرشاد:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]^(٣).

(١) أزواجًا: أي: أصنافًا من النعم.

(٢) انظر: التوضيح (٥١/٢)، كشف الأسرار (٢٥٦/١)، مختصر البعلي (ص: ١٠٣)، الإحكام، للآمدي (١٨٧/١)، المنحول (ص: ١٣٥)، المستصفى (٤١٨/١)، فواتح الرحموت (٣٩٥/١)، مناهج العقول (١٦/٢)، نهاية السؤل (٦٢/٢)، جمع الجوامع (٣٩٥/١).

(٣) انظر: شرح الإسنيوي (نهاية السؤل) على منهاج الوصول (٣٦٥/١)، شرح الكوكب المنير (٨٠/٣)، حاشية العطار (٤٩٨/١)، البرهان في أصول الفقه (ص: ٢١٨).

٣ - الإهانة: ﴿قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ ﴿١٠٨﴾^(١).
[المؤمنون: ١٠٨]

٤ - بيان العاقبة:

نحو قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقد بين الله ﷻ عاقبة الَّذِينَ اتَّقُوا كما بين عاقبة الَّذِينَ خالفوا أمره في آيات كثيرة. فمن ذلك بيان عاقبة الظالمين، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَؤُلَاءِ﴾ ﴿٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣]^(٢).

٥ - التأديب:

﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]^(٣).

٦ - التسلية أو الائتناس:

نحو قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨]، و[النحل: ١٢٧]، و[النمل: ٧٠]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]^(٤).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٣١)، الإتيقان (٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر: الإتيقان في علوم القرآن (٢/ ٢٢٠)، وانظر: إرشاد الفحول (ص: ١٩٣)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٧٩)، شرح التلويح (١/ ٢٨٩).

(٣) انظر: البحر المحيط، للزركشي (٢/ ٩٢)، (٢/ ١٥٥)، التَّحْيِير (٥/ ٢٢٨١)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٨١).

(٤) انظر: شرح الإسني (نهاية السؤل) على منهاج الوصول (١/ ٣٢٩ - ٣٣٠).

٧ - التَّسْوِيَة :

﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦]^(١).

٨ - التَّفْوِيض :

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْجِبْنِي﴾ [الكهف: ٧٦].

٩ - الدُّعَاء :

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨]^(٢).

١٠ - الكَرَاهَة :

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ بِهِ إِلَّا أَنْ تُحْمَضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]^(٣) ، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] ، و[لقمان: ١٨]^(٤).

(١) انظر: الإتيقان (٢/ ٢٢٠).

(٢) وانظر: [الأعراف: ٤٧] ، [يونس: ٨٥] ، [المتحنة: ٥] . انظر: الإتيقان (٢/ ٢٢٠) ، وانظر: البرهان في أصول الفقه (ص: ٢١٨) ، التحرير (٥/ ٢٢٨٠) .

(٣) قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ ، أي: لا تقصدوا ، ﴿الْخَبِيثَ﴾ ، أي: الرديء ، ﴿مِنْهُ﴾ ، أي: المذكور ، ﴿تُنْفِقُونَ﴾ في الزكاة ، حال من ضمير تيمموا ، ﴿وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ بِهِ﴾ ، أي: الخبيث ، ﴿إِلَّا أَنْ تُحْمَضُوا﴾ ، أي: تساحوا ، ﴿فِيهِ﴾ بالحياء مع الكراهة مجاز من أغمض بصره إذا غضه . انظر: تفسير السراج المنير (١/ ٤٢٧) . وانظر: شرح جمع الجوامع ، للمحلي (١/ ٢١٣) ، البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٥٥) ، شرح الكوكب المنير (٣/ ٧٨) .

(٤) قال الله عز وجل بعد ذلك: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨] ، فقد وصف ذلك بمطلق الكراهة مع أن البعض من الكبائر؛ للإيدان بأن مجرد الكراهة عنده عز وجل كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك . انظر: تفسير أبي السعود (٥/ ١٧٢) ، روح =

١١ - اليأس :

﴿لَا تَعْنَدُوا﴾ [التوبة: ٦٦]، و[٩٤]، و[التحریم: ٧]^(١).



= المعاني (٧٦/١٥)، وانظر: الإتيان في علوم القرآن (٢/٢٢٠).
 (١) انظر: الإتيان في علوم القرآن (٢/٢٢٠)، وانظر: حاشية العطار (١/٤٩٨)، شرح
 الإسنوي (نهاية السؤل) على منهاج الوصول (١/٣٣٦)، شرح التلويح (١/٢٨٩)، إتحاف
 ذوي البصائر (٥/٤٠٢).

المبحث الثاني

تنوع أساليب الأمر والنهي والإباحة

● ويتضمّن:

المطلب الأول: تنوع أساليب الطلب التي يراد بها الوجوب.

المطلب الثاني: تنوع أساليب النهي.

المطلب الثالث: أساليب الطلب التي يراد بها الإباحة.

● توطئة

لا بُدَّ أوَّلاً من بيان مدى الاهتمام والعناية في هذا المطلب باستقراء أساليب الطَّلَب في الخطاب القرآني، وتوضيحها، وبيان تنوعها، وتنوع صيغ الخطاب القرآني فيها، ويأتي ذلك عقب التعريف بموضوعات الأمر والنهي في الخطاب القرآني.

ويتصل ذلك بمحور البحث - وهو الخطاب القرآني من حيث معناه الأخص - من حيث توجه الخطاب فيه من المخاطب إلى المخاطب بصيغة من صيغ الطَّلَب بما يخص الأمر أو النهي أو الإباحة. وإن كان ما يذكر في هذا المطلب يأتي متمماً لما أتيت على ذكره في المبحث الأوَّل.

وقد جعلته ثلاثة أقسام على النحو التالي:

الأوَّل: تنوع أساليب الطَّلَب التي يراد بها الوجوب.

الثاني: تنوع أساليب النهي.

الثالث: أساليب الطَّلَب التي يراد بها الإباحة.

وبيان ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول تنوع أساليب الطلب التي يراد بها الوجوب

أمّا المطلبُ الأوّل فيتضمّن ما يلي:

- ١ - صريح مادّة الأمر.
 - ٢ - الإخبار بأنّ الفعل مكتوبٌ على المخاطبين.
 - ٣ - الإخبار بأنّ الفعل على النَّاس عامّة، أو على طائفةٍ تتّصفُ بوصفٍ مخصوص.
 - ٤ - إطلاق الخبر على الطّلب .
 - ٥ - أن يطلب بصيغة الأمر الطّلبية.
 - ٦ - التّعبير بالفرض.
 - ٧ - التّجوز بجواب الشرط عن الأمر.
 - ٨ - ذكّر الفعلٍ مقرونًا بلفظ: (خير).
 - ٩ - ذكّر الفعلٍ مقرونًا بوعد.
 - ١٠ - وصفُ الفعل بأنّه: برّ، أو موصل للبرّ.
 - ١١ - ترتيبُ الفعلِ على شرطٍ قبله.
- وبيانُ ذلك يأتي على النّحو التّالي:

١ - صريحُ مادّة الأمر:

وهي على النحو التالي:

- ﴿أَمَرَ﴾ : [البقرة: ٢٧]، [النساء: ١١٤]، [الأعراف: ٢٩]،
 [يوسف: ٤٠]، [الرعد: ٢١]، [الرعد: ٢٥]، [العلق: ١٢].
 ﴿مَا أَمَرَ﴾ : [البقرة: ٢٧]، [الرعد: ٢١ - ٢٥].
 ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ : [البقرة: ٦٧ - ٩٣ - ١٦٩ - ٢٦٨]، [آل عمران: ٨٠]،
 [النساء: ٥٨].

- ﴿مَا تُؤْمَرُونَ﴾ : [البقرة: ٦٨].
 ﴿أَمَرَكُمْ﴾ : [البقرة: ٢٢٢].
 ﴿يَأْمُرُونَ﴾ : [آل عمران: ٢١ - ١٠٤ - ١١٤]، [النساء: ٣٧]،
 [التوبة: ٦٧ - ٧١]، [الحديد: ٢٤].
 ﴿تَأْمُرُونَ﴾ : [آل عمران: ١١٠]، [الأعراف: ١١٠]، [الشعراء: ٣٥].

- ﴿أُمِرُوا﴾ : [النساء: ٦٠]، [التوبة: ٣١]، [البينة: ٥].
 ﴿وَلَا أُمِرْتُمْ﴾ : [النساء: ١١٩]، مرتين.
 ﴿أَمَرْتَنِي﴾ : [المائدة: ١١٧].
 ﴿أُمِرْتُ﴾ : [الأنعام: ١٤ - ١٦٣]، [يونس: ٧٢ - ١٠٤]، [هود: ١١٢]،
 [الرعد: ٣٦]، [النمل: ٩١ - ٩١]، مرتين، [الزمر: ١١]،
 [الزمر: ١٢]، [غافر: ٦٦]، [الشورى: ١٥]، مرتين.
 ﴿وَأُمِرْنَا﴾ : [الأنعام: ٧١].

- ﴿أَمَرْتُكَ﴾ : [الأعراف : ١٢].
- ﴿أَمَرْنَا﴾ : [الأعراف : ٢٨].
- ﴿يَأْمُرُ﴾ : [الأعراف : ٢٨].
- ﴿وَأَمَرَ﴾ : الأعراف : [١٤٥ - ١٩٩] ، [طه : ١٣٢] ، [لقمان : ١٧].
- ﴿يَأْمُرُهُمْ﴾ : [الأعراف : ١٥٧].
- ﴿وَمَا أَمَرُوا﴾ : [التوبة : ٣١] ، [البينة : ٥].
- ﴿تَأْمُرُكَ﴾ : [هود : ٨٧].
- ﴿ءَأْمُرُهُ﴾ : [يوسف : ٣٢].
- ﴿أَمَرُهُمْ﴾ : [يوسف : ٦٨].
- ﴿تُؤْمَرُ﴾ : [الحجر : ٩٤].
- ﴿مَا يُؤْمَرُونَ﴾ : [النحل : ٥٠] ، [التحریم : ٦].
- ﴿وَأَمَرُوا﴾ : [الحج : ٤١].
- ﴿أَمَرْتَهُمْ﴾ : [النور : ٥٣].
- ﴿تَأْمُرُنَا﴾ : [الفرقان : ٦٠].
- ﴿تَأْمُرِينَ﴾ : [النمل : ٣٣].
- ﴿يَأْتِمُرُونَ﴾ : [القصص : ٢٠].
- ﴿تَأْمُرُونَنَا﴾ : [سبأ : ٣٣].
- ﴿تُؤْمَرُ﴾ : [الصافات : ١٠٢].
- ﴿تَأْمُرُونِي﴾ : [الزمر : ٦٤].
- ﴿تَأْمُرُهُمْ﴾ : [الطور : ٣٢ - ٣٢].

﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ : [القمر: ٥٠].

﴿وَأَنذَرُونَا﴾ : [الطلاق: ٦].

﴿أَمْرُهُ﴾ : [عبس: ٢٣].

والأمر قد يكون على لسان نبيٍّ من الأنبياء -عليهم الصَّلَاة والسلام- لقومه، نحو قول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]، وقد يكون من نبيٍّ من الأنبياء -عليهم الصَّلَاة والسلام- كإسماعيل عليه السلام لأهله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥]. ومثل هذا الخطاب قد يكون من الشَّيْطَان في أمره بالسُّوء والفحشاء، والخطاب القرآني فيه تحذير المؤمنين من خطر الشَّيْطَان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١] إلى غير ذلك. والهمزة والميم والراء سواء جاءت ماضياً أو مضارعاً أو أمراً، فهي طلبٌ على سبيل الوجوب كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

[النساء: ٥٨]. وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الأمر بالمضارع؛

لأنَّ المضارع يفيد الدَّيْمُومَة، وبما أنَّ هذا القرآن باقٍ إلى القيامة فكلمة

﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ يتكرَّر الأمر فيها إلى يوم القيامة.

وقد وَرَدَ لَفْظُ: (الأمر) بمشتقاته المختلفة في القرآن الكريم في أكثر من (مائتي موضع)، بين اسم وفعل، وبمعانٍ مختلفة، بحسب السِّياق الَّذِي ورد فيه، كقوله ﷻ: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: ٨٣]، وقوله ﷻ: ﴿فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ﴾ [الحج: ٦٧]، ونحو ذلك من الآيات.

ويَتَبَيَّن من دراسة مادَّة: (أمر) أنَّ لَفْظَ: (الأمر) في القرآن الكريم يأتي على عدَّة معانٍ:

١- بمعنى (الوعد)، ومنه قوله ﷻ: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، فـ(الأمر) هنا: (الوعد)، أي: ما وعدهم به من المجازاة، ومثله قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ [هود: ٤٠]، أي: جاء وعد الله ﷻ بإرسال الطوفان على قوم نوح عليه السلام.

٢- وجاء (الأمر) في القرآن بمعنى: (الدِّين)، ومنه قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤٨]، يعني دين الله ﷻ الإسلام^(١). ونحوه قوله ﷻ: ﴿فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ﴾ [الحج: ٦٧]، فـ(الأمر) في الآيتين يراد به: دين الإسلام الَّذِي جاء به محمد صلَّى الله عليه وآله وسلم.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٨٨)، وتفسير ابن عادل (٢/ ٤٢٤)، تفسير السمرقندي (٢/ ٥٤).

ومن ذلك: ﴿وَنَقَّطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٣]، ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ [المؤمنون: ٥٣]^(١)

٣ - وجاء (الأمر) في القرآن بمعنى: (الشأن والحال والفعل)، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]، أي: وما فعل فرعون وشأنه برشيد، ومنه قوله ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣]، أي: عن سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته، ومنه: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]. وعبر عن ذلك غير واحد ب: (أمر الخلق) وقالوا في تفسير قوله ﷺ: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ، يعني: أمور الخلائق^(٢).

٤ - وجاء (الأمر) بمعنى: (القول)، ومنه قوله ﷺ عن قوم فرعون، حين اختلفت أقوالهم حول موسى عليه السلام، وما جاءهم به: ﴿فَنَنْزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ٦٢]، أي: تنازعوا القول بينهم^(٣)، واختلفوا في أمر موسى عليه السلام، وقوله ﷺ عن (أصحاب الكهف): ﴿إِذْ يَنْزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الكهف: ٢١]، أي: اختلف قول عليه القوم في شأن الفتية المؤمنة، الذين فرّوا بدينهم، ولجئوا إلى الكهف.

(١) انظر: تفسير السمرقندي (٣/٣٧٧، نزهة الأعين النواظر (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/٨٩)، ابن عادل (٢/٤٢٥)، تفسير مقاتل (٣/١٨٣)، فتح

القدير (٤/٧٧٦)، وانظر: الأسماء والصفات، للبيهقي (١/٥٥٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢/٨٨)، وتفسير ابن عادل (٢/٤٢٥).

ومنه: قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧] يعني: قولنا.

٥ - وجاء (الأمر) بمعنى: (الحساب)، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، أي: انتهى الحساب، وعلم كل إنسان ما له وما عليه، وقوله ﷻ: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]، أي: فرغ من الحساب، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

٦ - وجاء (الأمر) بمعنى: (الذنب)، ومنه قوله ﷻ: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله ﷻ: ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ [الحشر: ١٥]، ف (الأمر) في الآيتين وما شابههما معناه: (الذنب)، أي: نالهم عاقبة ما ارتكبوه من الذنوب والمعاصي. ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ [التغابن: ٥]، ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق: ٩].

٧ - وجاء (الأمر) بمعنى: (القضاء والقدر)، ومنه قوله ﷻ: ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُذَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١]، قال مجاهد: يقضيه ويقدره وحده^(١).

ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ

(١) انظر: تفسير مجاهد (٢٩٢/١)، وانظر: تفسير القرطبي (٨٨/٢)، وانظر: تفسير ابن عادل (٤٢٥/٢).

وَالْأَمْرُ ﴿[الأعراف: ٥٤].

وذكر ابنُ الجوزي^(١) من هذه المعاني:

٨ - «(العذاب)، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَعِصَ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤]، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: ٨٢]، ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]^(٢)، ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩].

٩ - (قتل كفار مكة)، ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٧٨]^(٣).

١٠ - (فتح مكة)، ﴿فَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [التوبة: ٢٤].

١١ - (قتل بني قريظة، وجلاء بني النضير)، ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٩]^(٤).

١٢ - (القيامة)، ﴿إِنِّي أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

(١) ذكر ذلك في (نزهة الأعين النَّواظر في علم الوجوه والنظائر) (ص: ١٧٣-١٧٦)، وقال القرطبي في (تفسيره): «قال علماؤنا: والأمر في القرآن يتصرف على (أربعة عشر) وجهًا». القرطبي (٨٨/٢)، وهي مندرجة فيما ذكرته هنا..

(٢) قوله عز وجل: ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، يعني لما وجب العذاب بأهل النار. انظر: تفسير ابن عادل (٤٢٥/٢).

(٣) نزهة الأعين النَّواظر (ص: ١٧٤). وعبر ابنُ عادل في تفسيره بـ (القتل بيد). انظر تفسير ابن عادل (٤٢٥/٢).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٨٩/٢)، وتفسير ابن عادل (٤٢٥/٢).

١٣ - (الوحي)، ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ^(١) مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾
[السجدة: ٥]، ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]^(٢).

١٤ - (النصر)، ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ^(٣) قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ^(٤)﴾
[آل عمران: ١٥٤].

١٥ - (الموت)، ﴿وَعَزَّزْتُكُمُ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٤].

١٦ - (المشورة)، ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا تَأْمُرُونَ﴾
[الأعراف: ١١٠].

١٧ - (الحذر)، ﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ
قَبْلُ﴾ [التوبة: ٥٠].

١٨ - (الغرق)، ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾
[هود: ٤٣].

١٩ - (الخصب)^(٥)، ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾
[المائدة: ٥٢].

(١) «يعنى الوحي». تفسير ابن عادل (٢/٤٢٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/٨٩)، تفسير ابن عادل (٢/٤٢٥)، وذكر هذا المعنى أيضاً:
السمرقندي في (تفسيره) (٣/٣٧٧)، البحر المحيط (٧/١٩٣)، وذكر المعنيين - أعني: أنه
بمعنى: القضاء والقدر، وبمعنى: الوحي - البغوي في (تفسيره) (٣/٤٩٧)، وكذلك:
الماوردي في (تفسيره) (٤/٣٥٣)، وانظر: تفسير العز بن عبد السلام (١/٨٨١)، تفسير
الرازي (١٩/٥)، غرائب القرآن (٥/٤٣٥).

(٣) يعنون: النصر.

(٤) يعني: النصر. انظر: تفسير القرطبي (٢/٨٨)، تفسير ابن عادل (٢/٤٢٥).

(٥) وهو مما قيل في معنى الآية، فقد قيل: المراد: الخصب والسعة للمسلمين والرخا. انظر: =

٢٠ - (الأمر الذي هو استدعاء الفعل)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

٢١ - (الكثرة)، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، أي: كثرتناهم. وألحقه بعضهم بقسم الأمر الذي هو استدعاء الفعل، فقال: معناه: (أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها)^(١).

٢٢ - (عيسى) - عليه الصلاة والسلام -، قال الله ﷻ: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾ [مريم: ٣٥]. يعني: «عيسى - عليه الصلاة والسلام -، وكان في علمه أن يكون من غير أب..»^(٢).

٢ - الإخبار بأن الفعل مكتوبٌ على المخاطبين:

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿كُتِبَ

= تفسير ابن عادل (٣٨٢/٧)، وذكر ذلك أيضًا السمرقندي في (تفسيره) (٤٤٣/١)، وكذلك في (البحر المحيط) (٥٢٠/٣)، و(تفسير القرطبي) (٢١٨/٦)، و(فتح القدير) (٧٤/٢).

(١) نزهة الأعين التواظر (ص: ١٧٣-١٧٦).

(٢) ذكر ذلك القرطبي في (تفسيره) (٨٨/٢)، وابن عادل (٤٢٥/٢).

٤ - إطلاق الخبر على الطلب:

قال السيوطي: «إطلاق الخبر على الطلب أمراً أو نهياً أو دعاءً مبالغة في الحث عليه حتى كأنه وقع وأخبر عنه»^(١).

قال الزمخشري وغير واحد: «ورود الخبر والمراد: الأمر أو النهي أبلغ من صريح الأمر أو النهي، كأنه سورع فيه إلى الامتثال»^(٢).

(١) الإتقان (١٠٥/٢).

(٢) قال ذلك الزمخشري في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِلِأُولَئِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣]: «لَا تَعْبُدُونَ» إخبار في معنى النهي، كما تقول: (تذهب إلى فلان تقول له كذا)، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي؛ لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتفاء، فهو يخبر عنه. وتنصره قراءة عبد الله وأبي: ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ ولا بد من إرادة القول، ويدل عليه أيضاً قوله: ﴿وَقُولُوا﴾. وقوله: ﴿وَيَالِلِأُولَئِينَ إِحْسَانًا﴾ إما أن يقدر: وتحسنون بالوالدين إحساناً، أو أحسنوا. الكشف (٢٩٢/١-٢٩٣)، وانظر: البيضاوي (٣٥٢/١). وفي (روح المعاني): «لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» على إرادة القول، أي: قلنا أو قائلين؛ ليرتبط بما قبله، وهو إخبار في معنى النهي، كقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وكما تقول: (تذهب إلى فلان وتقول له: كيت وكيت)، وإلى ذلك ذهب الفراء، ويرجح أنه أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي كأنه سارع إلى ذلك، فوقع منه حتى أخبر عنه بالحال أو الماضي. أي: ينبغي أن يكون كذلك فلا يرد أن حال المخبر عنه على خلافه، وأنه قرأ ابن مسعود [وأبي ابن كعب]: (لا تعبدوا) على النهي، وأن ﴿قُولُوا﴾ عطف عليه، فيحصل التناسب المعنوي بينهما في كونهما إنشاء، وإن كان يجوز عطف الإنشاء على الإخبار فيما له محل من الأعراب. روح المعاني (٣٠٧/١)، وقد فصل القول في ذلك القرطبي في (تفسيره). ونقل هذا التوجيه عن سيبويه. انظر: الكتاب (١٠٤/٢). وقال -أي: القرطبي-: اختاره المبرد والكسائي والفراء. تفسير القرطبي (١٣/٢)، معاني القرآن، للفراء (٥١/١-٥٢).

وأخبر عنه نحو: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْزِقْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْزِقْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، أي: (ليترزقن المتوفى عنهن أزواجهن بأنفسهن...) (١).

وقال ﷻ: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. والمراد من الفعل: الأمر، أي: (آمنوا من دخله، وصونوا من دخل الكعبة) (٢).

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: ٤٧]. والمعنى: (ازرعوا سبع سنين) (٣)، بدليل قوله ﷻ: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُبُلِهِ﴾ [يوسف: ٤٧].

﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، أي: (اللهم اغفر لهم) (٤).

ومما قيل في قوله ﷻ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَنُبَاهِدُونَ﴾ [الصف: ١١]، معناه: (آمنوا وجاهدوا)؛ ولذلك أجيب بالجزم في

(١) انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/١٤٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩/٢٠٣)، وروح المعاني (١٢/٢٥٥)، وتفسير الواحدي (١/٥٤٨)، والبعوي (٢/٤٢٩)، وزاد المسير (٤/٢٣٣)، الخازن (٣/٢٨٧)، تفسير السمعاني (٣/٣٦).

(٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٨)، وانظر: الإتيقان (٢/١٠٥-١٠٦).

قوله **﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ﴾** [الصف: ١٢]^(١).
 قال السيوطي: وعكسه^(٢): "نحو: **﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾**
 [مريم: ٧٥]، أي: يمد^(٣). **﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾**
 [العنكبوت: ١٢]، أي: ونحن حاملون، بدليل: **﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**
 [العنكبوت: ١٢]^(٤)، والكذب إنما يرد على الخبر. **﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
 وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾** [التوبة: ٨٢]^(٥).

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/٣٤٩)، الكشاف (٤/٩٩-١٠٠)، وروح المعاني (٢٨/٨٩)،
 وتفسير أبي السعود (٨/٢٤٥)، والبيضاوي (٥/٣٣٤)، وانظر: أسرار التكرار
 (ص: ٢٠٤)، وانظر: معاني القرآن، للقرآء (٣/١٥١-١٥٢). قال الزركشي في (البحر
 المحيط..): «ولا يصح أن يكون جواباً لـ: **﴿هَلْ أَذْكَو﴾** [الصف: ١٠] على حدّ قوله:
 (هل تأتيني أكرمك؟)؛ لأنّ المغفرة وإدخال الجنّات لا تجب بالدلالة، وإنما تجب بالإيمان».
 البحر المحيط في أصول الفقه (٣/٢٩٢)، وينظر التفصيل في (البرهان في علوم القرآن)
 (٣/٣٤٩). قال ابن عبد السلام: «وهذا من مجاز التشبيه، شبه الطلب في تأكده بخبر
 الصادق الذي لا بدّ من وقوعه، وإذا شبهه بالماضي كان أكد». الإشارة إلى الإيجاز في بعض
 أنواع المجاز (ص: ٢٧-٢٨).

(٢) أي: وضع الطلب موضع الخبر.

(٣) انظر: الدر المصون (٤/٥٢٢)، تفسير الرازي (٢١/٥٤١)، ابن عادل (١٣/٦٩)،
 (١٣/١٣٠)، التحرير والتنوير (١٦/١٥٦).

(٤) وتأمّل الآية: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ
 بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾** [العنكبوت: ١٢].

(٥) الإتيان (٢/١٠٥-١٠٦)، وانظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٨)،
 وينظر التفصيل في (البرهان في علوم القرآن) (٣/٣٥٠).

٥ - أن يطلب بصيغة الأمر الطليئة:

وهي:

أ. فعل الأمر:

نحو: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [الإسراء: ٧٨].

ب. المضارع المجزوم بلام الأمر:

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ج. اسم فعل الأمر:

نحو: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

د. المصدر النائب عن فعله:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]. - وقد سبق بيان ذلك مفصلاً.

٦ - التعبير بالفرض:

أ. فرض:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ﴿فَدَفَّ فَرْضَ اللَّهِ لَكُمْ نَحْلَةً أَيْمَنَكُمْ﴾

[التحريم: ٢].

ب. فَرَضْتُمْ:

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا
فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ﴾
[البقرة: ٢٣٧]، مرتين..

ج. فَرَضْنَا:

نحو: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

د. فَرَضْنَاهَا:

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١].

هـ. تَفَرَّضُوا:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ﴾
[البقرة: ٢٣٦]

و. فَرِيضَةٌ:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾
[البقرة: ٢٣٦]، ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ
فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، ﴿فَمَا
اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤].
﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ [النساء: ٢٤].

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠].
ز. مفروضاً:

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

٧ - التجوز بجواب الشرط عن الأمر

نحو: ﴿فَإِنْ أَحْصَيْتُمْ مَا أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ سُلْكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ومن ذلك قوله ﷻ: "﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيقُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، معناه عند الجمهور: (فليغلبوا مائتين)، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾ [الأنفال: ٦٥]، (فليغلبوا ألفاً)، ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]، (فليغلبوا مائتين)، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦]، (فليغلبوا ألفين)، والمراد به: التأكيد؛ لأنه خبر تجوز به عن الطلب^(١).

٨ - ذكر الفعل مقروناً بلفظ: (خير):

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ آلِثَمَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٩ - ذكر الفعل مقروناً بوعد:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، (ص: ٢٨)، وانظر: تاريخ التشريع الإسلامي، للشيخ محمد الحصري بك (ص: ٢٥-٢٦).

كَرِيمٌ ﴿١١﴾ [الحديد: ١١].

١٠ - وصف الفعل بأنه برٌّ أو موصل للبرِّ:

﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مِنْ أَمَنِ بِاللهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية، ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مِنْ أَتَقَى﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿لَنْ نَنَالُوا الْإِلَهَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

١١ - ترتيب الفعل على شرط قبله:

ويأتي في الجواب مصدر أو اسم مصدر، وهذا كله يدلُّ على الوجوب قال ﷺ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فالواجب على المريض والمسافر إذا أفطر صوم عدَّة أيام. والتقدير: (فمن كان منكم مريضًا أو على سفرٍ فافطر)^(١)، ولا بُدَّ من تقدير: (فافطر)؛ لأنه ليس كلُّ مريض أو مسافر يفطر، فقد يصوم المريض أو مسافر وليس عليه قضاء.



(١) انظر: تفسير الطبري (١٤٩/٢)، البحر المحيط (٣٩/٢)، البغوي (١٤٩/١)، الثعالبي

(١/١٣٧، ٢٩٨)، الجلالين (ص: ٣٥)، الرّازي (٥/٢٤١)، (٥/٢٩٣) الخ.

المطلب الثاني : تنوع أساليب النهي

أمّا المطلب الأوّل فيتضمّن ما يلي :

- ١ - صريح مادّة النهي.
- ٢ - ما كان بصيغة التّحريم.
- ٣ - ما كان فيه تصريح بعدم الحلّ.
- ٤ - ما كان بصيغة من صيغ النهي.
- ٥ - نفي البرّ عن الفعل.
- ٦ - نفي الفعل.
- ٧ - ذكر الفعل مقروناً باستحقاق الإثم.
- ٨ - ذكر الفعل مقروناً بوعيد.
- ٩ - وصف الفعل بأنّه شرّ.
- ١٠ - إطلاق الخبر وإرادة النهي.
- ١١ - ترتيب وصف بغض شنيع على ترك الفعل.
- ١٢ - التّجوّز بلفظ النهي عن أشياء ليست مرادة بالنّهي ، وإنّما المراد بها ما يقاربها أو يلازمها ، أو تكون مسبّبة عنه.
- ١٣ - التّجوّز بالنّهي لمن لا يصحّ نهيه ، والمراد به من يصحّ نهيه.
- ١٤ - التّجوّز بنهي من يصحّ نهيه والمنهيّ في الحقيقة غيره.
- ١٥ - النهي لوصف منفكّ عن الفعل ، ومجاور له.

أما بيان ذلك فهو على النحو التالي:

١ - صريح مادة النهي

- ﴿أَنْتَهُوا فَاِتَّ﴾ : [البقرة: ١٩٢] ، [الأنفال: ٣٩].
 ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنْ﴾ : [آل عمران: ١٠٤ - ١١٤] ، [التوبة: ٦٧ - ٧١].
 ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنْ﴾ : [آل عمران: ١١٠].
 ﴿نُهِنَّ عَنْهُ﴾ : [النساء: ٣١].
 ﴿نُهِوْا عَنْهُ﴾ : [النساء: ١٦١] ، [الأنعام: ٢٨] ، [الأعراف: ١٦٦] ،
 [المجادلة: ٨].

- ﴿يَنْهَهُمُ الرَّبَّيُّونَ﴾ : [المائدة: ٦٣].
 ﴿يَنْتَهُوْا عَمَّا﴾ : [المائدة: ٧٣].
 ﴿يَنْتَاهَوْنَ عَنْ﴾ : [المائدة: ٧٩].
 ﴿يَنْتَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ﴾ : [المائدة: ٧٩].
 ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ : [الأنعام: ٢٦].
 ﴿نُهِبْتُ أَنْ﴾ : [الأنعام: ٥٦] ، [غافر: ٦٦].
 ﴿نُهِبْتُ أَنْ أَعْبُدَ﴾ : [الأنعام: ٥٦] ، [غافر: ٦٦].
 ﴿نَهَيْكُمَا رَبُّكُمَا﴾ : [الأعراف: ٢٠].
 ﴿أَنْتَهُكُمَا عَنْ﴾ : [الأعراف: ٢٢].
 ﴿وَيَنْهَهُمُ عَنْ﴾ : [الأعراف: ١٥٧].
 ﴿يَنْهَوْنَ عَنْ﴾ : [الأعراف: ١٦٥] ، [هود: ١١٦].
 ﴿وَالنَّاهُونَ عَنْ﴾ : [التوبة: ١١٢].

- ﴿أَنهَلْنَا أَنْ﴾ : [هود: ٦٢].
 ﴿أَنهَلَكُم عَنْهُ﴾ : [هود: ٨٨].
 ﴿تَهْلِك عَنْ﴾ : [الحجر: ٧٠].
 ﴿وَيَنْهَى عَنْ﴾ : [النحل: ٩٠].
 ﴿وَنَهَوْا عَنْ﴾ : [الحج: ٤١].
 ﴿تَنْهَى عَنْ﴾ : [العنكبوت: ٤٥].
 ﴿وَأَنَّهُ عَنْ﴾ : [لقمان: ١٧].
 ﴿نُهِوا عَنْ﴾ : [المجادلة: ٨].
 ﴿تَهْلِكُمْ عَنْهُ﴾ : [الحشر: ٧].
 ﴿يَنْهَكُمُ اللَّهُ﴾ : [المتحنة: ٨ - ٩].

٢ - ما كان بصيغة التَّحْرِيم

نحو:

- أَمَّا ما دلَّ بصريح مادته على التَّحْرِيم فهو على النحو التالي:
- ﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ : [البقرة: ٨٥].
 ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ : [البقرة: ١٧٣]، [الأنعام: ١١٩]، [النحل: ١١٥].
 ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ﴾ : [البقرة: ١٧٣]،
 [النحل: ١١٥].
 ﴿الْحَرَامُ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ : [البقرة: ١٩٦].
 ﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ : [آل عمران: ٥٠].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ : [النساء: ٢٣] ، [المائدة: ٣].

﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ : [النساء: ١٦٠] ، [الأنعام: ١٤٦].

﴿حُرْمٌ إِنَّ﴾ : [المائدة: ١].

﴿الْحَرَامُ أَنْ﴾ : [المائدة: ٢].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ :

[المائدة: ٣].

﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ : [المائدة: ٢٦].

﴿حَرَّمَ اللَّهُ﴾ : [المائدة: ٧٢] ، [الأنعام: ١٥] ، [التوبة: ٢٩ - ٣٧ - ٣٧] ،

[الاسراء: ٣٣] ، [الفرقان: ٦٨].

﴿حُرْمٌ وَمَنْ﴾ : [المائدة: ٩٥].

﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ﴾ : [المائدة: ٩٦].

﴿حُرْمًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ : [المائدة: ٩٦].

﴿الْحَرَامَ وَالْهَدَى﴾ : [المائدة: ٩٧].

﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَى﴾ : [الأنعام: ١٣٩].

﴿وَحَرَّمُوا مَا﴾ : [الأنعام: ١٤٠].

﴿مُحَرَّمًا عَلَى﴾ : [الأنعام: ١٤٥].

﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ : [الأنعام: ١٥١].

﴿حَرَّمَ رَبِّي﴾ : [الأعراف: ٣٣].

﴿حَرَّمَهُمَا عَلَى﴾ : [الأعراف: ٥٠].

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ﴾ : [الأعراف: ١٥٧].

- ﴿الْحَرَامِ وَمَا﴾ : [الأنفال : ٣٤].
- ﴿الْحَرَامِ فَمَا﴾ : [التوبة : ٧].
- ﴿الْعَرَامِ كَمَنْ﴾ : [التوبة : ١٩].
- ﴿يُحَرِّمُونَ مَا﴾ : [التوبة : ٢٩].
- ﴿حُرْمٌ ذَلِكَ﴾ : [التوبة : ٣٦].
- ﴿الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا﴾ : [إبراهيم : ٣٧].
- ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ : [النحل : ١١٥].
- ﴿حَرَّمْنَا مَا﴾ : [النحل : ١١٨].
- ﴿وَحَرَّمْ عَلَى﴾ : [الأنبياء : ٩٥].
- ﴿حُرِّمَتْ لِلَّهِ﴾ : [الحج : ٣٠].
- ﴿وَحَرِّمَ ذَلِكَ﴾ : [التور : ٣].
- ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾ : [القصص : ١٢].
- ﴿حَرَّمَ آمِنًا﴾ : [القصص : ٥٧]، [العنكبوت : ٦٧].
- ﴿الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ﴾ : [الفتح : ٢٥].
- ﴿الْحَرَامَ إِنْ﴾ : [الفتح : ٢٧].
- ﴿شَحَرِمَ مَا﴾ : [التحریم : ١].

٣ - ما كان فيه تصريح بعدم الحل

نحو: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾

[البقرة: ٢٢٨]، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ [الأحزاب: ٥٢]. ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّوا شَعْرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرُ الْحَرَامُ﴾ [المائدة: ٢].

٤ - ما كان بصيغة من صيغ النهي

وهي: (المضارع المسبوق بلا النّاهية)، أو (فعل الأمر الدالّ على طلب الكفّ)، وذلك نحو: (دع)، و(ذر). -وقد سبق بيان ذلك مفصّلاً-...

أمّا بيان المواضع من القرآن الكريم فيأتي على النحو التالي:
أ. المضارع المسبوق بلا النّاهية:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا

مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿ [الأنعام: ١٥٢، والإسراء: ٣٤]، وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴿ [الإسراء: ٣٢].

ب. فعل الأمر الدال على طلب الكف:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨]، ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، ﴿ذَرَهُمْ فِي خُوضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢، ١٣٧]، ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنْمِرِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]، ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ﴾ [الحجر: ٣]، ﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤]، ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ [الزخرف: ٨٣]، و[المعارج: ٤٢]، ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [٥٥]، [الطور: ٤٥]. ومن ذلك أيضا قوله ﷻ: ﴿وَدَعِ أَذُنَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]^(١).

(١) و(يذر) و (يدع) فعلان مضارعان أَمَاتِ العربُ ماضيهما فلم يأتِ منهما إلا المضارع والأمر، ومعناها التَّرك وقال علماء العربية: إِنَّ كَلِمَتِي: (ذَر) و(دَع) أمران في معنى (التَّرك) إلا أَنَّ (دَع) أمرٌ للمخاطب بترك الشيء قبل العلم به، و(ذَر) أمرٌ له بتركه بعدما علمه. روي أن بعض الأئمة سأل الإمام الرَّاظي عن قوله عز وجل: ﴿أَنذَعُونَ بِمَلَأَ وَنَذَرُونَ أَحْسَنَ الْمُتَلَفِّينَ﴾ [الصافات: ١٢٥]. ولم يقل: (وَنَذَعُونَ أحسن الخالقين)، وهذا أقرب من الفصاحة للمجانسة. فقال الإمام: لأنهم اتخذوا الأصنام آلهة وتركوا الله عز وجل =

٥ - نفي البر عن الفعل

نحو: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ [البقرة: ١٨٩].

= بعدما علموا أن الله عز وجل ربهم ورب آبائهم الأولين استكباراً، فلذلك قيل في صراح اللغة. انظر: الدرر النضيد لمجموعة رسائل ابن الحفيد (ص: ٢٥٥)، وانظر: تفسير الرآزي (٣٥٨/٢٦). وفي (روح المعاني): «ولا تساعده اللغة والاشتقاق». روح المعاني (١٤٠/٣٣). وذكر الألوسي أوجهها في بيان الفرق بينهما.

انظر: روح المعاني (١٤٠/٣٣-١٤١)، وحقق ذلك الظاهر بن عاشور. انظر: التحرير والتنوير (١٦٨/٢٣). والحاصل أنه «كان من الممكن أن يُستخدَم في هذا التعبير الجنس، بأن يُقال: (تَدْعُونَ بَعْلًا وَتَدْعُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ). لكن استخدام هذا الجنس يَقُوْثُ معنى مقصوداً، والدلالة عليه أولى من الاحتفاء بمُحَسِّنٍ لفظي؛ وذلك لأن كلمة (تَدْعُونَ) تدلُّ على أن المتروك شيءٌ معتنى به، بشهادة الاشتقاق؛ إذ مادة الكلمة ليست موضوعةً لمطلق التَّرك، بل هو تركٌ مقرونٌ بالاعتناء بجال المتروك، ومنه تركُ الوديعة؛ ولذلك يُختار لها من هو مؤمَّنٌ عليها، وتودَعُ لئُستعادَ بعد حين. والمحاطبون عِبَادُ (بعل) غير مهتمين ولا معتنين بالله رب العالمين، أحسن الخالقين. بخلاف عبارة: (تَذَرُونَ) فإن مادَّتها موضوعة لمطلق التَّرك أو للتَّرك مع إعراض وإهمال وعدم اعتناء بالمتروك مطلقاً. قال الرَّاعِب (المفردات)، كتاب الخاء (ص: ٥١٨): يُقال: فلان يَذَرُ الشيء، أي: يَقْذِفُه لِقَلَّةِ الاعتداد به، ومنه (الودرة) وهي القطعة الصَّغيرة من اللَّحْم لا عظم فيها، لِقَلَّةِ الاعتداد بها. ولما كان سياق النصِّ يُناسبُه معنى: (وَتَذَرُونَ) دون (وَتَدْعُونَ) كان الاختيار القرآني مُرجَّحاً جانب المعنى على جانب المُحَسِّنِ اللَّفْظي؛ إذ حالُ المخاطبين من أهل الشُّرك والكُفر الذين كانوا يعبدون بعلا حال المذبر المتولي الذي بلغ الغاية في توليهِ عن ربِّه وما جاء به الرُّسول صلى الله عليه وسلم». البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها (٥٠١/٢-٥٠٢).

٦ - نفي الفعل

نحو: ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ﴿فَمَنْ فُضِّ فِيهِمْ الْحَجُّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿لَا تُضَاكَّرُ وَلِدَةً يُولَدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

٧ - ذكر الفعل مقرونا باستحقاق الإثم

نحو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ [البقرة: ١٨١]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]^(١).

٨ - ذكر الفعل مقرونا بوعيد

نحو: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

(١) وقد وردت مادة (الإثم) في القرآن الكريم على النحو التالي: (بالإثم والعُدْوَانِ): [البقرة: ٨٥]، [المجادلة: ٨، ٩]، (إِثْمُهُ عَلَى): [البقرة: ١٨١]، (إِثْمٌ عَلَيْهِ): [البقرة: ١٧٣، ١٨٢، ٢٠٣]، (إِثْمٌ كَبِيرٌ): [البقرة: ٢١٩]، (وَإِثْمًا مُّبِينًا): [النساء: ٢٠، ١١٢]، [الأحزاب: ٥٨]، (إِثْمًا مُّبِينًا): [النساء: ٥٠]، (إِثْمًا فَإِنَّمَا): [النساء: ١١١]، (لِإِثْمٍ فَإِنَّ): [المائدة: ٣] [الإثم والعُدْوَانِ]: [المائدة: ٢، ٦٢]، وما يعيننا هنا (ذكر الفعل مقرونا باستحقاق الإثم). وسيأتي ما يتعلق (بنفي الإثم عن الفعل).

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِئَةِ ﴿البقرة: ٢٧٥﴾، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾
[التوبة: ٣٤]، ﴿يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ
وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾
[التوبة: ٣٥].

٩ - وصف الفعل بأنه شرٌّ

نحو: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ
بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

١٠ - إطلاق الخبر وإرادة النهي

كقوله ﷻ: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣]. ومعناه: (لا
تعبدوا)، بدليل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ .
وقوله ﷻ: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾
[البقرة: ٨٤]، أي: (لا تسفكوا ولا تخرجوا)^(١).
وقوله ﷻ: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢]،
أي: (لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله ﷻ)^(٢).

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٨)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج
(١٦٤/١-١٦٥). وينظر: تفسير الطبري (١/٣٩٨)، تفسير ابن عادل (٢/٢٤٥).

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٨)، البرهان في علوم القرآن (٢/٢٩١)،
وينظر: الكشف (١/٣٩٧)، والبيضاوي (١/٥٧٢)، التحرير والتنوير (٣/٧٢).

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] على قراءة الرفع^(١)، أي: (لا ترفثوا ولا تفسقوا)^(٢).
ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، أي: (لا يمسسه).

١١ - ترتيب وصف بغض شنيع على ترك الفعل

نحو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، رتب وصفا شنيعا على ترك الفعل كأنه يقول: (توبوا ولا كنتم ظالمين)...

١٢ - التجوز بلفظ النهي عن أشياء ليست مرادة بالنهي،

وإنما المراد بها ما يقاربها أو يلزمها، أو تكون مسببة عنه
وقد ذكر أمثلة على ذلك الإمام العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ في كتابه (الإشارة إلى الإيجاز...)، وأذكر من ذلك:

(١) «واختلفوا في قوله عز وجل: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ في نصب الناء والقاف بغير تنوين، وضمهما مع التنوين. فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ -بالضَم- فيهما والتنوين -وقرأ الباقر: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ -بالنصب بغير تنوين-. ولم يختلفوا في نصب اللام في: ﴿جِدَالَ﴾ من قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ في نفس الآية. السبعة في القراءات (ص: ١٨٠)، وانظر: حرز الأمان (ص: ٧٤)، والحة في القراءات السبع (ص: ٩٤)، زاد المسير (١/ ٢١٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٤٠٩)، (٤/ ١٤٠)، روح المعاني (٢/ ٨٦)، تفسير الواحدي (١/ ١٥٧)، البغوي (١/ ٤٥)، (١/ ١٧٣)، فتح القدير (١/ ٣٦٣).

قوله ﷻ: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]^(١)، «نهى عن البيع في اللفظ، وهو مباح، وإرادة ما يلزم عنه من ترك السعي الواجب. وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، النهي عن الموت نفسه لا يصح؛ لأنه ينافي التكليف، لكنه تجوز به عما يقاربه من الكفر، فكأنه قال: (لا تكفروا عند موتكم). ومن ذلك: (لا أرينك ههنا)، معناه: لا تحضرن فأراك، فتجوز برؤيته عن سببها، وهو الحضور»^(٢).

١٣ - التجوز بالنهي لمن لا يصح نهيه، والمراد به من يصح نهيه

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿لَا يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: ١٩٦].
النهي في اللفظ للتقلب، والمراد النهي عن الاغترار بالتقلب^(٣)، أي: إن النهي في الظاهر موجه إلى القلب، ولكن المقصود النهي عن لازم ذلك الإسناد وهو الاغترار لمظاهر الحياة. ونظيره كثير في كلام العرب كقولهم: (لا أرينك ههنا). وقد سبق ترجيح أن الخطاب هنا لكل من سمعه، فيكون المعنى: لا يغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد. وكثيراً ما يخاطب سيد القوم بشيء ويراد أتباعه.

(١) وتام الآية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا

الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٨).

(٣) المصدر السابق (ص: ٢٩).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]. النهي للخرج في اللفظ، والرسول ﷺ منهى عن ضيق صدره عن الصبر بسبب تكذيبه، أو بسبب إبلاغه، أو يجوز بالخرج عن الشك؛ لأنه مما يضيق الصدر، وتجاوز الصدر عن القلب فيكون من مجاز الملازمة^(١).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]. النهي لضمير الفتنة في اللفظ، والمعنى: ولا تتعرض لإصابة الفتنة إياكم بسبب تقريرها، وترك نكيرها، والتقدير: واتقوا تقرير فتنة لا تصيب عقوبتها وشؤمها ووبالها الذين ظلموا منكم خاصة^(٢).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَلَا تَقَدْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ﴾ [الكهف: ٢٨]. النهي في اللفظ للعينين، والمراد بذلك ذو العينين، أي: لا تنظر إلى غيرهم، وإسناد الإرادة إلى العينين مجازاً، وتوحيد الضمير للتلازم^(٣). يعني أنه وحّد

(١) المصدر السابق (ص: ٢٩).

(٢) وهذا المعنى من المعاني الجليلة التي قد ذكرها العز بن عبد السلام - رحمه الله - في الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٩).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود (٢١٩/٥)، كذلك في (فتح القدير) (٤٠١/٣)، وانظر: البحر المحيط (٩٣/٣). ويوضح ذلك من كلام العرب ما قاله امرؤ القيس يصف قبراً:

الضَّمير في ﴿تُرِيدُ﴾ ، ولم يقل : (تريدان) ؛ لأنَّ نظر كلا العينين يكون إلى شيء واحد.. فهو باعتبار المنظور.

وقد بيَّن العلامة محمد الطَّاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ المَراد حيث قال : «نَهَى العينين عن أَنْ تَعْدُوا عن الَّذِينَ يدعون ربهم، أي: أَنْ تُجاوزاهم، أي: تَبْعِدَا عنهم. والمقصود: الإعراض، ولذلك ضُمِّن فعل (العَدُو) معنى: الإعراض^(١)، فَعُدِّي إلى المفعول بـ: (عن)،

(لَمَنْ زُحْلُوقة زل بها العَيْنَان تَنْهَل) [من الهزج]

انظر: تاج العروس، مادة: (زلل) (١٢٩/٢٩)، ولسان العرب، مادة: (ألل) (١١/٢٣)، ومادة: (زلل) (١١/٣٠٦). و(الزحلوقه) آثار ترج الصَّبيان من فوق إلى أسفل و(أهل العالية) يقولون: (زحلوقه) -بالفاء- وتميم يقولون: (زحلوقه) -بالقاف-. والشَّاهد أنَّه أخبر عن العينين بما يكون خبراً عن الواحد. فقال: (تنهل)، وكان حقه أن يقول: (تنهلان) لكن العلة ما قدَّمت. انظر: خزانة الأدب (١٩٥/٥)، (٥٢٢/٧)، (٥٢٤/٧)، الصَّحاح، للجوهري، مادة: (زلل) (١٧١٧/٤).

(١) (التَّضمين): هو تضمينُ كلمةٍ معنى كلمةٍ أخرى، وجعلُ الكلام بعدها مَبْنِيًّا على الكلمة غير المذكورة، كالتَّعدية بالحرف المناسب لمعناها، فتكون الجملة بهذا التَّضمين بقوة جملتين، دلَّ على إحداها الكلمة المذكورة التي خُذِفَ ما يَتعلَّقُ بها، ويُقدَّرُ معناه ذهناً، ودلَّ على الأخرى الكلمة التي جاءت بعدها المتعلِّقة بالكلمة المحذوفة الملاحظُ معناها ذهناً. وهذا التَّضمين فنٌّ رفيعٌ من فنون الإيجاز في البيان، وهو لا يخضع لقواعد الاستعمالات العربية الجامدة التقليدية، التي قد يتقيَّد بها النُّحاة، بل هو مُخْتار ابتكارِيٌّ يلاحظه البليغ، إذ يرى فِعْلَيْن مُتَقَارِبَيْن، أو نَحْوَهُما، وهو يريد استعمالَ كُلِّ منهما في كلامه، وهذا يقتضي منه أن يصوِّغَهُما في جُمْلَتَيْن، ويُعْطِي كُلًّا مِنْهُما تعديته التي تلائمها، لكنَّه يرى ما هو أبْدَعُ من ذلك وأخْصَرُ، وأرفع أسلوباً في أداء بيانيٍّ جميل، يُحرِّكُ ذهنَ المتلقِّي لفهمه، ويُعْجِبُ لماحي الذِّكاء من البلقاء، وهو أن يَخْتارَ أحدَ الفِعْلَيْنِ بِنَيْيَّةٍ، فيذكرُه بلفظه، ثم يأتي بما يتعدَّى إليه الفعل الآخر، أو يَعْمَلُ فيه، فيذكرُه، ويَحْدِفُ مَعْمُولَ الفِعْلِ الَّذِي ذَكَرَهُ، إذا كان له معمول، سواء

وكان حقّه أن يتعدّى إليه بنفسه. يقال: عداه، إذا جاوزه^(١). ومعنى نهى العينين نهى صاحبهما، فيؤول إلى معنى: ولا تعدّي عينيك عنهما. وهو إيجاز بديع^(٢).

أقول: يعني أنّ الخطاب موجّه إلى العينين، والمراد صاحب العينين -كما أسلفت-. ولو أنّه قال: ولا تعدّي عينيك عنهما لكان الخطاب موجّها لصاحب العينين، ولكان النّص قد فقّد بلاغة الإيجاز، وروعة المجاز. ولا يخفى ما في الآية من بلاغة التّضمين لما قدّمت. ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢].

أكان مفعولا به، أم غير ذلك، ويستغني بذكر جملة واحدة عن جملتين. ولدى تحليل التّضمين يظهر لنا أنّه صنف من أصناف الحذف الذي يترك في اللفظ ما يدلّ عليه. فالفعل المذكور يدلّ بحسب تعديته العربيّة على معموله المحذوف، والمعمول المذكور مع قرائن النّص يدلّ على عامله المحذوف، ويتّضح عن ذلك أداء موجز بليغ، اعتمد على أسلوب بياني ذكي. ولا بدّ أن نذكر أنّ مثل هذا الإجراء البياني لا يستقيم بين كلّ فعلين أو ما يعمل عملهما، حتّى يطبّق بغيا، سواء استقام الأداء البياني أم لم يستقم، بل يحتاج من البليغ رؤية فنيّة بيانيّة، يصل بها إلى أنّه لو استخدم هذا الأسلوب في جمليته لأدركه البُلغاء والأذكىاء، دون إعانات ذهنيّة، ويذكره الآخرون بالتدبّر والتأمل. فمثلا: أريد أن أقول: جلّست على فراشي، وأملت جسمي إلى متّكئي، فأختصر الكلام فأقول: جلّست إلى متّكئي. ومثل هذا الإيجاز القائم على الحذف والإيصال، أسلوب ينهجه بلغاء العرب، وتقدير الكلام: جلّست مائلا إلى متّكئي. البلاغة العربيّة أسسها وعلموها وفنونها (٢/٤٩-٥٠)، وانظر: البرهان في علوم القرآن (٣/٣٣٨-٣٣٩)، (٣/٣٤٣)، وانظر: لسان العرب، مادّة: (ضمن) (١٣/٢٥٧).

(١) يعني أنّه لم يقل: ولا تعدهم عينك.

(٢) التّحرير والتّنوير (١٥/٣٠٥). وقد ذكر الآلوسي رحمه الله قريبا من ذلك في (روح المعاني) (١٥/٢٦٣)، مع تحقيق ما قيل في ذلك.

من ذلك قوله ﷻ:

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣]، و[فاطر: ٥].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩].

النهي في اللفظ للأموال والأولاد، وفي المعنى لذوي الأموال والأولاد^(١).

١٤ - التَّجَوُّزُ بِنَهْيٍ مِنْ يَصْحُ نَهْيُهُ وَالْمَنْهِيُّ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُهُ

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿لَا يَفْنَىٰ عَنْكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧]. معناه: (لا تفتتن بفتن

الشَّيْطَانِ إِيَّاكُمْ) .

وقوله ﷻ: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾

[الأعراف: ١٠٥]، فضمَّن (حقيق) معنى: حريص؛ ليفيد حرصه على ذلك، وكونه حقيقاً به، فعدها تعدية حريص.

ومثاله في الأفعال:

﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣]. ضمَّن (أخبتوا) معنى: تابوا

وأنابوا، فعدها ب: (إلى)؛ ليفيد أنهم جمعوا بين التَّوْبَةِ والتَّوَاضَعِ .

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ [طه: ١٦].

معناه: (فلا يصدن) .

(١) بتصرف عن الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٩).

- ﴿فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾ [الحج: ٦٧]. أي: (فلا تنازعهم في الأمر) أو (فلا تسمعن نراعههم) .
- ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ﴾ [النمل: ١٨]. معناه: (لا تلبثن فيحطمونكم).
- ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [القصص: ٨٧]. معناه: (ولا يصدن عن آيات الله بسبب صدهم إياك).
- ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]. معناه: (ولا تستخفن لهم).
- ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣، فاطر: ٥] معناه: (ولا تغتررن بغروره) .
- ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الزخرف: ٦٢] معناه: (ولا تصدن بصد الشيطان إياكم)»^(١).

١٥- النهي لوصف منفك عن الفعل، ومجاور له

نحو:

- ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فلا يفقد سببته للحكم فيترتب عليه حكمه كما يترتب على الفعل.



(١) بتصرفٍ عن (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز) (ص: ٢٩-٣٠) .

المطلب الثالث أساليب الطلب التي يراد بها الإباحة

● ويتضمَّن:

- ١ - لفظ الحلّ مسندًا إلى الفعل، أو متعلِّقًا به.
- ٢ - نفي الإثم.
- ٣ - نفي الجناح.
- ٤ - ما اختلف في دلالته على الإباحة، وهو (الأمر بعد الحظر).

ولا بدَّ في البداية من بيان المراد من الإباحة، وأنها ترك الأمر للمكلف، إن شاء فعل، وإن شاء ترك.

أمَّا ما يدلُّ على الإباحة فإنه يأتي على النحو التالي:

١ - لفظ الحل مسندًا إلى الفعل، أو متعلقًا به

نحو:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]،
 ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُتُ وَمَا
 عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤]، ﴿الْيَوْمَ
 أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾
 [المائدة: ٥]، الآية. ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْغِيَارَةِ﴾
 [المائدة: ٩٦].

فإنَّ المباح هو الفعل الذي خيَّر الشارعُ المكلفَ بين الإتيان به، وعدم الإتيان، وذلك كالأكل من طعام أهل الكتاب المدلول على إباحته بقوله ﷻ في الآية السابقة: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾.

٢ - نفي الإثم

نحو:

﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]،

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

٣ - نفي الجناح

فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ. فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٩].

وانظر الآيات التالية التي ورد فيها (نفي الجناح):

[البقرة: ١٥٨ - ١٩٨ - ٢٢٩ - ٢٠٣ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٤٠ - ٢٨٢]، [النساء: ٢٤ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٢٨]، [المائدة: ٩٣]، [النور: ٢٩ - ٥٨ - ٦٠ - ٦١]، [الأحزاب: ٥ - ٥١ - ٥٥]، [المتحنة: ١٠].

٤ - ما اختلف في دلالة على الإباحة

أما ما قد اختلف في دلالة على الإباحة فهو (الأمر بعد الحظر)، فقد اختلف الأصوليون في موجب صيغة الأمر الواردة بعد التحريم، هل هو للإباحة أو الوجوب؟ والمسألة مبسطة في كتب الأصول^(١)،

(١) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (١١١/٢) فما بعد، التحيير شرح التحرير (٢٢٤٦/٥) فما بعد، القواعد والفوائد الأصولية، للبعلي (ص: ١٦٣ - ١٦٩)، الإحكام، لابن حزم (٣/٣٣٣)، البرهان في أصول الفقه (١/١٨٨)، التبصرة (ص: ٣٨ - ٤١).

وأبرز هنا ما له صلة بالإباحة، وأشيرُ إلى غيره إشارة^(١).
 فالجمهور^(٢) أنه يقتضي الإباحة، وهو الذي يعيننا هنا..
 واستدلوا بأنَّ هذا هو الغالب في استعمال الشرع غلبةً جعلت
 المتبادر إلى الأذهان من ورود صيغة (الأمر بعد الحظر) على لسان
 الشرع إنما هو للإباحة، فأصبح (الأمر بعد الحظر) (حقيقةً عرفيةً)^(٣)،
 أي: في عُرفِ الشرع.

والشاهد على أنَّ الغالب في استعمال الشرع لصيغة (الأمر بعد
 الحظر) إنما هو استعمالها في التَّخيير بين الفعل والتَّرك كما في قوله
 ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
 فَانْتَشِرُوا﴾ [الجمعة: ١٠]، ﴿فَاعْتَرِلُوا الْبَسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى
 يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]،.. فالأمور به
 بعد الحظر في هذه الآيات فيه التَّخيير بين الفعل والتَّرك، ولم أقف على حظرٍ

(١) ومنهم من قال: إنه للوجوب، وهو قول عامة الحنفية والإمام الرَّاзи، والمعتزلة والباقلاني
 من الشَّافعية. وقد استدلوا بأنَّ الأدلة الدالة على أنَّ الأمر حقيقة في الوجوب لم تفرق بين أمر
 وارد بعد حظر، وبين أمر لم يرد بعد حظر، وبأنَّ المقتضى للوجوب موجود، وهو الصيغة،
 ولا مانع هنا من ترتبه عليها، فإنه كما يمكن الانتقال من التحريم إلى الإباحة كذلك يمكن
 الانتقال من التحريم إلى الوجوب. وإذا وجد المقتضى من غير مانع وجب القول به. انظر:
 تفسير القرطبي (٤٤/٦)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١١٢/٢-١١٦)، التَّخيير
 (٢٢٥٢-٢٢٥٣)، المحصول (١٥٩-١٦٢)، تيسير التحرير (٣٤٥/١).

(٢) وهو مذهب أحمد، ومالك، وأصحابهما، والشَّافعي، والأكثر. التَّخيير شرح التحرير في
 أصول الفقه (٢٢٤٦/٥).

(٣) سيأتي بيان الحقيقة الشرعية والحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية (ص: ٨٧٣).

ورد بعده أمرٌ يفيد الإيجاب إلا في موضعين^(١):

﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥] الآية، فإنه للوجوب..

وقول النبي ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش^(٢): «إذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدَّم، ثمَّ صلي»^(٣).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ «الَّذِي يَظْهَرُ لِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ هُوَ مَا يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ أَنَّ الْأَمْرَ بَعْدَ الْحَظَرِ يَدُلُّ عَلَى رَجُوعِ الْفِعْلِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ الْحَظَرِ، فَإِنْ كَانَ قَبْلَهُ جَائِزًا رَجَعَ إِلَى الْجَوَازِ، وَإِنْ كَانَ قَبْلَهُ وَاجِبًا رَجَعَ إِلَى الْوَجُوبِ.

فَالصَّيْدُ مِثْلًا كَانَ مَبَاحًا، ثُمَّ مَنَعَ لِلْإِحْرَامِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ عِنْدَ الْإِحْلَالِ، فِيرْجَعُ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ التَّحْرِيمِ. وَقَتْلُ الْمُشْرِكِينَ كَانَ وَاجِبًا، ثُمَّ مَنَعَ لِأَجْلِ دُخُولِ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ عِنْدَ انْسِلَاخِهَا فِي قَوْلِهِ ﷺ

(١) انظر: الموجز في أصول الفقه (ص: ١٠٠).

(٢) هي فاطمة بنت أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشيَّة الأَسَدِيَّة، ثبت ذكرها في الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي حَبِيشَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرَأَةٌ اسْتَحَاضَ فَلَا أَطْهَرُ، أَفَادَعُ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: «لَا إِنَّمَا ذَلِكَ عَرَقٌ، وَلَيْسَتْ الْحَيْضَةُ». الْحَدِيثُ. وَرَوَاهُ الْمُنْذِرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَبِي حَبِيشَ. وَفِي لَفْظٍ: عَنْ فَاطِمَةَ. وَفِي لَفْظٍ: حَدَّثَنِي فَاطِمَةُ حَدِيثَهُ. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَانِي، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَشْهُورُ. الْإِسَابَةُ (٦١/٨)، وَانْظُرْ: الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى، لِابْنِ سَعْدٍ (٢٤٥/٨)، الْكَاشِفُ، لِلذَّهَبِيِّ (٥١٥/٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [٢٢١]، [٢٩٥]، [٣٠٩]، [٣١٤]، وَمُسْلِمٌ [٥٠١]، [٥٠٢].

﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ الآية، فيرجع إلى ما كان عليه قبل التَّحريم. وهكذا. وهذا الذي اخترنا. قال به بعض الأصوليين^(١)، واختاره ابن كثير في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾^(٢).

وإلى هذه الأقوال في هذه المسألة أشار في (المراقي) بقوله:
 (والأمر للوجوب بعد الحظ)^(٣) ويعد سؤال قد أتى للأصل
 (أو يقتضي إباحة في الأغلب) إذا تعلق بمثل السبب
 (إلا فذي المذهب والكثير) له إلى إيجابه مصير^(٤).



(١) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (١١٣/٢)، التَّحْيِير (٢٢٥١/٥)، القواعد والفوائد الأصولية، للبعلي (ص: ١٦٥)، المسودة (ص: ١٦).

(٢) انظر ما قاله الحافظ ابن كثير في (تفسيره) (٢٦١/١)، (٦/٢). مذكرة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ص: ١٩٢-١٩٣).

(٣) (الحظ) معناه: المنع، وهو يفيد معنى الحظر، ولكنه أنسب للقافية. انظر في بيان معنى: (الحظ): الإتيان، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ص: ٧٧)، الصَّحاح، مادة: (حظ) (٤/١٦٧٠)، المحكم والمحيط الأعظم، (٢٨٣/٣)، لسان العرب (١١/١٥٥).

(٤) مراقي السُّعود، رقم [٢٧٢]، [٢٧٣]، [٢٧٤]، (ص: ٣٨-٣٩)، انظر: نشر البنود على مراقي السُّعود (١٦٣-١٦٤)، وانظر: نشر الورود على مراقي السُّعود من (١/١٩٥)، إلى (١/١٩٧)، وكذلك أورد ذلك الشيخ محمد الأمين في (أضواء البيان) (١/٣٢٧).

المبحث الثالث

الاستفهام والسؤال والدُّعاء
والتمني والترجّي والعرض والتّحضيض
في القرآن الكريم

وفي بداية هذا المبحث توطئة تتضمّن:

أولاً: الصّلة بين الاستفهام وموضوع البحث.

ثانياً: تعريف الاستفهام.

ثالثاً: أهميته.

رابعاً: فائدة الاستفهام.

خامساً: وظيفتا الاستفهام.

سادساً: أنواع الاستفهام.

أمّا المطالب في هذا المبحث فهي على النّحو التّالي:

المطلب الأول: استفهام الإنكار في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: استفهام التّقرير في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: خروج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي.

المطلب الرابع: أدوات الاستفهام.

- المطلبُ الخامس: السؤال من حيث عموم معناه.
- المطلبُ السادس: الدُّعاء في القرآن الكريم.
- المطلبُ السابع: التَّمني والتَّرجي في القرآن الكريم.
- المطلبُ الثَّامن: العرض والتَّحضيض في القرآن الكريم.



وبيان ذلك على النحو التالي:

● توطئة

وتتضمن:

أولاً: الصلة بين الاستفهام وموضوع البحث

لا بدّ أولاً من بيان صلة هذا المبحث الوثيقة بالموضوع. أمّا صلته بموضوع البحث فإنّه استكمال لجوانبه المتعدّدة، وذلك من حيث اشتماله على صيغة من صيغ الخطاب المباشرة، وهي التي قد اصطُلحت على أنّها من الخطاب القرآني من حيث معناه الأخص، وهو في اصطلاح البلاغيين من موضوعات الإنشاء الطلبي، ولا بدّ من بيان أهميّة استقلال كلّ موضوع منها بالدراسة والبحث. هذا بالنسبة إلى صلة هذا المبحث بموضوع البحث، أمّا صلته بما سبقه من موضوعات فهي واضحة. فقد سبق الحديث عن الأمر والنهي.. وهما من الإنشاء الطلبي، فكذلك الاستفهام..

ثانياً: تعريف الاستفهام

(الاستفهام) لغة: مصدر استفهمت، أي: طلبتُ الفهم. يقول ابنُ منظور: «وأفهمه الأمر، وفهمه إِيَّاه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشّيء فأفهمته وفهمته وفهمته تفهيمًا»^(١).

(١) لسان العرب: مادة: (فهم) (٤٥٩/١٢). وانظر: المحكم والمحيط الأعظم، مادة: (فهم) (٣٣٨/٤).

ويقال: «استفهم من فلان عن الأمر»: طلب منه أن يكشف عنه،
و(الفهم) حسن تصوّر المعنى وجودة استعداد الذهن للاستنباط^(١).
و(الاستفهام) اصطلاحًا: طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من
قبل، بإحدى أدوات الاستفهام^(٢). والسين والتاء فيه للطلب، أي:
طلب الفهم.

وقيل: الاستفهام استعلام ما في ضمير المخاطب. وقيل: هو طلب
حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة إذعان وقوع
نسبة بين الشئين أولًا وقوعها فحصولها هو التصديق وإلا فهو
التصور^(٣).

ويأتي الاستفهام بمعنى الاستخبار الذي هو طلب خبر ما ليس عندك.
ومنهم من فرق بينهما بأن الاستخبار ما سبق أولًا، ولم يفهم حقّ الفهم،
فإذا سألت عنه ثانيًا كان استفهامًا حكاه ابن فارس في (فقه العربية)^(٤).

(١) المعجم الوسيط، مادة: (فهم) (٢/٧٠٤).

(٢) قال الأخفش في قوله ﷻ: «إِذَا يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» [آل عمران: ٤٤]؛
لأن كل ما كان من طلب العلم فقد يقع بعده الاستفهام. تقول: (أزَيْدٌ فِي الدَّارِ؟) وَتَعْلَمَنَّ
أَزَيْدٌ فِي الدَّارِ. وقال ﷻ: «لَتَعْلَمَنَّ أُمَّ الْيَرْبِئِينَ» [الكهف: ١٢]، أي: لننظر. وقال ﷻ:
«يَسْأَلُكُمْ أَتُكُونُ أَحْسَنَ عِبَادًا» [الملك: ٢]. معاني القرآن الكريم، للأخفش (ص: ٣٤١)،
وانظر: كتاب الكليات (١/١٠٦).

(٣) انظر: شروح تلخيص المفتاح (٢/٢٤٦). سيأتي قريبًا بيان معنى كل من (التصور)
و(التصديق) مفصلاً . .

(٤) انظر: فقه العربية، لابن فارس (ص: ١٥١-١٥٢)، البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٦)،
الإتقان (٢/٢١١، ٢١٢، ٢١٧).

ثالثًا : أهميته

إنَّ الاستفهام من أكثر الوظائف اللُّغويَّة استعمالًا؛ لأنَّ الاتِّصال الكلامي يكاد يكون حوارًا بين مستفهم ومجيب، والاستفهام طلبُ الفهم - كما تقرّر-، ومن ثمَّ فإنَّ جملة الاستفهام جملة طلبية. والاستفهام في حقيقته أسلوبٌ حوارِيٌّ تداوليٌّ، من عناصره: سائلٌ ومسؤولٌ وتعبير لغويٌّ موجَّهٌ بأداة استفهام.

فإذا توفّرت الأركان الثلاثة بشروطها ومواصفاتها المذكورة فذلك الاستفهام الحقيقي.

وإذا غاب ركنٌ أو غاب القيد الوصفيُّ للركن فذلك مؤشِّرٌ على كون المراد غير الاستفهام، فيبحث عن المراد في قرائن السِّياق كالتَّعجب أو السُّخرية أو التَّمني أو التَّوبيخ أو الإرشاد.. إلخ، هذه المعاني أو الأغراض المختلفة يسمِّيها الآخرون: الاستلزام الحوارِيُّ للاستفهام أو خروج الاستفهام عن مقتضاه بتعبير الأوّلين - وسيأتي بيان ذلك-.

ويعرف بالاستفهام ماهيَّة الشيء المسؤول عنه، أو معرفة علته، أو تمييز ما عرف منه على وجه الإجمال^(١).

رابعًا : فائدة الاستفهام

«الأولى : ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب

(١) انظر: النُّجاة (ص: ١٠٥-١٠٦)، المستصفى (١/ ١٢-١٣)، وروضة الناظر (ص: ١٠)، طرق الاستدلال ومقدماتها (ص: ١٦٤).

الله ﷻ على معنى أنَّ المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النَّفي حاصل، فيستفهم عنه نفسه تخبره به؛ إذ قد وضعه الله ﷻ عندها، فالإثبات كقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، والنَّفي كقوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]، [الأنبياء: ١٠٨]، ومعنى ذلك: أنَّه قد حصل لكم العلم بذلك تجلدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه، فإنَّ الرَّبَّ ﷻ لا يستفهم خلقه عن شيء، وإنما يستفهمهم ليقرَّهم ويذكرهم أنهم قد علموا حقَّ ذلك الشيء، فهذا أسلوبٌ بديع انفرد به خطاب القرآن، وهو في كلام البشر مختلف.

الثانية: الاستفهام إذا بني عليه أمر قبل ذكر الجواب فهم ترتب ذلك الأمر على جوابه، أيَّ جوابٍ كان؛ لأنَّ سبقه على الجواب يشعر بأنَّ ذلك حال من يذكر في الجواب؛ لثلا يكون إirاده قبله عبثًا، فيفيد حيثنَّ تعميمًا، نحو: (مَنْ جَاءَكَ فَأُكْرِمَهُ؟) -بالنَّصب-^(١)، فإنَّه لما قال قبل ذكر جواب الاستفهام (أُكْرِمَهُ) علِّم أنه يكرم من يقول المجيب: إنَّه جاء، أيَّ جَاءَ كان، وكذا حكم (مَنْ ذا جاءَكَ أُكْرِمَهُ؟) -بالجزم-.

الثالثة: قد يخرج الاستفهام عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام^(٢) -وسيأتي بيان ذلك-.

(١) الفاء في (فَأُكْرِمَهُ) منصوب بأن المضمر بعد فاء السببية التي تقدمها طلب، وهو الاستفهام.

(٢) بقليل من التصرف عن (البرهان في علوم القرآن) (٢/٣٢٧-٣٢٨)، الإتيان (٢/٢١٢).

خامساً : وظيفتا الاستفهام

وللاستفهام وظيفتان^(١):١ - طلب التصديق^(٢):

وهو الذي يسأل عن الجملة التي بعد كلمة الاستفهام، أصادقة هي أم غير صادقة؟ ولذلك يجاب عنها بـ: (نعم) أو (لا).
ويستعمل في هذه الجملة حرفان: (الهمزة - وهل).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن الكريم (٤/٣٤٧)، بصائر ذوي التمييز (٣/٣٠٦)، التعريفات (ص: ٣٧)، الكليات (ص: ١٣٥، ٢٦٠، ١٥٣٥)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣١).

(٢) التصديق هو: الاعتراف والاقرار. انظر: روح المعاني (١/١١٠)، تفسير أبي السعود (١/٣٠)، وتفسير البيضاوي (١/١٠٦)، وفي (اصطلاح المنطقيين): إدراك وقوع النسبة بين الموضوع والمحمول نفيًا أو إثباتًا، كإدراك وقوع القيام في قولنا: (زيد قائم)، أو عدم وقوعه في قولنا: (زيد ليس بقائم). انظر: شرح الكوكب المنير (١/٥٨)، إيضاح المبهم (ص: ٦)، طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين (ص: ٣٣). وعبر كثير من العلماء عن ذلك بالإذعان، فقالوا: العلم إن كان إذعانًا للنسبة فتصديق. والمقصود بالإذعان إدراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها على وجه الجزم أو الظن. انظر: التذهيب بحاشية التجريد الشافي، للدردير (ص: ٢٩-٣٠)، طرق الاستدلال (ص: ٣٣)، ونص صاحب (الرسالة الشمسية) (ص: ٧) على أن التصديق: (تصور معه حكم، وهو إسناد أمر إلى أمر آخر إيجابًا أو سلبيًا). وتوضيحًا لذلك نذكر أن قولنا: (علي شاعر) وتصور النسبة بينهما، وهي تعلق المحمول بالموضوع، وتصور وقوعها، فالتصديق هو التصور الرابع، والثلاثة قبله شروط له. ويرى بعض العلماء أن التصديق هو التصورات الأربعة. وبعض العلماء يسمي التصور معرفة، والتصديق علمًا، ومنهم من يسمي التصور مفردًا، والتصديق جملة. انظر: إيضاح المبهم (ص: ٦٠)، المستصفي (١/١١)، روضة الناظر (ص: ٩)، طرق الاستدلال (ص: ٣٤). وسيأتي مزيد من البيان.

٢ - طلب التَّصَوُّر^(١):

(١) التَّصَوُّر في اللُّغة: هو تخيُّل الشَّيء واستحضار صورته في الذَّهن أو العقل. وفي (اصطلاح المناطقة): (إدراك معنى المفرد). وهذا التَّصَوُّر مجرَّد عن الحكم، كتصوُّر (الإنسان) من غير حكم عليه بنفي أو إثبات، وذلك بأن ترتسم صورة منه في الذَّهن يتميَّز بها عن غيره، ويطلق عليه: (التَّصَوُّر السَّاذج). ويستوي في ذلك ما لو أدرك الموضوع وحده، أو المحمول وحده، أو أدركا معا من دون حكم. انظر: الفائق في أصول الفقه (١/١٥٣)، طرق الاستدلال (ص: ٣٣). ومن العلماء من يرى أنَّ إدراك النسبة، ولو من غير إذعان، أي: إدراك وقوعها أو عدمه من باب التَّصديق. انظر: المستصفى (١/١١)، روضة الناظر (ص: ٩)، طرق الاستدلال (ص: ٣٣). والخلاصة أنَّ التَّصَوُّر هو إدراك معنى مفرد، مثل: (كتاب، محمَّد، طالب)، والإدراك: إحاطة الشَّيء بكماله، والتَّصديق إدراك النسبة بين المسند والمسند إليه، أو بين الموضوع والمحمول، فإنَّ إدراك الماهية من غير حكم عليها يسمَّى تصوُّراً، وهو حصول صورة الشَّيء في الذَّهن، ومع الحكم يسمَّى تصديقاً، فالأوَّل ساذج، أي: مشروط فيه عدم الحكم، والثَّاني مشروط فيه الحكم. وإنما سميَّ التَّصَوُّر تصوُّراً؛ لأخذه من الصُّورة؛ لأنَّه حصول صورة الشَّيء في الذَّهن، وسميَّ التَّصديق تصديقاً؛ لأنَّ فيه حكماً يصدَّق فيه أو يكذَّب، سميَّ بأشرف لازمي الحكم في النسبة. قال ابن مفلح: وقسَّم المنطقيون العلم إلى: علم بمفرد يسمَّى: تصوُّراً، كالعلم بمعنى: الإنسان والكتاب، وعلم بنسبة يسمَّى تصديقاً، وهي: إسناد شيء إلى آخر بالنفي أو الإثبات، بمعنى إيقاعها أو انتزاعها، وهو الحكم. كالحكم بأنَّ الإنسان كاتبٌ أو لا.

وأما بمعنى: حصول صورة النسبة في العقل، فإنَّه من التَّصَوُّر. الكوكب المنير شرح مختصر التَّحْزِير (١/٥٨)، التَّحْزِير (١/٢١٤)، (١/٢١٦)، دستور العلماء (١/٧٢)، البهجة في شرح التُّحْفَة (٢/١٠٣)، شرح السلم، للملَوِّي، مجاشية الصَّبَّان (ص: ٤٥)، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (١/٢٨٣)، شروح تلخيص المفتاح (٢/٢٦٤). والحاصل أنَّنا إذا قلنا: (زيد قائم)، فقد اشتمل قولنا على تصوُّراتٍ أربعة: ١- تصوُّر الموضوع، وهو زيد. ٢- تصوُّر المحمول، وهو قائم. ٣- تصوُّر النسبة بينهما، وهو تعليق المحمول بالموضوع، أي: تصوُّر قيام زيد. ٤- تصوُّر وقوعها: أي: تصوُّر وقوع القيام من زيد. فالتَّصَوُّر الرَّابِع يسمَّى تصديقاً، والثَّلاثة قبله شروط له.

وتستخدم فيه الهمزة، وبقية كلمات الاستفهام، ولا يسأل هنا عن صدق الجملة، وإنما عن تصور المستفهم عنه^(١).

سادساً : أنواع الاستفهام

ينقسم الاستفهام إلى نوعين:

أ - الاستفهام المثبت.

ب - الاستفهام المنفي.

ولا فرق بين النوعين، إلا أنَّ الأوَّل يخلو من أحرف النفي، والثاني يكون منفيًا.

والوارد للنفي يسمَّى (استفهام إنكار)، والوارد للإثبات يسمَّى (استفهام تقرير)؛ لأنَّه يطلب بالأوَّل إنكارُ المخاطب، وبالثاني إقراره به^(٢).



= انظر: إيضاح المبهم (ص: ٦)، تحرير القواعد المنطقيَّة، للرازي (ص: ٨) وما بعدها، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (٢٨٣/١). وسيأتي مزيد من البيان.

(١) انظر: المحصول (٥٣٦/٢).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣٢٨/٢)، وانظر: شرح الرُّضي على كافي ابن الحاجب (٤٦٢/٤)، وانظر: موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب (ص: ١٠٣).

المطلب الأول استفهام الإنكار في القرآن الكريم

● توطئة

وأستعرضُ في هذا المطلب الآيات التي تدلُّ على هذا المعنى من الاستفهام، وأشير إلى أقوال المفسرين، والباحثين في علوم القرآن في الحاشية، إلا ما كان معنى الإنكار فيه ظاهراً، أو له نظائر فإني أكتفي بالإحالة إليها، أو قياس التَّنْظِير على التَّنْظِير.

قال الزَّركشي في بيان أقسام الاستفهام: «هو قسمان: بمعنى الخبر، وبمعنى الإنشاء. الأوَّل: بمعنى الخبر^(١)، وهو ضربان: أحدهما: نفيّ، والثاني: إثبات، فالوارد للنَّفي يسمَّى (استفهام إنكار) والوارد للإثبات يسمَّى (استفهام تقرير)؛ لأنَّه يطلب بالأوَّل إنكار المخاطب، وبالثاني إقراره به»^(٢).

فالأوَّل: المعنى فيه على أنَّ ما بعد الأداة منفيّ، ولذلك تصحبه (إلا) كقوله ﷻ: ﴿وَهَلْ يُجِزِي إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبأ: ١٧]. ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. ويعطف عليه المنفيّ، كقوله ﷻ:

(١) أمَّا الثاني فهو الاستفهام بمعنى الإنشاء، وسيأتي في (خروج صيغة الاستفهام عن معناها الأصلي).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٨).

﴿فَمَنْ يَهْدِ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩]، أي: لا يهدي. ومنه: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَزْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]. ﴿أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧]، أي: لا تؤمن. ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ [٣٩] [الطور: ٣٩]. ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [٢١] [النجم: ٢١]، أي: لا يكون هذا. ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]، أي: ما شهدوا ذلك.

وكثيراً ما يصحبه التّكذيب، وهو في الماضي بمعنى: (لم يكن)، وفي المستقبل بمعنى: (لا يكون)، نحو: ﴿أَفَأَصْفَنَّاكَ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤٠] الآية. أي: لم يفعل ذلك. ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]، أي: لا يكون هذا الإلزام^(١).

وقد أتيت على ذكر نماذج الاستفهام الإنكاري ونماذج الاستفهام التقريري من القرآن الكريم، مع تحقيق المعنى.

أ. نماذج الاستفهام الإنكاري من القرآن الكريم

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦]^(٢).

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٤٤]

(١) بقليل من التصرف عن (البرهان في علوم القرآن) (٣٢٨/٢)، والإتيان (٢/٢١٢).

(٢) قيل: (ما) استفهام إنكار مبتدأ، و(ذا) بمعنى: (الذي) بصلته خبره، أي: أي فائدة فيه.

انظر: السراج المنير (٢٣٧/٣)، الجلالين (ص: ٧).

[البقرة: ٤٤] ^(١).

أما لفظ (أفلا) فقد ورد في الآيات التالية:

[البقرة: ٤٤ - ٧٦]، [آل عمران: ٦٥]، [النساء: ٨٢]، [المائدة: ٧٤]، [الأنعام: ٣٢ - ٥٠ - ٨٠]، [الأعراف: ٦٥ - ١٦٩]، [يونس: ٣ - ١٦ - ٣١]، [هود: ٢٤ - ٣٠ - ٥١]، [يوسف: ١٠٩]، [التحل: ١٧]، [طه: ٨٩]، [الأنبياء: ١٠ - ٣٠ - ٤٤ - ٦٧]، [المؤمنون: ٢٣ - ٣٢ - ٨٠ - ٨٥ - ٨٧]، [القصص: ٦٠ - ٧١ - ٧٢]، [السجدة: ٤ - ٢٦ - ٢٧]، [يس: ٣٥ - ٦٨ - ٧٣]، [الصافات: ١٣٨ - ١٥٥]، [الزخرف: ٥١]، [الجاثية: ٢٣]، [محمد: ٢٤]، [الذاريات: ٢١]، [الغاشية: ٧١]، [العاديات: ٩].

﴿أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠] ^(٢).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨] ^(٣).

(١) الهمزة في قوله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري والتوبيخ والتعجب من حال هؤلاء، فلا أقبح من أن يأمر الإنسان غيره بخير وهو لا يأتيه. والهمزة في قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري أيضاً، و(الفاء) عاطفة، و(لا) نافية. انظر: إعراب القرآن وبيانه (١/٩٤-٩٥)، وانظر: زهرة التفاسير (ص: ٣٥٣٥).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (١/١٤٦)، (١/١٦٩)، وانظر الإعراب أيضاً في (تفسير ابن عادل) (٢/٥٣١)، البحر المحيط (١/٤٤٥)، تفسير الرّازي (٣/٥٥٨). ونحوه: ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٤٠].

(٣) ونحوه قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]. قال ابن تيمية -رحمه الله-: «فنفى أن يكون دين أحسن من هذا =

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾
[البقرة: ١٣٩] ^(١).

﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾
[البقرة: ٢٤٧].

﴿أَنَّى يَجِيءُ هَٰذَا لِلَّهِ بِعَدِّ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] ^(٢).

﴿فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ﴾ [آل عمران: ٦٦].

﴿أَيَا مَرْكُم بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] ^(٣).

﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ^(٤).

﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ [النساء: ٢٠] ^(٥).

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ [النساء: ٥٣] ^(٦).

= الدين، وأنكر على من أثبت دينًا أحسن منه، لأن هذا استفهام إنكار، وهو إنكار نهي وذم لمن جعل دينًا أحسن من هذا. كتب رسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٤٢٦/١٤). ونحوه قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا يَقُورُ يُوقُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وقوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

(١) انظر: الدر المصون (٣٨٩/١)، تفسير ابن عادل (١٤٢/٢).

(٢) وهو استفهام إنكار واستبعاد. انظر: التحرير والتنوير (٣٦/٣).

(٣) هذا استفهام إنكار. انظر: البحر المحيط (٥٣١/٢).

(٤) انظر: زهرة التفاسير (ص: ١٣٥٠).

(٥) وهذا الاستفهام على سبيل الإنكار، أي: أفعلون هذا مع ظهور قبحه؟ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض؟ وهذا استفهام إنكار أيضًا. انظر: البحر المحيط (٢١٦/٣)، الخازن (٥٠٠/١)، الرازي (١١/١٠).

(٦) وهذا استفهام إنكار، والاستفهام الإنكاري حكمه حكم النفي، أي: (ليس لهم نصيب من الملك). انظر: تفسير ابن كثير (٥١٤/١)، البضاوي (٢٠٢/٢)، النسفي (٣٣٥/١)، =

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢)

[النساء: ٨٢] (١).

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [النساء: ٨٨] (٢).

﴿الَّذِينَ يَخِذُّونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُوكَ عَنْهُمْ

الْعِزَّةَ﴾ [النساء: ١٣٩].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠] (٣).

= روح المعاني (٥/٥٦)، البحر المديد (٢/٥٥)، السراج المنير (١/٣٥٧)، وانظر معنى (الاستفهام الإنكاري) في هذه الآية مفصلاً في (التحرير والتشوير) (٥/٨٨). والحاصل أن (أم) عاطفة منقطعة بمعنى: (بل) فهي عطف للإضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم أنفسهم وغيرها إلى ذمهم بشيء آخر، وهو ادعائهم بأن لهم نصيباً من الملك.

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٢/٢٠٧). والحاصل أن الهمة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على مقدر، أي: أيعرضون عن القرآن فلا يتدبرونه؟.. ونحوه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [محمد: ٢٤]. فقله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ «إنكار واستنباح لعدم تدبرهم القرآن وإعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الإيمان. (تدبر الشيء): تأمله والنظر في أدياره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تفكير ونظر. والفاء للعطف على مقدر، أي: أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله ﷻ بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الثابت بنفاقهم المحكي على ما هو عليه؟». تفسير أبي السعود (٢/٢٠٧)، القاسمي (٢/٤٠٠).

(٢) «هذا استفهام إنكار، أي: من أراد الله ﷻ ضلاله، لا يريد أحد هدايته لئلا تقع إرادته مخالفة لإرادة الله ﷻ، ومن قضى الله ﷻ عليه بالضلال لا يمكن إرشاده». البحر المحيط (٣/٣٢٧).

(٣) أي: لا يستويان، فـ: ﴿هَلْ﴾ حرف استفهام معناه التثني. انظر: تفسير أبي السعود (٢/٣٦٧)، روح المعاني (٧/١٥٦)، (١٢/٣٥)، زاد المسير (٤/٣٢٠) الخازن (٤/١٣)، التحرير والتشوير (٧/٢٤٣). ونحوه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ سَوَى الظُّلُمَاتِ =

- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءِلَٰهَةً ۖ﴾ [الأنعام: ٧٤]^(١).
 ﴿أَلَيْكَ يَكُونُ لَهُمُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُمُ صَاحِبَةً ۖ﴾ [الأنعام: ١٠١].
 ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ۖ﴾ [الأنعام: ١١٤]^(٢).
 ﴿قُلْ ءَالَّذِينَ كَفَرُوا حَرَّمَ أَرِ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤]^(٣).
 ﴿أَنقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]، [يونس: ٦٨]^(٤).

= والثورُ أم جَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [التحل: ٧٦]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. ف (هل) حرف استفهام معناه التفي، أي: لا يستويان. وقوله ﴿فَلَا تَنفَكُّوْنَ﴾ الهَمْزَةُ للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة، و(لا) نافية، و﴿تَنفَكُّوْنَ﴾ عطف على مقدّر محذوف، أي: لا تستمعون مثل هذا الكلام الذي يتلى عليكم فلا تنفكّرون فيه، وتبينون مغابته. انظر: التحرير والتنوير (٢٤٣/٧)، الخازن (١٣/٤)، السراج المنير (١٧١/٢)، زاد المسير (٣٢٠/٤).

- (١) استفهام إنكار وتوبيخ. انظر: التحرير والتنوير (٣١٢/٧). وفي (البحر): «لما ذكر قوله ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١] ناسب ذكر هذه الآية هنا وكان التذكار بقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه أنسب لرجوع العرب إليه إذ هو جدُّهم الأعلى، فذكروا بأن إنكار هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم عليكم عبادة الأصنام هو مثل إنكار جدكم إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه عبادتها. وفي ذلك التنبيه على اقتفاء من سلف من صالحى الآباء والأجداد وهم وسائر الطوائف معظمون لإبراهيم عليه السلام». البحر المحيط (١٦٨/٤)، وانظر: روح المعاني (١٩٤/٧).
- (٢) الجملة عطف على مقدّر يقتضيه سياق الكلام، أي قل لهم: أأميل إلى زخارف الدنيا فأبتغي حكما؟ فالهمزة للاستفهام الإنكاري، فهي مقول قول محذوف، وجملة القول مستأنفة..
- (٣) وهذا الاستفهام هو استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع.. انظر: البحر المحيط (٢٤١/٤)، تفسير الخازن (١٩٢/٢)، التحرير والتنوير (٣١٣/٨)، (١٣٣-١٣٤)، تفسير أبي السعود (١٣٩/٣)، إعراب القرآن وبيانه (٢٥٤/٣).
- (٤) استفهام إنكار وتوبيخ لمن أتبع ما لا يعلم.. انظر: البحر المحيط (٤٤٥/١)، (١٧٥/٥).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾
[الأعراف: ٣٢] ^(١).

﴿أَفَلَا نَنْقُوتُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، [يونس: ٣١]، [المؤمنون: ٢٣-٣٢-٨٧] ^(٢).

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٧٥] ^(٣).
﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾
[الأعراف: ٨٠] ^(٤).

(١) انظر: الكشف (٧٦/٢)، البحر المحيط (٢٩٣/٤)، تفسير ابن جزي (٣١/٢)، أضواء البيان (١٤/٢).

(٢) الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد لعدم اتقائهم العذاب بعدما علموا ما حلّ بقوم نوح عليه السلام، أي: أتغفلون فلا تتقون؟.. انظر: تفسير أبي السعود (٢٣٧/٣)، (١٤١/٤)، روح المعاني (١٥٥/٨)، (١١١/١١)، الخازن (٢٤٦/٢)، الرازي (٢٧٤/٢٣).

(٣) وهو استفهام إنكار منهم. انظر: زاد المسير (٢٢٥/٣)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي (ص: ١٨٢).

(٤) ومثله قوله ﷺ: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]، وقوله ﷺ: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤]. قال ابن تيمية رحمه الله: قوله ﷺ: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ «هذا استفهام إنكار ونهي، إنكار ذم ونهي، كالرجل يقول للرجل: أتفعل كذا وكذا؟ أما تنقي الله ﷻ؟ ثم قال: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ﴾ [الثلث: ٥٥]. وهذا استفهام ثانٍ فيه من الذم والتوبيخ ما فيه، وليس هذا من باب القذف واللمز». كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٣٤/١٥). وفي (البحر): «استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ». البحر المحيط (٣٥/٧)، (٨٣/٧)، (١٤٥/٧)، وانظر: زاد المسير (٢٢٧/٣)، إعراب القرآن، لابن سيده (٩٤/٧) و(١٥٧/٧).

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَؤُ كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨] (١).
 ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٨] (٢).
 ﴿أَعِجِّلْنِي أَمْ رَبِّكَمُ﴾ [الأعراف: ١٥٠] (٣).

﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْتَعِزُّوكُمْ سِوَاهُ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِحُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمْنَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٥] (٤).

(١) قوله ﷻ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، أي: ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد؛ لأنَّ شعبيًا لم يكن في ملتهم قط، وعلى نحوه أجاب: قال: أنعود فيها؟ ﴿أُولَؤُ كُنَّا كَرِهِينَ﴾ لها، استفهام إنكار.. انظر: البحر المحيط (٣٤٥/٤)، تفسير البيضاوي (٤٠/٣)، الكلبيات (ص: ٦٥٨).

(٢) ومثله قوله ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النحل: ٤٥]. انظر: زاد المسير (٤٥٠/٤)، تفسير أبي السعود (٢٤٥/٣)، نظم الدرر (٢٧٣/٤)، غرائب القرآن الكريم (٢٦٢/٤).

(٣) الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري.. انظر: البحر المحيط (٣٩٣/٤)، والكشاف (١١٩/٢)، إعراب القرآن الكريم، لابن سيده (١١٨/٥)، غرائب القرآن الكريم.

(٤) استفهام إنكار وتوبيخ لمن أتبع ما لا يعلم. انظر: البحر المحيط (٤٣٩/٤)، (٤٤١/٤)، (٣٧٠/٧)، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٢٠٩-٢٠٨/١٦).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨] ^(١).

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس: ٢] ^(٢).
 ﴿أَتُنَبِّئُوكَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨] ^(٣).
 ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ [يونس: ٣٨] ^(٤).

﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].
 ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٧] ^(٥).

(١) قوله ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام فيه معنى الإنكار والتوبيخ. انظر: تفسير أبي السعود (٦٥/٤)، البحر المحيط (٤٣/٥)، روح المعاني (٩٤/١٠).

(٢) أي: أهل (مكة)، استفهام إنكار للتعجب. انظر: السراج المنير (٣/٢)، تفسير الرّازي (١٨٨/١٧)، روح المعاني (٩٠/١١)، التحرير والتنوير (٨٤-٨٣/١١).

(٣) ﴿أَتُنَبِّئُوكَ﴾، أي: تخبرون ﷻ وهو العالم بكل شيء المحيط بكل محيط. ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾، أي: لا يوجد له به علم في وقت من الأوقات، استفهام إنكار تهكم بهم. انظر: تفسير السراج المنير (١١/٢)، وانظر: التحرير والتنوير (١٢٧/١١)، الجلالين (ص: ٢٦٨).

(٤) انظر الآيات: [هود: ١٣-٣٥]، [المؤمنون: ٧٠]، [السجدة: ٣]، [الشورى: ٢٤]، [الأحقاف: ٨]، [الطور: ٣٠]، [القمر: ٤٤]. وجاء في تفسير: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الشورى: ٢٤]: «أضرب عن الكلام المتقدم -يعني قوله-: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِضْكُمُ فَسَدَّ زُرَّ لَكُمْ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣] - من غير إبطال، واستفهام استفهام إنكار وتوبيخ على هذه المقالة، أي: مثله لا ينسب إليه الكذب على الله ﷻ، مع اعترافكم له قبل بالصدق والأمانة». البحر المحيط (١٥٩/٥)، (١٩٢/٧)، (٤٩٤/٧)، البحر المديد (٣٨٥/٥)، التحرير والتنوير (٦٥/٢٧).

(٥) وقوله ﷻ أيضًا: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي. انظر: تفسير أبي السعود (١٦٨/٤)، البحر المحيط (٣٦٦/٨)، التفسير (٢٤٧/٢)، روح المعاني (١٦٤/١١).

﴿الَّذِينَ وَقَدَّ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٩١: (١)].
يونس: (٩١) [١].

﴿قَالَتْ يَوْلَيٰقَ ءَالِدُ وَاَنَا عَجُوزٌ وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۚ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [٧٢: (٢)].
هود: (٧٢) [٢].

﴿قَالُوا اَنْتَجِيبِينَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ﴾ [هود: (٧٣) (٣)].
﴿اَفَاٰمِنُوْا اَنْ تَاْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّٰهِ اَوْ تَاْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ﴾ [يوسف: (١٠٧) (٤)].

(١) قال ابن تيمية رحمته الله: «فإن هذا الخطاب هو استفهام إنكار، أي: الآن تؤمن، وقد عصيت قبل؟ فانكر أن يكون هذا الإيمان نافعاً أو مقبولاً، فمن قال: إنه نافع مقبول فقد خالف نص القرآن، وخالف سنة الله ﷻ التي قد خلت في عبادته، يبين ذلك أنه لو كان إيمانه حبيثاً مقبولاً لدفع عنه العذاب، كما دفع عن قوم يونس عليه السلام، فإنهم لما قبل إيمانهم متعمواً إلى حين، فإن الإغراق هو عذابٌ على كفره، فإذا لم يكن كافراً لم يستحق عذاباً». مجموع الفتاوى (٢/ ٢٨٤)، دقائق التفسير (٢/ ٢٥٧).

(٢) «استفهمت -بقولها ألد؟- استفهام إنكار وتعجب». البحر المحيط (٥/ ٢٢٤). أقول: والمراد بالاستفهام هنا التعجب من أمر عجيب خارق للعادة.. ولم ترد بذلك الإنكار كما ذكر أبو حيّان في (البحر)، وإنما أرادت التعجب.. ويدل على هذا المعنى قولها: ﴿إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾. وسيأتي بيان ذلك في (التداء).

(٣) «قالوا: أي الملائكة أتعجبين؟ استفهام إنكار لعجبها». البحر المحيط (٥/ ٢٢٤)، والأولى أن يقال: إن الاستفهام هنا مقصود به التعجب من أمر عجيب خارق للعادة، بدليل قوله ﷻ: ﴿قَالُوا اَنْتَجِيبِينَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ﴾ [هود: (٧٣)]. وقد ذكر صاحب (الفريد) في معنى الاستفهام هنا وجهان: «أحدهما: بمعنى التعجب، والثاني: هو سؤال استعلام، أي: ألد في حال تعجيزي أم أرد إلى حالة الشباب؟». الفريد (٢/ ٦٤٩). وسيأتي التعقيب على أبي حيّان مفصلاً.

(٤) فقوله ﷻ: ﴿اَفَاٰمِنُوْا﴾ استفهام إنكار فيه توبيخ وتهديد.. انظر: البحر المحيط (٥/ ٣٤٥).

﴿وَأِنْ نَعَجِبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْنَا لَيْ خَلَقَ جَدِيدٌ﴾
[الرعد: ٥] (١).

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦] (٢).

(١) ونحوه: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠]. ﴿وَقَالُوا﴾ ، أي: منكروا البعث ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ غبنا فيها بأن صرنا ترابًا مختلطًا بترابها ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ استفهام إنكار - بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين- . الجلالين (ص: ٥٤٦)، وانظر: ابن عادل (١٥/ ٤٨٠)، وقال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْفِخُكُمْ إِذَا مَرَفَقَتُهُ كُلُّ مَرْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧].

(٢) ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أصنامًا تعبدونها، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ ، وتركتم ما لكهما؟ استفهام توبيخ.. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ، الكافر والمؤمن.. ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَتُ ، الكفر﴾ والنور ، الإيمان؟ لا. انظر: الجلالين (ص: ٣٢٤). وقوله ﷻ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ الهمزة للإنكار، وقوله ﷻ: ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ صفة شركاء، أي: خلقوا سموات وأرضين وشمسًا وقمرًا وجبالًا وبحارًا وجنًا وإنسا.. ﴿فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ﴾ ، أي: خلق الشركاء بخلق الله ﷻ. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ من هذا الوجه فلا يدرون ما خلق الله ﷻ، ولا ما خلق آلهتهم، فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم، وهذا استفهام إنكار، أي: ليس الأمر كذلك، ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﷻ. انظر: تفسير السراج المنير (٣/ ٣٦٧)، الواحدي (١/ ٥٦٩)، زاد المسير (٤/ ٣٢٠). وفي (أضواء البيان): قوله ﷻ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ إنكار ذلك، وأنه هو الخالق وحده بدليل قوله بعده: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ، أي: وخالق كل شيء هو المستحق؛ لأن يعبد وحده، ويبين هذا المعنى في آيات كثيرة =

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظِهَرُ مِنْ الْقَوْلِ﴾ [الرعد: ٣٣] (١).
 ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] (٢).
 ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧] (٣).

= كقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله ﷻ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣]، وقوله ﷻ: ﴿أَبَشِّرْكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، وقوله ﷻ: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات؛ لأنَّ المخلوق محتاج إلى خالقه». أضواء البيان (٢/ ٢٣٩).

(١) ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ ، أي: رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ، أي: ما عملت من خير وشر، وهو الله ﷻ، كمن ليس كذلك ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾ تخبرون الله ﷻ ﴿بِمَا﴾ ، أي: بشريك، ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ ، أي: بما لا يعلمه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار، أي: لا شريك له إذ لو كان لعلمه ﷻ عن ذلك ﴿أَمْ﴾ بل تسموهم شركاء ﴿يَبْظِهَرُ مِنْ الْقَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطل. انظر: الجلالين (ص: ٣٢٧).
 (٢) هو استفهام إنكار في معنى التثني. انظر: روح المعاني (١٤/ ٦٢)، التحرير والتنوير (١٤/ ٦٠)، تفسير أبي السعود (١/ ١٦٩).

(٣) «بعد أن أقيمت الدلائل على انفراد الله ﷻ بالخلق ابتداء من قوله ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ٣]، وثبتت المثلة وحقُّ الشكر، فرع على ذلك هاتان الجملتان لتكونا كالنتيجتين للأدلة السابقة إنكاراً على المشركين. فالاستفهام عن المساواة إنكاري، أي: لا يستوي من يخلق بمن لا يخلق. فالكاف للمماثلة، وهي مورد الإنكار حيث جعلوا الأصنام آلهة شريكة لله ﷻ. ومن مضمون الصلتين يعرف أي الموصولين أولى بالإلهية فيظهر مورد الإنكار. وحين كان المراد بمن لا يخلق الأصنام كان إطلاق (من) الغالبة في العاقل مشاكلة لقوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ ، وفرع على إنكار التسوية استفهام عن عدم التذكُّر في انتفاءها. فالاستفهام في قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ مستعمل في الإنكار على انتفاء التذكُّر، وذلك يختلف باختلاف المخاطبين، فهو إنكار على إغراض المشركين عن التذكُّر في ذلك». التحرير والتنوير (١٤/ ١٢٣).

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢]^(١).
 ﴿أَفِينَعَمَ اللَّهِ يَمْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١]^(٢).
 ﴿أَفَأَصْفَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا﴾ [الإسراء: ٤٠]^(٣).
 ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَهَنَّا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]^(٤).
 ﴿أَسَجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]^(٥).
 ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَهَنَّا
 لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٩٨].
 ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾
 [الكهف: ٣٧]^(٦).
 ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًا﴾

- (١) قوله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ ، أي: الذي له العظمة كلها ﴿تَتَّقُونَ﴾ استفهام إنكار. انظر: تفسير السراج المنير (٢/ ٢٦٥)، التحرير والتنوير (٧/ ١٥٧)، أضواء البيان (٢/ ٣٨٤).
 (٢) استفهام عن جحودهم نعمته استفهام إنكار. انظر: البحر المحيط (٥/ ٤٩٩)، وانظر: أضواء البيان (٢/ ٤١٢).
 (٣) وهو استفهام إنكار وتوبيخ.. انظر: تفسير ابن عادل (١٠/ ٣٠٦)، الدر المصون (٣/ ٣٩٣). ونحوه قوله ﷻ: ﴿أَمْ أَمُتُّ بِمِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَيْنِ﴾ [الزخرف: ١٦].
 (٤) يقول الله ﷻ مخبرًا عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد، القائلين استفهام إنكار منهم لذلك: ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا﴾.. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥)، البحر المحيط (٦/ ٨٠).
 (٥) استفهام إنكار وتعجب. انظر: البحر المحيط (٦/ ٥٤)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٨٧)، زاد المسير (٥/ ٥٦).
 (٦) قوله ﷻ: ﴿أَكْفَرْتَ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ حيث أشرك مع الله ﷻ غيره. انظر: البحر المحيط (٦/ ١٢١)، تفسير ابن عادل (١٠/ ٤٦٣).

[مريم: ٢٩].

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُنَّ﴾ [مريم: ٤٦] ^(١).﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨] ^(٢).﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣] ^(٣).﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ [الأنبياء: ٢٤] ^(٤).﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ^(٥).﴿أَفَايُن مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ^(٦).

(١) استفهام استفهام إنكار، والرغبة عن الشيء تركه عمدًا. انظر: البحر المحيط (١٨٣/٦).

(٢) والمراد: نفي علمه للغيب المدلول عليه بالهمزة كما في قوله: ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بِرَأْيِهِ﴾.

[النجم: ٣٥]، ﴿أَمْ عَنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١]، [القلم: ٤٧]. انظر: أضواء البيان (٤٦٩/٧)، وانظر: تفسير ابن كثير (١٣٧/٣).

(٣) الهمزة في قوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ﴾ للاستفهام الإنكاري. انظر: التحرير والتنوير (٢٩٢/١٦)، الإتيان (٢١٣/٢).

(٤) استفهام إنكار وتوبيخ. انظر: تفسير البغوي (٢٤٢/٣)، زاد المسير (٣٤٥/٥).

(٥) قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ «استفهام إنكار، وفيه معنى التعجب من ضعف عقولهم، والمعنى: أفلا يتدبرون هذه الأدلة، ويعملوا بمقتضاها، ويتركوا طريقة الشرك. وأطلق الإيمان على سببه، وقد انتظمت هذه الآية دليلين من دلائل التوحيد، وهي من الأدلة السماوية والأرضية». البحر المحيط (٢٨٧/٦)، وانظر: تفسير الخازن (٢٩٢/٤).

(٦) أي: أفهم، مثل قول الشاعر:

(رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرْعَ فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ هُمْ هُمْ)

أي: أهم! فهو استفهام إنكار. انظر: تفسير القرطبي (٢٨٧/١١). والبيت لأي

خراش الهذلي. انظر: فصل المقال، للبكري (ص: ٨٢)، انظر: ديوان الهذليين

(١٤٤/٢)، خزانة الأدب (٤١٩/١)، (٤٢١/١)، (٨٤/٥)، وأدب الكاتب، لابن

قتيبة (ص: ٤١)، وذكره الخليل في (العين)، مادة: (رَفَا) (٢٨١/٨)، لسان العرب =

﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢] ^(١).

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ [الأنبياء: ٤٣] ^(٢).

﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠] ^(٣).

﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أُنَّاءًا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] ^(٤).

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ^(٥).

﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] ^(٦).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا

= (٥٦/١)، وفي (مقاييس اللغة)، مادة: (رفو) (٣/٤٦٦)، والصُّحاح، للجوهري، مادة: (روع) (٣/١٢٢٣).

(١) أي: قل لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: من يحفظكم من بأس الرحمن إن أراد إنزاله بكم؟ وهذا استفهام إنكار، أي: لا أحد يفعل ذلك. انظر: معاني القرآن، للزجاج (٣/٣٩٣)، زاد المسير (٥/٣٥٣)، فتح القدير (٣/٥٨٥).

(٢) استفهام إنكار وتوبيخ. انظر: تفسير ابن كثير (٣/١٨٠)، تفسير ابن عادل (١١/٢٧٩).

(٣) استفهام إنكار وتوبيخ، وهو خطاب للمشرّكين. انظر: البحر المحيط (٦/٢٩٥)، تفسير ابن عادل (١٣/٥١٦).

(٤) أي: أنبعت إذا متنا؟ فهو استفهام إنكار منهم وسخرية، أو يقال: الاستفهام هنا للإنكار الاستبعادي. انظر: تفسير القرطبي (١٥/٧١).

(٥) قوله ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ «أي: مهملاً، لا يؤمر ولا ينهى». وهذا استفهام إنكار على من جوّز ذلك على الربّ. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٦/٢٩٩).

(٦) وهو استفهام إنكار فيه معنى التّفي. انظر: التّحرير والتّنوير (١٩/٣٦)، أضواء البيان (٦/٥٩).

﴿٦٠﴾ [الفرقان: ٦٠] ^(١).

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبْدَتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] ^(٢).

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] ^(٣).

﴿قَالُوا أَنْوِثْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] ^(٤).

﴿أَفِيعَادِنَا يَسْتَعْرِضُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٤]، [الصافات: ١٧٦] ^(٥).

(١) والاستفهام في ﴿أَنْتُمْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ إنكار وامتناع، أي: لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسُّجود

له. انظر: التحرير والتنوير (١٩/٦٢)، زاد المسير (٦/٩٩)، فتح القدير (٤/١٢٢).

(٢) قيل: الكلام استفهام بحذف الهمزة، وهو استفهام إنكار. انظر: التحرير والتنوير

(١٩/١١٥)، الكشف والبيان (٧/١٦١). والتحقق أنهم قد اختلفوا في تأويل: ﴿أَنْ

عَبَدْتَ﴾: فحملها بعضهم على الإقرار، وبعضهم على الإنكار. وعلى كلا القولين فهو جواب

لقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِتْنًا﴾ [الشعراء: ١٨]. فمن قال: هو إقرار، قال: عذبا موسى عليه

السلام نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني إسرائيل، ولم يستعبده كما

استعبد بني إسرائيل، أي: بلى، و﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبْدَتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، وتركتني

فلم تستعبدني. ومن قال: هو إنكار قال: قوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ هو على طريق

الاستفهام... انظر: تفسير ابن عادل (١٥/١٧)، يعني: (أَوْ تِلْكَ نِعْمَةٌ)، فحذفت ألف

الاستفهام، كقوله: ﴿فَهُمْ الْخٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. وانظر أوجه الأعراب في (تفسير ابن

عادل) (١٥/١٧)، تفسير القرطبي (١٣/٩٦)، روح المعاني (١٩/٧٠). والحاصل أنه قيل:

إِنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيرَ الْاسْتِفْهَامِ: أي: أو تلك نعمة؟ قاله الأخفش في (معاني القرآن)

(ص: ٥٤٨)، وكذلك أورده الزجاج في (معاني القرآن) (٤/٨٦-٨٧)، وأنكره الثَّحَاس في

(معاني القرآن) (٥/٧٢). قال الفراء: ومن قال: إِنَّ الْكَلَامَ إِنْكَارَ قَالَ مَعْنَاهُ: أو تلك نعمة؟

معاني القرآن، للفراء (٢/٢٧٩)، وانظر: فتح القدير (٤/١٣٩).

(٣) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ فِرْعَوْنَ إِنَّمَا اسْتَفْهَمَ اسْتِفْهَامَ إِنْكَارٍ وَجَحْدٍ». كتب ورسائل

وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٦/٣٣٤).

(٤) والمعنى: أنستوي نحن وهم فتعد في عدادهم؟.. انظر: الفريد (٣/٦٦٠-٦٦١).

(٥) إنكار عليهم، وتهديد لهم.. انظر: ابن كثير (٣/٣٤٩)، غرائب القرآن (٥/٢٨٦).

- ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]^(١) .
- ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتِمِدُونَنِي بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦]^(٢) .
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤]^(٣) .
- ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]^(٤) .
- ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]^(٥) .
- ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت: ٤]^(٦) .

- (١) استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله ﷻ آلهة أخرى.. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٠).
- (٢) استفهام إنكار واستقلال.. انظر: البحر المحيط (٧/ ٧١)، تفسير ابن عادل (١٢/ ٣٢٤)، الدر المنصور (٥/ ٣١٣).
- (٣) الهمزة في قوله ﷻ ﴿أَكْذَبْتُمْ﴾ للاستفهام التقريري التوبيخي. انظر: زاد المسير (٦/ ١٩٤)، وانظر: الخازن (٢/ ٢٤٦)، نظم الدرر (٥/ ٤٥٣)، إعراب القرآن وبيانه (٧/ ٢٦٢).
- (٤) ونحوه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]. فإن (من) استفهامية، والاستفهام إنكار وتعجيب. انظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ١١)، وانظر: البحر المحيط (٣/ ٣٢٧)، تفسير أبي السعود (٨/ ٧٨)، البيضاوي (١/ ١٧٧)، روح المعاني (٢٦/ ٦).
- (٥) استفهام إنكار، ومعناه: أن الله ﷻ لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٥).
- (٦) ونحوه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّمَّنْهُمْ وَمَآئِهِمُ﴾ [الجاثية: ٢١]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَثَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩]. «أم» منقطعة تنقدر ببل والهمزة، وهو استفهام إنكار. البحر المحيط (٨/ ٤٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٥)، زاد المسير (٧/ ٣٦١).

﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].
 ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ شُلُطَنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥]^(١).

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]^(٢).
 ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠]^(٣).
 ﴿وَهَلْ نُجْزَى إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]^(٤).
 ﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ [يس: ٢٣]^(٥).
 ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣]^(٦).
 ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات: ١٥٣]^(٧).

-
- (١) قوله ﷻ: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ شُلُطَنًا﴾ ، أي: حجة، ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ ، أي: ينطق ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ . «وهذا استفهام إنكار، أي: لم يكن لهم شيء من ذلك». تفسير ابن كثير (٣/٤٣٥)، وانظر: البحر المحيط (٧/١٦٩)، زاد المسير (٦/٣٠٣).
- (٢) (ما) استفهام إنكار مبتدأ، و(ذا) بمعنى: (الذي) بصلته خبره، و(أروني) معلق عن العمل، وما بعده سدّ مسدّ المفعولين. انظر: تفسير السراج المنير (٣/٢٣٧)، الجلالين (ص: ٥٤١)، أضواء البيان (٢/٢٣٩).
- (٣) انظر: تفسير البغوي (٣/٤٩٩) .
- (٤) الاستفهام في قوله ﷻ: ﴿وَهَلْ نُجْزَى﴾ إنكاري في معنى التّقي كما دلّ عليه الاستثناء. انظر: التحرير والتنوير (٢٢/١٧٣)، الإتيان (٢/٢١٢)، البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٨).
- (٥) استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع. انظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٦٩).
- (٦) أي: مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار. انظر: تفسير البغوي (٤/٢٨)، السراج المنير (٩/٢٢٣)، الواحدي (٢/١٠٢١).
- (٧) استفهام إنكار واستبعاد، و(الاصطفاء) أخذ صفوة الشيء. السراج المنير (٣/٤٧٦)، البيضاوي (٥/٢٩)، ابن عادل (١٦/٣٥١)، التحرير والتنوير (٢٣/١٨٢)، الدر المصون (٥/٥١٤).

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [١٥٤: ١] ﴿أَجَلُ الْآلِهَةِ إِلَهِهَا وَاحِدٌ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] ﴿قَالَ يَبْلِغُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْنِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] ﴿أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مَنَ فِي النَّارِ﴾ [الزمر: ١٩] ﴿

- (١) «﴿مَا لَكُمْ﴾، أي: أي شيء لكم فيما تزعمون؟ وهو استفهام إنكار عليهم». البحر المحيط (٣٠٨/٨). وقوله: «﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾» جملتان استفهاميتان ليس لإحداهما تعلُّق بالأخرى من حيث الإعراب، استفهم أولاً: عَمَّا اسْتَقَرَّ لَهُمْ وَثَبَتْ، استفهام إنكار، وثانياً: استفهام تعجيب من حُكْمِهِمْ بهذا الحكم الجائر». الدرر المصون (٥١٥/٥)، السراج المنير (٤١/٣)، الجلالين (ص: ٢٧٢)، ابن عادل (٣٥١/١٦).
- (٢) التحرير والتنوير (٨٧/١١)، (١٧٠/١٧)، (٢١٤/٢٣)، (٢٢٥/٢٣)، تفسير الرَّايزي (١٦٢/٢٨).
- (٣) انظر: تفسير القرطبي (١٥٢/١٥)، إعراب القرآن وبيانه (٣٣٠-٣٣١)، البرهان في علوم القرآن (٣٢٩/٢).
- (٤) والاستفهام ب: (أم) في الموضعين استفهام إنكار، والمعنى: أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَصْلَحَ وَمِنْ أَفْسَدَ، وَلَا مِنْ أَتَقَى وَمِنْ فَجَرَ، وَكَيْفَ تَكُونُ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ مَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى؟ إِذَنْ كَانَ يَبْطُلُ الْجَزَاءُ، وَالْجَزَاءُ لَا مُحَالَةَ وَاقِعَ، وَالتَّسْوِيَةُ مُتَّفِقَةٌ. البحر المحيط (٣٧٩/٧)، تفسير أبي السُّعُود (٢٢٤/٧)، (٧٢/٨)، تفسير الرَّايزي (٣٩٦/٢٦)، (٦٨١/٢٧).
- (٥) الهمزة في قوله: «﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾» للاستفهام الإنكاري التوبيخي.
- (٦) قال الرُّخْشَرِيُّ -رحمه الله-: «أصل الكلام: (أَمِنْ حَقٌّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فَأَنْتَ تَنْقِذُهُ)، جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار، والفاء فاء الجزاء، ثُمَّ دَخَلَتِ الْفَاءُ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا =

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩]^(١).

﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَني أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].
 ﴿أَنفَعْتُمْ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨].
 ﴿وَلَوْ جَعَلْتُهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]^(٢).

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]^(٣).

﴿أَمْ أُنْخَذَ مِنَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَلَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٦]^(٤).

= للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب، تقديره: (أأنت مالك أمرهم، فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه؟)، والهمزة الثانية هي الأولى، كُثِرَتْ لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد. الكشاف (٣/٣٩٣)، معاني القرآن، للفرّاء (٢/٤١٨). وقيل: مزيدة؛ لأنه لا يجوز أن يأتي بهمزة الاستفهام في الاسم المبتدأ، وهمزة أخرى في الخبر، وكذلك لا يجوز أن يأتي بها في الشرط وتعيدها في الجواب؛ لأنّ الفاء في ﴿أَفَأَنْتَ﴾ فاء الجزاء. انظر: الفريد (٤/١٨٨)، وانظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٩).

(١) وهذا استفهام إنكار، أي: لا يستويان. انظر: تفسير البغوي (٤/٧٨)، السراج المنير (٢/١٧١)، التحرير والتنوير (٧/٢٤٣)، الجلالين (ص: ٣٢٤)، الخازن (٤/١٣).

(٢) وهو استفهام إنكار. انظر: تفسير القرطبي (١٥/٣٦٩)، السراج المنير (٣/٦١٩)، الخازن (٦/١١٣)، زاد المسير (٧/٢٦٣)، إعراب القرآن وبيانه (٨/٥٧١).

(٣) وهذا استفهام إنكار، أي: لأجل إسرافكم نترك إنزال الذكر، ونعرض عن إرسال الرُّسل. انظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٦/٤٩٥)، أضواء البيان (٩/٤٣) وللشيخ الشقيطي بيان في ذلك. انظر: أضواء البيان (٢/٣٨١).

(٤) استفهام إنكار وتوبيخ. انظر: البحر المحيط (٨/١٠)، الخازن (٦/١٣٢).

﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] ^(١).

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّةَ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى﴾ [الزخرف: ٤٠] ^(٢).

(١) انظر الإعراب في (الفريد) (٢٥٤/٤).

(٢) «قد يجيء الإنكار لتعريف المخاطب أن ذلك المدعي ممتنع عليه وليس من قدرته؛ لأن إسماع الصم لا يدعيه أحد، بل المعنى: إن إسماعهم لا يمكن؛ لأنهم بمنزلة الصم والعمى. وإنما قدم الاسم في الآية، ولم يقل: (أسمع الصم)؟ إشارة إلى إنكار موجه عن تقدير ظن منه -عليه السلام- أنه يختص بإسماع من به صمم، وأنه ادعى القدرة على ذلك، وهذا أبلغ من إنكار الفعل. وفيه دخول الاستفهام على المضارع، فإذا قلت: أفعل؟ أو أنت تفعل؟ احتمال وجهين: أحدهما: إنكار وجود الفعل، كقوله ﷻ: ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ وَأَنْشَرْنَاهُمْ كِرْفُونًا﴾ [هود: ٢٨]، والمعنى: لسنا بمثابة من يقع منه هذا الإلزام، وإن عبرنا بفعل ذلك. جلّ الله ﷻ عن ذلك، بل المعنى إنكار أصل الإلزام. والثاني: قولك لمن يركب الخطر: أتذهب في غير طريق؟ انظر لنفسك واستبصر. فإذا قدمت المفعول توجه الإنكار إلى كونه بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل. كقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَنْحِدَ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤]، والمعنى أغير الله بمثابة من يتخذ ولياً. ومنه: ﴿أَشْكُرْ مَنَّا وَنَحْنُ نَقْعُهُمْ﴾ [القمر: ٢٤]؛ لأنهم بنوا كفرهم على أنه ليس بمثابة من يتبع صيغة المستقبل، إما أن يكون للحال نحو: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا﴾ [يونس: ٩٩]، أو للاستقبال نحو: ﴿أَهْمَرْ بِقِيَمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]. الثاني: قد يصحب الإنكار التأكيد للتعريض بأن المخاطب ادّعه وقصد تكذيبه، كقوله ﷻ: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات: ١٥٣]، ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [النجم: ٢١]، ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]، وسواء كان زعمهم له صريحاً، مثل: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْشَرْنَا لَا نُبْعِرُوكَ﴾ [الطور: ١٥]، أو التزاماً مثل: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]، فإنهم لما جزموا بذلك جزم من يشاهد خلق الملائكة كانوا كمن زعم أنه شهد خلقهم. وتسمية هذا استفهام إنكار، من أنكر إذا جحد، وهو إما بمعنى (لم يكن) كقوله ﷻ: ﴿أَفَأَمْسَكْتُمْ﴾ [الإسراء: ٤٠]، أو بمعنى: (لا يكون) نحو: ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ وَأَنْشَرْنَاهُمْ﴾. والحاصل أن الإنكار قسمان: إبطالي وحقيقي. فالإبطالي أن يكون ما بعدها غير واقع ومدّعيه كاذب -كما ذكرنا- والحقيقي يكون ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم نحو: ﴿قَالَ اتَّعَبُوا مَا تَسْجُدُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]، ﴿أَيُّهَا إِلَهَهُ﴾ [الصافات: ٨٦] =

﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧]^(١).
 ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا إِلَهًا﴾ [الأحقاف: ٢٨]^(٢).
 ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].
 ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥]^(٣).
 ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]^(٤).
 ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]^(٥).
 ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩].

= ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]، ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ [النساء: ٢٠].
 بقليل من التصريف عن (البرهان في علوم القرآن) (٣٢٩-٣٣١).

(١) «هذا استفهام إنكار، أي: إنهم مستحقون في هذا القول العذاب؛ إذ ليسوا خيراً من قوم تبع عليه السلام، والأمم المهلكة، وإذا أهلكنا أولئك فكذا هؤلاء». تفسير القرطبي (١٤٤/١٦).

(٢) معناه: لم ينصروهم. انظر: زاد المسير (٣٨٦/٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢٩٧/٢٦).

(٤) فقوله ﷻ: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾، أي: قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ، فهو استفهام إنكار. وقيل: بمعنى الاستزادة. وعلى هذا يكون السؤال، وهو قوله ﷻ: ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ قبل دخول جميع أهلها فيها. انظر: تفسير السراج المنير (٧٧/٤)، ابن عادل (٣٧/١٨)، تفسير البغوي (٢٢٤/٤)، الدر المصون (١٧٩/٦)، الخازن (٢٣٧/٦).

(٥) «أي: هل في المرئي شك أم هل في بصركم خلل؟ استفهام إنكار، أي: لا واحد منها ثابت، فالذي ترونه حق، وقد كنتم تقولون: إنه ليس بحق». تفسير الرّازي (٣٢٩/٩)، تفسير ابن عادل (٤١٥/١٤).

﴿أَمْ نَسْتَلْهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ مُنْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠]، [القلم: ٤٦].
 ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٥] ^(١).
 ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [٤٣] أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿[القمر: ٤٣-٤٤] ^(٢).
 ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [الحديد: ٨] ^(٣).
 ﴿فَقَالُوا أَبَشِّرْ يَهُدُونََنَا﴾ [التغابن: ٦] ^(٤).

- (١) نفي للإغناء، فمفعول ﴿تُغْنِي﴾ محذوف، أي: (لم تُغْنِ النذر شيئاً) أو استفهام إنكار، ف: (ما) منصوبة على أنها مفعول مقدم لتغني، أي: فأى إغناء تغني النذر إذا خالفوا أو كذبوا؟ أي: لا تنفع، كقوله ﷻ: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]. انظر: تفسير البضاوي (٢٦٤/٥). وبيان ذلك أن الفاء عاطفة، و(ما) نافية أو استفهامية للإنكار، وهي في محل نصب مفعول مطلق، أي: فأى غناء تغني النذر؟!..
- (٢) قيل: استفهام، وهو استفهام إنكار، ومعناه التثني، أي: ليس كفاركم خيراً من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم. انظر: تفسير القرطبي (١٤٥/١٧)، الخازن (٢٧٧/٦)، إعراب القرآن وبيانه (٣٨٩/٩).
- (٣) هذا استفهام إنكار، والمعنى: أي شيء لكم من الثواب في الآخرة إذا لم تؤمنوا بالله ﷻ، وقد أخذ ميثاقكم؟.. انظر: زاد المسير (١٦٢/٨).
- (٤) «استفهام إنكار وإبطال فهم أحوالوا أن يكون بشرٌ مثلهم يهدون بشرًا أمثالهم، وهذا من جهلهم بمراتب النفوس البشرية ومن يصطفيه الله ﷻ منها، كما قال: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، وجعلوا أنه لا يصلح لإرشاد الناس إلا من هو من نوعهم قال ﷻ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشِي مَطْمَئِينَ لَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، ولما أحوالوا أن يكون البشر أهلاً لهداية بشر مثله جعلوا ذلك كافياً في إعراضهم عن قبول القرآن والتدبر فيه. بقليل من التصرف عن (التحرير والتنوير) (٢٩٦/٢٨).

- ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ﴾ [الملك: ٢٠] ^(١).
 ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠].
 ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٨] ^(٢).
 ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].
 ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ [القيامة: ٣] ^(٣).
 ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠] ^(٤).
 ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١] ^(٥).

(١) هو استفهام إنكار، أي: لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله ﷻ من دون الرحمن، أي: من سوى الرحمن؟. انظر: تفسير القرطبي (٢١٨/١٨)، تفسير البغوي (٣٧٢/٤)، زاد المسير (٣٢٣/٨)، إعراب القرآن وبيانه (١٥٨/١٠).

(٢) قوله ﷻ: ﴿مَا أَغْنَىٰ﴾ نافية تأسفاً على فوات ما كان يرجو من نفعه، والمفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم، أو مستفهماً استفهام إنكار على نفسه وتوبيخ، حيث سئلت له ما أثمر له كل سوء، وكل محال منازعة للفطرة الأولى المؤيدة بما أخبر به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- حتى أوقعه ذلك التسويل في الهلكة. نظم الدرر (١٣٤/٨)، تفسير البيضاوي (٣٨٢/٥)، (٥٤٥/٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٤٤/١٦)، (٣٦٨/٢٩)، (٣٥٣/٣٠)، ابن عادل (٥٤٩/١٩)، (٥٥٠/١٩)، تفسير الرازي (٧٢٥/٣٠)، روح المعاني (١٣٨/٢٩)، (١٤٩/٢٩). ونحوه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَّقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٥]، ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٧].

(٤) قوله ﷻ: ﴿فَمَا لَهُمْ﴾، أي: الكفار، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استفهام إنكار، أي: أي مانع لهم من الإيمان؟ أو أي حجة في تركه بعد وجود براهينه؟. انظر: تفسير القرطبي (٢٨٠/١٩)، السراج المنير (٥٨٠/٤)، ابن عادل (٢٤١/٢٠)، تفسير البغوي (٤٦٥/٤).

(٥) «(ما) يجوز أن تكون نافية. والتقدير: وسوف لا يغني عنه ماله إذا سقط في جهنم، وتحمّل أن تكون استفهامية وهو استفهام إنكار وتوبيخ. ويجوز على هذا الوجه أن تكون الواو =

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۖ﴾ [العاديات: ٩] ^(١).

وسيأتي بيان السؤال الاستفهامي التوبيخي.

ب. ما يستفاد من الاستفهام الإنكاري

قال ابن تيمية رحمه الله: إن أكثر استفهامات القرآن الكريم أو كثيراً منها، إنما هي استفهام إنكار معناه: (الذم والنهي) إن كان إنكاراً شرعياً، أو معناه (التنفي والسلب) إن كان إنكار وجود ووقوع، كما في قوله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]، وكذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وقوله ﷻ في تعديد الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ مَا بَدَأَ لَهُمْ الْأَوَّلَ﴾ [النمل: ٦٠-٦٤]، أي: أفعل هذه إله مع الله ﷻ؟! والمعنى: ما فعلها إلا الله ﷻ، وقوله ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، وما معها ^(٢).

= للاستئناف، والمعنى: وما يغني عنه ماله الذي بخل به. التحرير والتنوير (٣٨٧/٣٠)، وانظر: تفسير البضاوي (٤٩٨/٥).

(١) أي: أفلا يعلم ماله فيستعد له؟ كما في (المحرر الوجيز) (٥١٥/٥). فالهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: أيفعل ما يفعل من المقابح فلا يعلم؟ ولا) نافية. انظر: إعراب القرآن وبيانه (٥٥٨/١٠)، الفريد (٧١٨/٤).

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٦٣/١٤). انظر: الآيات من (سورة الطور) من الآية: [٣٦] إلى الآية: [٤٣].

أقول: ويستفاد من استفهام الإنكار (إبطال مدعى الخصم بإثبات كذبه).

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْبَاءًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].
أو (إظهار الخصم بمظهر المعاند الذي لا يخضع للدليل).

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. ففي الآية إظهار لطبيعة اليهود الذين لا يقبلون الحق، ويتبعون ما تمليه عليهم شهواتهم وأهوائهم.



المطلب الثاني في استفهام التقرير في القرآن الكريم

أ. التعريف وبيان الأهمية

أقول: ومن معاني الاستفهام التقرير، أي: حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عنده، وذلك من خلال مقدمات واضحة لا يمكن للمخاطب أن يرفضها تحمله على الإقرار بالمطلوب، وهو نوعٌ دقيقٌ من أنواع الجدل، فما دامت المقدمات واضحة في نفسها وعند الخصم أيضًا، فتتأججها ينبغي الإقرار بها عند العاقل.. وحقيقة (استفهام التقرير) أنه (استفهام إنكار)، والإنكار نفْيٌ، وقد دخل على النَّفي، ونفي النَّفي إثباتٌ^(١).

فإنَّ الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفيًا، كقوله ﷻ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، أي: لا شكَّ فيه. وإذا وقع في النَّفي يجعله إثباتًا، نحو قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَحْذَكْ يَتِيمًا فَتَاوَى﴾ [الضحى: ٦]، لما سبق من أنَّ نفي الإثبات نفي، ونفي النَّفي إثبات والحاصل أن الإنكار قسمان إبطالي وحقيقي: «فالإبطالي: أن يكون ما بعدها غير واقع ومدعيه كاذب كما ذكرنا، والحقيقي: يكون

(١) انظر: الكلبيات (ص: ٩٨)، شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٩٤-٢٩٥)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٣١)، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٢١٣)، أضواء البيان (٨/ ٥٧٢).

ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم نحو: ﴿تَعْبُدُونَ مَا تَنْجُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]، ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]، ﴿أَيْفَاكَ ءَالِهَةٌ﴾ [الصافات: ٨٦]، ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]، ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا﴾ [النساء: ٢٠].

وأما الثاني: فهو استفهام التقرير، والتقرير: حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده. قال أبو الفتح في (الخاطريات): ولا يستعمل ذلك بـ (هل) ^(١) وقال في قوله: (جاؤوا بمذقي هل رأيت الذئب قَطَّ)

و(هل) لا تقع تقريراً كما يقع غيرها مما هو للاستفهام. وقال الكندي: ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ﴾ [الشعراء: ٧٢] إلى أن (هل) تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ. إلا أنني رأيت أبا علي أبي ذلك، وهو معذور؛ فإن ذلك من قبيل الإنكار. ونقل الشيخ أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بـ (هل) إنما تستعمل فيه الهمزة ^(٢).

ثم نقل عن بعضهم أن (هل) تأتي تقريراً في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي

(١) (الخاطريات)، لأبي الفتح عثمان بن جني. حققه وعلق عليه: علي ذو الفقار شاكراً، ط: ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان [١٤٠٨هـ]. وانظر: الخصائص (١/٦٤).

(٢) صرح سيبويه في موضعين من كتابه (١/٥١، ٤٩٢) بأن (هل) تأتي بمعنى (قد). ولم يقف ابن هشام على ذلك فقال في (المغني) (ص: ٤٦٢): سيبويه لم يقل ذلك. وقال ابن مالك: تتعين (هل) أن تكون بمعنى (قد) إذا دخلت عليها همزة الاستفهام. والآيات التي قيل فيها: إن (هل) بمعنى (قد) محتملة لذلك، لا متعينة.

ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ [الفجر: ٥] ^(١).

والكلام مع التقرير موجب؛ ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب؛ فالأوّل: كقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى: ٦-٧]، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ [الشرح: ١-٢]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٣﴾﴾ [الفيل: ٣].

والثاني: كقوله: ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ﴿٨٤﴾﴾ [النمل: ٨٤] على ما قرره الجرجاني في النظم حيث جعلها مثل قوله: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

ويجب أن يلي الأداة ^(٢) الشيء الذي تقرر بها فتقول في تقرير الفعل: (أضربت زيدًا؟)، والفاعل نحو: (أأنت ضربت؟)، أو المفعول (أزيدًا ضربت؟) كما يجب ^(٣) في الاستفهام الحقيقي.

(١) قال أبو حيان: «(هل) هنا في موضع تقديره: إن في ذلك قسما لذي حجر. فهل على هذا في موضع جواب القسم، قول لم يصدر عن تأمل؛ لأن المقسم عليه على تقدير أن يكون التركيب: إن في ذلك قسما لذي حجر لم يذكر، فيبقى قسم بلا مقسم عليه؛ لأن الذي قدره من إن في ذلك قسما لذي حجر لا يصح أن يكون مقسما عليه، وهل في ذلك تقرير على عظم هذه الأقسام، أي: هل فيها مقنع في القسم لذي عقل فيزدجر ويفكر في آيات الله ﷻ؟» البحر المحيط (٤٦٤/٨).

(٢) هذا عند علماء المعاني، أما عند النحويين فهو أولى، ويجوز أن يليها غيره. ذكر ذلك سيبويه في (الكتاب) (٤٨٢/١ - ٤٨٣)، ونقله عنه الدماميني (ص: ٣٥)، شرح الدكتور الخطيب على (المغني) (٩٥/١).

(٣) أي: يجب أن يلي الهمزة مُسْتَنَدًا إليه كان أو مُسْتَنَدًا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ فَعَلْتَ﴾ [الأنبياء: ٦٢] يحتمل الاستفهام الحقيقي بأن يكونوا^(١) لم يعلموا أنه^(٢) الفاعل، والتقرير بأن يكونوا علموا ولا يكون استفهامًا عن الفعل^(٣) ولا تقريرًا له؛ لأنه لم يله^(٤)، ولأنه أجاب بالفاعل بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وجعل الزمخشري منه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقيل: أراد التقرير بما بعد النفي لا التقرير بالنفي، والأولى أن يجعل على الإنكار أي: ألم تعلم أيها المنكر للنسخ^(٥). وحقيقة

(١) أي: الكفار.

(٢) أي: إبراهيم عليه السلام.

(٣) وهو كَسُرُ الأصنام.

(٤) أي: بحيث يكون مرادهم حمل إبراهيم عليه السلام على الإقرار بأن كَسَرَ الأصنام قد كان؛ لأن الهمزة لم تدخل على الفعل.

(٥) انظر: الكشف (٢٣٢/١). قال ابن هشام في (المغني) (ص: ٢٧): «فإن قلت: ما وجه حمل الزمخشري الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ على التقرير؛ قلت: قد اعتذر عنه بأن مراده التقرير بما بعد النفي لا التقرير بالنفي. والأولى أن تحمل الآية على الإنكار التوبيخي أو الإبطالي، أي: ألم تعلم أيها المنكر للنسخ». إشارة إلى أول الآية: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾. انظر: البحر المحيط (١٠٦/٢)، المحرر الوجيز (٤٤١/١)، شرح الخطيب على (المغني) (٩٦/١). وذكر الشهاب الخفاجي في (حاشيته على تفسير البيضاوي) (٢٢١/٢): «أن الخطاب عند صاحب (الكشاف) ليس للنبي صلى الله عليه وسلم وحده، بل لكل واقف عليه، والاستفهام حيثنّ للتقرير. وقول ابن هشام في (المغني) مبني على أن الخطاب لمنكري النسخ لا للنبي ﷺ ولا للعموم، فهو لم يصادف محزه». انظر: شرح د. الخطيب على (المغني) (٩٦/١).

استفهام التقرير أنه استفهام إنكار والإنكار نفى، وقد دخل على المنفي، ونفي المنفي إثبات. والذي يقرر عندك أن معنى التقرير الإثبات قول ابن السراج: فإذا أدخلت على (ليس) ألف الاستفهام كانت تقريراً ودخلها معنى الإيجاب فلم يحسن معها (أحد)؛ لأن أحداً إنما يجوز مع حقيقة النفي لا تقول: (أليس أحد في الدار)؛ لأن المعنى يؤول إلى قولك: أحد في الدار، و(أحد) لا تستعمل في الواجب اهـ^(١).

وأمثله كثيرة كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي: أنا ربكم.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠].

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [يس: ٨١].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْفِقَارٍ﴾ [الزمر: ٣٧].

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، [الزمر: ٣٢].

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٥١]. ومنه

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَنْقُصُ الرُّطْبُ إِذَا جَفَّ؟»^(٢)..

(١) الأصول في النحو، لابن السراج (١/ ٩٠).

(٢) سئل النبي ﷺ عَنْ بَيْعِ الرُّطْبِ بِالثَّمَرِ، فَقَالَ: «أَيَنْقُصُ الرُّطْبُ إِذَا جَفَّ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَلَا إِذَنْ». أخرجه مالك [١٢٩٣]، وابن أبي شيبة [٣٦٢٤٥]، وأبو داود [٣٣٥٩]، والترمذي [١٢٢٥]، وقال: حسن صحيح.

واعلم أنَّ في جعلهم الآية الأولى من هذا النوع إشكالاً؛ لأنه لو خرج الكلام عن النفي لجاز أن يجاب بنعم، وقد قيل: إنهم لو قالوا: (نعم) كفروا، ولما حسن دخول الباء في الخبر، ولو لم تفد لفظة الهمزة استفهاماً لما استحق الجواب؛ إذ لا سؤال حينئذ. والجواب يتوقف على مقدّمة، وهي أنَّ الاستفهام إذا دخل على النفي يدخل بأحد وجهين:

إما أن يكون الاستفهام عن النفي هل وجد أم لا؟ فيبقى النفي على ما كان عليه أو للتقرير كقوله: (ألم أحسن إليك؟)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(١)، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾.

فإن كان بالمعنى الأوّل لم يجز دخول (نعم) في جوابه إذا أردت إيجابه، بل تدخل عليه (بلى)، وإن كان بالمعنى الثاني، وهو التقرير فللكلام حينئذ لفظ ومعنى؛ فلفظه: نفّي داخل عليه الاستفهام، ومعناه: الإثبات، فبالنظر إلى لفظه تجيبه بـ (بلى)، وبالنظر إلى معناه، وهو كونه إثباتاً تجيبه بـ (نعم).

وقد أنكر الشيخ عبد القاهر^(١) كون الهمزة للإيجاب؛ لأن الاستفهام يخالف الواجب، وقال: إنها إذا دخلت على (ما) أو (ليس) يكون تقريراً وتحقيقاً؛ فالتقرير: كقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ﴾^(٢).

(١) انظر: دلائل الإعجاز (ص: ١٠٠-١٠١).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٣٢-٣٣٥)، وانظر: الإتيان (٢/ ٢١٢-٢١٣)، مغني اللبيب (ص: ٢٦-٢٧).

ب. نماذج الاستفهام التقريري من القرآن الكريم

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿قَالَ يَتَكَاذِبُ أَتَيْنَهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣]^(١).
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]^(٢).

(١) ونحوه قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا سُلَيْمُونُ﴾ [القلم: ٢٨]. وقد جاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢] أن الاستفهام بمعنى النفي، ونفي النفي إثبات، وهو هنا يفيد الاستنكار والتوبيخ.... انظر: زهرة التفاسير (ص: ٤٥٦٢). وفي (التحرير والتنوير): «استفهام تقرير وتعريض باللوم على عدم الوفاء بما التزم، أي: أثبت أني قلت: إنك لا تستطيع معي صبرًا». التحرير والتنوير (٣٧٦/١٥)، وانظر: البحر المحيط (٢٩٩/١)، ابن عادل (٥٢٤/١)، الدر المنصور (١٨٥/١)، وانظر أيضًا استفهام التقرير في (الدر المنصور) تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَأَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨] (٣٣٩-٣٤٠). ونحوه: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا سُلَيْمُونُ﴾ [القلم: ٢٨].

(٢) وانظر: الآيات التالية: [البقرة: ١٠٧]، [المائدة: ٤٠]، [الحج: ٧٠]. وقد قيل في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]، أي: وإذ قد علمت يا محمد هذا وأيقنت، فاعلم أنه يعلم أيضًا ما أنتم مختلفون فيه فهو يحكم بينكم. وقد قيل: إنه استفهام تقرير للغير.. انظر: تفسير القرطبي (٩٥/١٢). فالهمزة للاستفهام التقريري، و(لم) حرف نفي وقلب وجزم. جاء في (زهرة التفاسير) في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧]: أن «الهمزة للاستفهام الإنكاري بمعنى النفي، أي: إنكار الوقوع، فما بعدها يكون منفيًا بها، و(لم) نافية لما بعدها، فيكون نفي النفي، ونفي النفي إثبات، كما يقر علماء البيان، والنفي على طريقة الاستفهام فيه =

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾
[البقرة: ٢١٤] ^(١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] ^(٢). ^(٣).

= تنبيه بليغ؛ لأن الاستفهام في ذاته فيه إثارة للانتباه.. «زهرة التفاسير (ص: ٣٥٦).
(١) ونحوه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ١٦]. أما الإعراب فإن ﴿أَمْ﴾، هنا منقطعة مقدرة بـ: (بل) والهمزة) فتضمن إضراباً، وهو انتقال من كلام إلى كلام، ويدل على استفهام، لكنه استفهام تقرير. انظر: البحر المحيط (٢/ ١٤٨)، التحرير والتنوير (٢/ ٣١٤)، المحرر الوجيز (١/ ٢٨٧)، إعراب القرآن الكريم، لابن سيده (١/ ٤٤٩)، القرطبي (١٠/ ٣٥٦).
(٢) والهمزة هنا للاستفهام التقريري، والمراد بالاستفهام أن يكون مشوباً بالعجب والتشويق إلى معرفة فحوى القصة، واكتناه مغزاها. وانظر الآيات التالية: [البقرة: ٢٤٦-٢٥٨]، [آل عمران: ٢٣]، [النساء: ٤٤-٤٩ - ٥٠-٦٠-٧٧]، [إبراهيم: ١٩-٣٤-٢٨]، [مريم: ٨٣]، [الحج: ١٨-٦٣-٦٥]، [الثور: ٤١-٤٣]، [الفرقان: ٤٥]، [الشعراء: ٢٢٥]، [لقمان: ٢٩-٣١]، [فاطر: ٢٧]، [الزمر: ٢١]، [غافر: ٦٩]، [المجادلة: ٧-٨-١٤]، [الحشر: ١١]، [الفجر: ٦]، [الفيل: ١].

(٣) وأستعرض هنا أهم ما جاء في بيان هذه الآيات، وما له صلة ببيان الاستفهام التقريري فقد جاء في (زهرة التفاسير) أن «الاستفهام هنا يؤدي في مغزاه معنى التقرير والتثبت؛ وذلك لأنه للإنكار والتثني، وقد دخل على منفي فنفي التثني، وبذلك تقرّر المعنى وثبت؛ لأن نفي التثني إثبات؛ فالمعنى: قد رأيت ونظرت وعلمت، والخطاب عام لكل قارئ وسامع إلى يوم القيامة، والرؤية بمعنى العلم، فإن (رأى) تكون بمعنى (علم) وبمعنى (أبصر)، أو تكون دائماً بمعنى: (أبصر)، ولكن الإبصار قد يكون بالبصر، وقد يكون بالبصيرة فيكون علماً، وقد تتضمن الرؤية معنى النظر، وهو نظر بالبصيرة؛ ولأنها تضمنت معنى النظر قد تعدت بـ: (إلى)». وجاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ

إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٦﴾ [النساء: ٦٠] أَنَّ هذا التعبير القرآني هو استفهام سبق للتعجب، والإنكار فيه التعجب وتوبيخ الذين وقع منهم هذا الفعل. وأداة الاستفهام دخلت على التثني، ونفي التثني إثبات. والمعنى: قد رأيت الأمر العجب المستنكر الذي وقع من أولئك الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك. والزعم يكون فيمن يقول قولاً لا يوجد ما يدل على صدقه، والمعنى: قد رأيت حال أولئك الذين يدعون كذباً أنهم يعتقدون، ويدعون للذي أنزل إليك من شريعة عادلة وحكمة بين الناس بالعدل، وأنهم يؤمنون بالكتب المنزلة وما اشتملت عليها، ومع ذلك يتركون الحق الواضح البين الذي لا شبهة فيه الذي اشتملت عليه شريعتك وما قبلها، ويتحاكمون إلى الطاغوت، وهو الطغيان الكثير. ولعل المراد به هنا الحكم الذي لا يبنى على الحق، ولا يقوم على أساسه، وليس له نظام وقانون مقرر ثابت، يعرف فيه كل واحد من الخصمين ما له من حقوق، وما عليه من التزامات. وجاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ١٩] نحو ذلك. وجاء في تفسير: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كُفَّةً طَائِفَةً كُنُوزَ طَائِفَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] أيضاً نحو ذلك. وكذلك تفسير: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النحل: ٧٩]. ونحوه قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِفٌ وَيَقِيعُنَّ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ﴾ [الملك: ١٩]. ونحو ذلك تفسير: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَثَرُ﴾ [مريم: ٨٣]. وجاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ [الحج: ٦٣]: «استفهام تقرير، ولذلك رفع ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ عطف على ﴿أَنْزَلَ﴾ إذ لو نصب جواباً للدال على نفي الاخضرار كما في قولك: (ألم تر أي جئتكم فتنكرمني)، والمقصود: إثباته، وإنما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان». انظر: تفسير البضاوي (٤/١٣٨)، تفسير أبي السعود (٦/١١٧). وفي (زهرة التفسير) «الاستفهام هنا للتثنية، وقد جاء على صيغة الاستفهام الإنكاري الدال على نفي الوقوع، وهو داخل على (لم) التأني، ونفي التثني إثبات والمعنى: لقد رأيت بنظرك وعلمك..». ونحو ذلك في تفسير: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرَى فِي

تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا قَال بَلَىٰ وَلَكِنْ لَّيَطْمِئَنَّ قُلُوبُكَ ﴿البقرة: ٢٦٠﴾^(١).
﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ آتَقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ﴾ [آل عمران: ١٥]^(٢).

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

= الْبَحْرُ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿الحج: ٦٥﴾. وانظر في تفسير قوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣]. زهرة التفاسير (ص: ٨٥٧) (ص: ١٧٣٤) (ص: ٤٠١٢) (١/٤٦٨٦). (ص: ٥٠١٧) (ص: ٥٠٢٠) (ص: ٥٢٠٤). وانظر تفسر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٥]، وقوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]. والكلام هنا مستأنف مسوق لتقرير ما تقدّم من ذكر اختلاف أحوال الناس، وأنه مطرّد في جميع الكائنات، فالهمزة للاستفهام التقريري. وجاء في تفسير: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَاعِدِ ﴿٦﴾﴾ [الفجر: ٦]: أي: ألم تعلم يا محمّد علماً يوازي العيان في الإيقان؟ وهو استفهام تقرير.. (١) وقد نبّه على ذلك العلامة الطاهر بن عاشور حيث قال: «قوله ﷺ: ﴿أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا﴾ الواو فيه واو الحال، والهمزة استفهام تقريريّ على هذه الحالة، وعامل الحال فعل مقدّر دلّ عليه قوله: ﴿أَرَأَيْتَ﴾، والتقدير: (أأريك في حال أنك لم تؤمن؟)، وهو تقرير مجازيّ مراد به لفت عقله إلى دفع هواجس الشك، فقوله: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنْ لَّيَطْمِئَنَّ قُلُوبُكَ﴾ كلام صدر عن اختياره يقينته وإفائه سالماً من الشك». التحرير والتنوير (٣/٣٨).

(٢) قوله ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمّد لقومك: ﴿أَوْفَيْتُكُمْ﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور من الشهوات استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ آتَقَوْا﴾. انظر: روح المعاني (٣/١٠٠)، البيضاوي (٢/١٥)، (٤/٤٠٠)، الجلالين (ص: ٦٥). والكلام مستأنف مسوق لتقرير وتحقيق الخبر لما عند الله ﷻ أو أفضليته على شهوات الدنيا، والهمزة للاستفهام التقريري.

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]^(١).
 ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ
 كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 [النساء: ١٤١]^(٢).

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]^(٣).
 ومما قيل في قوله ﷻ:
 ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ
 الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤]^(٤).

(١) «قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ ، وهذا استفهام تقرير ، أي : قد تقرّر عند
 كل أحد أن أرض الله ﷻ واسعة ، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكّن فيه من إظهار دينه ،
 فإن له متسعاً وقسحة من الأرض يتمكّن فيها من عبادة الله ﷻ.

(٢) معناه أننا كنّا معكم مؤكّدين ذلك بالاستفهام ، وهو الذي يسمّى : (الاستفهام التقريري) ،
 وهو في أصله للثقي ، وهو داخل على الثقي ، وهو : (لم تكن معكم) ، فهو نفى لهذه
 القضية ، ونفي الثقي إثبات ، ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ . انظر : زهرة
 التفاسير (ص: ١٩١٣) . ونحوه : ﴿يَنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الحديد: ١٤].

(٣) هذا استفهام تقرير معناه : أنّه ﷻ لا يعذب الشّاكر المؤمن ، فإنّ تعذيبه لا يزيد في ملكه ،
 وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه ؛ لأنّه الغني الذي لا يحتاج إلى شيء من ذلك ، فإن
 عاقب أحداً فإنما يعاقبه لأمرٍ أوجبه العدل والحكمة ، فإن قمتم بشكر نعمته وآمنت به فقد
 أنقذتم أنفسكم من عذابه . انظر : تفسير الخازن (١/٦١٤) ، تفسير ابن عادل (٧/٩٤) ،
 تفسير البغوي (١/٤٩٣) ، تفسير القرطبي (٥/٤٢٦) ، فتح القدير (١/٥٣٠).

(٤) وبيان ما قيل في تفسيره قوله ﷻ: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ ، أي : ﴿و﴾ نحن
 (نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) ، وهي أمة محمد ﷺ التي هي أفضل الأمم ، وهذا منهم
 استفهام إنكار واستبعاد ؛ لانتفاء الإيمان مع قيام الدّاعي ، وهو الطمع في الانخراط مع
 الصّالحين ، والدّخول في مداخلهم . انظر : تفسير البيضاوي (٢/٣٥٨) ، البحر المديد =

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ
الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢].
﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: ٣٠] ^(١).

= (٢/٢٠٦-٢٠٧). وفي (زهرة التفاسير) (ص: ٢٣٢٩): «الاستفهام هنا إنكاري في معنى التعجب، وهو إنكار للوقوع، فهو بمعنى نفي أن يحدث منهم عدم الإيمان؛ لأنَّ موجب الإيمان قد وجد، وهو الإيمان لله ﷻ، والحق الذي جاء إليهم، وخطوبابه، ولا يوجد أي مانع يمنعهم من الإيمان، فالسبب قد تحقق ولا مانع، والاستفهام بمعنى التثني، وهو داخل على نفي، ونفي التثني إثبات، فمعناه إصرار على الإيمان».

(١) قوله: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾، أي: أليس هذا البعث هو الحق الذي لا ريب فيه؟ وتكون (الباء) لتأكيد معنى الإنكار الذي هو بمعنى التثني، وقد دخل على نفي، ونفي التثني إثبات، ولقد كانت إجابتهم مصدقين. و﴿بَلَىٰ﴾ لنفي ما يكون بعد الاستفهام، أي: نفي ما تضمنته (ليس) التافية هو تصديق أنه الحق. انظر: زهرة التفاسير (ص: ٢٤٧٩). وانظر الآيات التالية: [الأنعام: ٥٣]، [هود: ٧٨]، [هود: ٨١]، [العنكبوت: ٦٨]، [الزمر: ٣٢-٣٦] - [٣٧-٦٠]، [الزخرف: ٥١]، [الأحقاف: ٣٤]، [القيامة: ٤٠]، [التين: ٨]. وقد قيل في قوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: قِمْنُ عليهم بالإيمان دون الرؤساء الذين علم الله ﷻ منهم الكفر، وهذا استفهام تقرير، وهو جواب لقولهم: ﴿أَهْتَوَلَاءَ مِنْ أَلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَانًا﴾ [الأنعام: ٥٣]. انظر: تفسير القرطبي (٦/٤٣٤)، البحر المحيط (٤/١٤٢)، وانظر: زهرة التفاسير (ص: ٣٧٣٦). وجاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي: مستقر، وهو استفهام تقرير. انظر: تفسير القرطبي (١٣/٣٦٤)، (١٥/٢٥٦)، السراج المنير (٣/٢٠١)، (٣/٣٦٧)، القرطبي (١٣/٣٦٤)، (١٥/٢٥٦)، ابن عادل (١٢/٤٧٠)، الدر المصون (٣/٤٣). وفي (التحرير والتنوير): «والهمزة في قوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ للاستفهام التقريري، وأصلها: إمَّا الإنكار بتنزيل المقر منزلة المنكر ليكون إقراره أشدَّ لزوما له، وإمَّا =

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] ^(١).
 ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي
 وَيُذَرِّوْكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] ^(٢).
 ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَى رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ^(٣).

= أن تكون للاستفهام، فلما دخلت على التثني أفادت التثنية؛ لأن إنكار التثني إثبات للمنفى، وهو إثبات مستعمل في التقرير على وجه الكناية. وهذا التقرير بالهمزة هو غالب استعمال الاستفهام مع التثني... التحرير والتنوير (٣٦/٢١). وقد ذكر هذا المعنى الألوسي في (تفسيره). انظر: روح المعاني (١٤/٢١)، (١٩/٢٤)، وانظر: الدر المصون (٣٦٩/٥)، ابن عادل (٣٧٩/١٥)، تفسير أبي السعود (٤٨/٧)، (٢١٦/٧).
 (١) ونحوه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، فقوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾، أي: الجامع لصفات الكمال كلها المنعوت بنعوت العظمة والجلال ﴿بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾، استفهام إنكار للتثني مبالغة في الإثبات. انظر: تفسير السراج المنير (٥٣٧/٣). ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٧]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْمَرَ الْفُكَمِينَ﴾ [التين: ٨]، وانظر: تفسير أبي السعود (٢٥٥/٧)، تفسير البضاوي (٦٧/٥)، والتحرير والتنوير (١٣/٢٤)، البحر المديد (٣٩٧/٦).

(٢) قال الحافظ ابن كثير: «وهذا أيضا مما يقرع الله به ﷻ كافرين الجن والإنس يوم القيامة، حيث يسألهم -وهو أعلم-: هل بلغتكم الرسل رسالاته؟ وهذا استفهام تقرير: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾» تفسير ابن كثير (١٧٨/٢)، ونحو ذلك الآيات التالية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩]، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُذَرِّوْكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى﴾ [الزمر: ٧١]، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ أَفْوَا وَيَا أَمْرِهِمْ﴾ [التغابن: ٥]، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨]. وانظر: تفسير السراج المنير (٤١٠/٣)، الجلالين (ص: ٣٣٠)، زهرة التفاسير (ص: ٣٩٩٦).

(٣) قال الشيخ محمد الأمين في بيان أن الاستفهام في هذه الآية استفهام تقرير.. قال: «وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار؛ لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق =

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ [الأعراف: ٣٧]^(١).

﴿أَغْيَرِ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٤٠].

﴿أَلَمْ يُوْحَدْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩]^(٢).

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]^(٣).

= بالرُّبُوبِيَّة (استفهام تقرير)، وليس (استفهام إنكار)؛ لأنَّهم لا ينكرون الرُّبُوبِيَّة، كما رأيت كثرة الآيات الدَّالَّة عليه. أضواء البيان (٣/ ٢١)، وانظر: زاد المسير (٣/ ٢٤٥).

(١) قوله ﷻ حكاية عن قول الرُّسُل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام-: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ استفهام تقرير وتوبيخ، وتوقيف على خزي. و﴿تَدْعُونَ﴾ معناه: تعبدون وتؤملون. انظر: تفسير الثعالبي (٢/ ١٧)، المحرر الوجيز (٢/ ٣٩٨).

(٢) انظر: السراج المنير (١/ ٦٠٧)، الجلالين (ص: ٢١٩)، ابن عادل (٩/ ٣٧٢)، تفسير أبي السعود (٣/ ٢٨٨).

(٣) انظر: الإتيان (٢/ ٢١٣). قال الزركشي في (البرهان): «واعلم أنَّ في جعلهم الآية الأولى [يعني قوله ﷻ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾]، من هذا النوع إشكالا؛ لأنَّه لو خرج الكلام عن الثَّغْيي لجاز أن يجاب بنعم، وقد قيل: إنهم لو قالوا: (نعم) كفروا، ولما حسن دخول الباء في الخبر، ولو لم تغد لفظة الهمزة استفهاما لما استحق الجواب؛ إذ لا سؤال حيثئذ. والجواب يتوقَّف على مقدِّمة، وهي أنَّ الاستفهام إذا دخل على الثَّغْيي يدخل بأحد وجهين: إمَّا أن يكون الاستفهام عن الثَّغْيي، هل وجد أم لا؟ فيبقى الثَّغْيي على ما كان عليه، أو للتقرير كقوله: (ألم أحسن إليك؟)، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَنْسَخْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]. فإن كان بالمعنى الأول لم يجز دخول (نعم) في جوابه إذا أردت إيجابه، بل تدخل عليه (بلى). وإن كان بالمعنى الثاني -وهو التقرير- فللكلام حيثئذ لفظ ومعنى، فلفظه نفْي داخل عليه الاستفهام، ومعناه الإثبات، فبالنظر إلى لفظه تحييه بلى، وبالنظر إلى معناه -وهو كونه إثباتا- تحييه بنعم. وقد أنكر عبد القاهر [أي: الجرجاني في (دلائل الإعجاز) (ص: ٨٨-٨٩)] كون الهمزة للإيجاب؛ لأنَّ الاستفهام يخالف الواجب، وقال: إنها إذا دخلت على (ما) أو (ليس) يكون تقريرًا وتحقيقًا، فالتقرير كقوله ﷻ: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ =

﴿أَلَا تَقُولُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ
بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرْءٌ أَنَخَشْنَاهُمْ﴾ [التوبة: ١٣] (١).

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا
فِيهَا﴾ [التوبة: ٦٣] (٢).

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾
[يونس: ٣١] (٣).

= هَذَا ﴿[الأنبياء: ٦٢]». البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٣٤-٣٣٥). وهنا مسألة، إذا كان
الله ﷻ عالما في الأزل بحال المسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال في قوله ﷻ لعيسى عليه
السلام: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾؟؟؟ والجواب: هذا استفهام على سبيل التقرير للمشركين
كما قال لعيسى عليه السلام؛ ولأن أولئك المعبودين لما برؤوا أنفسهم، وأحالوا ذلك
الضلال عليهم صار تبرؤ المعبودين عنهم أشد في حسرتهم وحيرتهم. انظر: تفسير الرازي
(٤٥٢/٢٤).

(١) قوله ﷻ: ﴿أَلَا تَقُولُونَ قَوْمًا﴾ تحريض على القتال بأبلغ وجه؛ لأن الاستفهام فيه
للإنكار، والاستفهام الإنكاري في معنى النفي، وقد دخل هنا على نفي، ونفي النفي
إثبات. وحيث كان الترك منكرا أفاد بطريق برهاني أن إيجاده أمر مطلوب مرغوب فيه، فيفيد
الحث والتحريض عليهم بأقوى الأدلة، وأسمى الأساليب. انظر: روح المعاني (١٠/ ٦٠).
(٢) قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الاستفهام هنا للنفي والتوبيخ، ولم
نافية، ونفي النفي إثبات. انظر: زهرة التفاسير (ص: ٣٣٥٥-٣٣٥٦)، وانظر: نظم الدرر
(٣/ ٣٤١). ونحوه قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾
[التوبة: ٧٨]، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة: ١٠٤]. وانظر في
بيان ذلك: زهرة التفاسير (ص: ٣٣٨٧).

(٣) ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤]. ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]. ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ =

﴿يَصْصَحِي السَّجْنَ ءَازْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(١)
[يوسف: ٣٩].

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٠]^(٢).
﴿قَالُوا لَوْ أَنَا لَأَنَّتْ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٠]^(٣).

= السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، و[لقمان: ٣٨]، ﴿وَلَيْنِ سَأَلْنَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولَنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، أي: قل يا محمد للكفار من رب السموات والأرض؟ استفهام تقرير واستنطاق بأنهم يقولون: الله ﷻ، فإذا قالوها، قل: الله، أي: هو كما قلتم. وقيل: فإن أجابوك وإلا قل: الله؛ إذ لا جواب غير هذا انتهى. وهو تلخيص القولين اللذين قالهما الزخشري. وقال البغوي: روي أنه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا: أجب أنت، فأمره الله ﷻ فقال: قل: الله... انظر: البحر المحيط (٦٧/٥)، (٣٧٠/٥)، الكشف (٤٠/٣)، تفسير البغوي (١٢/٣)، روح المعاني (١٢٧/١٣)، ابن عادل (٤٥/٨)، تفسير أبي السعود (١١٥/٣).

(١) هذا استفهام تقرير بعد تخيير، ومقدمة لأظهر برهان على التوحيد، وكان المصريون المخاطبون به، يعبدون كغيرهم من الأمم أربابا متفرقين في ذواتهم، وفي صفاتهم وفي الأعمال التي يسندونها إليهم بزعمهم، فهو يقول لصاحبيه: ﴿ءَازْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾، أي: عديدون هذا شأنهم في التفرق والانقسام خير لكما ولغيركما ﴿أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾. تفسير المنار (٢٥٣/١٢).

(٢) الاستفهام هنا إنكاري بمعنى إنكار الوقوع، ونفي النقي إثبات، والمعنى أنه عتفهم في قوة قائلا: لقد علمتم أن أباكم أخذ عليكم عهدا موثقا بإيمان الله ﷻ... انظر: زهرة التفاسير (ص: ٣٨٤٨).

(٣) فتوسموا أنه يوسف عليه السلام، واستفهموه استفهام استخبار. وقيل: استفهام تقرير؛ لأنهم كانوا عرفوه بتلك العلامات، ولذلك حقق بأن ودخول اللام عليه... انظر: البحر المحيط (٣٣٧/٥)، تفسير البيضاوي (٣٠٧/٣)، تفسير السراج النبوي (١٤٨/٢)، روح المعاني (٤٨/١٣)، تفسير أبي السعود (٣٠٤/٤).

- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]، و[غافر: ٥]^(١).
 ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١]^(٢).
 ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]^(٣).

- (١) انظر: تفسير الواحدي (٢/ ٩٤١)، زاد المسير (٧/ ٢٠٨).
 (٢) وانظر الآيات التالية: [الأعراف: ٢٦٠-١٨٤]، [إبراهيم: ٤٤]، [الحجر: ٧٠]، [النحل: ٤٨]، [الإسراء: ٩٩]، [طه: ١٣٣]، [الأنبياء: ٣٠]، [الشعراء: ٧ - ١٩٧]، [القصص: ٤٨-٧٨]، [العنكبوت: ١٩-٥١-٦٧]، [الروم: ٨-٩-٣٧]، [السجدة: ٢٦-٢٧]، [فاطر: ٣٧-٤٤]، [يس: ٧١-٧٧]، [الزمر: ٥٢]، [غافر: ٢١-٥٠]، [فصلت: ١٥-٥٣]، [الأحقاف: ٣٣]، [الملك: ١٩]. والاستفهام في هذه الآيات إنكاري لإنكار الوقوع بمعنى النفي، ونفي النفي إثبات، فلا استفهام الإنكاري داخل على (لم).. انظر: زهرة التفاسير (ص: ٣٩٧٠). وانظر على سبيل المثال تفسير الآيات التالية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ ثَمَرٍ يَنْفَتِحُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨]، فإن الهمزة للاستفهام وهو استفهام إنكار، أي: قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه؟! و﴿مَا﴾ موصولة مبهمة بمعنى: (الذي) و﴿مِنْ ثَمَرٍ﴾ بيان لها. انظر: تفسير السراج المنير (٢/ ٢٦٢)، تفسير البضاوي (٣/ ٤٠١)، زاد المسير (٤/ ٣٤٩). وكذلك قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْطَّيْرِ يَوْفَهُمْ صَفْتٌ وَيُقْبَضُ مَا يُمَسِكْنَ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ [الملك: ١٩]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْطَّيْرِ﴾. وكذلك قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ [القصص: ٥٧]. انظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٩)، (٢٠/ ١٤٩). فالهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، يردُّ دعواهم التي لا أساس لها من الصُّحَّة بأن مكنَّ لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت، وآمن قطانه بحرمة. انظر في بيان هذه الآيات: البحر المديد (٤/ ٤٧٥)، التحرير والتنوير (٢٣/ ٦٧)، (٢٤/ ٢٥٧)، البحر المحيط (٥/ ٣٧٥)، (٥/ ٤٢٤)، (٦/ ٨٠)، ابن عادل (٩/ ٤٠٥)، (١٥/ ٣٦٣)، (١٦/ ٢٦٤).
 (٣) أي: هل تشكون في الله ﷻ؟ وهو استفهام إنكار، أي: لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه. انظر: السراج المنير (٢/ ١٩٢)، وانظر: إعراب القرآن وبيانه (٣/ ٧٧). أقول: والتحقيق أنَّ نحو قوله ﷻ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَيْتِي رَبِّي﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وإن زعم بعض العلماء أنَّ هذا استفهام إنكار؛ لأنَّ استقراء القرآن دلَّ =

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء: ٩٩] (١).

﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] (٢).

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: ٩] (٣).

= على أن الاستفهام المتعلق بالرؤية استفهام تقرير، وليس استفهام إنكار؛ لأنهم لا ينكرون الرؤية لكثرة الآيات الدالة عليه - كما سبق - انظر: أضواء البيان (٢١/٣).

(١) قوله ﷺ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ استفهام إنكار وتوبيخ لهم على ما كانوا يستبعدونه من الإعادة. انظر: البحر المحيط (٨٠/٦)، وانظر: الخازن (١٢٦/٧)، التحرير والتنوير (٣٩/٢٩). والتحقق ما ذكره الشيخ محمد أبو زهرة في (زهرة التفاسير) حيث قال: «(الواو) عاطفة على فعل مقدر بما يناسب الكلام، وتقديره: أقالوا ذلك ولم يروا أن الله ﷻ الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم، والاستفهام داخل على (لم يروا)، ومعناه: التفي مع التثنية، يعنى قد قالوا قولهم، وقد رأوا أن الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم، وإذا كان قادرا على أن يخلق مثلهم، فبالأولى وهو قادر على أن يعيد بعضهم أو كلهم، فهذا إثبات لإعادتهم خلقا جديداً بطريق دلالة الأولى، ذكر مقدم الدليل، وترك لهم أن يأخذوا التالي من المقدم». زهرة التفاسير (ص: ٤٤٦٥). والحاصل أنه استفهام الإنكار هنا دخل على نفي، ونفي النفي إثبات.

(٢) الاستفهام في قوله ﷺ: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ الظاهر أنه استفهام تقرير، ليحملوا به ضعف المسلمين الذين هم في نقشٍ وراثته هيثة على أن يقولوا أنتم خير مقامًا وأحسن نديًا منا. وعلى كل حال فلا خلاف أن مقصودهم بالاستفهام المذكور أنهم - أي: كفار قريش - خير مقامًا وأحسن نديًا من أصحاب النبي ﷺ، وأن ذلك هو دليلهم على أنهم على الحق، وأنهم أكرم على الله ﷻ من المسلمين انظر: أضواء البيان (٤٨٣/٣)، ونحوه: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

(٣) ونحوه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا مِنَ الْبَحَرِ﴾ [ص: ٢١]، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَبِإٍ يَزْعِمُ الْمُكْرِمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [التازعات: ١٥]، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ [البروج: ١٧]، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]. وهذا استفهام =

﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَىٰ﴾ [طه: ١٧] ^(١).
 ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦] ^(٢).

= تقرير يحث على الإصغاء لما يلقى إليه وعلى التأسي. انظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٧)، (٨/ ٤٤٥)، زاد المسير (٥/ ٢٧١)، تفسير ابن عادل (٢٠/ ٢٨٩)، المحرر الوجيز (٥/ ١٧٧)، روح المعاني (٣٠/ ٩٣)، نظم الدرر (٧/ ٢٧٨)، تفسير ابن عرفة (٢/ ٢٩٧).

(١) قال ذلك على وجه التقرير، أي: أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها، فسترى ما نصنع بها الآن، ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَىٰ﴾ استفهام تقرير. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥). أما الإعراب فإن الواو عاطفة، و(ما) اسم استفهام للتقرير مبتدأ، و﴿ذَلِكَ﴾ خبره.

(٢) قوله ﴿﴿﴾: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ فيه وجهان معروفان عند العلماء: الأول: أن مضارعة تنقلب ماضوية، ونفيه ينقلب إثباتاً. فيصير قوله: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ﴾ بمعنى وعدكم، وقوله ﴿﴿﴾: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح: ١]، بمعنى شرحنا، وقوله ﴿﴿﴾: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَّكَ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد: ٨]، بمعنى جعلنا له عينين. وهكذا. ووجه انقلاب المضارعة ماضوية ظاهر؛ لأن (لم) حرف قلب تنقلب المضارع من معنى الاستقبال إلى معنى الماضي - كما هو معروف - ووجه انقلاب النفي إثباتاً أن الهمزة إنكارية، فهي مضمّنة معنى النفي، فيستلظ النفي الكامن فيها على النفي الصريح في (لم) فينفيه، ونفي النفي إثبات فيقول إلى معنى الإثبات. الوجه الثاني: أن الاستفهام في ذلك للتقرير، وهو حمل المخاطب على أن يقرّ فيقول: (بلى)، وعليه فالمراد من قوله ﴿﴿﴾: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾: حملهم على أن يقرّوا بذلك فيقولوا: بلى هكذا. ونظير هذا من كلام العرب قول جرير:

﴿أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَتَدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ﴾.

أضواء البيان (٤/ ٨٢)، (٧/ ٥٤٦)، وانظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٤)، تفسير القرطبي (٣/ ٣٠٠)، (١٢/ ٢٩٤)، (٢٠/ ١٠٥)، (٢٠/ ١١٧)، روح المعاني (١٨/ ١٩٧)، (٢١/ ١٤). والبيت لجرير بن عطية الخطفي، من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان، ديوانه طبعة الصّاوي بالقاهرة (ص: ٩٨). و(المطايا): جمع مطية، وهي الإبل يركب مطاها، أي ظهرها في الأسفار. وانظر: الأغاني (٨/ ٩)، (٨/ ٤٦)، (٨/ ٧٢)، (٨/ ٢١٦)، (١٥/ ٩١)، وخزانة الأدب (٢/ ٢١٣)، وانظر: الجمل، للخليل (ص: ٧٥)، =

﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِطِلْمَتِنَا يَتَابَرِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٢] ^(١).
 ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]، [سبا: ٤٥]، [فاطر: ٢٦]،
 [الملك: ١٨] ^(٢).

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنَالِ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥] ^(٣).

= (وص: ٢٦٤). وفي (مجاز القرآن الكريم): «جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربّها، ولكن معناها معنى الإيجاب: أي: أنك ستفعل. وقال جرير: فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان:

(أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاح).

وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب: ألسن الفاعل كذا؟ ليس باستفهام، ولكن تقرير. مجاز القرآن الكريم (١/٢٣٦)، وفي موضع آخر من (مجاز القرآن): «لم يستفهم، ولو كان استفهاماً ما أعطاه عبد الملك مائة من الإبل برعاتها». مجاز القرآن الكريم (١/١٨٤)، وانظر: المجاز في اللغة والقرآن، لعبد العظيم المطيعي (١/٣٨-٤١).

(١) قوله ﷺ: ﴿ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا﴾، أي: التكسير، ﴿يَتَابَرِهِمْ﴾؟ وهذا استفهام تقرير، أي: فما الذي جرّأك، وما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر؟ انظر: التحرير والتنوير (١/٤٢٠).

(٢) قوله ﷺ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ استفهام تقرير، أي: فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب، أليس كان واقعاً قطعاً؟. انظر: تفسير ابن عادل (١٤/١٠٧)، تفسير الرّازي (٢٣/٤٢-٤٣)، (٢٣/٢٣٤)، السّراج المنير (٤/١٤٣)، (١٤/١٠٧)، تفسير الماوردي (٤/٤٥٤).

(٣) قوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنَالِ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، الاستفهام داخل على حرف نفي، وهو للإنكار بمعنى عدم الوقوع، ونفي النفي إثبات، والاستفهام مع دلالة على النفي فيه توبيخ وتذكير بجرائمهم، وجحودهم بالحق، وهو أبلغ، والمعنى: (قد كانت آياتي تنال عليكم)، والواضح أنها آيات القرآن؛ لأنها هي التي تنال مرتلة، كما أنزلها الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ. زهرة التفاسير (ص: ٥١٢١).

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨] ^(١).
 ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠] ^(٢).
 ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ بِإِثْمِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠] ^(٣).

﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ^(٤).
 ﴿فَأَسْتَفْنِيهِمْ أَهْمَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا﴾ [الصافات: ١١] ^(٥).
 ﴿أَيُّفْكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٦] ^(٦).

(١) انظر: أضواء البيان (٥٧٢/٨)، ابن عادل (٣٧٢/٩)، (١٤٩/١٦)، البحر المحيط (٢٩٩/١)، (٥١٥/١)، السراج المنير (٦٣٥/٤).

(٢) ونحوه قوله ﷻ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]. وهذا استفهام تقرير، والمعنى من قدر على ذلك العظيم قدر على هذا اليسير. انظر: زاد المسير (٤٢/٧).

(٣) قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، يعني المكذبين بك، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ الذين يدعون أنهم يعبدونهم، فإن غاية ما ترتقي إليه منزلتهم أنهم يقولون: نحن نعبد الملائكة والكواكب. قال قتادة: هذا استفهام تقرير. انظر: تفسير الرازي (٢١٣/٢٥)، تفسير ابن عادل (١٦/٧٨-٨٩)، وانظر: تفسير البغوي (٥٦١/٣)، تفسير الماوردي (٤٥٤/٤)، زاد المسير (٤٦٣/٦).

(٤) أي: لا خالق إلا الله ﷻ، وهو استفهام تقرير وتوبيخ. انظر: تفسير الخازن (٢٩٧/٥)، زاد المسير (٤٧٤/٦)، الجلالين (ص: ٣٠٩).

(٥) ومما قيل في تفسير الآية: سل أهل مكة: ﴿أَهْمَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا﴾ يعني من السموات والأرض والجال؟ وهو استفهام تقرير، أي: هذه الأشياء أشد خلقًا. انظر: تفسير الخازن (١٩/٦)، ابن عادل (٢٨٣/١٦)، السراج المنير (٣٣٨/٤)، البحر المحيط (٣٣٩/٧)، زاد المسير (٤٨/٧).

(٦) أجازوا في نصب ﴿أَيُّفْكَاءَ﴾ وجوها: أحدها: أن يكون مفعولاً بـ: ﴿تُرِيدُونَ﴾، والتَّهْدِيدُ =

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]. وقد سبق بيان هذه الآية، والإشارة هنا إلى موضعها.

﴿أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠] ^(١).

﴿وَقَالُوا ءَأَلْهَيْتَنَا خَيْرَ أَمْرٍ هُوَ مَا صَرَبْنَاهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨] ^(٢).

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ [القمر: ١٦ - ١٨ - ٢١ - ٣٠] ^(٣).

﴿ءَأَسْرَأْتَنَّا تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَخْلُقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٩] ^(٤).

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

= لأتمته، وهو استفهام تقرير، ولم يذكر ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/٤٧٨) غير هذا الوجه، أي: ذكر أنه استفهام بمعنى التثقيب، أي: أكذباً ومحالاً، وذكره الزُّخْشَرِي. انظر: البحر المحيط (٧/٣٥٠)، الكشف (٣/٣٤٤)، المحرر الوجيز (٤/٤٧٨)، وإعراب القرآن الكريم، لابن سيده (٧/٢٥٩)، وانظر: شروح تلخيص المفتاح (٢/٢٩٧).

(١) استفهام تقريراً بقوله: ﴿يُلْقَى فِي النَّارِ﴾، بإلحاده في آياتنا، ﴿خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا﴾، ولا اشتراك بين الإلقاء في النار، والإتيان آمناً، لكنه استفهام تقرير. انظر: البحر المحيط (٧/٤٧٨)، المحرر الوجيز (٥/١٨-١٩)، تفسير الثعالبي (٤/٥٦).

(٢) استفهام تقرير في أن آلهتهم خير.. انظر: تفسير القرطبي (١٦/١٠٤).

(٣) قوله ﷻ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾، أي: وجد وتحقق ﴿عَذَابِي﴾، أي: لمن كفر وكذب رسلي ﴿وَنُذْرٍ﴾، أي: إنذار، استفهام تقرير ﴿فَكَيْفَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، وهي للسؤال عن الحال. والمعنى حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه ﷻ بالمكذبين لنوح عليه السلام موقعه. انظر: تفسير السراج المنير (٤/٩٨)، تفسير الواحدي (٢/١٠٤٧)، الجلالين (ص: ٧٠٦). والحاصل أن في الآية تقرير حادثة الطوفان..

(٤) قوله ﷻ: ﴿ءَأَسْرَأْتَنَّا تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَخْلُقُونَ﴾ «استفهام تقرير، فإنهم لا بد أن يقولوا: أنتم الخالقون، فيقال لهم: إذا كنّا خلقنا هذا الإنسان الخصيم المين من تلك التُّفُفَةِ التي تمنى في الرّحم، فكيف تكذبون بقدرتنا على خلقه مرة أخرى، وأنتم تعلمون أن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من الابتداء؟!». أضواء البيان (٧/٥٢٨).

- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]^(١).
 ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥]^(٢).
 ﴿مَأْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]^(٣).
 ﴿مِنَ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٨]^(٤).
 ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَخَافَىٰ﴾ [الضحى: ٦]^(٥).
 ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]^(٦).

(١) استفهام تقرير وتقريب، ولذلك فُسر بـ (قد)، وأصله: (أهل). انظر: الكشاف (٤/١٩٤)، معاني القرآن، للفرّاء (٣/٢١٣)، البيضاوي (٥/٤٢٥)، تفسير أبي السعود (٩/٧٠)، روح المعاني (٢٩/١٥٠). وسيأتي المعنى مفصلاً، وكذلك بيان أن (هل) تأتي بمعنى (قد).
 (٢) ونحوه: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ [النبا: ٦]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد: ٨]. أي: جعلنا. انظر: الجلالين (ص: ٨٠٨)، وانظر: أضواء البيان (٤/٨٢)، (٧/٥٤٦). وقد تقدّم الحكم على كل فعل مضارع في القرآن الكريم مجزوم بـ (لم) إذا تقدّمتها همزة الاستفهام.

(٣) وهو استفهام تقرير ليقرّوا بأن خلق السّماء أصعب فيلزمهم بأن يقول لهم: من قدر على الصّعب الأعسر كيف لا يقدر على إعادتك وحشركم؟ وهي أسهل وأيسر. انظر ذلك مفصلاً في (تفسير الرّازي) (٣١/٤٣-٤٦).

(٤) استفهام تقرير لما يأتي بعده في قوله ﷻ: ﴿مِن نُّفُوفٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ [عبس: ١٩]. انظر: تفسير السّراج المنير (٤/٣٥٤)، الجلالين (ص: ٧٩٢).

(٥) وهو استفهام تقرير، أي: وجدك يتيمًا. انظر: تفسير السّراج المنير (٤/٦٣٥)، الجلالين (ص: ٨١٢)، التّحرير والتّنوير (٣٠/٥٤٩).

(٦) قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بمعنى شرحنا - لما سبق بيانه (من أن نفي النّفي إثبات) -؛ وذلك لأنّ همزة الاستفهام وهي فيها معنى النّفي دخلت على (لم)، وهي للنّفي، فترافعا، فبقي الفعل مثبتًا. انظر: أضواء البيان (٨/٥٧٢)، تفسير السّراج المنير (٤/٦٤٠)، ابن عادل (١/٥٢٤)، (١٦/١٤٩)، البحر المحيط (١/٢٩٩)، (١/٥١٥).

والحاصل أنَّ استفهام التَّقرير يرد في القرآن كثيرًا، ويقدر الفعل بفعل ماضٍ مقرون بـ: (قد). ففي قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ فَإِنَّ المعنى: (قد شرحنا لك صدرك)؛ لأنَّ الله ﷻ يقرُّر أنَّه شرح له صدره، وهكذا جميع ما يمرُّ من استفهام التَّقرير، فإنه يقدر بفعل ماضٍ مقرون بـ: (قد)، أمَّا كونه يقدر بفعل ماضٍ؛ فلأنَّه قد تمَّ وحصل، وأمَّا كونه مقرونًا بـ: (قد)؛ فلأنَّ (قد) تفيد التَّحقيق إذا دخلت على الماضي، وتفيد التَّقليل إذا دخلت على المضارع. وقد تفيد التَّحقيق، ففي قول النَّاس: (قد يوجد البخل)، فإنَّ (قد) هذه للتَّقليل، لكن في قوله ﷻ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤]، فإنَّ هذه للتَّحقيق ولا شكَّ في ذلك.



المطلب الثالث خروج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي

إنَّ أصل معنى الاستفهام طلبُ فهم ما هو غير مفهوم عند المستفهم، فإذا استعمل في غير هذا المعنى فقد خرج عن أصل المعنى الذي وضع له إلى معانٍ أخرى عدّها العلماء من الاستعمال المجازي، وهو من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته الإطلاق والتقييد^(١).

أقول: وبيان ذلك أننا أطلقنا الاستفهام عن قيد كونه طلب فهم ما هو غير مفهوم عند المستفهم إلى ما هو مطلق استفهام بعلاقة التقييد، وذلك باعتبار المعنى المنتقل عنه، ثمَّ قيّدناه بأحد المعاني التي ستأتي بعلاقة الإطلاق هذه المرة.

وقد جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] أنَّ هذه الصيغة وإن كان معناها الاستفهام إلا أنَّ المراد بها الإيجاب، أي: إنَّك ستفعل.. حيث إنَّ الملائكة لا تستفهم ربَّها ﷻ^(٢).

(١) انظر: المطوّل، للسَّعد (ص: ٢٣٥)، وانظر: المجاز في اللغة والقرآن، للدُّكتور عبد العظيم المطيعي (٣٩/١).

(٢) وفي (مجاز القرآن الكريم): «جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربَّها، ولكن معناها معنى الإيجاب: أي: أنَّك ستفعل. وقال جرير، فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان:

وقد ذكر المفسرون في تفسير الآية أكثر من تأويل ففي (المحرر الوجيز): قوله **وَعَلَىٰ**: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾: «الآية على جهة الاسترشاد والاستعلام، هل هذا الخليفة هو الذي كان أعلمهم به قبل أو غيره؟»^(١).

وفي (النكت والعيون): «اختلفوا في جوابهم هذا، هل هو على طريق الاستفهام أو على طريق الإيجاب؟ على وجهين: أحدهما: أنهم قالوه استفهامًا واستخبارًا حين قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فقالوا: يَا رَبَّنَا أَعْلِمْنَا، أجاعل أنت في الأرض من يُفْسِدُ فيها ويسفك الدماء؟ فأجابهم: إِنِّي أعلم ما لا تعلمون، ولم يخبرهم.

والثاني: أنه إيجاب، وإن خرجت الألف مخرج الاستفهام، كما قال جرير:

(أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحِ)

وعلى هذا الوجه في جوابهم بذلك قولان:

أحدهما: أنهم قالوه ظنًا وتوهمًا؛ لأنهم رأوا الجن من قبلهم قد

= (أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحِ).

[وقد سبق نخرج هذا البيت]. وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب: ألسنت الفاعل كذا؟ ليس باستفهام ولكن تقرير. مجاز القرآن الكريم (١/٢٣٦)، وقال في موضع آخر: «لم يستفهم، ولو كان استفهاما ما أعطاه عبد الملك مائة من الإبل برعاتها». مجاز القرآن الكريم (١/١٨٤).

(١) المحرر الوجيز (١/١١٧).

أفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فتصوَّروا أنه إن استخلف
استخلف في الأرض مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ.
وفي جوابهم بهذا وجهان:

أحدهما: أنهم قالوه استعظماً لفعلهم، أي: كيف يفسدون فيها،
ويسفكون الدماء، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها؟ فقال: إني
أعلم ما لا تعلمون.

والثاني: أنهم قالوه تعجباً من استخلافه لهم^(١)، أي: كيف
تستخلفهم في الأرض، وقد علمت أنهم يفسدون فيها ويسفكون
الدماء؟؟؟ فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]^(٢).

ونقل الألوسي في المسألة عدَّة وجوه، أقواها عنده أن الاستفهام
هنا استكشاف عن الحكمة الخفية، وعمَّا يزيل الشبهة، وليس استفهاماً
عن نفس (الجعل والاستخلاف)؛ لأنهم قد علموه قبل، فالمسؤول عنه
هو (الجعل)، ولكن لا باعتبار ذاته، بل باعتبار حكمته ومزيل شبهته.
وأنكر أن تكون الهمزة للإنكار، وعزا هذا القول (للحشوية)^(٣)..

(١) واختار الزُّمخشريُّ أنه تعجبٌ من أن يخلف أهل الطَّاعة أهل المعصية. انظر: الكشف (١/ ٢٧١).

(٢) تفسير الماوردي (الثكت والعيون) (١/ ٩٦)، وانظر: تفسير القرطبي (١/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٣) (الحشوية) هم قومٌ تمسَّكوا بالظواهر، فذهبوا إلى التَّجسيم وغيره، وسُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم
كانوا في حلقة الحسن البصريِّ - رحمه الله - فوجدهم يتكلَّمون كلاماً غير كلامه فقال: ردُّوا
هؤلاء إلى (حشا الحلقة)، أي: إلى جانب الحلقة، و(الجانِب) يسمَّى: حشاً، ومنه الأحشاء
لجوانب البطن. ويقال: إنهم حَشَوُا الوجوه، ليسوا هم النُّخبة، ليسوا هم المتميِّزين، إنما هم
حشوية لا قيمة لهم، ليسوا معتبرين مهما قالوا ومهما فعلوا. يقولون مثلاً بجواز ورود ما لا

الَّذِينَ اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى عَصْمَةِ الْمَلَائِكَةِ». وما رجَّحه الآلوسي^(١) - من أَنَّهُ سَوَّالٌ عَنِ الْحِكْمَةِ مَقْرُونًا بِاسْتِعْظَامِ الْمَلَائِكَةِ لِمَا ذَكَرُوهُ مِنْ إِفْسَادِ الْمُسْتَخْلَفِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ صَلَاحِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ لِلَّهِ ﷻ - هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي أَرَاهُ رَاجِحًا. والحاصلُ أَنَّ أَلْفَاظَ الاستفهامِ قد تخرجُ عن معناها الأصليِّ فيستفهمُ بها عن الشَّيْءِ مع العلمِ به لأغراضٍ أُخرى تفهمُ من سياق الكلام ودلالته^(٢).

ومن أهم ذلك:

١ - الإخبار:

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْقَابُهُمْ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾

= مَعْنَى لَهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَالْحُرُوفِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ، وَكَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ... انظر: البرهان، للجويني (٢٦/١)، إجابة السائل (ص: ٧٨)، الإيهاج (٣٦١/١)، التقرير والتحرير (٩٢/٤)، تيسير التحرير (١٢/٣)، نهاية السؤل (٣٠٣/١)، وانظر: المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية (ص: ١٨١-١٨٢)، تبين كذب المفتري (ص: ١٤٩-١٥١)، (٣١١، ٣١٧)، حز الغلاصم في إفحام المخاصم (ص: ٢٥)، ٨٩، ٩٣، شرح قصيدة ابن القيم (٢٨٢/١)، (٧٧/٢)، (٣٩٨/٢)، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص: ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥)... إلخ.

(١) روح المعاني (٢٢١/١)، وانظر: البحر المحيط (٢٩٢/١)، تفسير الرازي (٣٨٣/٣)، المجاز في اللغة والقرآن، للدكتور عبد العظيم المطيعي (٤٠/١).

(٢) وأوّل ما عثر عليه عند أبي عبيد في (مجاز القرآن الكريم) (٢٣١/١)، في تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]. مجاز القرآن الكريم (٢٣١/١)، وانظر: المجاز في اللغة والقرآن، للدكتور عبد العظيم المطيعي (٣٨/١-٤١).

[النور: ٥٠]، ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]^(١).

٢ - الاستثناس:

﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَىٰ﴾ [طه: ١٧]^(٢).

٣ - الاستبطاء:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسْتَهْمُ الْأَسَاسِ وَالْفَضْرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]^(٣).

(١) انظر: الإتقان (٢/٢١٧).

(٢) أمّا (ما) في قوله ﷻ: ﴿وَمَا﴾ فهي استفهامية مبتدأ، و﴿تِلْكَ﴾ خبره، و﴿يَمِينُكَ﴾ حال من معنى الإشارة وقوله ﷻ: ﴿يَمْوَسَى﴾ تكرير؛ لأنه ذكره قبل في قوله ﷻ: ﴿ثَوْدَى يَمْوَسَى﴾ [طه: ١١] ويعد في مواضع ك: ﴿قَالَ أَلَيْهَا يَمْوَسَى﴾ [طه: ١٩] لزيادة الاستثناس والتشبيه. انظر: السراج المنير (٢/٥٠٣)، وانظر: تفسير البضاوي (٤/٤٥). وقال الحافظ ابن كثير: «قال بعض المفسرين: إنما قال له ذلك على سبيل الإيثار له. وقيل: إنما قال له ذلك على وجه التقرير، أي: أمّا هذه التي في يمينك - عصاك التي تعرفها - فسترى ما نصنع بها الآن». تفسير ابن كثير (٣/١٤٥)، وانظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٣٤٣)، الإتقان (٢/٢١٦)، الكليات (ص: ٥١٧).

(٣) قال أبو حيّان في (البحر): «فقيل: ذلك على سبيل الدعاء لله ﷻ، والاستعلام لوقت النصر، فأجابهم الله ﷻ فقال: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. وقيل: ذلك على سبيل الاستبطاء؛ إذ ما حصل لهم من الشدة والابتلاء والزّلزال هو الغاية القصوى، وتناهى ذلك وتمادى بالمؤمنين إلى أن نطقوا بهذا الكلام، فقيل: ذلك لهم إجابة لهم إلى طلبهم من تعجيل النصر. والذي يقتضيه النّظر أن تكون الجملتان داخلتين تحت القول، وأن الجملة الأولى من قول المؤمنين قالوا ذلك استبطاء للنصر وضجراً ممّا نالهم من الشدة، والجملة الثانية من قول رسولهم إجابة لهم، وإعلاماً بقرب النصر، فتعود كلّ جملة لمن يناسبها، وصحّ نسبة المجموع للمجموع لا نسبة المجموع لكلّ نوع من القائلين». البحر المحيط (٢/١٤٩)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣٦).

٤ - الاستبعاد: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣]، ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣] ^(١).

٥ - الافتخار: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١].

٦ - الأمر: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَمْتُكُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَكَدُوا﴾ [آل عمران: ٢٠]، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١] ^(٢).
﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]، [الأنبياء: ١٠٨] ^(٣)، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ

(١) قوله ﷺ: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ رد لكلامهم، واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالإيمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية. والمراد بالاستفهام الاستبعاد لا حقيقة، وهو ظاهر. أي: كيف يتذكرون؟ أو من أين يتذكرون؟ ويقولون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾، أي: والحال أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو أعظم منه في إيجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن، وبين لهم مناهج الحق بإظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تحرك صم الجبال. انظر: تفسير أبي السعود (٦٠/٨)، روح المعاني (١١٩/٢٥)، البحر المديد (٦٦/٧)، البرهان في علوم القرآن (٣٤٤/٢)، الإتيان (٢١٦/٢)، الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٤١).

(٢) قال الطبري في تفسير قوله ﷺ: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَمْتُكُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَكَدُوا﴾: «فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ أَهْتَكَدُوا﴾ عقيب الاستفهام؟ وهل يجوز على هذا في الكلام أن يقال لرجل: هل تقوم، فإن تقم أكرمك؟ قيل: ذلك جائز إذا كان الكلام مراداً به الأمر، وإن خرج مخرج الاستفهام كما قال ﷺ: ﴿وَيَعْبُدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ يعني: انتهوا، وكما قال ﷺ مخبراً عن الحوارين أنهم قالوا لعيسى عليه السلام: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، وإنما هو مسألة، كما يقول الرجل: (هل أنت كاف عنا؟)، بمعنى: اكف عنا، وكما يقول الرجل للرجل: (أين، أين)، بمعنى: أقم فلا تبرح..». تفسير الطبري (٢١٤/٣)، تفسير القرطبي (١٩/١٣)، (٨٢/١٥)، (١٨٢/١٧)، التحرير والتنوير (١٢٢/١٧).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (٢٢٥/٣).

شَكَرُونَ ﴿[الأنبياء: ٨٠]^(١)، ﴿هَلْ أَنتُمْ مُّظْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٥٤]^(٢).

٧ - الإنكار: وقد سبق بيانه.

٨ - التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله:

﴿أَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ ﴿١٩﴾
[الزمر: ١٩]^(٣). الهمزة الثانية هي الأولى، كرّرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد^(٤).

٩ - التّجاهل:

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨].

١٠ - التّحضيض^(٥):

﴿أَلَا تَقْنَلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ
بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرْفَقٌ﴾ [التوبة: ١٣]^(٦).

(١) «أمرّ وارد في صورة الاستفهام لما فيه من التّقرّيع بالإيماء إلى التّقصير في الشّكر والمبالغة بدلالته على أنّ الشّكر مستحق الوقوع بدون أمر فسأل عنه هل وقع ذلك الأمر اللازم الوقوع أم لا؟». روح المعاني (٧٧/١٧)، وانظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٠).

(٢) استفهام، إنما هو بمعنى الأمر، أي: أطلعوا.. القرطبي (٨٢/١٥)، وانظر: (١٨٢/١٧)، تفسير البيضاوي (٣٦٣/٢).

(٣) انظر: الإتيان (٢١٦/٢).

(٤) انظر: الكشف (٣٩٣/٣)، البحر المحيط (٤٠٤/٧)، ابن عادل (٤٩٤/١٦)، الرّازي (٤٥٠/٢٦)، التّسفي (٨١/٤)، الإتيان (٢١٦/٢).

(٥) قد سبق بيان الفرق بين العرض والتّحضيض مجملًا، وسيأتي مفصّلًا في موضعه.

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٨٦/٨)، فتح القدير (٤٩٦/٢)، التّحرير والتّنوير (١٥٨/١٩).

١١ - التَّحْقِيرُ:

﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]^(١).
ونحوه: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

١٢ - التَّذْكِيرُ:

﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَكَلِمٌ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُونُسَ وَأَخِيهِ إِذْ أَتَتْهُ جَهْلُوتُ﴾ [يوسف: ٨٩]، ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

١٣ - التَّسْوِيَةُ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].
الهمزة في قوله: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ الأصل فيها الاستفهام، وهو هنا غير مراد، إذ المراد التَّسْوِيَةُ^(٢). وقوله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

(١) قال فيه أبو حيان في (البحر) (٩٢٧/٨): إنه للإنكار والتعجيب. قال الشيخ الشنقيطي - رحمه الله -: «والذي يظهر لي أنهم يريدون بالاستفهام المذكور التحقير بالنبي ﷺ، كما تدل عليه قرينة قوله ﷻ: ﴿إِن يَنْخِذُوكَ إِلَّا هُزُؤًا﴾ [الأنبياء: ٣٦]، وقد تقرر في فن المعاني أن من الأغراض التي تؤدي بالاستفهام التحقير». أضواء البيان (٤/١٤٨)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٤٣-٤٤). وأرجح هنا ما ذكره الشيخ الشنقيطي لما ذكره من القرينة، وخير ما يفسر به القرآن بالقرآن نفسه. وانظر: التحرير والتنوير (٧/٢٥٤)، (١٥١/١٥)، (١٦/٣٢٠)، (١٧/٦٦)، (٢٤/٢٧٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/١١١)، ابن عادل (١/٣٠٩)، (٩/٣٥٤)، تفسير أبي السعود (٥/٤١)، تفسير ابن عرفة (١/١٢٣)، البحر المحيط (١/١٧٤)، (٨/٢٦٩). وانظر: إعراب القرآن الكريم، للنحاس (١/١٨٤)، شرح الرضوي على كافية ابن الحاجب =

أَسْتَغْفِرَتْ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَعْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿[المنافقون: ٦].
يعني: «سواء عندهم سؤال السائل عن وقوع الاستغفار لهم، وسؤال
السائل عن عدم وقوعه. وهو استفهام مجازي مستعمل كناية عن قلة
الاعتناء بكلا الحالين، بقرينة لفظ: (سواء)؛ ولذلك يسمي النحاة هذه
الهمزة: التَّسْوِيَةُ»^(١).

١٤ - التَّشْوِيق:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات: ٢٤].
الاستفهام هنا للتشويق، كأنه يشوقك إلى أن تسمع هذا الحديث.
ونظيره في التشويق قوله ﷺ:

﴿هَلْ أَذْكَرُكُمْ عَلَى حَجَرٍ نُجِجَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠] ليس المراد
بهذا الاستفهام أنه يستفهم، لكنه أراد أن يشوق المخاطبين إلى ذلك..
ونحوه قوله ﷺ:

﴿وَهَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾﴾ [طه: ٩]. فإذا جاء الاستفهام من
الله ﷻ فهو استفهام على غير حقيقته، فلا يُرَاد هنا طلب الفهم؛ لأنَّ
أخبار محمد ﷺ تأتيه من ربه ﷻ، فكيف يستفهم منه؟ وإنما المراد
بالاستفهام هنا: (التشويق لما سيأتي)، كما تقول لصاحبك: (هل

= (٤/٤٠٤ - ٤١٤)، مغني اللبيب (ص: ٢٤)، بدائع الفوائد، لابن القيم (٣/٥٥٧).
(١) التحرير والتنوير (٢٨/٢٤٥)، وانظر: تفسير ابن عادل (١٩/ ١١٢-١١٣)، والبحر
المحيط (٨/ ٢٦٩-٢٧٠)، ومغني اللبيب (ص: ٦١)، الرضي على ابن الحاجب (٤/٤٠٤).
وقال الألويسي: «اختار غير واحد أنَّ المراد التَّسْوِيَةُ بين الأمرين كما في قوله ﷻ: ﴿أَنفِقُوا
طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ٥٣]». روح المعاني (١٠/١٤٧).

بلغك ما حدث بالأمس؟) فيُشَوِّقه لسماع ما حدث^(١).

ومن ذلك قوله ﷺ:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبا: ١]^(٢).

(١) هذا الاستفهام أريد به التشويق لما يلقي لعظيم فائدته، و﴿هَلْ﴾ هنا بمعنى: (قد) المفيدة للتحقيق هي كما في قوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]. أي: قد أتى. وقد سبق بيان ذلك. و﴿هَلْ﴾: لفظة استفهام، والمراد به التشويق لما يخبره به، أو التنبيه. و﴿إِذْ رَأَى﴾ [طه: ١٠]: ظرف للحديث؛ لأنَّ فيه معنى الفعل، أو لمضمر مؤخر، أي: حين رأى كان كيت وكيت، أو لأذكر، أي: اذكر وقت رؤيته.. الخ. انظر: السراج المنير (٢٦٣/٤)، البحر المديد (٣٨٢/٤)، التحرير والتنوير (١١٧/١). وفي (التحرير والتنوير) في موضع آخر: «الاستفهام مستعمل في التشويق إلى الخبر مجازاً، وليس مستعملاً في حقيقته، سواء كانت هذه القصة قد قُصَّتْ على النَّبِيِّ ﷺ من قبل، أم كان هذا أوَّل قصصها عليه. وفي قوله: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ [طه: ١٠]: زيادة في التشويق. وأوثر حرف (هَلْ) في هذا المقام لما فيه من معنى التحقيق؛ لأنَّ (هل) في الاستفهام مثل (قد) في الإخبار». التحرير والتنوير (١٩٣/١٦)، وانظر: التحرير والتنوير أيضًا في تفسير: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ .. التحرير والتنوير (٣٧٣/٢٩).

(٢) جاء كذلك في (التحرير والتنوير) (٩/٣٠): «الاستفهام بـ: (ما) في قوله ﷺ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ① ليس استفهاماً حقيقياً، بل هو مستعمل في التشويق إلى تلقي الخبر، نحو قوله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَزَلَّ الشَّيْطَانُ﴾ ② [الشعراء: ٢٢١]. وكذلك في تفسير قوله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ ③ [البروج: ١٧]، وقوله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ④ [الغاشية: ١] "فإنه مستعمل في التشويق إلى معرفة هذا الخبر لما يترتب عليه من الموعظة. وكونُ الاستفهام بـ (هل) المفيدة معنى: (قد) فيه مزيد تشويق، فهو استفهام صوريٌّ يكتفى به عن أهمية الخبر، بحيث شأنه أن يكون بلغ السامع. ونظيره قوله ﷺ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْيَحْرَابَ﴾ ⑤ [ص: ٢١]، وقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ ⑥ [النازعات: ١٥]. بتصرف عن (التحرير والتنوير) (٢٩٤/٣٠). وفي (السراج): قوله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ⑦ فيه وجهان: أحدهما: أن (هل) بمعنى: (قد)، أي: قد جاءك يا أشرف الخلق (حديث الغاشية)، كقوله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ =

١٥ - التعجب أو التّعجب:

﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]، ﴿مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٢]، ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، وفيه معنى التّفخيم أيضًا، ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الظَّلَمَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، ﴿فَقَالَ مَالِكَ لَا أَرَى الْهُدُودَ﴾ [النمل: ٢٠]، ﴿مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١].

وقد اجتمع كلٌّ من التّقرير والتّوبيخ والتّعجب في قوله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]. قال الزّمخشري: «الهمزة للتّقرير مع التّوبيخ والتّعجب من حالهم»^(١).

١٦ - التّعظيم:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [الحديد: ١١].

١٧ - التّفخيم: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩].

= جِئْنَا مِنَ الدَّهْرِ، قاله: قطرب. والثاني: أنّه استفهام على حاله، وتسميه أهل البيان: (التّشويق)، والمعنى: (إن لم يكن أذاك حديث الغاشية فقد أذاك)، وهو معنى قول الكلبي.

السّراج المنير (٤/٦٠٢)، وانظر: تفسير مقاتل (٣/٤٥٢).

(١) الكشف (١/٢٧٧).

وفيه معنى التّعجب أيضًا.. - كما سبق -.

١٨ - التقرير: وقد سبق بيانه.

١٩ - التّكثير:

﴿وَكَمْ مِّن قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأعراف: ٤]، ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [النجم: ٢٦]^(١).

٢٠ - التّمني:

﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُوجُ﴾ [القيامة: ١٠]. «الاستفهام مستعمل في التّمني، أي: ليت لي فرارًا في مكان نجاة، ولكنه لا يستطيعه»^(٢).

٢١ - التّنبه: وهو من أقسام الأمر، نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَيْكِ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، أي: انظر^(٣).

وهو أنواع:

أ. التّنبه على الخطأ، كقوله ﷻ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْفَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

ب. التّنبه على ضلال الطريق، كقوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ تَذَهُبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦]^(٤).

(١) انظر: تفسير ابن عادل (١٤/١٠٩)، (١٨/١٨٨)، المحرّر الوجيز (٥/٢٠٢)، البحر المحيط

(٨/١٦١)، تفسير الرّازي (٩/٣٧٩)، فتح القدير (٥/١٥٦)، البحر المديد (٧/٣٥٢)،

وانظر: شرح الرّضي على كافي ابن الحاجب (٣/١٥٧).

(٢) التّحرير والتّنوير (٢٩/٣٤٥).

(٣) انظر: البحر المحيط (٢/٢٥٨).

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣٦)، جواهر البلاغة (ص: ٦٣).

ومنه: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ نَفْسُهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

ج. التنبيه على الباطل؛ كقوله ﷻ: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ [يونس: ٤٢]، وانظر الآيات التالية: [يونس: ٤٣ - ٩٩]، [الفرقان: ٤٣]، [الزمر: ١٩]، [الزخرف: ٤٠].

٢٢- التهديد والوعيد:

﴿أَلَمْ نُهِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ١٦]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦].
٢٣ - التهكم^(١):

﴿قَالُوا يَنْشَعِيبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]^(٢).
ومن التهكم ما قاله إبراهيم عليه السلام لآلهة قومه من الأوثان كما حكى الله ﷻ:

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [٩١] ما لكم لا نطقون ﴿٩٢﴾ [الصافات: ٩١ - ٩٢]، فهو استفهام تهكمي ساخر.
٢٤ - التهويل وعكسه:

﴿الْحَاقَّةُ﴾ [١] ما الحاقة ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ [الحاقة: ١ - ٣]^(٣).

(١) وقد سبق (خطاب التهكم) في مبحث مستقل.

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/٢٥٣)، الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٤٠)، مغني اللبيب (ص: ٢٧)، جواهر البلاغة (ص: ٣٦).

(٣) وقد جاء في بيان ذلك أن افتتاح السورة بهذا اللفظ ترويع للمشركين. و﴿الْحَاقَّةُ﴾ مبتدأ =

أما عكس التَّهْوِيل فهو التَّخْفِيف، نحو: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ

= ﴿وَمَا﴾ مبتدأ ثان. و﴿لَمَّا﴾ المذكورة ثانيا خبر المبتدأ الثاني، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول. و﴿مَا﴾ اسم استفهام مستعمل في (التَّهْوِيل والتَّعْظِيم) كأنه قيل: أنذري ما الحاققة؟ أي: ما هي الحاققة؟ أي: شيء عظيم الحاققة. وإعادة اسم المبتدأ في الجملة الواقعة خبرا عنه تقوم مقام ضميره في ربط الجملة المخبر بها. وهو من الإظهار في مقام الإضمار لقصد ما في الاسم من (التَّهْوِيل). ونظيره في ذلك قوله ﷻ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧]. وجملة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَمَّا﴾ يجوز أن تكون معترضة بين جملة: ﴿مَا لَمَّا﴾، وجملة: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤]. والواو اعتراضية. ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على جملة: ﴿مَا لَمَّا﴾. و﴿مَا﴾ الثانية استفهامية، والاستفهام بها مكثى به عن تعذر إحاطة علم الناس بكنه الحاققة؛ لأنَّ الشيء الخارج عن الحدِّ المألوف لا يتصور بسهولة، فمن شأنه أن يُساءل عن فهمه. والخطاب في قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ لغير معين. والمعنى: الحاققة أمرٌ عظيم لا تدركون كنهه. وتركيب (ما أدراك كذا) مما جرى مجرى المثل، فلا يغير عن هذا اللفظ. وهو تركيب مركَّب من (ما) الاستفهامية وفعل (أدرى) الذي يتعدى بهمزة التعدية إلى ثلاثة مفاعيل من باب: (أعلم وأرى)، فصار فاعل فعله المجزوء وهو (درى) مفعولاً أول بسبب التعدية. وقد علّق فعل (أدراك) عن نصب مفعولين بـ: ﴿مَا﴾ الاستفهامية الثانية في قوله: ﴿مَا لَمَّا﴾. وأصل الكلام قبل التركيب بالاستفهام أن تقول: أدركتُ الحاققة أمراً عظيماً، ثم صار أدركني فلان الحاققة أمراً عظيماً. و﴿مَا﴾ الأولى استفهامية مستعملة في (التَّهْوِيل والتَّعْظِيم) على طريقة المجاز المرسل في الحرف؛ لأنَّ الأمر العظيم من شأنه أن يستفهم عنه فصار التَّعْظِيم والاستفهام متلازمين. ولك أن تجعل الاستفهام إنكارياً، أي: لا يدري أحد كنه هذا الأمر. والمقصود من ذلك على كلا الاعتبارين هو (التَّهْوِيل). هذا السؤال كما تقول: علمت هل يسافر فلان؟. و﴿مَا﴾ الثالثة علّقت فعل ﴿أَدْرَاكَ﴾ عن العمل في مفعولين. و(كاف الخطاب) فيه خطاب لغير معين؛ ولذلك لا يقترن بضمير تثنية أو جمع أو تانيث إذا خوطب به غير المفرد المذكّر. واستعمال ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ غير استعمال: (ما يدريك) في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقوله: ﴿وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبًا﴾ [الشورى: ١٧]. روي عن ابن عباس: كلُّ شيء من القرآن من قوله ﷻ: =

ءَامَنُوا ﴿ [النساء: ٣٩] ^(١).

٢٥ - التوبيخ:

وجعله بعضهم من قبيل الإنكار، إلا أن الأول إنكارٌ إبطال، وهذا إنكارٌ توبيخ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأن ينفي، فالتنفي هنا غير قصدي، والإثبات قصدي، عكس ما تقدّم، ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضًا، نحو: ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿أَفَعْصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣]، ﴿أَتَقَبَّدُونَ مَا نَنْزِلُكُمْ﴾ [الصافات: ٩٥]. وأكثر ما يقع التوبيخ في أمرٍ ثابتٍ ووبّخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع، كقوله ﴿كَذَّبَكَ﴾: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْذَكُرُ فِيهِ

= ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أدراه، وكلُّ شيءٍ من قوله: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ فقد طوي عنه. وقد روي هذا أيضًا عن سفيان بن عيينة، وعن يحيى بين سلام، فإن صحَّ هذا المروي فإن مرادهم أن مفعول ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ محقق الوقوع؛ لأن الاستفهام فيه للتهويل، وأن مفعول ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ غير محقق الوقوع؛ لأن الاستفهام فيه للإنكار وهو في معنى نفي الدراية. التحرير والتنوير (١١٣/٢٩-١١٤). ثم نقل الطاهر قول الراغب في (مفردات القرآن)، كتاب السين (١/٤٦١): «كلُّ موضعٍ ذُكر في القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد عقب ببيانه. نحو: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ [نار حامية] ﴿[القارعة: ١٠-١١] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الزَّلْزَلَةِ﴾ [الحاقة: ٣-٤]». ثم علّق على ذلك بقوله: «وكأنه يريد تفسير ما نقل عن ابن عباس وغيره. [قال]: ولم أر من اللّغويين من وفّى هذا التركيب حقّه من البيان، وبعضهم لم يذكره أصلاً. التحرير والتنوير (١١٣/٢٩-١١٤)، وانظر: (٢٩/١٢٤-١٢٦)، (٣٠/٥١١)، والبحر المحيط (٨/٣١٥)، وانظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٧١).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن الكريم (٢/٣٣٨)، الإتيان (٢/٢١٤).

مَنْ تَذَكَّرْ ﴿ [فاطر: ٣٧] ، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾
[النساء: ٩٧]^(١).

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

٢٦ - العرض^(٢):

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

أما قوله ﷻ: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: ٩١]، [الذاريات: ٢٧]،
فيحتمل العرض والحث على الأكل على طريق الأدب إن قاله أول ما
وضعه. ويحتمل الإنكار إن قاله حينما رأى إعراضهم^(٣).

٢٧ - النهي:

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهْ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣]. فإن الاستفهام هنا

في معنى النهي كأنه قيل: لا تخشوهم؛ لأن الله ﷻ أحق بالخشية،
وأحرى بالطاعة، وهو ناصركم عليهم، بدليل قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَخْشَوْا
الْكَاسَ وَآخِشِينَ﴾ [المائدة: ٤٤]^(٤).

(١) الإتيان (٢١٢/٢-٢١٣).

(٢) أما بيان الفرق بين العرض والتَّحْضِيز، فإنَّ العرض والتَّحْضِيز معناهما: طلب الشيء،
لكنَّ العرض طلبٌ بليّن، والتَّحْضِيز طلبٌ بحدّ. انظر: مغني اللبيب (ص: ٩٧) -
وسياقي بيان ذلك مفصلاً.

(٣) انظر: البحر المحيط (١٣٧/٨)، تفسير ابن كثير (٢٣٦/٤)، تفسير الرّازي (١٧٨/٢٨)،
الكلبيّات (ص: ١٣٤).

(٤) انظر: تفسير التيسابوري (٤٣٧/٣)، وانظر: الكلبيّات (ص: ٩٨)، الإتيان (٢١٥/٢)،
جواهر البلاغة (ص: ٦٢).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، أي: لا تغترّ برّبك. -
وسياتي بيان بعض المعاني الأخرى في (الأدوات) -.



المطلب الرابع أدوات الاستفهام في القرآن الكريم

أ. استعمالات ألفاظ الاستفهام

أمّا ألفاظ الاستفهام الموضوعة له فهي: هل، والهمزة، ومن، وما، ومتى، وإيّا، وأين، وكيف، وكم، وأنّي، وأي^(١).

وهذه الألفاظ ثلاثة أقسام:

- ١ - ما يستعمل لطلب التصوّر فقط، الألفاظ كلّها عدا (الهمزة) و(هل).
- ٢ - ما يستعمل لطلب التصديق فقط، وهذا القسم هو (هل).
- ٣ - ما يستعمل لطلب التصوّر تارةً والتصديق تارةً أخرى، وهذا القسم هو (الهمزة) التي لم تستعمل مع (أم) المتصلة لعراققتها في الاستفهام؛ ولهذا يجوز أن تقع بعد (أم) سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة، ومتى قامت قرينة ناصّة على أنّ السؤال عن المسند إليه تعيّن الجملة الاسميّة، أو عن المسند تعيّن الفعلية، وإلا فالأمر على الاحتمال والأرجح الفعلية؛ لأنّ طلب الهمزة للفعل

(١) انظر ذلك مفصّلاً في (شروح تلخيص المفتاح) (مختصر التّفتازاني على تلخيص المفتاح، ومواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح، وعروس الأفراح، وحاشية الدسوقي على السّعد) (٢٤٧/٢) فمابعد... وانظر: كتاب المطوّل في شرح تلخيص المفتاح، وحاشية المير سيّد شريف (ص: ٢٢٦)، الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربيّ (ص: ١٨).

أقوى فهي به أولى^(١).^(٢)

ب. تقسيم أدوات الاستفهام

وتنقسم أدوات الاستفهام إلى قسمين:

١ - حرفا الاستفهام، وهما: (هل والهمزة).

٢ - أسماء الاستفهام، وهي: بقية أدواته التي ذكرت آنفاً.

أمّا معاني أدوات الاستفهام وما يطلب به فإنّ بيانها يأتي على النحو

التّالي:

أولاً: حرفا الاستفهام: (هل)، و(الهمزة)

أ - هل: حرف استفهام يطلب به: التّصديق الإيجابي دون التّصور،

ودون التّصديق السّلب^(٣)، أي: معرفة وقوع النسبة أو عدم وقوعها لا

(١) ينظر في ذلك: شروح تلخيص المفتاح (٢/٢٤٧)، وانظر: كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح، وحاشية المير سيّد شريف (ص: ٢٢٦)، الكلّيات (ص: ٩٩-١٠٠)، جواهر البلاغة (ص: ٥٧).

(٢) ومن الأدوات ما يستفهم به عن الحدّ أو الرّسم على وفق ما ذكره المنطقيّون والأصوليون، فقد جعلوا صيغ الاستفهام أربع فئات، وهي: (هل، وما، ولم، وأي). وأمّا سائر الصّيغ ك: (متى)، و(أين)، و(أَيّان) فهي داخلة في فئة (هل). وأمّا (كيف) فهي للسّؤال عن الكيفيّة. انظر: المستصفى (١/١٢-١٣)، روضة النّاطر (ص: ١٠)، النّجاة، لابن سينا (ص: ١٠٥)، معيار العلم (ص: ٢٥٩)، طرق الاستدلال (ص: ١٦٦).

(٣) أي: أنها لا تدخل على سلب. فيمتنع نحو: (هل زيدا ضربت)؛ لأنّ تقديم الاسم يشعر بحصول التّصديق بنفس النسبة، ونحو: (هل زيد قائم أم عمرو؟) إذا أريد بـ (أم) المتّصلة، و(هل لم يقم زيد؟). ونظيرها في الاختصاص بطلب التّصديق (أم) المنقطعة، وعكسهما (أم) المتّصلة. وجميع أسماء الاستفهام فإنّهنّ لطلب التّصور لا غير. وأعمّ من الجميع =

غير. نحو: هل جاء فلان؟ والجواب: نعم، أو لا.
ولأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد (أم)
المتصلة، ولا يدخل على (منفي)، ولا على (شرط)، ولا على (إن) -
المكسورة المشددة-، ولا على (اسم فعل) غالباً، ولا على
(عاطف)^(١).

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾
[الأعراف: ٥٣].

وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥].

وقوله ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وقوله ﷻ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقوله ﷻ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

والأصل في كلمة: (هل) أن تدخل على جملة فعلية، فليها فعلٌ
لفظاً أو تقديرًا.

= (الهمزة) فإنها مشتركة بين الطلبين.. انظر: مغني اللبيب (ص: ٤٥٦-٤٥٧)، وانظر:
كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح، وحاشية المير سيّد شريف (ص: ٢٢٦-٢٢٧)،
بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (بصيرة في هل) (٣٠٦/٦).

(١) انظر: البلاغة العربية (١/٢٦١)، الشواهد على القواعد (ص: ٢٧٨)، جواهر البلاغة
(ص: ٥٨-٥٩)، وانظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي (ص: ١٩)، المطول في
شرح تلخيص المفتاح، وحاشية المير سيّد شريف (ص: ٢٢٨). أمّا عدد الآيات التي ورد
لفظ الاستفهام: (هل) فهي: [٦٤]، وعدد التكرار: [٦٧]، أمّا (فهل) فإنّ عدد الآيات:
[٢٣]، وعدد التكرار: [٢٣]، أمّا (وهل) فإنّ عدد الآيات: [٣]، وعدد التكرار: [٣].

فإذا عدل عن الجملة الفعلية فأدخلت (هل) على الجملة الاسمية
فذلك لنكتة يلاحظها البلغاء، وهي جعل ما سيحصل كأنه حاصل
موجود فعلا، اهتماما بشأنه، أو تأكيداً للرغبة بتحقيق وقوعه، أو حضاً
على الفعل أو أمراً به.. إلخ. وقد كانت العناية والاهتمام في غير موضع
بيان ذلك، أعني: خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى أغراض أخرى.
ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿فَهَلْ أَتَمَّ شَكْرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].
وقد سبق بيان ذلك-.

وتنفرد (هل) دون الهمزة بأن يراد بالاستفهام بها النفي^(١):
﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]، وانظر:
[الأحقاف: ٣٥]^(٢).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وانظر:
[الرعد: ١٦]، [النحل: ٧٦]، [الزمر: ٩]^(٣).
وقوله ﷻ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]^(٤).

(١) اختصاصها بالإيجاب تقول: (هل زيد قائم)، ويمتنع (هل لم يقم)، بخلاف الهمزة نحو:
﴿أَلَمْ تَشْرَحْ﴾ [الشرح: ١]، ﴿أَلَمْ يَكْفِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].. وتفترق هل من الهمزة من عشرة أوجه ذكرها ابن هشام في (المغني)
(ص: ٤٥٧)، بصائر ذوى التمييز، (بصيرة في هل) (٣٠٦/٦).

(٢) انظر: البحر المحيط (١٣٦/٤)، (٤٢/٧)، تفسير ابن عادل (١٥٥/٨)، المحرر الوجيز
(٢٩٣/٢)، تفسير أبي السعود (١٣٥/٣)، روح المعاني (١٥٤/٧)، الثعالبي (٥٢١/١).

(٣) انظر: البحر المحيط (٣٤٥/٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٥٤/٢٠)، نظم الدرر (٣٩٦/٧).

وقد وردت (هل) في كثير من الآيات القرآنية الكريمة، ولكنها بمعنى: (قد) .

ومنه ما قيل في قوله ﷻ:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(١)
[الإنسان: ١]. قال الزمخشري: «(هل) بمعنى: (قد) في الاستفهام خاصة، والأصل: (أهل) بدليل: (أَهْلٌ رَأَوْنَا بِسَفْحِ الْقَاعِ ذِي الْأَكْمِ)^(٢) .

(١) انظر: أضواء البيان (٣٧٨/٨)، البحر المديد (١٩٣/٨)، التحرير والتنوير (٢٨٢/٢)، (٣٧٢/٢٩)، الكشف (١٩٤/٤)، ابن عادل (٤٨١/٣)، (٢٨٣/١١)، (٣٥٣/١٨)، (١٢٧/٢٠)، (٢٨٩/٢٠)، تفسير أبي السعود (٧٠/٩)، (١٤٨/٩).

(٢) وقد ذكر الزمخشري ذلك أيضًا في (المفصل) (ص: ٤٣٧). وجاء في (الخزانة) أنَّ هذا أحد مذاهب أربعة، وهو مذهب الزمخشري، ف: (هل) عنده أبداً بمعنى: (قد)، وأنَّ الاستفهام إنما هو مستفاد من همزة مقدرة. وعند سيبويه [(الكتاب) (١٨٩/٣)] أنَّ (هل) بمعنى: (قد) إلا أنَّهم تركوا الألف قبلها؛ لأنها لا تقع إلا في الاستفهام. وقد جاء دخولها عليها في قول زيد الخيل (اليسيط):

(سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكْم).

انظر: خزانة الأدب (٢٨٠/١١)، وانظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني (ص: ٢٥). وفي (مغني اللبيب) (ص: ٤٦٠): «أنها [أي: الهمزة] تأتي بمعنى: (قد)، وذلك مع الفعل. وبذلك فُسر قوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنهما والكسائي والفرّاء. وقال المبرّد في (المقتضب) (هل) للاستفهام نحو: هل جاء زيد. وقد تكون بمنزلة (قد) نحو: قوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ اهـ. مغني اللبيب (ص: ٤٦٠)، معاني القرآن، للفرّاء (٢١٣/٣). وانظر: الكشف (١٩٤/٤)، والتحرير والتنوير (٢٨٢/٢)، والكتاب، لسيبويه، بتحقيق عبد السلام هارون (١٨٩/٣). المقتضب، للمبرّد (١٨١/١)، وانظر: كتاب أسرار العربية، لأبي البركات =

فالمعنى: (أقد أتى) على التّقرير والتّقريب جميعاً. أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين...»^(١).

ومنه قوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ [البروج: ١٧].

وقوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١].

وقد يخرج الاستفهام بـ: (هل) عن حقيقته إلى معانٍ أخرى:

- ١ - الإنكار: نحو: ﴿وَهَلْ يُخْرِجُ إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].
- ٢ - الأمر: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩١].
- ٣ - التذكير: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٩].
- ٤ - التّغريب: ﴿هَلْ أَذُكُّوْا عَلَىٰ تَحَرُّفٍ﴾ [الصف: ١٠].
- ٥ - التّقرير: ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]^(٢)، ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ [الفجر: ٥]^(٣).

= الأنباري (ص: ٣٣٢)، الجمل في النّحو، للخليل (ص: ١٧٩)، الخصائص، لابن جني (٢/٤٦٢)، اللّمع في العربيّة، لابن جني (ص: ٢٣٠)، حروف المعاني، للزّجاجي (ص: ٢)، شرح الرّضي على كافية ابن الحاجب (٤/٤٤٦)، همع الهوامع (٢/٦٠٩)، الصّحاح، مادّة: (هكل) (٥/١٨٥١-١٨٥٣)، وكذلك مادّة: (هكل) في (تاج العروس) (٣١/١٥٧)، لسان العرب (١١/٧٠١)، معجم ما استعجم، (الدّال والتّون) (٢/٥٥٧).

(١) الكشف (٤/١٩٤).

(٢) انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٠).

(٣) انظر: تفسير ابن عادل (٢٠/٣١٤)، تفسير السّمركندي (٣/٤٧٦).

- ٦ - التَّمني: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ﴾ [الأعراف: ٥٣].
 ٧ - النَّصح والإرشاد: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ أَنْ تَرْكَى﴾ [النازعات: ١٨].
 ٨ - النَّفي: ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]، وانظر: [الأحقاف: ٣٥].

قال ابن عطية: «ظاهرها: الاستفهام ومعناها التسوية المضمنة للنفي، ولا تكون التسوية بها إلا في النفي، وتكون بالألف في نفي وفي إيجاب»^(١).

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، يعني ما ينتظرون إلا أن يأتيهم الله ﷻ في ظُللٍ من الغمام. وقوله ﷻ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. يعني: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان^(٢).

(١) المحرر الوجيز (٢/٢٩٣)، وانظر: البحر المحيط (٤/١٣٦)، (٧/٤٢)، ابن عادل (٨/١٥٥)، تفسير أبي السعود (٣/١٣٥)، روح المعاني (٧/١٥٤)، تفسير الثعالبي (١/٥٢١)، وانظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٠)، وانظر: كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح، وحاشية المير سيد شريف (ص: ٢٢٦-٢٢٧).

(٢) انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٠). خلاصة إجمالية:

١- جاءت (عسى) بعد (هل) في آيتين، وفي هذا دليل على أن (عسى) فعل خبري، لا إنشائي؛ لأن الاستفهام طلب فلا يدخل على الجملة الإنشائية. وقد جاءت (عسى) خبرية واقعة في خبر (إن) وصلة للموصول.

٢- تقع (هل) بعد (أم) المنقطعة ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦] كما تقع هذا الموضع أدوات الاستفهام الأخرى ما عدا الهمزة.

ب - الهمزة : أولاً : يطلب بالاستفهام بها أحد أمرين :

١ - (التَّصَوُّر): وهو إدراك المفرد، وذلك إذا كان المستفهم عالماً بالنسبة التي تضمَّنْها الكلام بيد أنه متردِّد بين شيئين فيطلب تعيين أحدهما، وفي هذه الحال تأتي الهمزة في هذه الحالة متلوَّةً بالمفرد المسؤول عنه، ويذكر له في الغالب معادل بعد (أم)، نحو: (أأنت المسافر أم أخوك؟). وقد سبق بيان معنى (التَّصَوُّر) مفصَّلاً.

٢ - (التَّصْدِيق): وهو إدراك النسبة، وذلك إذا كان المستفهم

= ٣- تنفرد (هل) دون الهمزة بأن يراد بالاستفهام بها الجحد؛ ولذلك وقعت (إلا) بعدها في آيات كثيرة، كما جاءت للنفي من غير أن تقع بعدها (إلا).

٤- لا تزداد (من) بعد الاستفهام إلا إذا كانت أداة الاستفهام (هل). قيد ذلك أبو حيان وابن هشام، ولم يقيده ابن الناظم والرضي وإن كان تمثيله بهل. زيدت (من) بعد (هل) في المبتدأ كثيراً وفي الفاعل، وفي المفعول.

٥- صرح سيبويه في موضعين من كتابه بأن (هل) تأتي بمعنى (قد) ولم يقف ابن هشام على ذلك فقال في المغني: سيبويه لم يقل ذلك. وقال ابن مالك: تتعين (هل) أن تكون بمعنى (قد) إذا دخلت عليها همزة الاستفهام. الآيات التي قيل فيها إن (هل) بمعنى (قد) محتملة لذلك، لا متعينة.

٦- لا يقع بعد (هل) اسم بعده فعل في الاختيار، وأجاز ذلك الكسائي ونقل السيوطي عن أبي حيان أنه مع الجمهور في ذلك. ولكنه أجاز في قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [فاطر: ٣]. أن يكون (يرزقكم) خبر المبتدأ وتبعه السمين.

٧- انفرد مقاتل بأن (هل) تأتي بمعنى (إن).

٨- جاء حذف المبتدأ وحذف الخبر بعد (هل) في آيات.

٩- وقع الفعل المضارع بعد (هل) كثيراً في القرآن، ثم الجملة الاسمية، ثم الجملة الفعلية التي فعها ماض.

السائل متردداً في ثبوت النسبة أو نفيها، وتليها في الغالب جملة فعلية، وفي هذه الحال يمتنع ذكر المعادل، نحو: أَيْصَدَأُ الذَّهَبُ؟. وإن جاءت (أم) بعد همزة التَّصَوُّر تكون (متَّصلة)، وإن جاءت بعد همزة التَّصَدِيق أو (هل) قُدِّرَت (منقطعة)، وتكون بمعنى: (بل)^(١). وقد سبق بيان معنى (التَّصَدِيق) مفصَّلاً.

وجواب الاستفهام في هذه الحالة يكون بـ: (نَعَمْ) إن أريد الإثبات، وبـ: (لا) إن أريد التَّنْفي، وهذا في الاستفهام المثبت، أمَّا الاستفهام المنفي فيجاب فيه بـ: (بلى) في الإثبات، وبـ: (نَعَمْ) في التَّنْفي.

ويرادف (نَعَمْ)، في جميع ما ذكر (أَجَل)، و(جَيْر)، و(إِي) قبل القسم كما في قوله ﷻ: ﴿وَيَسْتَنِيذُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

وإمَّا أن يعرف بالهمزة معرفة مضمون الجملة، وهي مثل (هل) تماماً.

نحو: أذهبت إلى (مَكَّة)؟ أحججت هذا العام؟
ومنه قوله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

(١) انظر: حاشية العطار على شرح جمع الجوامع (١/ ٤٦٠-٤٦١)، وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣١-١٣٢)، وجواهر البلاغة (ص: ٥٧)، مختصر المعاني، للسعد (ص: ١٢٣)، الكلبيات (ص: ١٣٥)، و(ص: ٢٦٠)، مغني اللبيب (ص: ٤٥٧)، الأساليب الإنشائية في النحو العربي (ص: ١٩).

وقوله ﷻ: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ [يونس: ٤٢]، و[الزخرف: ٤٠].

وقوله ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

﴿١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقوله ﷻ: ﴿أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ ﴿٨١﴾ [الواقعة: ٨١].

أو يطلب بها: التعيين، أي: تعيين أحد أمرين، أو شيئين أرادهما السائل في سؤاله، وفي هذه الحالة لا بد من استعمال (أم) العاطفة المعادلة^(١).

نحو: أحضرت إلى المدرسة راكبًا أم ماشيًا؟ أمحمدًا صافحت أم عليًا؟

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْاُنْثَيَيْنِ﴾

[الأنعام: ١٤٣-١٤٤].

ومنه قوله ﷻ: ﴿قُلْ ءَاللّٰهُ اُذِنَ لَكُمْ اَمْ عَلَى اللّٰهِ تَفْتَرُوْنَ﴾ ﴿٥٩﴾

[يونس: ٥٩].

وقوله ﷻ: ﴿اَذٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا اَمْ شَجَرَةُ الزَّقْوَمِ﴾ ﴿٦٢﴾ [الصافات: ٦٢].

وقوله ﷻ: ﴿اَفَسِحْرٌ هٰذَا اَمْ اَنْتُمْ لَا تُبْصِرُوْنَ﴾ ﴿١٥﴾ [الطور: ١٥].

ثانيًا: تختص (همزة الاستفهام) عن سائر الأدوات بالخصائص

التالية:

١ - جواز حذفها وتقديرها ذهناً كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَاْمَنْتُمْ بِهٖ﴾

(١) انظر: اللباب في علل الإعراب والبناء (١/ ٤٣٠)، النحو الوافي (٣/ ٥٨٥-٥٩٨)، شرح

الرضي على كافية ابن الحاجب (٤/ ٣٩٥)، (٤/ ٤٠٩).

قَبْلَ أَنْ مَآذَنَ لَكَ ﴿ [الأعراف: ١٢٣] ^(١).

٢ - أنها أداة يطلب بها (التَّصَوُّر)، ويطلبُ بها (التَّصَدِيق).
ويكثرُ في طلب (التَّصَوُّر) بها أن يذكر لها معادل بعد (أم)، وتسمَّى عندئذٍ: (همزة التَّسْوِية).

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وقوله: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

فإذا طلب بها (التَّصَدِيق) امتنع ذكر معادل للمستفهم عنه.
ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ [النحل: ٤٥].

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ [الإسراء: ٦٨].
﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] ^(٢)... الخ.

٣ - أنها تدخل على الإثبات كما تدخل على النفي، وقد سبق التمثيل في استفهام الإنكار، واستفهام التَّقرير.

(١) وهذا المعنى دلَّ عليه القراءة الأخرى، وخير ما يفسَّر به القرآن الكريم بالقرآن نفسه. فقد قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو: ﴿ءَأَمِنْتُمْ﴾ - بهمزة ومدَّة - على الاستفهام، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ﴿ءَأَمِنْتُمْ﴾، فاستفهموا - بهمزين الثانية ممدودة - وقرأ حفص عن عاصم: ﴿ءَأَمِنْتُمْ﴾ على الخبر. انظر: المحرَّر الوجيز (٢/ ٤٤٠)، روح المعاني (٩/ ٢٧)، زاد المسير (٣/ ٢٤٢)، غرائب القرآن الكريم (٥/ ٢٦٢)، وانظر في ذلك: حجة القراءات (ص: ٢٩٣).

(٢) انظر: البلاغة العربية (١/ ٢٦٠).

- ٤ - أنها لا يليها إلا المسؤول عنه.
- ٥ - أن لها تمام الصدارة.
- ثالثاً: وقد تخرج (الهمزة) عن الاستفهام الحقيقي فتزدل لمعانٍ منها:
- ١ - التسوية: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].
- ٢ - الاستبطاء: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ ءَلْفٍ﴾ [الحديد: ١٦].
- ٣ - الأمر: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ ءَاتَوْا ءَالِكِتَابَ ءَالْأُمِّيِّينَ ءَاسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠].
- ٤ - الإنكار: ﴿قُلْ ءَاللَّهُ ءَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]^(١).
- ٥ - التعجب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ءَالْظُلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].
- ٦ - التقرير: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا نَارَ ءَالْبَدَا﴾ [الشعراء: ١٨].
- ٧ - التهكم: ﴿ءَأَصْلُوْكَ ءَأَمْرُكَ أَن تَنْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾ [هود: ٨٧].
- ٨ - التوبيخ: ﴿ءَاتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرْحًا وَلَا فَعْعًا﴾ [المائدة: ٧٦].
- وقد بيّنتُ (خروج الاستفهام عن حقيقته) مفصّلاً ..

(١) وهنا ملاحظة: إذا دخلت همزة الاستفهام على همزة وصل قرئتا معاً مدّة. انظر: تفسير القرطبي (١٤٧/١١)، الشواهد على القواعد (ص: ٢٦٩).

ثانياً : أسماء الاستفهام

جميعها يطلب بها التَّعَيُّن، وهو ما يقصد به طلب التَّصَوُّر.

١ - (ما) :

أ. بيان معناها :

لا بدَّ أوَّلاً من بيان أنَّ (ما) الاستفهامية معناها : (أيُّ شيء)، فإنَّ

(ما) اسم استفهام مبني على الشُّكُون بمعنى : (أيُّ شيء)^(١).

(١) انظر: مغني اللبيب (ص: ٣٩٣). أمَّا ما جاء من أقوال المفسرين مما يدلُّ على هذا المعنى فقد جاء مثلاً في تفسير قوله ﷻ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَدِئٍ﴾ [البقرة: ١٣٣]. أنَّ لفظة (ما) لغير العقلاء فكيف أطلقه في المعبود الحقُّ؟ وجوابه من وجهين: الأوَّل: أنَّ (ما) عامٌّ في كلِّ شيء، والمعنى: (أيُّ شيء تعبدون؟). والثاني: قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ كقولك عند طلب الحدِّ والرَّسْم: (ما الإنسان؟). تفسير الرَّازي (٦٤/٤). وفي تفسير قوله ﷻ: ﴿مَالِ هَذَا الَّذِي هَذَا أَلَكْتَبِ﴾ [الكهف: ٤٩]. أنَّ الاستفهام في قولهم: ﴿مَالِ هَذَا الَّذِي هَذَا أَلَكْتَبِ﴾ مستعمل في التَّعَجُّب. فـ (ما) اسم استفهام، ومعناها: (أيُّ شيء)، و﴿هَذَا الَّذِي هَذَا أَلَكْتَبِ﴾ صفة لـ (ما) الاستفهامية لما فيها من التَّنْكِير، أي: ما ثبت لهذا الكتاب. التَّحْريير والتَّنْوير (٣٣٨/١٥). وفي تفسير قوله ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤]، وقوله ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصافات: ٩٢] أنَّ (ما) استفهام عن ذات، وهي مبتدأ، و(لكم) خبر. والمعنى كما ذكر الطَّاهر: «أيُّ شيء حصل لكم؟ وهذا إيهام فلذلك كانت كلمة (ما لك) ونحوها في الاستفهام يجب أن يتلى بجملة حالٍ تبيِّن الفعل المستفهم عنه نحو: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [٩٢]، ونحو: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَأْمَنُونَ عَلَى يُوشَعَ﴾ [يوسف: ١١]. وقد بيَّنت هنا بما تضمَّنته جملة استفهام: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [١٥٤]، فإنَّ ﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام عن الحال، وهي في موضع الحال من ضمير ﴿تَحْكُمُونَ﴾ قدَّمت لأجل صدارة الاستفهام. وجملة: ﴿تَحْكُمُونَ﴾ حال من ضمير: (لكم) في قوله ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ﴾ فحصل استفهامان: أحدهما: عن الشَّيء الذي حصل لهم فحكموا هذا الحكم. وثانيهما: عن الحالة التي اتصفوا بها لما حكى هذا الحكم الباطل. وهذا إيجاز حذف؛ إذ التَّقدير: (ما لكم تحكمون هذا

ولها صدر الكلام كالشَّروط، ويسأل بها عن أعيان ما لا يعقل وأجناسه وصفاته، وعن أجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم^(١)، أو يقال عن الأجناس مطلقاً، كقولك: (ما اسمك؟)، (وما عندك؟). ومعنى (ما) ها هنا: (أي شيء).

ويطلب بها إيضاح الاسم نحو: (ما العسجد؟)، فيقال: إنه ذهب، أو بيان حقيقة المسمّى نحو: (ما الشَّمس؟)، فيقال: كوكب نهاريّ... إلخ، أو بيان الصِّفة، نحو: ما فلان؟ فيقال: طويل أو قصير^(٢).

= الحكم، كيف تحكمونه؟). وحذف متعلق: ﴿تَعَكُّبُونَ﴾ لما دلَّ عليه الاستفهامان من كون ما حكموا به منكراً يحقُّ العجب منه فكلا الاستفهامين إنكار وتعجب. التَّحْزِير والتَّنْوِير (٢٣/١٨٢-١٨٣)، وانظر تفسير قول الله ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [١٥] ﴿[الصفات: ٢٥/٢٣-١٠٢]، وكذلك تفسير قول الله ﷻ: ﴿الْمَآءُ﴾ [١] ﴿الْمَآءُ﴾ [٢] وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَآءُ﴾ [٢] ﴿[الحاقة: ١-٣]. وانظر: تفسير القرطبي (١٨/٢٥٧). وتفسير قوله ﷻ: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [٢] وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [٣] ﴿[القارعة: ١-٣]، وتفسير: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [٢] ﴿[القدر: ٢] في (التَّحْزِير والتَّنْوِير) (٣٠/١٣٨). وتفسير قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَزَقْنَاهُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٣] ﴿[الشعراء: ٢٣].. وكذلك يقال في قوله ﷻ: ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [٧] ﴿[عبس: ١٧]؛ فإنَّ (ما) هنا استفهامية، أي: أي شيء أكفره؟ ما الذي حمله على الكفر؟ وقال بعض العلماء: إنَّ هذا من باب التَّعْجِب يعني: ما أعظم كفره!.. وكذلك جاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [٧] ﴿[الانفطار: ١٧]. أي: (أي شيء جعلك دارياً ما هو يوم الدين؟) على أنَّ (ما) الاستفهامية خبر (يوم).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن الكريم (٤/٤٠٢)، الإتيان (١/٥١٣).

(٢) انظر: مصابيح المعاني في حروف المعاني (ص: ٣٧٠-٣٧١).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨]، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]، ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى﴾ [طه: ١٧]، ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٠].

ومن ذلك أيضًا قوله ﷻ:

﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتَهُ بِالسَّحَرِ إِلَّا أَنَّهُ سَيُبْطِلُهُ﴾ [يونس: ٨١]، على قراءة أبي عمرو: ﴿السَّحَرِ﴾ - بمد الألف -^(١).

(١) قوله: ﴿مَا جِئْتَهُ بِالسَّحَرِ﴾ اختلفوا في (ما) هل هي استفهامية أم موصولة؟ وقد حقق هذه المسألة ابن هشام في كتابه (ثلاث رسائل في النحو) حيث ذكر «أن هذا يختلف لاختلاف القراءتين في ﴿السَّحَرِ﴾». فمن قرأ: ﴿السَّحَرِ﴾ بغير استفهام فـ (ما) موصولة مبتدأ، و﴿جِئْتَهُ بِالسَّحَرِ﴾ صلة، و﴿السَّحَرِ﴾ خبر (ما). والمعنى: (الذي جئت به السحر). ويفسره قراءة بعضهم [وهي قراءة عبد الله كما في (الكشاف) (٢/٢٤٧-٢٤٨)]: (ما جئت به سحر). ومن قرأ: (السحر) بالمد [وهي قراءة مجاهد وأصحابه - كما سيأتي-]، فـ (ما) استفهام، و﴿جِئْتَهُ بِالسَّحَرِ﴾ خبر، و﴿السَّحَرِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر. والتقدير: أي شيء جئت به؟ أهو السحر؟ أو السحر هو؟.. ثلاث رسائل في النحو، لابن هشام (ص: ٨١). وقد زاد الفراء وجهًا آخر، وهو النصب. انظر: معاني القرآن، للفراء (١/٤٧٥). أمّا بيان القراءات في ﴿السَّحَرِ﴾ فقد قرأه الجمهور بهمزة وصل في أوله هي همزة (أل)، فتكون (ما) في قوله: ﴿مَا جِئْتَهُ بِالسَّحَرِ﴾ اسم موصول، و﴿السَّحَرِ﴾ عطف بيان لاسم الموصول. وقرأ أبو عمرو ومجاهد وأبو جعفر واليزيدي والشنوبدي وأبان عن عاصم وأبو حاتم عن يعقوب (السحر) بهمزة استفهام في أوله، وبالمد لتسهيل الهمزة الثانية، فتكون (ما) في قوله ﷻ: ﴿مَا جِئْتَهُ بِالسَّحَرِ﴾ استفهامية، ويكون (السحر) استفهامًا مبيّنًا لـ (ما) الاستفهامية. وهو مستعمل في التحقير. والمعنى: أنه أمرهين يستطيعه ناس كثير. انظر: التحرير والتنوير (١١/٢٥٦)، وانظر ذلك مفصلاً في (الدّر =

ب. حذف ألف (ما) الاستفهامية:

تحذف ألف (ما) الاستفهامية إذا جُرَّت بأحد حروف الجر، مع بقاء الفتحة دليلاً عليها^(١).

كما في قوله ﷻ: ﴿قَالُوا فِيْمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧].

وقوله ﷻ: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وقوله ﷻ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبا: ١]^(٢).

= المصون (١٠٧/٢)، معاني القرآن، للزجاج (٣/٣٠)، معاني القرآن، للقرآن، للقرآن، تفسير السمرقندي

(١٠٧/٢)، معاني القرآن، للزجاج (٣/٣٠)، معاني القرآن، للقرآن، للقرآن، تفسير السمرقندي

(١) قال ابن هشام في (المغني): «وعلة حذف الألف الفرق بين الاستفهام والخبر فلهذا حذفت

في نحو: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ [النازعات: ٤٣]، ﴿فَنَظَرُوا فِيْمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾

[النمل: ٣٥]، ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، وثبتت في ﴿لَسْتُ فِي مَا أَمُتُّ

فِيهِ عَبْدًا عَظِيمًا﴾ [النور: ١٤]، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤]، و[النساء: ١٦٢].

﴿مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيدِي﴾ [ص: ٧٥]. وكما لا تحذف الألف في الخبر لا تثبت في

الاستفهام. وأما قراءة عكرمة وعيسى (عَمَّا يَتَسَاءَلُونَ) [النبا: ١] فنادر. مغني اللبيب

(ص: ٣٩٣-٣٩٤). قرأ عبد الله بن مسعود وعكرمة وعيسى بن عمرو وأبي بن كعب

(عَمَّا) - بإثبات الألف - وقد حكاه الأخفش لغة، وهو عند ابن جني أضعف اللغتين.

انظر: المحتسب، لابن جني (٢/٣٤٧)، الكشف (٤/٢٠٦)، وانظر: روح المعاني

(٢٢٩/٢٢)، الدر المصون (٦/٤٦١)، حاشية الشهاب الحفاجي (٨/٣٠٠)، وانظر:

موصل الطلاب، للأزهري (ص: ١٤٩)، الفريد (٤/٦٠٧)، حاشية الصبان (٤/١٨٩)،

شرح التصريح (٢/٣٤٥).

(٢) إن لفظ: ﴿عَمَّ﴾ مركب من كلمتين هما حرف (عن) الجار و(ما) التي هي اسم استفهام

بمعنى: (أي شيء)، ويتعلق ﴿عَمَّ﴾ بفعل ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ فهذا مركب. وأصل ترتيبه:

(يَتَسَاءَلُونَ عَنْ مَا)، فقدّم اسم الاستفهام؛ لأنه لا يقع إلا في صدر الكلام المستفهم به، وإذا =

وقوله ﷻ: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ [النازعات: ٤٣].

ج. خروج (ما) عن معناها الأصلي:

١ - الإنكار:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] ^(١).

٢ - التَّحْقِير:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] ^(٢).

﴿وَأَصْحَبُ الشَّجَةِ مَا أَصْحَبُ الشَّجَةِ﴾ [الواقعة: ٩].

﴿وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١].

٣ - التَّعْجَب:

ومما قيل: إِنَّ الاستفهام جاء فيه بمعنى: (التَّعْجَب) قوله ﷻ:

= قد كان اسم الاستفهام مقترناً بحرف الجر الذي تعدى به الفعل إلى اسم الاستفهام، وكان الحرف لا ينفصل عن مجروره قُدِّمًا معًا فصار (عَمَّا يتساءلون). وقد جرى الاستعمال الفصيح على أَنَّ (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر يحذف الألف المختومة هي به تفرقة بينها وبين (ما) الموصولة. وعلى ذلك جرى استعمال نُطْقُهُمْ، فلمَّا كتبوا المصاحف جروا على تلك التفرقة في النطق فكتبوا (ما) الاستفهامية بدون ألف حيثما وقعت، مثل قوله ﷻ: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ [النازعات: ٤٣]، ﴿فِيمَ تَبْشِرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤]، ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، ﴿عَمَّ يَسْأَلُونَ﴾ [١]، ﴿وَمِمَّ حَقَّ﴾ [الطارق: ٥]؛ فلذلك لم يقرأها أحد بإثبات الألف إلا في الشاذ. التحرير والتنوير (٧/٣٠)، وانظر: الكشف (٢٠٦/٤).

(١) انظر: تفسير ابن عادل (٤٧/١٩)، القرطبي (٨٠/١٨)، التحرير والتنوير (١٧٨/٢٨)،

الثكت والعيون (٢٦٧/٤)، البحر المحيط (٣٤٠/١)، السراج المنير (٢٩٠/٤).

(٢) انظر: روح المعاني (٥٩/١٧).

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَوْثِرِ﴾ [الأنفطار: ٦]^(١).

٤ - التعظيم:

﴿الْحَاقَّةُ﴾ [١] ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ [٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [٣] [الحاقة: ١ - ٣]^(٢). وقد

سبق بيان المعنى مفصلاً.

﴿فَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨].

﴿وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧].

٢ - (ماذا)^(٣):

وقد تقرن (ما) بـ: (ذا) الموصولة، وذلك نحو قوله ﷻ:

(١) انظر: الكشف (٢٢٨/٤)، تفسير الرأزي (٧٨/٣١)، مفردات ألفاظ القرآن، للراغب (١١٢/١)، نظم الدرر (٣٤٩/٨).

(٢) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٧١).

(٣) وقد عقد ابن هشام في (المغني) فصلاً لبيان أوجه (ماذا) وذكر أن منها:

١ - أن تكون (ما) استفهامية، و(ذا) إشارة نحو: (ماذا التَّوَّابِي؟) و(ماذا الوقوف؟).

٢ - أن تكون (ما) استفهامية، و(ذا) موصولة، كقول ليلى بن ربيعة رضي الله عنه:

(ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنخب فيقضى أم ضلال وباطل).

انظر: ديوان ليلى (ص: ٢٥٤)، القصيدة (ص: ٤١)، مجالس ثعلب (ص: ٤٦٢)،

الخصص (١٠٣/١٤)، الأزهية (ص: ٢١٦). والشاهد فيه مجيء (ما) استفهاماً، وهي

مبتدأ، و(ذا) اسم موصول خبر (ما)، و(يحاول) صلة الموصول، والتقدير: ما الذي

يحاول.. و(النخب): الحاجة أو النذر، وهي صحيحة المعنى في مثل هذا البيت. يقول:

أهي حاجة لا بد منها يقضيها بسعيه أو نذر نذره على نفسه، أم هي أمانى باطلة يتمناها

لو استغنى عنها وطرحها لما خسر شيئاً، ولسارت به الحياة سيراً بغير حاجة إلى هذا

الجهاد المتواصل، والاحتياال المتطاوول؟.. انظر: شرح البغدادى (٢٢٦/٥)، البحر

المديد (٢٣٧/٥)، الدر المصون (١٦٦/١)، ومعاني القرآن، للفرأ (١٣٩/١)، تاريخ =

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩].

= الطبري (٥٣٦/٣)، خزانة الأدب (٢٢١/٢)، (١٣٨/٦)، الأصول في النحو (٢/٢٦٣)، الجُمَل في النحو (ص: ١٨١)، اللّامات (ص: ٦١). ف (ما) مبتدأ بدليل إبداله المرفوع منها، و (ذا) موصول بدليل افتقاره للجملة بعده. وهو أرجح الوجهين في ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩] فيمن رفع الغفو، أي: الذي ينفقونه الغفو، أي: فالغفو خبر (الذي)؛ إذ الأصل أن تجاب الاسميّة بالاسميّة والفعلية بالفعلية، والجملة الاسميّة هنا هي كون (ما) مبتدأ، و (ذا) موصولا خبراً، وجاء الجواب جملة اسميّة على قراءة الرّفْع على جعل الغفو خبر مبتدأ محذوف. أمّا الجملة الفعلية هنا على قراءة النّصب على جعل (ماذا) مفعولاً مقدّماً لينفقون، فيجيء الجواب جملة فعلية، أي: أنفقوا الغفو. الثالث: أن يكون (ماذا) كله استفهاماً على التّركيب كقولك: (لماذا جئت؟).. فتكون (ماذا) اسم استفهام في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل بعده، وهو أرجح الوجهين في الآية في قراءة غير أبي عمرو ﴿قُلِ الْغَفْوُ﴾ بالنّصب. أي: ينفقون الغفو.. انظر: الأوجه الأخرى في (مغني اللّيب) (ص: ٣٩٥-٣٩٧). وقال الخليل في (الجُمَل): «وأمّا (ماذا) فمنهم من يجعل (ماذا) بمنزلة (ما) وحده، فيقول: (ماذا رأيت؟)، أي: (ما رأيت؟)، فتقول: زيّد، أي: رأيت زيّدًا كما قال الله ﷻ: ﴿مَاذَا أَنْزَلْ رَّبُّكُمْ قَالُوا خَبَرًا﴾ [النحل: ٣٠] كأنه قال: أنزل خبراً، ومنهم من يجعل (ماذا) بمنزلة (الذي) فيقول: (ماذا رأيت؟)، فتقول: خير، أي: الذي رأيت خير. قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلْ رَّبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤] رفع على معنى الذي أنزل أساطير الأولين. ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ بالرّفْع معناه: (الذي ينفقون الغفو).. الجُمَل (ص: ١٨١-١٨٢). وقد قرأ أبو عمرو وابن كثير في الرواية الثانية عنه، والحسن وقتادة وابن إسحق والجاحدي واليزيدي ﴿الْغَفْوُ﴾ بالرّفْع على جعل (ما) استفهاماً، و (ذا) موصولا، وجاء الجواب مرفوعاً على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أي: الذي ينفقونه الغفو.. وقرأ ابن كثير في رواية وعاصم وحزّة والكسائي وابن عامر ونافع وأبو جعفر وشيبة: ﴿الْغَفْوُ﴾ بالنّصب على جعل (ماذا) اسماً واحداً، وهو =

وقوله ﷻ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبأ: ٢٣].
وتأتي مبتدأ كما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
[يونس: ١٠١].

وتأتي مفعولاً به كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ
قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

أما ما يتعلق بالإعراب فقد جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿مَاذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦]: «قوله ﷻ: ﴿مَاذَا﴾ يجوز أن تكون (ما)
(ذا) اسمًا واحدًا يكون موضعهما نصبًا، المعنى: أيُّ شيء أَرَادَ الله
ﷻ بهذا مَثَلًا. ويجوز أن يكون (ذا) مع (ما) بمنزلة: (الَّذِي)، فيكون
المعنى: ما الَّذِي أَرَادَهُ الله ﷻ بهذا مَثَلًا؟ أو أيُّ شيء الَّذِي أَرَادَهُ الله
ﷻ بهذا مَثَلًا؟ ويكون ما هنا رفعًا بالابتداء، و(ذا) في معنى:
(الَّذِي)، وهو خبر الابتداء..»^(١).

٣ - (مَنْ):

أ. يستفهم بها عن الأجناس الصالحة للخطاب^(٢)، أو يقال: عن
أجناس العقلاء..

= مفعول مقدم، أي: أيُّ شيء ينفقون، فوقع الجواب منصوبًا بفعل مقدر، أي: أنفقوا
العفو.. انظر: التحرير والتنوير (٣٥٢/٢)، البحر المحيط (١٦٨/٢)، القرطبي
(٦١/٣)، الكشف والبيان (١٥٢/٢)، المحرر الوجيز (٢٥٩/١).. إلى غير ذلك.

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١٠٥/١).

(٢) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٦١).

كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩].

﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنًا﴾ [يس: ٥٢].

ب. وقد يُشَرَّب معنى النفي، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]^(١).

وقد يُشَرَّب معنى التهويل كما في قراءة ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [٣٠] من فِرْعَوْنَ ﴿اللدخان: ٣٠-٣١﴾ - بفتح الميم - في قوله: ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ - على لفظ الاستفهام^(٢)، وذلك أنه ﷻ لما وصف العذاب بأنه مهين لشدة وفضاعته، وصف المعذَّب به بأنه مفرط في عتوه وتجبره وإسرافه تهويلاً لعذابه وشأنه^(٣).

ج. أمّا موقعها من الإعراب فقد جاءت في أكثر الآيات مبتدأ، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنًا﴾ [يس: ٥٢].

وتأتي مجرورة بحرف الجر، كما في قوله ﷻ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

د. وقد تقرن: (مَنْ) بـ (ذَا)، ويستفهم بهما معاً.

(١) انظر: التحرير والتنوير (٩٣/٤)، الدر المصون (٢١١/٢)، تفسير ابن عادل (٥٤٥/٥)، تفسير البضاوي (٩٣/٢)، البرهان في علوم القرآن (٤١١/٤).

(٢) انظر: ابن عادل (٣٢٤/١٧)، المحرر الوجيز (٧٤/٥)، الدر المصون (١١٦/٦)، مختصر المعاني، للسعد (ص ١٣١).

(٣) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٦١ - ٣٦٢).

كما في قوله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وكما في قوله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

و(ذا) في الموقعين السابقين اسم إشارة، وليست موصولة. فلا يجوز أن تأتي اسماً موصولاً يليها موصول آخر، إلا في حالة التوكيد المعنوي، وهذا ليس مقامه.

ولم تقع في القرآن إلا مرّبة وبعدها الاسم الموصول^(١).
هـ. تخرج (مَنْ) عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى كالتحقير، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [٢٠] مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ [٣١] [الدخان: ٣٠-٣١]، أي: من فرط عتوه وتجبّره، وقد قرأ ابن عباس: (مَنْ فرعون) بفتح ميم (مَنْ) ورفع (فرعون) على الابتداء والخبر، وهو استفهامٌ تحقير كقولك: مَنْ أنت وزيداً؟^(٢).

٤ - (متى):

المشهور فيها أنها اسم من الظروف، يفيد الظرفية الزمانية المطلقة. أي: أنه غير محدد الزمن، وهي اسم مبهم غير متمكن، وترد على أوجه منها الاستفهام... كقوله ﷻ: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ

(١) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٦٣-٣٦٥)، و(ص: ٣٨٢-٣٨٤)، الكلّيات (ص: ٨٤٠)،

حروف المعاني، للزجاجي (ص: ١٢).

(٢) انظر: الكشف (٥٠٤/٣)، البحر المحيط (٣٨/٨)، انظر: الدر المصون (١١٦/٦).

مَتَى نَصُرَ اللَّهُ ﴿البقرة: ٢١٤﴾^(١).

ويستفهم بها عن الزَّمن الماضي والمستقبل، ولم ترد في القرآن إلا للمستقبل، ولم تأت في القرآن إلا خبراً للمبتدأ كما في الآية السابقة، وكما في قوله ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨]^(٢).

٥ - (أَيَّانَ):

(أَيَّانَ) اسم استفهام للزَّمان المستقبل، أو يقال: هو اسم زمان مبني على الفتح، وهو بفتح الهمزة، و(سُلَيْم)^(٣) تكسرهما، وبها قرأ السلمي^(٤): ﴿أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١]، و[النمل: ٥٦]. ومنهم من يرى أن أصلها: (أي) و(أن) فحذفت الهمزتان، وجعلت الكلمتان كلمة واحدة، وهي في المعنى ك: (متى)، وأي حين. قال الله ﷻ: ﴿أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾ ، أي: متى يبعثون؟

(١) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٨٥)، الجنى الداني (ص: ٥٠٥)، مغني اللبيب (ص: ٤٤٠).
(٢) انظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (٣/ ٢٠٥)، الشواهد على القواعد (ص: ٨٤)، مع الهوامع (٢/ ٥٤٦).

(٣) إن قبيلة (سُلَيْم) العربية (قبيلة الخنساء الشاعرة العربية الصحابية). وتعد قبيلة (سُلَيْم) من القبائل المهمة الساكنة في (الحجاز) في أرض اشتهرت بمعادنها وبخصبها، وبها حرّة بني سُلَيْم، وحرّة ليل، وبها مياه استفادت منها القبيلة في الزرع. وكانوا على صلات حسنة باليهود، كما كانوا على صلات وثيقة بقريش، وتحالف معها أشراف (مكة) وكبارها لما لهم من علاقات اقتصادية بهذه القبيلة. انظر: تاريخ الأدب الجاهلي (ص: ٥٨).

(٤) هو علي بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الملك بن إبراهيم السلمي من أهل (الرقّة)، ولد سنة [٥٠٨هـ]، وتوفي سنة [٥٧٦هـ]، ولا يعرف له مصنف أو شعر. انظر: معجم الأدباء (١٤/ ١٠-١١)، معجم المؤلفين (٧/ ١٢١).

وقال ﷻ: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢]، أي: متى يوم الدين؟ وعن علي بن عيسى الرُّبَعي^(١) أَنَّ (أَيَّانَ) تستعمل في مواضع التَّفخيم كقوله ﷻ: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ٦]^(٢).

«وقد جاءت في القرآن خبراً لمبتدأ كما في قوله ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، و[النازعات: ٤٢]^(٣)، وقوله: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [٦]^(٤)، وفي محلّ نصب على الظرفيّة، وذلك ممّا قيل^(٥) في قوله ﷻ: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

(١) هو علي بن عيسى بن الفرج بن صالح، أبو الحسن الرُّبَعي، عالم بالعربيّة. أصله من (شيراز) اشتهر وتوفي (ببغداد). له تصانيف في النحو، منها كتاب (البدیع). قال الأنباري: حسن جداً، و(شرح مختصر الجرمي)، و(شرح الإيضاح)، لأبي علي الفارسي، و(التنبيه على خطأ ابن جني في فسر شعر المتنبي) توفي سنة [٤٢٠هـ]. وهو من أقران أبي يعلى بن السراج. انظر: الأعلام (٣١٨/٤)، تكملة الإكمال (٤٩٣/١)، البلغة (ص: ٤٥)، بغية الوعاة (١٨١/٢)، تاريخ بغداد (١٧/١٢)، سير أعلام النبلاء (٣٩٢/١٧)، معجم المؤلفين (١٦٣/٧)، وفيات الأعيان (٣٣٦/٣).

(٢) مصابيح المعاني (ص: ١٢٩-١٣٠).

(٣) وفي (الدّر المصون) (٣٧٩/٣): «فيه وجهان أحدهما: أَنَّ ﴿أَيَّانَ﴾ خبر مقدّم، و﴿مُرْسَلُهَا﴾ مبتدأ مؤخر. والثاني: أَنَّ ﴿أَيَّانَ﴾ منصوب على الظرف بفعل مضمر، ذلك الفعل رافع لـ: ﴿مُرْسَلُهَا﴾ بالفاعلية». وكذلك في (تفسير ابن عادل) (٤٠٩/٩)، وانظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي (٣٠٦/١).

(٤) ﴿أَيَّانَ﴾ اسم استفهام ظرف زمان متعلّق بخبر المبتدأ ﴿يَوْمَ﴾، وجمله: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ﴾ مفعول به للسؤال. فإنَّ ﴿أَيَّانَ﴾ ظرف زمان بمعنى: (متى)، وهو مبني، وكان حقه الإسكان لكن اجتمع ساكنان الألف والثون ففتحت الثون لالتقاء الساكنين. مشكل إعراب القرآن، لمكي (٧٧٧/٢)، ومشكل إعراب القرآن، للخراط (ص: ٥٧٧).

(٥) انظر: الدّر المصون (٣١٩/٤)، تفسير ابن عادل (٤٠/١٢).

يَعْتُونَ ﴿٦﴾ [النحل: ٢١]»^(١).

٦ - (أين):

أَمَّا (أين) و(أينما) فقد يكونان استفهامًا عن مكانٍ مبهم^(٢).

ومنه قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦].

وفي (الذر المصون): «قوله: ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾»: (أين) منصوبٌ

بـ: ﴿تَذْهَبُونَ﴾؛ لأنه ظرفٌ مبهمٌ. وقال أبو البقاء^(٣): أي: (إلى أين)،

فحذف حرف الجر كقولك: (ذهب الشَّام). ويجوزُ أَنْ يُحْمَلَ على

المعنى كأنه قال: (أين تؤمنون؟). يعني أنه على الحذف، أو على

التَّضمين. وإليه نحا مكِّي^(٤) أيضًا، ولا حاجة إلى ذلك البتة؛ لأنه

ظرفٌ مكانٍ مبهمٌ لا مُحْتَصَصٌ^(٥).

وتأتي خبرا لمبتدأ كما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ

أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧]، وكما في قوله

ﷻ: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة: ١٠]. وفي محل نصب

على الظرفية المكانية كما في قوله ﷻ السابق: ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾^(٦).

(١) انظر: الشواهد على القواعد (ص: ٨٤).

(٢) انظر: مصابيح المعاني (ص: ١٢٩)، المخصص، لابن سيده (٤/٢٣٤)، الذر المصون

(٦/٤٨٧)، ابن عادل (٢٠/١٩١)، السراج المنير (٤/٥٦١).

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (٢/٢٨٢).

(٤) انظر ما قاله مكِّي في (مشكل إعراب القرآن) (٢/٨٠٣).

(٥) الذر المصون (٦/٤٨٧)، وابن عادل (٢٠/١٩١)، والسراج المنير (٤/٥٦١).

(٦) انظر: الشواهد على القواعد (ص: ٨٤ - ٨٥).

٧ - (أَنَّى):

تأتي بمعنى: (كيف) كما في قوله ﷻ: ﴿أَنَّى يُخَيِّهَ هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وكلمة (أَنَّى) اسم لمكان مبهم تبينه جملة مضاف هو إليها، وقد كثر استعماله مجازاً في معنى: (كيف) بتشبيه حال الشيء بمكانه؛ لأنَّ (كيف) اسم للحال المبهمة يبينها عاملها نحو: ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]^(١). وقد جاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣]: «(أَنَّى) اسم استفهام أصله استفهام عن إمكانية حصول الشيء، ويتوسعون فيها فيجعلونها استفهاماً عن الأحوال بمعنى: (كيف) بتنزيل الأحوال منزلة ظروف في مكان، كما هنا بقرينة قوله ﷻ: ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾. والمعنى: من أين تحصل لهم الذكرى والمخافة عند ظهور الدخان المبين، وقد سُدَّتْ عليهم طرقها بطعنهم في الرسول ﷺ الذي أتاهاهم بالتذكير؟»^(٢).

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٧١/٢-٣٧٢)، (٢٤٢/٣)، (٢٨٧/٦)، (٣٣٦/٢٣)، البحر المديد (٢٥٨/١)، الدر المصون (٥٤٥/١)، (٦٢٣-٦٢٤)، (٨٥/٢)، (٢٥٢/٢)، (٥١٢/٢)، (٥٨٥/٢)، (١٤٧/٣)، (٣٢١/٦)، ابن عادل (٧٨/٤)، (٢٦٩/٤)، (٣٥٣/٤)، (٢٠٢/٥)، (٣٦/٦)، (٢٨٩/٧)، (٤٦٣/٧)، (٣٣٩/٨)، (١١٠/١٩). وانظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (٨٤/١)، (٨٥/١)، (١/١٤٦)، نزهة الأعين التواظر (ص: ١٠٧)، الإيضاح (ص: ١٣٦)، حروف المعاني، للزجاجي (ص: ٦١)، مصابيح المعاني (ص: ١٢٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩١/٢٥)، وانظر أيضاً ما جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُوا فَاحْذَرُوا فَتْلَهُمْ إِنَّهُمْ يَقْفِكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]. (٢٤٢/٢٨)، وانظر: =

فهي في هذه الآية بمعنى: الاستبعاد.

وقد يُشَرَّب معنى: (الإنكار) كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٦٦].

فإنَّ (أَنَّى) استفهام بمعنى: (كيف)، وهو مستعمل في الإنكار، فتفيد النفي، أي: كيف يبصرون وقد طمست أعينهم؟! (١).

وقد يُشَرَّب معنى: التَّعْجِب كما في قوله ﷻ: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وهي بمعنى: (كيف)، وهو استفهام مستعمل في التَّعْجِب، تعجبوا من جعل مثله ملكاً (٢).

و(أَنَّى) في قوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾ فيه وجهان: «أحدهما: أنها بمعنى: (كيف)، وهذا هو الصَّحِيحُ. والثاني: أنها بمعنى: (من أين)، أجازته أبو البقاء (٣)، وليس المعنى عليه. ومحلُّها النَّصْبُ على الحال» (٤).

وكما في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصْرِفُون﴾ [غافر: ٦٩]، فإنَّ «(أَنَّى) بمعنى: (كيف)، وهي مستعملة في التَّعْجِب مثل قوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، أي: أرايت عجب انصرافهم عن التَّصديق بالقرآن

= حروف المعاني، للزجاجي (ص: ٦١-٦٢)، شرح الرُّضِي على كافية ابن الحاجب (٣/٢٠٣).

(١) انظر: روح المعاني (٢٣/٤٥)، التَّحْزِير والتَّنْوِير (٢٣/٥٢).

(٢) انظر: التَّحْزِير والتَّنْوِير (٢/٤٩٠).

(٣) انظر ما قاله في (التَّيْبَان في إعراب القرآن)، لأبي البقاء (١/٢٥٦).

(٤) الدَّر المصون (١/٦٠١)، تفسير ابن عادل (٤/٢٦٩).

بصارفٍ غيرِ بيِّنٍ منشؤه؟؟!! ولذلك بني فعل ﴿يُصَرِّفُونَ﴾ للنائب؛ لأنَّ سبب صرفهم عن الآيات ليس غير أنفسهم.

ويجوز أن تكون (أَنْتَ) بمعنى: (أَيْن)، أي: أَلَا تعجبُ (من أين) يصرفهم صارف عن الإيمان حتى جادلوا في آيات الله ﷻ مع أن شُبّه انصرافهم عن الإيمان منتفية بما تكرر من دلائل الآفاق وأنفسهم، وبما شاهدوا من عاقبة الَّذِينَ جادلوا في آيات الله ﷻ ممَّن سبقهم!! وهذا كما يقول المتعجب من فعل أحد (أَيْن يُذْهَبُ بِكَ!!؟)»^(١).

أَمَّا ما يتعلّق بالإعراب فإنّها تأتي بمعنى: (كيف) فتعرب حالّة في محلّ نصب كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠]^(٢).

وتأتي بمعنى: (من أين) فتعرب ظرف زمان كما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧]^(٣).

(١) التّحرير والتّشوير (٢٤/٢٠٠-٢٠١).

(٢) انظر: ذلك مفصّلاً في (الدّر المصون) (٢/٨٥-٨٦)، تفسير ابن عادل (٥/٢٠٢)، وانظر: مشكل إعراب القرآن، للخراط (ص: ٥٥).

(٣) انظر ذلك مفصّلاً في (الدّر المصون) (٢/٧٩)، الكشف (١/٤٢٨)، البحر المحيط (٣/١١١)، تفسير القرطبي (٤/٧١)، تفسير البغوي (٢/٣٢)، تفسير السّمعاني (١/٣١٤)، روح المعاني (٣/١٤٠)، معاني القرآن، للتحّاس (١/١٨٩)، المفردات (١/٥٤). وفي تفسير قوله ﷻ: ﴿وَأَوَلَمْآ أَصْابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. الدّر المصون (٢/٢٥٢). وفي (التّحرير والتّشوير): «(أَنْتَ) استفهام بمعنى: (من أين) قصدوا به التعجّب والإنكار، وجملة: ﴿قُلْتُمْ أَنَّى﴾ جواب (لَمَّا)، والاستفهام بـ: (أَنْتَ) هنا مستعمل في التعجّب». التّحرير والتّشوير (٤/١٦١)، (٦/٢٨٧)، (٧/٣٨٩)، (٧/٤١١)، (١٨/١١٢). وقد أنكر بعضهم ذلك، وقال: معناه: من أيّ جهة لك هذا؛ لأنَّ =

وتأتي بمعنى: (متى) فتعرب ظرف زمان كما في قوله ﷻ: ﴿أَنِّي يُخَيِّهِ هَٰذَا ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]. وهي كذلك بمعنى: (كيف) فتعرب حالاً كما في (الذر المصون)^(١).

وقد ذكرت المعاني الثلاثة في قوله ﷻ: ﴿فَسَاوُكَمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِئْتُمُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]^(٢).

٨ - (كيف):

- أ. يسأل بها عن الأحوال والصفات لا عن الدَّوات وغيرها^(٣).
 ب. وهي من الأسماء^(٤).

= (أَنِّي) للسؤال عن الجهة، و(أَيْنَ) للسؤال عن المكان. انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٦١)، ابن عادل (١٨٥/ ٥)، السمعاني (٣١٤/ ١). والجواب عن ذلك ما سبق بيانه من كون (أَنِّي) يستفهم بها عن الحال والمكان، ولذلك قيل: هو بمعنى: (أَيْنَ) و(كيف) لتضمُّنه معناهما. انظر: المفردات (١/ ٥٤)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٠)، تفسير أبي السعود (٢/ ٣٠)، البحر المديد (١/ ٣١١)، غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٢٩).

(١) انظر ذلك مفصلاً في (الذر المصون) (١/ ٦٢٣-٦٢٤)، تفسير ابن عادل (٤/ ٣٥٣)، التبيان، للعكبري (١/ ٩٤)، تفسير أبي السعود (١/ ٢٥٣)، الكلِّيات (ص: ١٩٥).
 (٢) انظر: الشواهد على القواعد (ص: ٨٥)، وانظر: الدر المصون (١/ ٥٤٥)، تفسير ابن عادل (٤/ ٧٨)، وانظر: تفسير الماوردي (١/ ٢٨٤)، التبيان، للعكبري (١/ ٩٤)، مصابيح المعاني (ص: ٢٥١).

(٣) انظر: روح المعاني (١١/ ٨٣). قال الجوهري: (كيف) اسمٌ مبهم غير متمكِّن وإنما حرَّك آخره لالتقاء الساكنين، وبني على الفتح دون الكسر لمكان الياء، وهو للاستفهام عن الأحوال، وقد يقع بمعنى التعجب. الصَّحاح، للجوهري، مادة: (كيف) (٤/ ١٤٢٥)، وانظر: تاج العروس، (٢٤/ ٣٤٩)، لسان العرب، (٩/ ٣١٢)، وسيأتي معنى التعجب في (كيف).
 (٤) انظر: الدليل على اسمية (كيف) ما أورده أبو البقاء العكبري في (مسائل خلافة في النحو) (ص: ٥٥-٥٧).

ج. أمّا ما يتعلّق بالإعراب «فإنها تأتي حالا بعد فعل النّظر: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وتأتي خبراً لكان بعد فعل النّظر: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]»^(١).

د. والاستفهام بـ: (كيف) يكون حقيقياً^(٢):

﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

هـ. خروج الاستفهام بـ: (كيف) عن حقيقة:

أولاً: الاستبعاد:

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦].
(كيف) سؤال عن حال، لكنّه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للأمر^(٣).

(١) الشواهد على القواعد (ص: ٨٥-٨٦).

(٢) الاستفهام بكيف يكون حقيقياً وغير حقيقي، كقوله ﷻ: ﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فإنه أخرج مخرج التعجب. انظر: مغني اللبيب (ص: ٢٧١). وفي (البحر): «(كَيْفَ) اسم استفهام عن حال، وصحبه معنى: التقرير والتوبيخ، فخرج عن حقيقة الاستفهام. وقيل: صحبه الإنكار والتعجب». البحر المحيط (١/ ٢٧٥)، وانظر: الكشاف (١/ ٢٦٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٤٦٨)، تفسير الثعالبي (١/ ٢٨٧).

وفي (التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ): «(كيف) استفهام إنكاريٌّ، والمقصود: إنكار أن تحصل لهم هداية خاصّة، وهي إمّا الهداية الناشئة عن عناية الله ﷻ بالعبد ولطفه به، وإسنادها إلى الله ﷻ ظاهر، وإمّا الهداية الناشئة عن إعمال الأدلّة والاستنتاج منها، وإسنادها إلى الله ﷻ؛ لأنّه موجد الأسباب ومسبباتها. ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملاً في الاستبعاد، فإنهم آمنوا وعلموا ما في كتب الله ﷻ، ثم كفروا بعد ذلك بأنبيائهم، إذ عبد اليهود الأصنام غير مرّة، وعبد النصارى المسيح ﷺ، وقد شهدوا أنّ محمداً ﷺ صادق لقيام دلائل الصّدق، ثم كابروا، وشكّوا النّاس. وجاءتهم الآيات فلم يتّعظوا، فلا مطمع في هديهم بعد هذه الأحوال، وإنما تسري الهداية لمن أنصف وتهياً لإدراك الآيات دون القوم اللّذين ظلموا أنفسهم»^(١).

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران: ١٠١]. فقد قيل: إنّهُ استفهام مستعمل في الاستبعاد استبعاداً لكفرهم ونفيّاً له^(٢). وقال غير واحد: معنى الاستفهام فيه الإنكار والتّعجيب، والمعنى: من أين يتطرّق لكم الكفر؟.. إلخ^(٣).

(١) التّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ (٣/ ٣٠٣)، وانظر: (٤/ ٢٨).

(٢) انظر: التّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ (٤/ ٢٨).

(٣) الكشاف (١/ ٤٥٠)، وكذلك في (البحر المحيط) (٣/ ١٨)، تفسير أبي السّعود (٢/ ٦٥)، النّسفي (١/ ٢٥٩)، تفسير الثّيسابوري (٢/ ٢٢١)، تفسير القاسمي (٢/ ١٠٢).

ثانياً: الإنكار:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ [الأنعام: ٨١]. «(كيف) استفهام إنكاري؛ لأنهم دَعَوْه إلى أن يخاف بأس الآلهة فأنكر هو عليهم ذلك، وقلب عليهم الحجة، فأنكر عليهم أنهم لم يخافوا الله ﷻ حين أشركوا به غيره بدون دليل نصبه لهم فجمعت (كيف) الإنكار على الأمرين... إلخ»^(١).

ثالثاً: التعجب:

﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَنًا فَأَخْيَكُمُ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

قوله ﷻ: ﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾: (كيف) استفهام يسأل به عن الأحوال، وبني لتضمُّنه معنى (الهمزة)، وبني على أخفِّ الحركات، وكان سبيلها أن تكون ساكنة، أن فيها معنى: (الاستفهام) الذي معناه: (التعجب)^(٢). وشذَّ دخول حرف الجرِّ عليها، قالوا: (على كيف تبعُّ الأَحْمَرَيْنِ)^(٣). وفي (البحر..): «(كيف): سؤال عن الأحوال، وهي

(١) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٠).

(٢) تفسير ابن عادل (١/ ٤٨٠)، الدر المصون (١/ ١٧٠)، وانظر: الإتيان (٢/ ٢١٤).

(٣) الدر المصون (١/ ١٧٠)، تفسير ابن عادل (١/ ٤٨١)، البحر المحيط (٥/ ٤٢٥)، روح المعاني (١٣/ ٢٤٩)، (٣٠/ ١١٦)، وانظر: أسرار العريَّة، لأبي البركات الأنباري (ص: ٣٧)، اللُّباب في علل البناء والإعراب (٢/ ٨٦)، شرح الرُّضي على كافي ابن الحاجب (٣/ ٢٠٦)، مسائل خلافيَّة في النُّحو، للعكبري (ص: ٥٦)، مع الهوامع (٢/ ٢١٨).

هنا للتعجيب والتعظيم لكفرهم بعد الإيمان، أي: كيف يستحق الهداية من أتى بما ينافيها بعد التباسه بها ووضوحها؟ فاستبعد حصولها لهم مع شدة الجرائم^(١). وقال الزمخشري: «كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله ﷻ من تصميمهم على كفرهم؟»^(٢).
والحاصل أن (كيف) استفهام في معنى التعجب، وهذا التعجب إنما هو للخلق والمؤمنين، أي: اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبت حجة الله عليهم؟^(٣).

وقيل: هو في معنى التقرير والتوبيخ^(٤).

وقد سبق بيان ما قاله غير واحد في قوله ﷻ:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران: ١٠١]. ونحوه قوله ﷻ: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [المائدة: ٤٣]^(٥).

(١) البحر المحيط (٥٤١/٢) .

(٢) الكشف (٢٦٨/١).

(٣) انظر: معاني القرآن، للزجاج (١٠٧/١)، وانظر: الصّحاح، للجوهري، مادة: (كيف)

(٤/١٤٢٥)، تاج العروس (كيف) (٣٤٩/٢٤)، لسان العرب (٩/٣١٢) .

(٤) وفي (البحر): «(كَيْفَ): قد تقدّم أنّه اسم استفهام عن حال، وصحبه معنى التقرير والتوبيخ، فخرج عن حقيقة الاستفهام. وقيل: صحبه الإنكار والتعجب». البحر المحيط

(١/٢٧٥)، زاد المسير (١/٥٧).. حيث ذكر أيضًا القولين .

(٥) انظر: التحرير والتنوير (٦/٢٠٦).

ونحو ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]. فقوله ﷻ: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ استفهام آخر للإنكار والتعجب، أي: كيف تحكمون بالباطل الذي يأباه صريح العقل ويحكم بطلانه من اتخاذ الشركاء لله جلَّ وعلا؟! والفاء لترتيب الإنكار على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي.. (١).

رابعاً: التعظيم:

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢] (٢).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [٨] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [٩] ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [١٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [١١] [القمر: ١٨-٢١]. ذكر ههنا: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٣) مرتين، فالأول سؤال، كقول المعلم للمتعلم: (كيف المسألة الفلانية؟)، ثم بين فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ ، والثاني: بمعنى التعظيم

(١) روح المعاني (١١/١١٥).

(٢) ونحو ذلك الآيات التالية: [الحج: ٤٤]، [غافر: ٥]، [سبا: ٤٥]، [فاطر: ٢٦]،

[الملك: ١٨].

والتَّهْوِيلُ^(١).

خامساً: التقرير والتوبيخ:

كما قيل في قوله ﷻ: ﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٩]. وقد سبق بيانه.

سادساً: التهديد والوعيد:

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]. هذا تهديد لهم، وتذكير بعاقبة من أفسد قبلهم، وتمثيل لهم بمن حلَّ به العذاب من قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السَّلام...^(٢).

﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥]^(٣).

سابعاً: النَّقْي:

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣]^(٤).

(١) انظر: تفسير الرازي (٣٠٥/٢٩)، غرائب القرآن (٢١٩/٦)، تفسير ابن عادل (٢٥٣/١٨).

(٢) انظر: البحر المحيط (٣٤٢/٤).

(٣) ويفهم هذا المعنى بالنظر إلى الآية التي قبلها، وهي قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُعْجَبُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُحَرَّمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣].

(٤) فهو استفهام بمعنى النَّقْي كما في (الجلالين) (ص: ٢٠٧).

٩ - (أي):

أَمَّا (أَي) -بفتح الهمزة وتشديد الياء- وقد تخفَّف، كقول الشاعر:
(تَنْظَرْتُ نَضْرًا وَالسَّمَائِينَ أَنَّهُمَا عَلَيَّ مِنَ الْغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهُ)^(١).

فإنها اسم يأتي على أوجه، منها:

الاستفهام الحقيقي عن تمييز أحد الأمرين المتشاركين، وتكون ملازمة للإضافة، كقوله ﷺ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وهي في هذا الوجه لا يعمل فيها إلا ما بعدها؛ لأن لها صدر الكلام، كقوله ﷺ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فنصبها بـ: (ينقلبون) لا بالفعل المتقدم. قال ﷺ: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف: ١٢].

ولا تقع قبلها في هذا الوجه من الأفعال إلا أفعال الشك واليقين، نحو: (علمت) و(ظننت) ...، وهي معربة أيضًا..^(٢).

والحاصل أن (أي) الاستفهامية معربة دائماً رفعاً ونصباً وجراً... فالرفع نحو قوله ﷺ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ [الأنعام: ١٩]. والنصب نحو قوله ﷺ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

(١) والبيت للفرزدق في (ديوانه) (٢٨١/١)، وهو من (الطويل)، وانظر: أيضًا: شرح شواهد المغني (٢٣٦/١)، والجني الداني (ص: ٢٣٤)، شرح البغدادى (١٤٦/٢)، المحتسب (٤١/١)، (١٠٨/١)، (٢/١٥٠-١٥٢)، شواهد الكشف (ص: ٩٠)، و(نصر) هو نصر بن سيار، و(السماكان) نجمان مشهوران، وهما: الأعزل والزامح. وانظر أيضًا: الدر المصون (٣٣٩-٣٤٠)، الكشف (٣/١٧٤)، المحرر الوجيز (١/٥١٩).

(٢) انظر ذلك مفصلاً في (مصاييح المعاني) (ص: ١٣٣-١٣٤).

والجرُّ نحو قوله ﷻ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ﴾ [عبس: ١٨]. ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].
وتأتي (أي) ويراد بها (الاستفهام التوبيخي). قال صاحب (مصابيح المعاني)^(١): «ولم أرَ أحدًا ذكره، ولكنه ظاهر كقول الله ﷻ: ﴿فَيَا أَيُّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وإن سُمِّيَ هذا المعنى بالاستبعاد كان حسنًا..»^(٢).

١٠ - (كم):

(كم) اسم استفهام مبني على الشُّكُون^(٣)، يفيد العدد.
وذلك نحو: ﴿قَالَ كَمْ لَيْتَ﴾ [البقرة: ٢٥٩].
﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَيْتَكُمْ﴾ [الكهف: ١٩].
﴿قُلْ كَمْ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢].

(١) هو الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم الخطيب، أبو عبد الله، الشهير بابن نور الدين، ويعرف بالموزعي.. مفسر، عالم بالأصول توفي [نحو ٨٢٠ هـ]. انظر: الأعلام (٢٨٧/٦).

(٢) مصابيح المعاني (ص: ١٣٥).

(٣) انظر: الجنى الداني (ص: ٢٦١).

فرع في بيان الاستفهام المثبت والاستفهام المنفي

أولاً: أجوبة الاستفهام المثبت:

أ. إذا كان الاستفهام يطلب به معرفة مضمون الجملة؛ لأنَّ السَّائل يجهله، سواء أكان الاستفهام بـ: (هل)، كقوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، أم كان الاستفهام بـ: (الهمزة). نحو قوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ﴾ [يس: ٢٣]، فالجواب حينئذٍ: (نعم) في الإثبات، و(لا) في النفي. فيقال على سبيل المثال: (نعم أتاني حديث الغاشية)، و(نعم اتخذ من دونه آلهة).
أو يقال في حالة النفي: (لم يأتني حديث الغاشية)، أو (لم اتخذ من دونه آلهة).

ب. أمّا إذا كان الاستفهام يطلب به التّعيين، فلا يحتاج الجواب إلى استخدام حروف الإجابة، وإنما يكون الجواب بتعيين أحد الشّيئين اللّذين يسأل عنهما السّائل، أو بتعيين الأمر المستفسر عنه، نحو: أتفضل التّخصّص في التّفسير أم الحديث؟

وتكون الإجابة بتعيين أحد الشّيئين المذكورين في السّؤال.
وأما تعيين الشّيء المستفسر عنه فمثاله من القرآن قوله الله ﷻ: ﴿يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧].

ثانيا: أجوبة الاستفهام المنفي:

الاستفهام المنفي هو الاستفهام المثبت ذاته، ولكن يأتي بعد أداة الاستفهام حرف نفي، أو ما يدل على النفي -وقد سبق بيان لك-.
والجواب حينئذ يكون (بلى) في الإثبات، و(نعم) منفية في النفي.
نحو قوله ﷻ:

﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيَطْمِئَنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ونحو الآيات التالية:

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٣٠].

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الزمر: ٧١].

﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [غافر: ٥٠].

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأحقاف: ٣٤].

﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الحديد: ١٤].

﴿... أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [٨] ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الملك: ٨-٩].

ومثال النفي: ألم تتأخر اليوم عن الحضور؟ الجواب: نعم لم أتأخر.

ولم أجد له مثالا في القرآن الكريم.

• خاتمة في إجمال النتائج

ومما سبق يتبيّن مدى أهميّة الاستفهام، وموقعه من موضوعات البحث، وبيان فائدته، ووظيفته. وبيان الموضوعات ذات الصّلة. وبيان أنّ أكثر استفهامات القرآن الكريم إنّما هي استفهام إنكار معناه: (الذّم والنّهي) إن كان إنكاراً شرعيّاً، أو معناه: (النّفي والسّلب) إن كان إنكار وجود ووقوع..

ويستفاد من استفهام الإنكار: (إبطال مدّعى الخصم بإثبات كذبه)، أو (إظهار الخصم بمظهر المعاند الذي لا يخضع للدّليل).. ومن استفهام التّقرير: (حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده، وذلك من خلال مقدّمات واضحة لا يمكن للمخاطب أن يرفضها).. وقد سبق بيان ذلك مفصّلاً.

كما أنّ ألفاظ الاستفهام قد تخرج عن معناها الأصليّ فيستفهم بها عن الشّيء مع العلم به؛ لأغراضٍ أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته، وقد أُتيَتْ على بيان تنوّع هذه الأغراض، كذلك أُتيَتْ على تنوّع الاستفهام من خلال اختلاف أدواته، وما لكلّ أداة من الخصائص، وذلك كلّ من خلال نصوص القرآن الكريم.. إلى غير ذلك من الموضوعات ذات الصّلة.



المطلب الخامس السؤال في القرآن الكريم من حيث عموم معناه

أ. تعريف السؤال:

السُّؤْلُ ما يسأله الإنسان وقرئ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ [طه: ٣٦] بالهمز وبغيره^(١). وسأله الشيء وسأله عن الشيء سُؤْلاً ومَسْأَلاً. وقوله ﷻ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]، أي: عن عذاب واقع. قال الأخفش: يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان، وقد تخفف همزته، فيقال: سأل يسأل، والأمر منه: سل، ومن الأول: اسأل. ورجل سُؤْلَةٌ: كثير السؤال، وتساءلوا: سأل بعضهم بعضاً^(٢).

والسؤال: استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدّي إلى المال. فاستدعاء المعرفة جوابه باللسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة. واستدعاء المال جوابه باليد، واللسان خليفة

(١) ﴿سُؤْلَكَ﴾ «بالواو: أبو عمرو غير شجاع ويزيد والأعشى والأصبهاني عن ورش وحزة في الوقف. الآخرون بالهمزة». تفسير النيسابوري (٤/ ٥١٤). وانظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (٣٨٣). قال الإمام النسفي (٣/ ٥٤): «أعطيت مسئولك، فالسؤال الطلبة، فعل بمعنى مفعول، كخبر بمعنى مخبور. ﴿سؤلك﴾ بلا همز أبو عمرو».

(٢) تنظر مادة: (سأل) في (مختار الصحاح) (ص: ٣٢٦)، وينظر ذلك مفصلاً في (الصحاح)، للجوهري (٥/ ١٧٢٣)، ولسان العرب (١١/ ٣١٨)، مقاييس اللغة (٣/ ١٢٤).

لها إمّا بوعد، أو برّد. تقول: سألته عن الشيء سؤالاً ومسألة. وقال الأَخفش: يقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان^(١).

وقد تخفّف همزته فيقال: سال يسال. وقرأ أبو جعفر: ﴿سَالَ سَائِلٌ﴾ [المعارج: ١] بتخفيف الهمزة.

قال الشاعر:

وَمُرْهَقٍ سَالَ إِمْتَاعًا بِأُضْدَتِهِ لَمْ يَسْتَعِنْ وَحَوامِي الْمَوْتِ تَغْشَاءُ^(٢).

والأمر منه^(٣): سَلْ، ومن الأوّل^(٤): اسْأَلْ.

وقوله تعالى: ﴿وَسَّأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الزخرف:

٤٥]، يقال: إنّه خوطب به ليلة أُسري به، فجُمع بينه وبين الأنبياء

-صولات الله عليهم- فأَمَّهم، وصَلَّى بهم، فقليل له: فسَلَّهم. وقيل:

معناه: سل أَمَمَ مَنْ أَرْسَلْنَا، فيكون السؤال ههنا على جهة التقرير.

وقيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة، أي: وسلوا، كقوله

تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١].

(١) انظر: تنظر مادة: (سأل) في (مختار الصحاح) (ص: ٣٢٦)، الصحاح، للجوهري (١٧٢٣/٥)، ولسان العرب (٣١٨/١١). تفسير القرطبي (٢٧٩/١٨-٢٨٠)، التحرير والتنوير (١٥٥/٢٩)، مجمع البحرين، للعالم المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي (٤٤٩/٢).

(٢) الشاهد في (الصحاح)، مادة: (سأل) (١٧٢٣/٥)، واللسان (٣١٨/١١). تاج العروس، مادة: (أصد) (٣٨٨/٧)، (وصد) (٣٠٢/٩)، ومادة: (سأل).. وانظر: المصادر السابقة.

(٣) يعني: مِنْ سَالَ -بتخفيف-

(٤) يعني: مِنْ سَأَلَ -بالهمز-

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، أي: لا يسأل سؤال استعلام، لكن سؤال تقرير وإيجاب للحجة عليهم. وقوله تعالى: ﴿وَعَدَا مَسْئُولًا﴾ [الفرقان: ١٢٦] هو قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٨]، وقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]، أي: دعا داع، يعنى قول نضر بن الحارث: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]^(١). والباء في (بعذاب) بمعنى: عن، أي: عن عذاب.

و(رجل سُؤْلَة) - مثال تُؤدَة -: كثير السّؤال. و(أسأَلته سُؤْلته ومسأَلته): أي: قضيت حاجته. و(تساءلوا)، أي: سأل بعضهم بعضًا. وقرأ الكوفيون: ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ [النساء: ١] بالتخفيف، والباقون بالتشديد أي: تتساءلون^(٢)، أي: الذي تطلبون به حقوقكم، وهو

(١) قال البيضاوي في (تفسيره) (١٠٤/٣): «هو قول النضر بن الحارث، وإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم؛ فإنه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه الصلاة والسلام. وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم؛ إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين، ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصًا في باب البيان». وانظر: البحر المديد (٢٤/٣)، بحر العلوم (١٨/٢-١٩)، وانظر: تفسير مقاتل (١٥/٢)، أضواء البيان (٥٥/٣)، (١٦٢/٧)، (٢٦٥/٨)، المنار (٥٤٥/٩).

(٢) قرأ ابن كثير، و نافع، وابن عامر، والبرجمي، عن أبي بكر، عن عاصم. واليزيدي، وشجاع، والجعفي، وعبد الوارث. عن أبي عمرو: ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بالتشديد. وقرأ عاصم، وحزة، والكسائي، وكثير من أصحاب أبي عمرو عنه بالتخفيف. قال الزجاج: الأصل: =

كقولك: (نَشَدْتُكَ بالله)، أي: سألتك بالله. فَإِنْ قلت: كيف يصحّ أن يقال: السَّوَالُ استدعاء المعرفة، ومعلوم أَنَّ الله تعالى يَسْأَلُ عباده؟ قيل: إِنَّ ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيته، لا لتعريف الله تعالى؛ فَإِنَّهُ عَلَامُ الْغُيُوبِ، فليس يخرج من كونه سؤال المعرفة، والسؤال للمعرفة قد يكون تارة للاستعلام، وتارة للتبكي، وتارة لتعريف المسؤول وتنبهه، لا ليخبر ويُعلم، وهذا ظاهر. وعلى التبكي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْمُؤَدَّةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨].

والسَّوَالُ إِذَا كَانَ لِلتَّعْرِيفِ تَعَدَّى إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي تارة بنفسه، وتارة بالجارِّ، نحو: سأَلْتَهُ كَذَا، وسأَلْتَهُ عَنْ كَذَا، وبكذا، وبعن أكثر نحو: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وَأَمَّا إِذَا كَانَ السَّوَالُ لاسْتِدْعَاءِ مَا لِي فَإِنَّهُ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، وبمن؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقوله: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]. ويعبّر عن الفقير إِذَا كَانَ مُسْتَدْعِيًا لشيءٍ بِالسَّائِلِ، نحو قوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]^(١).

= تتساءلون، فمن قرأ بالتشديد. أدغم التاء في السين؛ لقرب مكان هذه من هذه، ومن قرأ بالتخفيف، حذف التاء الثانية؛ لاجتماع التاءين. زاد المسير (٣/ ٣٥)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٦). قال في (النشر) (٢/ ٢٤٧): ﴿سَاءَ لُونٌ﴾ فقرأ الكوفيون بتخفيف السين، وقرأ الباقون بتشديدها.

(١) بصائر ذوي التمييز، بصيرة في السؤال (٣/ ٧٥-٧٨)

ب. أهمية السؤال وبيان حكمه وأنواعه في القرآن الكريم:
إن (مبحث السؤال في القرآن) حقيقٌ بأن يفرد بالتأليف والبحث؛
لتنوعه؛ ولما فيه من الخصائص والمميزات.

وحيث إن الإنسان مدنيٌّ بالطبع فهو بحاجة إلى التواصل مع
الآخرين من أبناء جنسه، وله سبل منها: السؤال، وهو من أهم وسائل
التواصل، فهو وسيلة تخاطب وحوار وتفاهم وتبادل للأفكار
والمصالح.

ولا يقتصر في السؤال والمحاورة على أبناء الجنس فحسب، بل
هناك أسئلة أخرى مع غير أبناء الجنس، كسؤال الملكين في القبر،
وسؤال المحاسبة يوم القيامة.. إلخ.

والقرآن الكريم يعلمنا: أدب السؤال، والصيغة الصحيحة له، وأنها
تختلف باختلاف المخاطبين، وكيف ينبغي أن يكون توجيه السؤال؟
وقد بينت طرفاً من ذلك في (الدعاء).

والنظر في السؤال أمرٌ، والجواب عنه أمرٌ آخر.
والجواب عن السؤال في القرآن الكريم منهج عظيم ودقيق يُعنى
بمصلحة المخاطب -بفتح الطاء المهملة-، وهو حقيق كذلك بالبحث.
كذلك فإن فائدة توجيه السؤال والجواب عنه تعمُ المخاطبين.

وينظر فيه إلى السبب، والمنهج، والموضوع، والهدف، والقيمة
المعرفية، والحوار في إحقاق الحق، وإبطال الباطل والمعتقدات
الفاسدة، ونحو ذلك، وأثره في تطوير وسائل المعرفة.

وكذلك ينظر إلى تنوع أساليب السؤال وجوابه، كأن يكون تشريعياً أو كونياً أو طبيعياً أو تاريخياً... الخ.

وكذلك ينظر إلى مدى التوافق التام مع حال المخاطبين، كما في السؤال المكي، والسؤال المدني، حيث يفترقان من حيث الخصائص والمميزات كما بينت ذلك في (الخطاب المكي والخطاب المدني). قال ابن الأثير: «(سأل) فيه (للسائل حق وإن جاء على فرس). السائل: الطالب. معناه: الأمر بحسن الظن بالسائل إذا تعرض لك، وأن لا تجبهه بالتكذيب والرد مع إمكان الصدق، أي: لا تخيب السائل، وإن رابك منظره وجاء راكباً على فرس فإنه قد يكون له فرس وراءه عائلة أو دين يجوز معه أخذ الصدقة، أو يكون من الغزاة، أو من الغارمين وله في الصدقة سهم».

وفيه: «أعظم المسلمين في المسلمين جُزماً من سأل عن أمر لم يحرم فحرّم على الناس من أجل مسألته»^(١).

ثم بين رحمه الله (حكم السؤال) فقال:

السؤال في كتاب الله والحديث نوعان:

أحدهما: ما كان على وجه التبيين والتعلم ممّا تمس الحاجة إليه فهو مباح، أو مندوب، أو مأمور به.

والآخر: ما كان على طريق التكلف والتعنت، فهو مكروه ومنهجي عنه. فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه فإنما هو

(١) صحيح البخاري [٦٨٥٩]، ومسلم [٢٣٥٨].

رَدَّعَ وَزَجَرَ لِلسَّائِلِ، وَإِنْ وَقَعَ الْجَوَابُ عَنْهُ فَهُوَ عُقُوبَةٌ وَتَغْلِيظٌ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَنَّهُ نَهَى عَنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ^(١). قِيلَ: هُوَ مِنْ هَذَا. وَقِيلَ: هُوَ سُؤَالُ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ: أَنَّهُ كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا^(٢) أَرَادَ الْمَسَائِلَ الدَّقِيقَةَ الَّتِي لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهَا^(٣).

وَجَاءَ النَّهْيُ عَنْ سُؤَالٍ مِنْ أَجْلِ السُّؤَالِ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ تَتَرْتَبُ عَلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ:

﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ بُدِّ لَكُمْ عَمَّا أَلَّهَ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١].

وَقَدْ أَكْثَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سُؤَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، قَالَ اللَّهُ ﷻ:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]^(٤).

(١) والنهي عن كثرة السؤال ورد في روايات منها ما أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (٢٠/١) بإسناد صحيح، قال: «حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن وراذ كاتب المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي بما سمعت من رسول الله ﷺ، قال وراذ: فأملئ عليّ وكتب بيدي: إني سمعته ينهى عن كثرة السؤال وإضاعة المال وعن قيل وقال. وأخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) [٤٩٨١]، وفي (مسند الإمام أحمد) [١٨٢٥٨]. قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) والحديث له أطراف كثيرة، انظر: صحيح البخاري [٤٤٦٨]، [٦٨٧٤]، ومسلم [٣٨١٦].

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (سأل) (٨٢٦/٢).

(٤) انظر الآيات من [سورة البقرة: ٦٧ - ٧١].

كما أن كلَّ رسول كان يخاطب قومه ويبلغهم ما يحتاجونه، فينبغي أن يحرص قومه على الاستفادة، دون هدرٍ منهم لوقته في القيل والقال، وكثرة السؤال. قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»^(١).

ويأتي السؤال بمعنى التعنت والاستكبار كما في قوله ﷺ: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۖ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا ۖ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

وليس في الكتاب والسنة تنفير من السؤال النَّافع، بل حثٌّ عليه كما جاء الآيات كما في قوله ﷺ: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١] ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ﴾ [يونس: ٩٤]، ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وكما في قوله ﷺ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»^(٢)، «مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَذْرِ فَيْكُم؟»^(٣).

وقوله ﷺ: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء

(١) صحيح البخاري [٦٨٥٨]، ومسلم [١٣٣٧].

(٢) صحيح مسلم [٦٧٤٤].

(٣) صحيح البخاري [٣٧٧١].

العي: السؤال^(١).

ولذلك جاء المنهج القرآني معلّمًا للمخاطبين أن يسألوا سؤالًا نافعًا فنهى عن سؤال لا نفع فيه، وكان التوجيه كذلك من خلال الجواب على طريقة: (أسلوب الحكيم)، كما في قوله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجُ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وهو تلقي المُخاطَبِ بغير ما يترقّبُهُ، إمّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤالٍ لم يسأله، وإمّا بحمل كلامه على غير ما كان يقصّد، إشارةً إلى أنّه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصّد هذا المعنى.

فقد سأل أصحاب الرسول ﷺ عن الأهلة، لم تبدو صغيرة ثم تزداد حتى يتكامل نورها ثم تتضاءل حتى لا تُرى؟ وهذه مسألة من مسائل علم الفلك يُحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة، فصرفهم القرآن الكريم عن هذا بيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات؛ إشارة منه إلى أن الأولى بهم أن يسألوه عن هذا.

وللسؤال أهمية كبيرة في طلب العلم. قال ابن القيم رحمه الله: «ومفتاح العلم: حسن السؤال، وحسن الإصغاء»^(٢). وقال: «وللعلم ست مراتب، أولها: حسن السؤال، الثانية: حسن الانصات والاستماع، الثالثة: حسن الفهم، الرابعة: الحفظ، الخامسة: التعليم، السادسة: وهي ثمرته، وهي العمل به ومراعاة حدوده. فمن

(١) والحديث حسن أخرجه أبو داود [٣٣٦]، والدارقطني (١٨٩/١) عن جابر رضي الله عنه

(٢) حادي الأرواح (ص: ٤٨).

الناس من يحرم العلم؛ لعدم حسن سؤاله؛ إما لأنه لا يسأل بحال؛ أو يسأل عن شيء وغيره أهم إليه منه، كمن يسأل عن فضوله التي لا يضر جهله بها، ويدع ما لا غنى له عن معرفته، وهذه حال كثير من الجهال المتعلمين»^(١).

وقد ذكر البخاري رحمه الله في باب (الحياء في العلم) قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر. وقالت عائشة رضي الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعن الحياء أن يتفقهن في الدين^(٢).

وقد كان الرسل -عليهم الصلاة والسلام- يحرصون على التعلم والسؤال حتى ممن هو دونهم، كما في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام.

وقد ذكر البخاري رحمه الله (باب ما ذكر في ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر إلى الخضر)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ عن ابن عباس أنه تمارى هو والخضر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، قال ابن عباس: هو خضر، فمر بهما أبي بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريتُ أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيته، هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟ قال: نعم سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٦٩).

(٢) صحيح البخاري [٥٠].

مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى مُوسَى: بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً. وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾، ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، ﴿فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ﴾^(١).

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): «هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم؛ لأن ما يغتبط به تحتمل المشقة فيه؛ ولأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البر والبحر لأجله»^(٢).

وهذا ما كان عليه السلف الصالح فقد كانوا يحرصون على التعلم، ويحتملون المشاق من أجل سؤال أهل العلم.

أما أنواعه فقد ورد السؤال في القرآن على عشرين وجهًا:

الأول: سؤال التعجب: ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [البقرة: ٨٢].

الثاني: سؤال الاسترشاد: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]،

﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

الثالث: سؤال الاقتباس^(٣): ﴿مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾

(١) صحيح البخاري [١٦].

(٢) فتح الباري (١/١٦٨).

(٣) أقول: بمعنى أن النبي ﷺ سيقول لهم: ﴿مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ الذي جاء =

[الفرقان: ٧٧].

الرابع: سؤال الانبساط: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧].

الخامس: سؤال العطاء والهبة: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ [آل عمران: ٣٨].
 السادس: سؤال العون والنصرة: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].
 السابع: سؤال الاستغاثة: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].
 الثامن: سؤال الشفاء والنجاة: ﴿مَسْفِي الضُّرِّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].
 التاسع: سؤال الاستعانة: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩].
 العاشر: سؤال القرابة: ﴿رَبِّ أَبْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

الحادي عشر: سؤال العذاب والهلاك: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [نوح: ٢٦].

الثاني عشر: سؤال المغفرة: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي﴾ [إبراهيم: ٤١].
 الثالث عشر: سؤال الاستماع للسائل والمحروم: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

الرابع عشر: سؤال المعاودة والمراجعة لنوح عليه السلام: ﴿فَلَا تَنْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦]، ولمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]، وللصحابة: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

= مسبقاً بـ: ﴿قُلْ﴾ مقتبساً هذا من القرآن الكريم.

الخامس عشر: سؤال الطلب وعرض الحاجة: ﴿يَسْأَلُهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].
 السادس عشر: سؤال المحاسبة والمناقشة: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْتَلَنَّهِنَّ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، ﴿فَلَنَسْتَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ٦].

السابع عشر: سؤال المخاصمة: ﴿عَمَّ يَسْأَلُونَ﴾ [النبا: ١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْأَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، أي: يتخاصمون.

الثامن عشر: سؤال الإجابة والاستجابة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [البقرة: ١٨٦].

التاسع عشر: سؤال التعنت: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].
 العشرون: سؤال الاستفتاء والمصلحة، وذلك على وجوه مختلفة:
 تارة من حيض العيال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢].
 وتارة من نفقة الأموال: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].
 وتارة عن حكم الهلال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]..
 وتارة عن القيامة وما فيها من الأهوال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وتارة عن حال الجبال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥].
 وتارة عن الحرب والقتال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وتارة عن الحرام والحلال: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٤]،
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وتارة عن اليتيم وإصلاح ما له من المال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وتارة عن الغنائم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

وتارة عن العذاب والنكال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١].

وتارة عن العاقبة والمآل: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

وتارة عن المبالغة في الجدل: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَافِيٌ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وتارة عن كرم ذي الجلال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].. قال الشاعر:

(إذا كنت في بلد قاطنًا وللعلم مقتبسًا فسأل)

(فإن السؤال شفاء العباد كما قيل في الزمن الأول)^(١).

ج. مادة سأل في القرآن الكريم:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى﴾ [البقرة: ١٠٨].

﴿وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

(١) بصائر ذوي التمييز، بصيرة في السؤال (٣/ ٧٥-٧٨)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾ [البقرة: ١٨٩ ، ٢١٧ ، ٢١٩] [الأعراف: ١٨٧] ،
[الأنفال: ١] ، [النازعات: ٤٢] .

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١]
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا﴾ [البقرة: ٢١٥] ، [المائدة: ٤] .
﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] .
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾ [البقرة: ٢٢٠ ، ٢٢٢] ، [الإسراء: ٨٥] ،
[الكهف: ٨٣] [طه: ١٠٥] .

﴿لَا يَسْأَلُونَكَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢٧٣] .
﴿نِسَاءً لَّوْنَ بِهِمْ وَلَا لَزَامٌ﴾ [النساء: ١] .
﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣] .
﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٥٣] .
﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ [المائدة: ١٠١] .
﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٠] ، [هود: ٢٩ ، ٥١] ، [الفرقان: ٥٧] ،
[الشعراء: ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠] ، [ص: ٨٦] ،
[الشورى: ٢٣] .

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] .
﴿وَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] .
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] ، [النازعات: ٤٢] .
﴿سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾ [التوبة: ٦٥] .
﴿سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ﴾ [يونس: ٧٢] ، [سبأ: ٤٧] .

- ﴿فَسَلِّ إِلَيْهِ﴾ [يونس: ٩٤].
- ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦].
- ﴿أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧].
- ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كَثَلٍ مَّا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤].
- ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾ [يوسف: ٥٠].
- ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٠٤].
- ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]، [الأنبياء: ٧].
- ﴿لَتَسْأَلَنَّ عَمَّا﴾ [النحل: ٥٦].
- ﴿وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا﴾ [النحل: ٩٣].
- ﴿مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤، ٣٦]، [الفرقان: ١٦]، [الأحزاب: ١٥].
- ﴿فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الإسراء: ١٠١].
- ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ﴾ [الكهف: ٧٠].
- ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ﴾ [الكهف: ٧٦].
- ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَّىٰ﴾ [طه: ٣٦].
- ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٣].
- ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].
- ﴿فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].
- ﴿يَسْأَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، [القصص: ٦٦]، [الصافات: ٢٧، ٥٠]، [الطور: ٢٥]، [المدثر: ٤٠]، [النبأ: ١].
- ﴿فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

﴿يُسْتَلْ عَنْ﴾ [القصص: ٧٨]، [الرحمن: ٣٩].
 ﴿وَلَيْسَتُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [العنكبوت: ١٣].
 ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ﴾ [العنكبوت: ٦١، ٦٣]، [لقمان: ٢٥]، [الزمر: ٣٨]،
 [الزخرف: ٩، ٨٧].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٠].
 ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].
 ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾ [الأحزاب: ٦٣].
 ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبا: ٢٥].
 ﴿اسْأَلُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ [يس: ٢١].
 ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤].
 ﴿سَتَكُنُّ شُهَدَائِهِمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].
 ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].
 ﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الزخرف: ٤٥].
 ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٢﴾﴾ [الذاريات: ١٢].
 ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ١٩]، [المعارج: ٢٥].
 ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور: ٤٠]، [القلم: ٤٦].
 ﴿يَسْأَلُهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٢٩].
 ﴿وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَتُلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ [المتحنة: ١٠].
 ﴿سَأَلَهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [القلم: ٤٠].
 ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ [المعارج: ١].

- ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ٦].
 ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨].
 ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].
 ﴿ثُمَّ لِنُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].
 د. السؤال الاستفهامي:

السؤال الاستفهامي قد يكون باستخدام أداة من أدوات الاستفهام
 الأنفة الذكر، نحو قوله ﷻ: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن
 يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠].
 وكما في قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ﴾ [آل
 عمران: ٤٠]، [مريم: ٨]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]،
 [مريم: ٢٠].

وقد ورد التساؤل بكلمة: (أَلَمْ) في سبعة وسبعين موضعًا، وب:
 (هَل) في سبعة وستين موضعًا، وبكلمة (أَمَّن) في عشرة مواضع.
 وقد يكون باستخدام مادة: (سأل) كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ
 عِبَادِي﴾ [البقرة: ١٨٦]، وكما في ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: ١٨٩]،
 ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، [المائدة: ٤]، [الأعراف: ١٨٧]،
 [الأنفال: ١]، [النازعات: ٤٢].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢]، [الإسراء: ٨٥]،
 [الكهف: ٨٣]، [طه: ١٠٥].

وكما في قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٥]،

[العنكبوت: ٦١، ٦٣]، [لقمان: ٢٥]، [الزمر: ٣٨]، [الزخرف: ٩]، [٨٧].

وكما في قوله ﷻ: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، ﴿وَسَّئِلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥].

وكما في قوله ﷻ: ﴿فَسَّئِلْ﴾ [يونس: ٩٤]، [الإسراء: ١٠١]، [المؤمنون: ١١٣]، [الفرقان: ٥٩].

وكما في قوله ﷻ: ﴿فَسَّئِلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]، [الأنبياء: ٧].

وقوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

وقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ [الكهف: ٧٠].

وقوله ﷻ: ﴿سَأَلْتُكَ﴾ [الكهف: ٧٦].

وقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦].

وقوله ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

﴿عَلَى بَعْضِ يَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٢٧، ٥٠]، [الطور: ٢٥].

﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، [فصلت: ١٠].

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢].

﴿عَمَّ يَسَاءَ لُونِ﴾ [النبا: ١].

هـ. السؤال الاستفهامي الإنكاري:

وقد سبق بيانه.

و. السؤال الاستفهامي التقريري:

وقد سبق بيانه.

ز. السؤال الاستفهامي التوبيخي:

فمن ذلك قوله ﴿عَلَيْكَ﴾:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨].

ومن ذلك الآيات التالية:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ

يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ ءَايَةٍ يُبَيِّنُونَ﴾ [البقرة: ٢١١].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل

عمران: ١٠١].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ

مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١].

﴿وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ

ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣].

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِيَ إِلَىٰ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥].

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨].
 ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢].
 ﴿أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤].
 ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥].
 ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُمُ كِبِيرُهُمْ هَذَا فَشَكُّوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤]، [القلم: ٣٦].
 ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].
 ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨-٩].
 وقد تحقيق المعنى في الاستفهام الإنكاري، مع بيان ما فيه توبيخ.
 ح. سؤال الحساب:

سؤال الإنسان على ما قدم من عمل أمر مقطوع به في القرآن والسنة، وأحوال الآخرة من الغيب لا تعرف إلا بخبر صادق من القرآن والسنة، واعتقاد هذه الأحوال يكون عن نص قطعي الثبوت والدلالة، وما وراء ذلك يدخل في دائرة الاجتهاد الذي لا يلزم اعتقاد نتيجته، ولا يكفر من لا يصدقه.

وقد جاء في القرآن الكريم قوله ﷻ: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]. وهو سؤال عن التبليغ لا عن الأعمال التي يمارسها كل مؤمن ليجازي عليها، فذلك ما يطلق عليه اسم الحساب الذي يتصل به عرض الكتاب وقراءته: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ

أَلْفَسَطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]. غير أن هناك استثناءات من الحساب جاء بعضها في الحديث المتفق عليه أن سبعين ألفاً من أمة النبي ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وعينهم بقوله ﷺ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَزُقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١).

ومن المعلوم أن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- قد عصمهم الله ﷻ من الذنوب وغفر لهم ما عسى أن يكون قد صدر عنهم في صورة ذنب وهو ليس بذنب، وما دام الله ﷻ قد غفر لهم فعلى أي شيء يحاسبهم حساب مناقشة؟ وإذا كان المذكورون من السبعين ألفاً لا يرقون إلى درجة الأنبياء والرسل قد أعفاهم الله من الحساب، فهل يكون للأنبياء والرسل حساب؟ نعم سيسألون عن تبليغ الرسالة كشهادة على أممهم، أما سؤال الحساب وما يترتب عليه من جزاء فلا. وأعظم ما يسأل عنه العباد يوم القيامة هو كفرهم وشركهم، قال الله ﷻ: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الشعراء: ٩٢ - ٩٣].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَتَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢]. ويسأل العبد عن أعماله في الدنيا، قال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ

(١) صحيح البخاري [٥٣٧٨]، [٥٤٢٠]، [٦١٠٧]، [٦١٧٥]، صحيح مسلم [٥٤٧]، [٥٤٩].

أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣].

ويسأل الله ﷻ عباده عن النعيم الذي أنعم به عليهم في الدنيا، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَنُنَازِلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. والنعيم: شبع البطون، وبارد الماء، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم. قال سعيد بن جبير: حتى عن شربة عسل. وقال الحسن البصري: نعيم الغداء والعشاء، وقال أبو قلابة: من النعيم: أكل العسل والسمن بالخبز النقي. وعن ابن عباس ؓ: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار وغير ذلك من أصناف النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى^(١). قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]. وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا. وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال. وعن أبي هريرة ؓ قال: رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أَصْحَ لَكَ جَسْمَكَ وَأَرْوِكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٢).

فمن نعم الله ﷻ العظيمة: شربة الماء ولقمة الطعام وغير ذلك.

أما ترتيب آيات سؤال الحساب فهي على النحو التالي:

﴿وَلَا تُشْغَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٧٧/٨)، تفسير الطبري (٥٨٢-٥٨٣/٢٤)، الكشف والبيان (٢٨٢/١٠)، البغوي (٥٢٠/٨).

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرک) [٧٢٠٣]، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والحديث أخرجه كذلك الترمذي [٣٣٥٨] وقال: غريب، والبيهقي في (شعب الإيمان) [٤٦٠٧]، والدليمي [١٩].

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]، [١٤١].

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

﴿ثُمَّ نَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَوْسُومٍ فَحَذِّوهُ فَإِنَّكُمْ تَسْقُونَ مِنْهُ﴾ [النحل: ٥٦].
﴿وَلَنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣].

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].
﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٣].

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].
﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٢٥] فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ

يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ [القصص: ٦٥-٦٦].
﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

﴿وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْفَيْكَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].
﴿لَيَسْأَلَنَّ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨].

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: ١٥].

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبا: ٢٥].
 ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].
 ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّبُ
 شَهِدَتِهِمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].
 ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].
 ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].
 ﴿ثُمَّ لَنُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].
 ط. السؤال الطلبي:

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٦١].
 ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ نَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨].
 ﴿وَعَاقِبَى أَلْمَالِ عَلَى حَبِيبِهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
 وَالسَّائِلِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].
 ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا
 يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].
 ﴿نِسَاءٌ لُونِ بِهِ وَالْأَرْحَامُ﴾ [النساء: ١].
 ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].
 ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [النساء: ١٥٣].
 ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُوكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ
 بُدِّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].
 ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠]، [هود: ٥١]،

[الكهف: ٧٧]، [الشورى: ٢٣].

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ [يونس: ٧٢].

﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا﴾ [هود: ٢٩].

﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦].

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [يوسف: ١٠٤].

﴿وَأَتَيْنَاكَ مِنْ كُلِّ مَاءٍ سَائِطُوتٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ [طه: ٣٦].

﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ [طه: ١٣٢].

﴿أَمَرْتُ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رِيكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢].

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧]، [ص: ٨٦].

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠].

﴿وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾

[الأحزاب: ١٤].

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ [سبا: ٤٧].

﴿أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ [يس: ٢١].

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيكَ إِلَىٰ يَنْفَعُكَ﴾ [ص: ٢٤].

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ

أَمْوَالَكُمْ﴾ [٣٦] إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا فَيُحْفِفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَنُخْرِجَ أَصْغَرَكُمْ﴾ [٣٧] [محمد: ٣٦-٣٧].

- ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، [المعارج: ٢٥].
 ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور: ٤٠]، [القلم: ٤٦].
 ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٢٩].
 ﴿وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ لَهَا أَنْفَقًا﴾ [الممتحنة: ١٠].
 ﴿وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠].
 ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

● خلاصة إجمالية:

والحاصل أن السؤال المحمود وسيلة تَحَاظِب تدفع إلى الحوار وإعمال العقل، ويصل السائل من خلالها إلى الحقائق.

كما أن السؤال من وسائل التواصل والمشاركة والارتقاء، يثير الأفكار العقلية، ويحفّز على سبر أعماق المسائل، والإحاطة بجوانب الموضوع، فإن الأسئلة مفاتيح العلوم - كما سبق -، وذلك مما يعزز الثقة بالنفس، ويزيد التقدم والنمو.

وللسؤال آداب، وهو يتنوع باختلاف المخاطبين، فينبغي التلطف فيه، وأن يكون السائل حكيماً لئلا يتواضعاً، بعيداً عن الزهو والمراء والمجادلة بالباطل، قال الله ﷻ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وأن يكون المجيب حكيماً على دراية بالجواب يملك الحجة والبرهان .

والسؤال المذموم تعنت وتخلف واستكبار وأنفة عن قبول الحق. ولا ينبغي أن يكون السؤال فيما لا نفع فيه، وأن لا يكون كذلك على

سبيل الاستهزاء والعناد، كما أن السؤال في الحوار والمناظرة نافع في استدراج الخصم، وإلزامه بالحجة إذا كان منضبطًا بآداب وشروط البحث والمناظرة.. إلى غير ذلك.



المطلب السادس الدُّعاء في القرآن الكريم

● التعريف مع بيان الصِّلة بموضوعات البحث

الدُّعاء: الرِّغبة إلى الله ﷻ^(١). وقد دعا يدعو دُعاءً ودَعْوَى، والدُّعاءُ كالنِّداءِ^(٢) لكن النِّداءُ قد يقال إذا قيل: (يَا) و(أَيَا) ونحو ذلك من غير أن يُضَمَّ إليه الاسم، والدُّعاءُ لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان، وقد يستعمل كلُّ واحد منهما موضع الآخر^(٣). قال ﷻ: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَوَّضُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: ١٧١]، وهو من الإنشاء الطَّلبيِّ. قال صاحب (الكليات): «والطلب إن كان بطريق العلو سواء كان عاليًا حقيقة أو لا فهو أمر^(٤)، وإن كان

(١) انظر: الكليات (ص: ٤٤٧)، بصائر ذوي التمييز (٣٨٨/٢)، لسان العرب، مادة: (دعا)

(٢) (٢٥٧/١٤)، المحكم والمحيط الأعظم، مادة: (دعو) (٣٢٥/٢)، وكذلك في (تاج

العروس) (٤٦/٣٨)، القاموس المحيط (ص: ١٦٥٥).

(٣) سيأتي بيان ذلك في تعريف النداء في (الفصل الثالث).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٣٨٨/٢)، المفردات، للراغب (٣٤٧/١).

(٤) (ما كان عاليًا حقيقة) كقول السيد لعبده: افعل كذا. (أو لا) كقول العبد لسيِّده: افعل كذا - حال كونه طالبًا للعلو - فخرج الدُّعاء والالتماس؛ لأنَّ الأوَّل من الأدنى، والثَّاني من المساوي، بخلاف الأمر؛ فإنَّه يشترط فيه طلب الأمر العلو. والمراد بطلبه العلو أن يعدَّ نفسه عاليًا بإظهار حاله العالي، وذلك بأن يكون كلامه على جهة الغلظة والقوَّة لا على جهة التواضع والانخفاض، فسميَّ ميله في كلامه إلى العلو طلبًا له سواء كان عاليًا في نفسه أو =

على طريق السُّفل سواء كان سافلاً في الواقع أم لا فدعاء^(١). وقيل: من الأعلى أمر، ومن الأدنى دعاء^(٢). قال ابنُ عرفة في تفسير قوله ﷻ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]: «الطلب من

= لا. انظر: شروح تلخيص المفتاح (٣٠٩/٢-٣١٠). وفي (الكتاب): «إنَّ أصلَ الدُّعاء أن يكون على لفظ (الأمر)، وإنما استعظم أن يقال: أمر، والأمر لمن دونك، والدُّعاء لمن فوقك، وإذا قلت: (اللهم اغفر لي) فهو كلفظك إذا أمرت فقلت: (يا زيدُ أكرم عمراً)، وكذلك إذا عرضت فقلت: (انزل) فهو على لفظ: (اضرب). وقد يجيء الأمر والنهي والدُّعاء على لفظ الخبر إذا لم يلبس، تقول: (أطالَ الله بقاءه) فاللفظُ لفظ الخبر، والمعنى دعاء، ولم يلبس؛ لأنك لا تعلم أنَّ الله ﷻ قد أطالَ بقاءه لا محالة، فمتى ألبسَ شيء من دأ بالخبر لم يميز حتى يبين، فتقول على ذا: (لا يغفر الله له ولا يرحمه)، فإن قلت: (لا يغفر الله له ويقطعُ يده) لم يميز أن تجزم (يقطعُ)؛ لأنه لا يشاكل الأول؛ لأنَّ الأول دعاء عليه. وإذا جزمتَ (يقطعُ) فقد أردت: (ولا يقطعُ) الله ﷻ، فهذا دعاء له فلا يتفق المعنى، وإذا لم يتفق لم يميز التَّسْق. واعلم أنَّ الدُّعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل: (دعاء)؛ لأنه استعظم أن يقال: أمر أو نهي. وذلك قولك: اللهم زيِّدا فاغفر ذنبه، وزيِّدا فأصلح شأنه، وعمراً ليجزه الله خيراً. وتقول: زيِّدا قطع الله يده، وزيِّدا أمر الله عليه العيش؛ لأنَّ معناه معنى: (زيِّدا ليقطع الله يده). الكتاب، لسيبويه (١٣٠/٢)، وانظر: الأصول في النحو، لابن السَّراج، فصل من مسائل الدُّعاء والأمر والنهي (١٧٠/٢-١٧١).

(١) الكليات (ص: ٥٨٢).

(٢) انظر: حاشية الجرجاني على الكشاف (٦٧/١)، ابن عادل (٢٠٣/١)، البهجة في شرح التحفة (٢٦/١)، الجنى الداني (ص: ١١٠)، والتَّصريح (٢٤٦/٢). قال الأخضري: (أمرٌ مَعَ اسْتِغْلَا وَعَكْسُهُ دُعا وفي التَّساوي قَالَتِمَاسٌ وَقَعَا)

فالأمر ما دلَّ على الفعل بذاته كاضرب، وقوله: (مَعَ اسْتِغْلَا)، أي: مع إظهار الطَّالِب العلوُّ على المطلوب منه. (وَعَكْسُهُ)، أي: طلبُ الفعل لا مع استعلاء، بل مع خضوع وإظهار الطَّالِب الانخفاض عن المطلوب منه دعاء، وفي التَّساوي: التماس، كقول بعض الخدمة لبعض: أعطني عمامتي. السَّلم بشرح الشَّيخ درويش القويسني (ص: ١٧).

الأدنى للأعلى سؤال عند المنطقيين ودعاء عند النحويين. ومنهم من قال: إن كان لله ﷻ فهو دعاء، وإن كان لغيره فهو أمر^(١).

وقد حَقَّق صاحبُ (الكليات) أَنَّ الطَّلَبَ مع الخضوع مطلقاً ليس بدعاء، بل الدعاء مخصوصٌ بالطَّلَب من الله ﷻ في العرف وفي جميع الاصطلاحات^(٢)، كما حَقَّق أَنَّ الالتماس لا يستعمل إلا في مقام التَّواضع^(٣)، وأمَّا السُّؤال فهو أعمُّ منه.. والمطلوب به إن كان ممَّا

(١) تفسير ابن عرفة (١٠٢/١).

(٢) يعني أَنَّ الدعاء مخصوصٌ بالطَّلَب من الله ﷻ في (الاصطلاح الشرعي)، وكذلك في (الاصطلاح العرفي)، وكذلك في (الاصطلاح اللغوي). وقد نبّه ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي (مجموع الفتاوى): أَنَّ «استعمال الدعاء في العبادة والمسألة من استعمال اللَّفْظ في حقيقته الواحدة، ليس من المشترك، ولا المتواطئ، ولا المجاز». مجموع الفتاوى (١١/١٥). وسيأتي بيان قول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ. والدُّعاء لَوْزٌ من الطَّلَب، إلا أَنَّ الطَّلَب يختلف باختلاف الطَّالِب والمطلوب منه، فَإِنْ كان الطَّالِبُ أدنى من المطلوب منه لا يُقال له فعل أمر. بل يقال له: دعاء. وينبغي أن نلاحظ ذلك أثناء الإعراب فَإِنْ كان المطلوب هو من الأدنى إلى الأعلى فلا يقال: فَعَلَ أمر، بل فَعَلَ دعاء.

(٣) (الالتماس): الطَّلَب مع التَّساوي بين الأمر والمأمور في الرتبة. وقال العلامة التَّفتازاني: في العرف إنما يطلق على ما يكون مع تواضع ما لا مع التَّساوي. وقيل: الالتماس هو اللَّفْظ الدَّالُّ على طلب الشيء دلالة وضعيَّة مع التَّساوي. دستور العلماء (١١٢/١)، انظر: مختصر العلامة سعد الدِّين التَّفتازاني على تلخيص المفتاح (٣٠٩/٢)، شروح تلخيص المفتاح (٣٠٩-٣١٠-٣١١/٢)، التَّعريفات (ص: ٥١)، التَّوقيف على مهمات التَّعاريف (ص: ٨٧). والفرق بين الالتماس والطَّلَب أَنَّ الالتماس طَلَبٌ باللمس، ثُمَّ سُمِّي كُلُّ طَلَبٍ: التماساً مجازاً. الفروق اللُّغويَّة (ص: ٦٥). أقول: ومع التَّساوي في الرتبة فقد نبّه العلامة السَّعد وكذلك صاحب (الكليات) إلى أَنَّ ثَمَّةَ فرقاً بين الالتماس والسُّؤال، فالإلتماس يستعمل في مقام التَّواضع، والسُّؤال أعمُّ. أقول: وعلى ذلك فكلُّ التماس سؤال، وليس كُلُّ سؤال التماساً فبينهما عموم وخصوص مطلق.

لا يمكن فهو التَّمني، وإن كان ممكنًا، فإن كان حصول أمر في ذهن الطالب فهو الاستفهام، وإن كان حصول أمر في الخارج، فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو النَّهي، وإن كان ثبوته فإن كان بأحد حروف النداء فهو النداء، وإلا فهو الأمر. والطلبُ فعلٌ اختياريٌّ لا يتأتَّى إلا بإرادة متعلِّقة بخصوصية المطلوب موقوفة على امتيازهِ عمَّا عداه.

والطلب من الله ﷻ يجوزُ بلفظ الماضي والمضارع، وبصيغة الأمر على اصطلاح الأدباء، وكذا الثناء مثل: (صلى الله عليه وسلم) و(حمدت الله)، و(أحمده)، بخلاف: (أضرب)، و(أبيع)، والفرق إمكان الوعد فيه، وعدم إمكان الوعد في الثناء على الله ﷻ والطلب منه إلا إذا قام دليل مثل: سأستغفر الله ﷻ، فإنَّ حرف التَّنْفيس دليل الوعد^(١).

والحاصل أنَّهم فرَّقوا بين (الأمر) و(الدُّعاء) و(الالتماس) في الصَّيغة الواحدة، وذلك بالنَّظر إلى المخاطب -بكسر الطاء المهملة- والمخاطب -بفتح الطاء المهملة-.

ولكن ينبغي أن نلاحظ أنَّ الطلب من غير الله ﷻ وإن كان معه خضوعٌ وانكسارٌ وذلٌّ فليس بدعاءٍ، وإنَّما هو سؤالٌ والتماسٌ ورجاءٌ -كما تقرَّر-

وما سبق يصدق أيضًا على (لا النَّاهية). فما كان الأعلى إلى الأدنى يسمَّى: نهياً، وبالعكس يسمَّى: دعاءً، ومن المساوي يسمَّى: التماساً،

(١) الكليات (ص: ٥٨٢).

وذلك مع ملاحظة الاعتبارات السابقة.

فقوله ﷻ مثلاً على لسان لقمان عليه السلام:

﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣] نهْيٌ حقيقيٌّ.

وقوله ﷻ على لسان المخاطبين:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَامًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ليس نهياً حقيقياً، وإنما هو دعاءٌ .

أمَّا (الالتماسُ) فكقولك لصاحبك أو زميلك أو أخيك أو مَنْ يساويك في الرتبة: (لا تقلق يا أخي فالامتحان سهلٌ)، أو ما إلى ذلك من الأفعال التي تتحدث بها مع نذك؛ فإنها حينئذ تسمى التماساً. ولكن يجري ذلك الخلاف الذي لوُحِتْ إليه غير مرة من حيث كونُ الالتماس يستعملُ في مقام التواضع، فلا يقال عن المثال الآنف الذكر: إنه التماس.

وينبغي أن نُميِّز بين الدعاء في اصطلاحه الشرعي، وبين الاصطلاح اللغوي، يقال: «دعا المؤمن ربه ﷻ، إذا ناداه وطلبَ منه تحقيقَ نفعٍ أو دفعِ ضرٍّ من أمور الدنيا، أو أمور الآخرة. ودعا الوثنيُّ معبوده، إذا ناداه، وطلبَ أمراً من أمور الدنيا. واشتهر الدعاء بأحد معانيه اللغويَّة، وهو المعنى الديني له، مع توسُّع شملِ كلِّ ذِكْرِ لله ﷻ، وثناءٍ عليه بصفاته وأسمائه الحسنی؛ لأنَّ ذِكْرَ الله ﷻ يُرْجى منه رضوان الله ﷻ وثوابه، فهو ذو دلالةٍ طلبيةٍ، ويتضمَّن غالباً نداء الله ﷻ بحمده والثناء عليه.

فمن دعاء الله ﷻ ما هو مُطلقٌ ذَكَرَ له، ومن دعاء الله ﷻ ما هو نداءٌ له بطلب يتضمَّن استِجداءَ تحقيقِ مرغوبٍ فيه من خيرات الدنيا، أو خيرات الآخرة، أو دفعِ مكروهٍ من أمور الدنيا أو أمور الآخرة. ويكون الدعاء بصيغ كثيرة تشمل: صيغ الأمر والنهي، وصيغ الجمل الخبرية، والأصل فيه: النداء مع طلب بصيغ الأمر أو النهي، وكثيراً ما يُحذف حرفُ النداء.

وكثيراً ما يُدعى بصيغة خبرية، مثل: (رَحِمَ الله فلاناً وغَفَرَ له)، أو (يَرْحَمُ الله فلاناً ويَغْفِرُ له).

والدعاء الموجه لله ﷻ من أجل العبادات، والدعاء وفق المعنى الدني الموجه لغير الله ﷻ شركٌ بالله ﷻ، والله ﷻ لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

يقول الله ﷻ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبَاسٌ كَثِيرٌ إِلَى الْمَاءِ لِيَتَّبِعَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤].

ويقول سبحانه: ﴿... وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

وقد يتأدب الداعي مع ربه في طلب بعض حاجاته الدنيوية، كما فعل موسى عليه السلام، وهو عند (ماء مدين)، إذ قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وتأذّب رسولُ الله محمد ﷺ مع ربّه، وفي نفسه أن يُحوّل الله ﷻ القبلة إلى (الكعبة المشرفة)، فجعل يقلّب وجهه في السّماء، فقال الله ﷻ: ﴿قَدْ رَأَى قَلْبُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]»^(١).

وحيث إنّ الدّعاء قد اشتهر بمعناه الشرعي، والذي هو أحد معاني الدّعاء اللّغويّة فإنّ العناية والاهتمام هنا بما قد اشتهر..-وسياتي في الفصل الذي يتناول (النّداء) كلُّ ما يتعلّق به-.

وقد نبّه ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ إلى أنّ استعمال الدّعاء في العبادة والمسألة من استعمال اللفظ في حقيقته الواحدة، ليس من المشترك^(٢)، ولا

(١) بتصرفٍ عن (البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها) (٢٥٥/١ - ٢٥٧).

(٢) (المشترك): هو اللفظة الموضوعيّة لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعا أوّلاً من حيث هما كذلك). فخرج بـ: (الوضع): ما يدلُّ على الشّيء بالحقيقة، وعلى غيره بالمجاز، وخرج بقيد: (أوّلاً) المنقول، وخرج بقيد (الحيثيّة): المتواطئ فإنّه يتناول الماهيّات المختلفة، لكن لا من حيث هي كذلك، بل من حيث إنّها مشتركة في معنى واحد. إرشاد الفحول (٥٧/١)، المحصول (٣٥٩-٣٦١)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (٦٠/١). قال الأخضريري في (السّلم):

(وَنَسَبَةُ الْأَلْفَاظِ لِلْمَعَانِي خَمْسَةٌ أَقْسَامٌ بِلَا نُقْصَانٍ
تَوَاطُؤُ تَشَاكُكُ تَخَالُفُ وَالِاشْتِرَاكُ عَكْسُهُ التَّرَادُفُ).

قوله: (تَوَاطُؤُ)..وهو القسم الأوّل من الخمسة كالإنسان؛ فإنّ معناه لا يختلف في أفراد، ويسمّى ذلك المعنى متواطئاً لتواطئ أفراد، أي: توافقها فيه؛ فإنّ أفراد الإنسان كلّها متوافقة في معناه من الحيوانيّة والنّاطقيّة، وإنّما الاختلاف بينهما بعوارض خارجيّة كالبياض والسّواد والطّول والقصر. فإن كان معناه مختلفاً في أفراد كالنّور؛ فإنّ معناه في الشّمس أقوى منه في القمر. وكالبياض؛ فإنّ معناه في العاج أقوى منه في الثّوب، فالنسبة بينه وبين أفراد تشاكك. ويقال للمعنى مشكك؛ لأنّ النّاظر إذا نظر في =

المتواطئ، ولا المجاز حيث قال: كلُّ دعاءٍ مسألة متضمّن لدعاء العبادة. وعلى هذا فقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] يتناول نوعي الدعاء. وبكلٍ منهما فُسِّرَت الآية. قيل: أعطيه إذا سألني. وقيل: أثيبه إذا عبدني. والقولان متلازمان. وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً. فتأمّله فإنّه موضوعٌ عظيمُ النفع، وقلّ ما يفطن له^(١).

وهو يعني أنّ العبارة الواحدة تطلق إطلاقاً حقيقياً على جميع الحقائق فتكون حقيقة (شرعية) و(لغوية) و(عرفية)^(٢)، ولا يكون ذلك

= الأفراد باعتبار أصل المعنى ظنّه متواطئاً، وإذا نظر باعتبار التّفاوت ظنّه مشتركاً فحصل له التّشكك. ويسمّى اللفظ متواطئاً كمعناه، وفي الثّاني مشككاً كمعناه. وإذا نظر بين معنى اللفظ وبين لفظ آخر فإن لم يصدق أحدهما على شيءٍ مما يصدق عليه الآخر، فالنسبة بينهما تخالف، أي: تباين، كالإنسان والفرس.. واللفظ إن تعدد معناه كعين الباصرة والجارية فالنسبة بينه وبين ما له من المعاني الاشتراك؛ لاشتراك المعنيين في اللفظ الواحد. وإن تعدّد المعنى كالإنسان والبشر فالنسبة بين اللفظين التّرادف.. انظر: شرح الشّيخ درويش القويسني على السّلم المنورق (ص: ١٧).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٥)، بدائع الفوائد (٣/٥١٤).

(٢) (الحقيقة اللّغوية): وهو ما وضعها واضع اللّغة، كالدّابة لكلّ ما دبّ على وجه الأرض، والصّلاة للدّعاء.. والحقيقة الشّرعية وهي ما وصفها الشّارع، كالصّلاة نقلها الشّارع من الدّعاء للعبادة المخصوصة، وهي الأقوال والأفعال المعلومة المفتحة بالتّكبير المختمة بالتّسليم، فتحمل في كلام أهل الشّرع على ذلك. والعرفية الخاصّة، وهي ما وضعها أهل

الإطلاق من المشترك ولا من المتواطئ ولا من المجاز.
وقد فُسر قوله ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) [الأعراف: ٥٥-٥٦]، بدعاء المسألة، ودعاء العبادة. «فهاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء، دعاء العبادة، ودعاء المسألة؛ فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان؛ فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه، وكلُّ من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقًا، والمعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر»^(١).

«وذلك كثير في القرآن كقوله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ

= عرف خاص، وهم طائفة مخصوصة منسوبون لحرفة، كالتحويين نقلوا الفعل مثلاً من الأمر والشأن للفظ الدال على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة؛ لاشتغال اللفظ المذكور على الأمر والشأن. والعرفية العامة وهي ما وضعها أهل العرف العام، أي: ما كان الناقل لها من جميع الطوائف، ككونه داخلاً في جملة أهل البلد بحيث لا يتوقف على أمر يضبط أهلها، كالدابة نقلها العرف العام من كل ما يدب على الأرض وخصها بذات الحوافر. الفرس والحمار والبغل، وأهل (العراق) بالفرس، وأهل (مصر) بالحمار. ولا يشترط العلم بشخص الناقل في هذه الثلاثة الأخيرة. انظر: الفروق (٣١٣/١)، الأشباه والنظائر، لابن نجيم (ص: ٩٣)، نهاية السؤل (٢٤٦/١)، الأصول من علم الأصول (ص: ٢٠)، المعتمد في أصول الفقه (٤٠٥/٢) الخ.

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٥)، وكذلك في (بدائع الفوائد) (٥١٣/٣).

مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴿يُونُس: ١٠٦﴾، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٦]، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ لَكُمُ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَأَنزِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأً بِإِزْهِيمٍ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْكُمِ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣]، وقال ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفرقان: ٥٥]، فنفي سبحانه عن هؤلاء المعبودين من دونه: التَّفَعُّعُ والضرر القاصر والمتعدي، فلا يملكونه لأنفسهم ولا لعبادتهم، وهذا في القرآن كثير بيد أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفعة والضرر، فهو يدعى للنفعة والضرر دعاء المسألة، ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وعلى هذا فقولہ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، يتناول نوعي الدعاء^(١) - كما سبق -.

(١) مجموع الفتاوى (١١/١٥)، بدائع الفوائد (٣/٥١٣).

وقد تناولتُ الدُّعاء من حيث معناه الدِّيني من (أربعة) محاور:

الأوّل: ما صُرِّح فيه بمادّة الدُّعاء .

الثّاني: ما صُرِّح فيه بمادّة النِّداء والمراد منها: الدُّعاء من حيث معناه الدِّيني.

وأما الثّالث فهو ما كان دعاءً من المخاطب باستخدام أداة الخطاب -ظاهرة أو مقدّرة- لأجل تحقيق مرغوبٍ فيه، أو دفع مكروهٍ من أمور الدُّنيا أو أمور الآخرة.

أما المحور الرّابع فهو (بيانُ الجُمليّ الخبريّة المراد منها: إنشاء الدُّعاء).

وبيان ذلك على النّحو التّالي:

أوّلاً: ما صُرِّح فيه بمادّة الدُّعاء

أما صُرِّح فيه بمادّة الدُّعاء^(١) فقد ذكر أهل التّفسير أنّه يأتي في القرآن على أوجه:

أحدها: القول: ومنه قوله ﷻ: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٥]^(٢)، ﴿دَعْوَانَهُمْ فِيهَا سَبْحَنَكَ

(١) انظر: مادّة: (دعا) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمّد فؤاد عبد الباقي من (ص: ٣١٦) إلى (٣٢٠) .

(٢) وفي (الكشاف): «ويجوز: فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا؛ لأنه لا يستغاث من الله ﷻ بغيره، من قولهم: (دعواهم يا لكعب)». الكشاف (٦٧/٢)، تفسير ابن عادل (١٨/٩)، البحر المحيط (٤/٢٧٠)، تفسير السمرقندي (١/٥٣١)، تفسير ابن كثير (٢/٢٠٢). وفي (مجاز القرآن): «لها موضعان، أحدهما: قولهم ودعواهم، والآخر ادّعاؤهم». مجاز القرآن =

اللَّهُمَّ [يونس: ١٠]، ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٥].
والثاني: العبادة: ومنه قوله ﷺ: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنعام: ٧١]^(١)، ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٦]^(٢)، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]^(٣)، ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُنَا بِكُ رِبِّيَ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]^(٤)..

= (٢١٠/١)، وقال الطبري: «وللدَّعْوَى في كلام العرب وجهان: أحدهما: الدعاء، والآخر: الادِّعاء للحق». ومن الدَّعْوَى التي معناها الدعاء قول الله ﷻ: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾.. تفسير الطبري (١١٩/٨).

(١) قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَدْعُوا﴾، أي: أنعبد من دُونِ اللَّهِ ﷻ. انظر: الكشف (٢٨/٢)، تفسير الواحدي (٣٦١/١)، تفسير الخازن (١٤٦/٢)، زاد المسير (٦٦/٣)، الإتيان (٤١٦/١).
(٢) قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾، أي: ولا تعبد من دون الله ﷻ ما لا ينفعك إن أطعته، ولا يضرُّك إن عصيته. انظر: الكشف والبيان (١٥٤/٥)، تفسير القرطبي (٣٨٨/٨)، تفسير ابن عادل (٤٢٣/١٠)، السمرقندي (١١٤/٢)، تفسير مقاتل (١٠٦/٢).
(٣) قوله ﷻ: ﴿لَا يَدْعُونَ﴾، أي: لا يعبدون. انظر: تفسير أبي السعود (٢٢٩/٦)، تفسير مقاتل (٤٤٢/٢).

(٤) قيل في قوله ﷻ: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، أي: عبادتكم له وحده ﷻ، وعلى هذا القول فالخطاب عامٌّ للكافرين والمؤمنين، ثم أفرد الكافرين دون المؤمنين بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾. أضواء البيان (٨٢/٦)، الكشف (١٠٣/٣)، المحرر الوجيز (٢٢٣/٤)، تفسير أبي السعود (٢٣٢/٦)، البحر المحيط (٤٧٤/٦)، الثعالبي (١٤٣/٣)، الخازن (١١١/٥). وقد أجمل ابنُ جزي في (تفسيره) خلاصة ما قيل من معنى الدعاء في الآية حيث قال: «وفي معنى (الدُّعاء) هنا ثلاثة أقوال:

الأوَّل: أنَّ المعنى أنَّ الله ﷻ لا يبالي بكم لولا عبادتكم له، فالدُّعاء بمعنى العبادة. =

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٢] ^(١).

والثالث: النداء: ومنه قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾

= وهذا قريب من معنى قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الثاني: أن النداء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى لا يبالي الله ﷻ بكم، ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتهم، ويكون على هذين القولين خطاباً لجميع الناس من المؤمنين والكافرين؛ لأن فيهم من يعبد الله ﷻ ويدعوه، أو خطاباً للمؤمنين خاصة؛ لأنهم هم الذين يدعون الله ﷻ ويعبدونه، ولكن يضعف هذا بقوله ﷻ: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾. الثالث: أنه خطاب للكفار خاصة، والمعنى على هذا: ما يعبأ بكم لولا أن يدعوكم إلى دينه، والنداء على هذا بمعنى الأمر بالدخول في الدين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول، وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل. تفسير ابن جزي (٨٢/٣).

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣٤٦/١٣)، السراج المنير (٣٨٤/١)، الجلالين (ص: ١٢٢). وقيل أيضاً في قوله ﷻ: ﴿مَا يَدْعُونَ﴾، أي: يعبد المشركون، ﴿مِنْ دُونِهِ﴾، أي: غير الله ﷻ. وكذلك قوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، فقوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، أي: الثابت، ﴿وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ﴾ - بالياء والتاء - يعبدون. انظر: الجلالين (ص: ٤٤٢)، و(ص: ٥٤٣)، تفسير مقاتل (٣٨٨/٢)، (٢٤/٣)، زاد المسير (٤٤٧/٥)، نظم الدرر (٣٢٠/٢). وقال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ [غافر: ٢٠]، فقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾، أي: يعبدون. انظر: السراج المنير (٣٨٤/١)، (٥٦٩/٣). وما كان من هذا القبيل، فقد قيل فيه ذلك، نحو قوله ﷻ: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَنَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا سَيِّطَلْنَا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]، ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ﴿وَمَا يَسْتَعْجِلُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٦]، ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ﴾ [هود: ١٠١]، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ [غافر: ٢٠]، ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

[الإسراء: ٥٢]^(١)، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ [الأنبياء: ٤٥]^(٢)،
 ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ
 شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ [القمر: ٦]^(٣)، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [١٠]
 [القمر: ١٠].

والرابع: الاستعانة: ومنه قوله ﷺ: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
 [البقرة: ٢٣]^(٤)،

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٣٨]^(٥)، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾

(١) قوله ﷺ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ ، أي: يناديكم من قبوركم على لسان إسماعيل عليه السلام.
 انظر: أيسر التفسير (٢٠١/٣)، البحر المديد (٩٩/٤)، الجلالين (ص: ٣٧١)، نظم
 الدرر (٣٩٢/٤)، الإتيان (٤١٦/١).

(٢) يعني: الكفار الذين هم بمنزلة الصم، ولا يسمعون النداء إذا أعرضوا. انظر: تفسير
 الواحدي (٨٠٩/٢)، تفسير مقاتل (٤٨٥/٢)، (١٦/٣)، البحر المحيط (٢٩٤/٦).
 ونحوه قوله ﷺ: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ
 وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [الروم: ٥٢].

(٣) أي: يوم ينادي المناد، يفسره قوله ﷺ: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [٤١]
 [ق: ٤١]. انظر: الكشف والبيان (٤٠٦/٣)، تفسير ابن عادل (٢٣٦/١٨)، السراج المنير
 (١٤٠/٤)، تفسير الرأزي (٣٥٤/٢١)، (٢٩٣/٢٩).

(٤) انظر: الإتيان (٤١٦/١).

(٥) قوله ﷺ: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ ، أي: استعينوا بمن شئتم. أو استعينوا بالهتكم التي
 تعبدونها من دون الله ﷻ، والمعنى: إن كان الأمر -كما تقولون- أنها تستحق العبادة
 فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من أمر محمد ﷺ، وإلا فاعلموا أنكم مبطلون في
 دعواكم أنها إلهة. أو استعينوا بأعوانكم وأربابكم من دون الله ﷻ. انظر: الكشف (٢٣٧/٢)،
 روح المعاني (٢١/١٢)، تفسير السمرقندي (٩٩/٢)، الخازن (٣٩/١).

[غافر: ٢٦] ^(١).

والخامس: السؤال: ومنه قوله ﷻ: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ [البقرة: ١٨٦] ^(٢)، ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] ^(٣)، ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ [غافر: ٤٩]، ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ [الزخرف: ٤٩].

والسادس: الاستفهام والاستعلام: ومنه قوله ﷻ: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨]، أي: استفهم ^(٤).
﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [الكهف: ٥٢]، أي: استفهموهم
أأنتم آلهة؟!.

والسابع: العذاب: ومنه قوله ﷻ: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ ﴿تَدْعُوا مَنَ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: ١٦-١٧]، أي: تُعَذِّبُ ^(٥) ^(٦).

-
- (١) قوله ﷻ: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ فيه وجهان: أحدهما: وليسأل ربه؛ فإنه لا يجاب. الثاني: وليستعن به؛ فإنه لا يعان. الثكت والعيون (١٥١/٥)، وكذلك في (تفسير العز بن عبد السلام) (١٠٢٦/١).
(٢) انظر: الخازن (١٥٩/١)، تفسير الرازي (٢٦٠/٥)، دقائق التفسير (٣٥٩/٢)، البحر المحيط (٥٣/٢)، مجموع الفتاوى (٢٣٩/١٠)، جلاء الأفهام (ص: ١٥٥)، الإتيقان (٤١٦/١).
(٣) أي: سله. انظر: المفردات، للراغب، مادة: (دعا) (٣٤٧/١).
(٤) يعني: هل هي كبيرة أو صغيرة أو متوسطة؟...
(٥) انظر: تفسير البغوي (٣٩٤/٤)، تفسير السمعاني (٤٧/٦)، وانظر: لسان العرب، مادة: (دعا) (٢٦٠/١٤).
(٦) بتصرف عن (نزهة الأعين النواظر) (ص: ٢٩٣-٢٩٥)، وبصائر ذوي التمييز (٣٨٨-٣٨٩/٢).

الثامن: التسمية: ومنه قوله ﷻ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]^(١).

التاسع: العرض: ﴿وَلَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى﴾ [غافر: ٤١].
 قيل: أي: أعرضها عليكم، ﴿وَنَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١]. قيل:
 أي: تعرضونها عليّ^(٢).

ثانيا: ما صُرح فيه بمادة النداء والمراد منها الدعاء من حيث معناه
 الديني:

فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]،
 وقوله ﷻ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقوله ﷻ:
 ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ
 نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩]، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ
 نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ
 مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]. فمن الواضح أن (نادى) هنا بمعنى: (دعا)،
 وهي من دعاء المخلوق للخالق ﷻ.

(١) «ويستعمل أيضًا استعمال التسمية نحو: دعوت ابني زيداً، أي: سمّيته. قال الله ﷻ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، حتّى على تعظيمه صلى الله عليه وسلم، وذلك مخاطبة لمن يقول: (يا محمد)، المفردات، للرّغب، مادة: (دعا) (ص: ١٧٠)، بصائر ذوي التّمييز (٢/ ٨٨)، وانظر: الإتيقان (١/ ٤١٦)، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٩٤).

(٢) انظر: بصائر ذوي التّمييز (٢/ ٣٨٩).

ثالثاً: ما كان دعاءً من المخاطب باستخدام أداة الخطاب ظاهرة أو

مقدّرة:

وأداة الخطاب المستخدمة في الدعاء هي أداة النداء (يا) ظاهرة أو

مقدّرة .

وبيان ذلك على النحو التالي:

أ. ما كانت فيه أداة النداء ظاهرة:

وأتناول هنا صيغة: (يا ربّ)، وقد ورد في (موضعين):

﴿يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

﴿وَقِيلَ لَهُ يَكْرَبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨].

ب. ما كانت فيه أداة النداء مقدّرة

وأتناول هنا صيغ: (ربّ)، (ربّنا)، (اللهم)..

وتأتي على النحو التالي:

١- رَبِّ

إنَّ تصدير الدُّعاء بـ (رب) فيه من الاستعطاف ما لا يخفى؛ ولذا كثر تصدير الدُّعاء به .

وإنَّ الدُّعاء بتكرير النِّداء ينبئ عن كمال الضَّرعة والابتهاال، واستدعاء الإجابة، وفي ذلك إشارة إلى كمال التَّوجُّه إلى الله ﷻ، وعدم الغفلة عنه، مع إظهار كمال الضَّرعة والابتهاال إلى معود الإحسان والإفضال.

وأما الآيات فهي على النحو التالي:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٥].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ

سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [آل عمران: ٤١].

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ

الْفَاسِقِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٢٥].

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيُّ الْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْقِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا وَاجْثِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦].

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦].

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [مريم: ١٠].

﴿قَالَ رَبِّ أَسْرِحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥].

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩].

﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَبُوا﴾ [المؤمنون: ٢٦].

- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٢٩].
- ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ [٣٩] [المؤمنون: ٣٩].
- ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٩٤] [المؤمنون: ٩٤].
- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [٩٧] [المؤمنون: ٩٧].
- ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [٩٨] [المؤمنون: ٩٨].
- ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩].
- ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ [المؤمنون: ١١٨].
- ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ [٨٣] [الشعراء: ٨٣].
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [١١٧] ﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨].
- ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [١٦٩] [الشعراء: ١٦٩].
- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيكَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].
- ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].
- ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].
- ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٣٠] [العنكبوت: ٣٠].
- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٠٠] [الصافات: ١٠٠].
- ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَلْبِغُنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥].
- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩].
- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠].
 ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١].
 ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].
 ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾
 [نوح: ٢٨].

٢ - رَبَّنَا

إنَّ تصدير الدعاء بـ (ربنا) من الاستعطاف ما لا يخفى - كسابقه - ؛ ولذا
 كثر تصدير الدعاء به، والنداء المكرر؛ للمبالغة في الجوار واستدعاء
 الإجابة^(١).

وأمَّا الآيات فهي على النحو التالي:
 ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧].
 ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ
 عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٢٨].
 ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩].
 ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٠].
 ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
 النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].
 ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

(١) انظر: روح المعاني (٢٤ / ٤٧).

﴿الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَامًا
كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ
عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
[البقرة: ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُفِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [آل
عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَّاكَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل
عمران: ١٦].

﴿رَبَّنَا أَمَّاكَا بِمَا أَرْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل
عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل
عمران: ١٩١].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢].
﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل
عمران: ١٩٣].

﴿رَبَّنَا وَءَاثِمْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

﴿رَبَّنَا لِمَ كُتِبَتْ عَلَيْنَا الْفِتْنَةُ لَوَلَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ٧٧].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا هَوِّنْ لَنَا أَصْلَابَنَا فَفَاتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧].

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوْفَنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ فَرْعُونَ وَمَلَآءَ مِنْهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُيُوتًا بَارِعًا فِي زِينَةِ رَبِّكَ فَتَرَكْنَا الْمَحْرَمَ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿٤١﴾
[إبراهيم: ٤١].

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].
﴿رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].
﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ [طه: ١٣٤].
﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦].
﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٧].
﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا غَفَرَ لَنَا وَأَرْحَمَنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].
﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾
[الفرقان: ٦٥].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ
إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].
﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[القصص: ٤٧].

﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾
[السجدة: ١٢].

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧].
﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنَا كَبِيرًا﴾ ﴿٦٨﴾
[الأحزاب: ٦٨].

﴿رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَصْفَارِنَا﴾ [سبا: ١٩].

- ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].
- ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].
- ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: ٦١].
- ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].
- ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [غافر: ٨].
- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَكَ أَتْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَتْنَتَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].
- ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ [فصلت: ٢٩].
- ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢].
- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].
- ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا﴾ [الممتحنة: ٥].
- ﴿رَبَّنَا أَتَمِّمْ لَنَا ثَوْرَنَا وَاعْفِرْ لَنَا﴾ [التحریم: ٨].

٣ - اللهم

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].
 ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ [المائدة: ١١٤].
 ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾
 [الأنفال: ٣٢]^(١).

وسياأتي بيان وتفصيل الدعاء بهذه الصيغة في (الدعاء).
 ولكن من الملاحظ هنا أنَّ عيسى عليه السلام قد جمع في دعاءه
 بين وصف الله ﷻ بالألوهية، ووصفه بالرُّبوبيَّة، حيث ناداه سبحانه
 وتعالى مرتين، مرَّة بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات، ومرَّة
 بوصف الرُّبوبيَّة المنبئة عن التربية؛ إظهاراً لغاية التضرُّع، ومبالغة في
 الاستدعاء^(٢).

(١) أمَّا قوله ﷻ: ﴿دَعُونَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠]. وقوله ﷻ:
 ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]. فما كان نحو هذه
 الصيغ التي تدلُّ على الدعاء من حيث مفهومه العام فسيأتي في (الدعاء).
 (٢) انظر: تفسير أبي السعود (١٣٧/٢).

رابعاً: الجمل الخبرية المراد إنشاء الدعاء:

● النماذج والأمثلة:

فمن ذلك قوله ﷻ:

﴿قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْنُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩]. (وَيْلٌ) مبتدأ، وجاز الابتداء به، وإن كان نكرة؛ لأنه دعاء عليهم، والدعاء من المسوغات سواء كان دعاء له نحو: ﴿سَلِّمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأنعام: ٥٤]، أو عليه كهذه الآية^(١).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرِيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٦]. وقد تقدّم بيان هذه الآية في (الفصل الأول) فيما يتعلق بحال الإنسان ومشاعره وأحاسيسه، وذلك ببيان الخبر الذي يراد منه: (إنشاء التحسر). وما يعيننا هنا قولها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ، فقد تكرر التأكيد في: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا﴾ ، ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾ ؛ «لأنّ حال كراهيتها يؤذن بأنها ستعرض عنها فلا تشتغل بها، وكأنها أكدت هذا الخبر إظهاراً للرّضا بما قدّر الله ﷻ؛ ولذلك انتقلت إلى الدعاء لها، الدالّ على الرّضا والمحبة، وأكدت

(١) انظر: البحر المحيط (١/٤٤٣)، الدر المصون (١/٢٧٠)، تفسير ابن عادل (٢/٢٠٦).

جملة: ﴿أُعِيدُهَا﴾ مع أنها مستعملة في إنشاء الدعاء؛ لأنَّ الخبر مستعمل في الإنشاء برمته التي كان عليها وقت الخبرية^(١).
ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، [التوبة: ١٠٠]، [المجادلة: ٢٢]، [البينة: ٨]. فإنَّ قوله ﷻ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.. قيل: معناه: الدعاء^(٢).
وقيل في قوله ﷻ:

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨]: يجوز أن يكون دعاءً مستأنفاً، وأن يكون خبراً ثانياً، وأن يكون حالاً ثانياً بإضمار (قد)^(٣).

ومثال الصيغة الخبرية المقصود منها إنشاء الدعاء قوله ﷻ: ﴿قَالُوا أَنْتَجِعِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

ومن الخبر المسوق للدعاء قوله ﷻ حكاية لما قال يوسف عليه السلام لإخوته:

﴿قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]. فقوله: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾: المعنى الأصلي

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٣٤).

(٢) انظر: الدر المصون (٢/ ٦٦٠)، تفسير ابن عادل (٧/ ٦٢٨).

(٣) انظر: تفسير ابن عادل (٢٠/ ٤٤٣)، الدر المصون (٦/ ٥٥٣).

الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الصِّيغَةُ: (الإخبار)، وقد استعملت مجازًا في (الدُّعاء)، والعلاقة السَّبَبِيَّةُ عَلَى سَبِيلِ التَّفَاوُلِ وَالطَّمَعِ بِكَرَمِ اللَّهِ ﷻ وَفَضْلِهِ؛ إِذِ الدُّعَاءُ الَّذِي هُوَ إِنْشَاءٌ طَلِبٍ مِنَ اللَّهِ ﷻ سَبَبٌ فِي تَحْقِيقِ الْإِسْتِجَابَةِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ﷻ عَلَى سَبِيلِ التَّفَاوُلِ وَالرَّجَاءِ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ جَمَلَةٌ خَبَرِيَّةٌ أُريدَ مِنْهَا الدُّعَاءُ لَهُمْ بِأَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ.

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١]. فَإِنَّ جَمَلَةً: ﴿أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ مِنْ قَبِيلِ الْخَبَرِ فِي إِنْشَاءِ الدُّعَاءِ، وَإِنْ أَمَكْنَ حَمَلَهُ عَلَى الْإِخْبَارِ بِالنِّسْبَةِ لَوْلَايَةِ الدُّنْيَا، قِيلَ لِإِبْثَاتِهِ ذَلِكَ الشَّيْءَ لَوْلَايَةِ الْآخِرَةِ. فَالْمَعْنَى: (كُنْ وَلِيًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)^(١).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿هَذَا قَوْجٌ مُقَدَّحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ [ص: ٥٩-٦٠]. دُعَاءُ مِنْهُمْ عَلَى أَتْبَاعِهِمْ. تَقُولُ لِمَنْ تَدْعُوهُ: مَرْحَبًا، أَيْ: أَتَيْتَ رَحَبًا مِنَ الْبِلَادِ لَا ضِيقًا، أَوْ رَحِبْتَ بِلَادَكَ رَحَبًا، ثُمَّ تَدْخُلُ عَلَيْهِ (لَا) فِي دُعَاءِ الشُّوْءِ^(٢).

(١) انظر: التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (١٣ / ٥٩).

(٢) انظر: الْكَشَافُ (٣ / ٣٧٩)، الْبَحْرُ الْمُدِيدُ (٦ / ٢٢٧)، تَفْسِيرُ الرَّازِي (٢٦ / ٤١٦)، تَفْسِيرُ النَّيْسَابُورِيِّ (٥ / ٦٠٥)، رُوحُ الْمَعَانِي (٢٣ / ٢١٦)، تَفْسِيرُ الْبِيضَاوِيِّ (٥ / ٥٢)، النَّسْفِيُّ (٤ / ٦٦)، وَقَدْ فَصَّلَ هَذَا الْمَعْنَى الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ فِي (التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ) (٢٣ / ٢٩٠).

ومما قيل في قوله ﷻ:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [محمد: ٨]. وقد ذكر الفراء أن قوله ﷻ: ﴿فَتَعَسَا﴾ نصب على المصدر على سبيل الدعاء. قال: «كأنه قال: (فأتعسهم الله ﷻ وأضل أعمالهم)؛ لأن الدعاء قد يجرى مجرى الأمر والنهي. ألا ترى أن ﴿أَضَلَّ﴾ (فعل)، وأنها مردودة على التَّعَسَ، وهو (اسم)؛ لأن فيه معنى: أتعسهم»^(١). وفي (تفسير الطبري): «ردّ قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ على قوله: ﴿فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ وهو فعل ماضٍ، و(التَّعَسَ) اسم؛ لأنَّ (التَّعَسَ) وإن كان اسماً ففي معنى الفعل لما فيه من معنى الدعاء، فهو بمعنى: (أتعسهم الله)؛ فلذلك صلح ردُّ أضلَّ عليه؛ لأنَّ الدعاء يجري مجرى الأمر والنهي..»^(٢). وقال العلامة محمد الطاهر: «يجوز أن يكون ﴿تعسا لهم﴾ مستعملاً في الدعاء عليهم؛ لقصد التحقير والتَّفْظِيعِ، وذلك من استعمالات هذا المركب مثل: (سقيا له)، و(رعيا له)، و(تبأ له)، و(ويحاً له)، وحينئذ يتعيَّن في الآية فعل قول محذوف تقديره: (فقال الله تعسا لهم)، أو فيقال: (تعسا لهم). ودخلت الفاء على ﴿تعسا﴾ وهو خبر الموصول لمعاملة الموصول معاملة الشرط»^(٣).

(١) معاني القرآن، للفراء (٥٨/٣)، وانظر: القرطبي (٢٣٢/١٦)، روح المعاني (٤٤/٢٦)،

تفسير البغوي (١٨٠/٤)، تفسير السمعاني (١٧١/٥).

(٢) تفسير الطبري (٤٥/٢٦)، وانظر: معاني القرآن، للتحاس (٤٦٧/٦)، معاني القرآن، للفراء (٥٨/٣).

(٣) التحرير والتنوير (٨٦/٢٦).

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدرثر: ١٩]. قوله ﷻ: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [١٩] كلام معترض بين ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [١٨] [المدرثر: ١٨]، وبين ﴿ثُمَّ نَفَرَ﴾ [٢١] [المدرثر: ٢١]. وهو إنشاء شتم مفرع على الإخبار عنه بأنه فكر وقدر؛ لأن الذي ذكر يوجب الغضب عليه. فقوله ﷻ: ﴿فَقِيلَ﴾ دعاء عليه بأن يقتله قاتل، أي: دعاء عليه بتعجيل موته؛ لأن حياته حياة سيئة. كقوله ﷻ: ﴿فَتَلَاهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠]، [المنافقون: ٤]، وقولهم: (عَدِمْتُكَ)، و(ثَكَلْتُهُ أُمُّهُ)..^(١)

أقول: والحاصل أنه تعليم للمخاطبين بإنشاء الدعاء عليه، أي: قولوا ذلك، فهو مصروف إلى الخلق؛ لإعلامهم بأنهم أهل لأن يدعى عليهم. أو هو من قبيل الإخبار بما يؤول إليه حاله.

أقول: والفائدة عدم اقتفاء أثر من كان حاله كذلك، والتحذير من سلوك طريقه، وفي ذكر المال والعاقبة عبرة للمعتبر... والقرآن إنما يعنى بالمقاصد العامة، فليس الأمر مجرد إنشاء للدعاء على فلان من الناس؛ فلذلك فإن القرآن لا يعنى بذكر غالبًا - بذكر أشخاص ولا أماكن ولا أزمنة - لأن ذلك لا علاقة له بالحدث، وإنما يعنى بموضع العبرة.

(١) المصدر السابق (٢٩/٣٠٨).

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]^(١).. وبالرجوع إلى معنى: ﴿تَبَّتْ﴾، وإلى سبب النزول يتبين أنَّ الجملة دعائية لا محل لها. أو تكون في موضع الحال، والواو واو الحال، ولا تكون دعاء،

(١) وقد بين ذلك غير واحد من المفسرين، فمن ذلك ما قاله الطاهر بن عاشور في (تفسيره) من أنَّ «إِسْنَاد (التَّبَّ) إلى اليمين؛ لما روي من أنَّ أبا لهب لما قال للنبي ﷺ: (تَبَّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟) أخذ بيد حجرًا ليرميه به. [انظر: صحيح البخاري (١٣٠٧)، ومسلم (٣٠٧)، وكونه قد أخذ حجرًا.. إلخ. انظر في ذلك: السيرة الحلبية (١/٤٥٨)، وذكر ذلك من المفسرين أبو السعود (٩/٢١٠)، وانظر: البحر المديد (٨/٣٦٧)، تفسير البيضاوي (٥/٥٤٤)]. وروي عن طارق المحاري قال: بينا أنا بسوق (ذي المجاز) إذا أنا برجل حديث السن يقول: أيُّها النَّاس قولوا: (لا إله إلا الله) تفلحوا، وإذا رجلٌ خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبه يقول: يا أيُّها النَّاس إنَّه كَذَّاب فلا تصدِّقوه. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا محمَّد يزعم أنَّه نبيٌّ، وهذا عمُّه أبو لهب، فوقع الدُّعاء على يديه؛ لأنَّهما سبب أذى النَّبي ﷺ.. انظر: حديث طارق المحاري في (المستدرک)، للحاكم مع تعليقات الذهبي حيث قال في آخره: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. المستدرک مع تعليقات الذهبي (٢/٦٦٨)، [٤٢١٩]، السنن الكبرى، للبيهقي، وفي ذيله الجوهر النقي [٣٦١]، [١١٤٢٤]، سنن الدارقطني [١٨٦]، صحيح ابن حبان [٦٥٦٢]، صحيح ابن خزيمة [١٥٩]، مُصنّف ابن أبي شيبة [٣٧٧٢٠]. وجملة: ﴿وَتَبَّ﴾ إمَّا معطوفة على جملة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ عطف الدُّعاء على الدُّعاء إذا كان إسناد التَّبات إلى اليمين؛ لأنَّهما آلة الأذى بالرَّمي في الحجارة، كما في خبر طارق المحاري، فأعيد الدُّعاء على جميعه إغلاظًا له في الشتم والتَّقريع، وتفيد بذلك تأكيدًا لجملة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾؛ لأنها بمعناها، وإنما اختلفا في الكليّة والجزئية، وذلك الاختلاف هو مقتضى عطفها، وإلا لكان التَّوكيد غير معطوف، لأنَّ التَّوكيد اللفظي لا يعطف بالواو. وإمَّا أن تكون في موضع الحال، والواو واو الحال، ولا تكون دعاء، وإنَّما هي تحقيق لما دعي عليه به. بتصرف عن (التَّحرير والتَّنوير) (٣٠/٦٠١-٦٠٣).

وإنما هي تحقيق لحصول ما دعي عليه به. فإنَّ (التَّاب) هو: الهلاك. ومنه قولهم: (أَسَابَةٌ أَمْ تَابَةٌ؟) أي: هالكة من الهرم والتَّعْجِيز. والمعنى: هلكت يداه؛ لأنَّه فيما يروى: أخذ حجراً ليرمي به رسول الله ﷺ. ﴿وَتَبَّ﴾ وهلك كله. أو جعلت يداه هالكيتين. والمراد: هلاك جملة، كقوله ﷻ: ﴿بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]. ومعنى: ﴿وَتَبَّ﴾ : وكان ذلك وحصل^(١).

قال الشيخ الشنقيطي في (أضواء البيان): «ولقد كان ﷺ مع قومه في (مكة) ملاطفاً حليماً فكيف جابه عمه بهذا الدعاء ﴿تَبَّتْ يَدَايَ لَهَبٍ﴾؟ والجواب: أنَّه كان يلاطفهم ما دام يطمع في إسلامهم، فلمَّا يش من ذلك كان هذا الدعاء في محله كما وقع من إبراهيم عليه السلام كان يلاطف أباه: ﴿يَتَأْتِيَ لَا تُعْبِدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: ٤٤]، ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]، فلمَّا يش منه تبرأ منه كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]. أمَّا معجىء قوله ﷻ: ﴿وَتَبَّ﴾ بعد قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَايَ لَهَبٍ﴾ مع أنها كافية سواء كانت إنشاء للدعاء عليه، أو إخباراً بوقوع ذلك منه. والجواب -والله تعالى أعلم- أنَّ الأوَّل لما كان محتملاً الخبر، وقد يمحو الله ﷻ ما يشاء ويثبت، أو إنشاء وقد لا ينفذ كقوله: ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عبس: ١٧]، أو يحمل على الذم فقط والتَّقْبِيح

(١) انظر: الكشف (٤/ ٢٩٥ - ٢٩٦)، البحر المحيط (٨/ ٥٢٦)، روح المعاني (٣٠/ ٢٦٠)،

السراج المنير (٤/ ٧٠٨)، النَّسْفِي (٤/ ٥٦٩).

فجاء: ﴿وَتَبَّ﴾؛ لبيان أنه واقع به لا محالة وأنه ممن حَقَّت عليهم كلمات ربك ليأس ﷺ والمسلمون من إسلامه، وتنقطع الملاطفة معه - والله تعالى أعلم -^(١). وذكره الشيخ الشنقيطي في (تفسيره) أن فائدة قوله ﷻ: ﴿وَتَبَّ﴾ قطع الاحتمال الذي قد يرد في الأولى بالنسبة للوعيد في الآخرة^(٢)، فقطع في الثانية أن الوعيد واقع به لا محالة. والحاصل أن

(١) أضواء البيان (٩/ ١٥٤).

(٢) وهذا يجري على ما قاله الواحدي في (البيسط) في تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلَفُ أَلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٩] أنه «يجوز أن يُحْمَل هذا على ميعاد الأولياء، دون وعيد الأعداء؛ لأنَّ خُلِفَ الوعيد كرم عند العرب؛ لأنهم يمدحون بذلك». انظر: تفسير ابن عادل (٥/ ٤٨)، البحر المحيط (٢/ ٤٠٤)، السراج المنير (١/ ٢٢٣)، تفسير السمعاني (١/ ٤٦٥). وقد صَنَّف الواحدي التفسيرات الثلاثة: (البيسط) و(الوسيط) و(الوجيز). انظر: طبقات المفسرين، للأذنوي (ص: ١٢٨)، طبقات المفسرين، للسيوطي (ص: ٩٧)، كشف الظنون (١/ ٤٦٠)، (١/ ٦٢٩)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨٦)، الأعلام (٤/ ٢٥٥)، بغية الوعاة (٢/ ١٤٥). ولم أجد (البيسط) مطبوعاً، وقد اعتمدت من هذه التفسيرات: (الوجيز) وأشارت إليه في غير موضع. «وروى المناظرة التي دارت بين أبي عمرو بن العلاء، وبين عمرو بن عبيد، قال أبو عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد: ما تقول في أصحاب الكبراء؟ قال: أقول إنَّ الله ﷻ وعد وعداً، وأوعد إيعاداً، فهو منجز إيعاده، كما هو منجز وعده، فقال أبو عمرو بن العلاء: إنَّك رجل أعجم، لا أقول أعجم اللسان ولكن أعجم القلب، إنَّ العرب تعدُّ الرجوع عن الوعد لؤماً، وعن الإيعاد كرمًا، وأنشد: (واني وإن أوعدته أو وعدته لمكذب إيعادي ومنجز موعدتي)

[قال الرّازي]: واعلم أنَّ المعتزلة حكوا أنَّ أبا عمرو بن العلاء لما قال هذا الكلام قال له عمرو بن عبيد: يا أبا عمرو فهل يسمَّى الله ﷻ مكذب نفسه؟ فقال: لا، فقال عمرو بن عبيد: فقد سقطت حجَّتكَ، قالوا: فانقطع أبو عمرو بن العلاء. [قال الرّازي]: وعندي أنَّه كان لأبي عمرو بن العلاء أن يجيب عن هذا السؤال فيقول: إنَّك

الأولى دعاء عليه، والثانية فيها بيان أن من كان جديراً ومستحقاً للدعاء عليه بما ذكر، فإن ذلك الوعيد واقع به. وقد هلك وخسر^(١)، وكان عاقبة أمره أنه ﴿سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]، وهذه عاقبة المكذبين الكافرين... فهذه مؤكّدات أن ذلك واقع به. وفي (الفريد) قوله ﷻ: ﴿وَتَبَّ﴾ «خبر محض بمعنى: (وقد تبَّ)، أمّا الأوّل فهو دعاء»^(٢)، وكذلك في (معاني القرآن) للفرّاء^(٣). وقوله ﷻ: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ [عبس: ١٧]، والإنسان: للجنس الكافر، فهو من باب (الكل)،

قسّت الوعيد على الوعد، وأنا إنما ذكرت هذا لبيان الفرق بين البابين؛ وذلك لأنّ الوعد حقّ عليه، والوعيد حقّ له، ومن أسقط حقّ نفسه فقد أتى بالجود والكرم، ومن أسقط حقّ غيره فذلك هو اللؤم، فظهر الفرق بين الوعد والوعيد، وبطل قياسك، وإنما ذكرت هذا الشعر لإيضاح هذا الفرق، فأما قولك: لو لم يفعل لصار كاذباً ومكذّباً نفسه، فجوابه: أنّ هذا إنما يلزم لو كان الوعيد ثابتاً جزءاً من غير شرط، وعندى جميع الوعيدات مشروطة بعدم العفو، فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله ﷻ، فهذا ما يتعلّق بهذه الحكاية - والله أعلم -». تفسير الرّازي (١٥٠/٧)، وانظر: تفسير النّيسابوري (١١١/٢)، ابن عادل (٤٨/٥). وانظر: قرى الضّيف (١٥٧/٢)، نهاية الأرب (٩٠/٦)، والشّعرا لعمري (٢٠٧/١)، وتاج العروس (٣٦/١)، (ختاً) (٣٦/١)، وتاج العروس (٢٠٧/١)، (٣٧/٥٣٥)، وانظر: إسفار الفصيح، للهرويّ (٤٦٦/١)، الزّاهر (١٠٥/٢).

(١) قال الفرّاء: «وفي قراءة عبد الله: (وقد تبَّ)، فالأوّل: دعاء، والثّاني: خبر. ﴿وَتَبَّ﴾ خسر، كما تقول للرّجل: (أهلكك الله، وقد أهلكك)، أو تقول: (جعلك الله صالحاً، وقد جعلك)». معاني القرآن، للفرّاء (٣/٢٩٨).

(٢) الفريد (٤/٧٤٥).

(٣) انظر: معاني القرآن، للفرّاء (٣/٢٩٨).

أي: الحكم على الكلّ المجموع، وليس من باب (الكليّة)^(١)، أي: ليس من باب الحكم على كلّ فرد من الإنسان، أو يقال: هو عموم يراد به الخصوص، والمعنى: قتل الإنسان الكافر. ولكنهم قالوا: ليس المراد حقيقة القتل، كما قد يفهم من ظاهر قول الشيخ^(٢). وما ينبغي التنبّه له هنا أنّه لا نسخ في الأخبار، وهذه مسألة أخرى.

(١) أعني قوله الآنف الذكر. انظر بيان مصطلح (الكلّ) ومصطلح (الكليّة).. في نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، للإسنوي (١/ ٣٨٠)، التّحبير شرح التّحرير (٥/ ٢٣٣٨)، الفروق، للقرافي (٢/ ١٧٨)، شرح الكوكب النير (٣/ ١١٣).

وقال الأخضريّ في (السلم):

(الْكُلُّ حُكْمُنَا عَلَى الْمَجْمُوعِ كُلُّ ذَاكَ لَيْسَ ذَا وَفُوعِ)
(وَحَيْثُمَا لِكُلٍّ قَرْدٌ حُكْمًا فَإِنَّهُ كُلِّيَّةٌ قَدْ عُلِمَا).

السلم يشرح الشيخ درويش القويسني (ص: ١٨-١٩).

(٢) قال الطّبري: قوله ﷺ: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: لعن الإنسان الكافر ما أكفره؟! ونحن الذي قلنا في ذلك قال مجاهد. وعن مجاهد قال: ما كان في القرآن: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَنُ﴾ أو (فعل بالإنسان) فإنما عني به الكافر. وعن سفيان: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ﷺ بلغني أنّه الكافر. بتصرف عن (تفسير الطّبري) (٣٠/ ٥٤). وقد أجمّل الأقوال في بيان المراد ابن الجوزي في (زاد المسير) حيث قال: قوله ﷺ: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَنُ﴾، أي: لعن، والمراد بالإنسان ها هنا: الكافر، وفيمن عني بهذا القول ثلاثة أقوال، أحدها: أنّه أشار إلى كلّ كافر. قاله مجاهد. والثاني: أنّه أميّة بن خلف. قاله الضّحّاك. والثالث: عتبة بن أبي لهب. قاله مقاتل. وفي قوله ﷺ: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ثلاثة أقوال، أحدها: ما أشدّ كفره! قاله ابن جريج. والثاني: أي شيء أكفره؟ قاله السّدي. فعلى هذا يكون استفهام توبيخ. الثالث أنّه على وجه التّعجب، وهذا التّعجب يؤمر به الآدميون والمعنى: (اعجبوا أنتم من كفره). قاله الزّجاج. انظر: زاد المسير (٩/ ٣٠-٣١). وانظر: الدر المنثور (٨/ ٤١٩)، تفسير مجاهد (٢/ ٦١٦)، تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٢)، معاني القرآن وإعرابه، للزّجاج (٥/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

قال القرطبي في (تفسيره): «والصَّحِيح أَنَّهُ لَا نَسْخَ فِي الْأَخْبَارِ»^(١). وكذلك قال الزَّمَخْشَرِيُّ فِي (الكَشَافِ)^(٢). وقال ابن عطية في (تفسيره): «النَّسْخُ فِي الْأَخْبَارِ لَا يَتَصَوَّرُ»^(٣). وذكر الآلوسي أَنَّهُ [أي: عدم جواز النَّسْخ في الْأَخْبَارِ] هو المختار^(٤). وقال السُّيوطي: «دَعَا النَّسْخُ فِي الْخَبَرِ جَهْلٌ بِقَوَاعِدِ الْأَصُولِ»^(٥). وقال الحارث المحاسبي: «إِنَّ النَّسْخَ فِي الْأَخْبَارِ يُوجِبُ بِالْخَبَرِ الثَّانِي الْكَذِبَ فِي الْخَبَرِ الْأَوَّلِ كَمَا يُلْزَمُ مِنْهُ الْبَدَاءُ، وَالْبَدَاءُ مِنَ الْجَهْلِ، وَذُو الْبَدَوَاتِ جَاهِلٌ بِمَا يَكُونُ فِيمَا يَسْتَقْبَلُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ يَقُولُ: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]»^(٦). وأيضاً شَنَعَ السَّرْحَسِيُّ فِي (أصوله) على من قال بالنَّسْخ في الْأَخْبَارِ، حيث قال: «ما يقوله أهل الزَّيْغ من احتمال النَّسْخ في الْأَخْبَارِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ..»، وردَّ ذلك في كلام مطوَّل^(٧). وعلى آية حالٍ فَإِنَّ الْمَسْأَلَةَ مَبْسُوطَةٌ فِي مِظَانِهَا، وَإِنَّمَا أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ بِإِيجَازٍ لِلْحَاجَةِ إِلَى اسْتِيفَاءِ مَا نَحْنُ بِصَدَدِ بَيَانِهِ .

(١) تفسير القرطبي (٢٤٥/٥).

(٢) الكشف (٥٣/٤) .

(٣) المحرر الوجيز (٢٦/٥)، وهو قول الثعالبي في (تفسيره) (١٠٠/٤).

(٤) انظر: روح المعاني (١٣٥/٢٧).

(٥) الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث ..، للسُّيوطي (٣٥٣/١).

(٦) فهم القرآن، للحارث المحاسبي (ص: ٢٤٩).

(٧) انظر: أصول السرخسي (٢/ ٥٩-٦٠)، وانظر: مذكرة الشيخ الشنقيطي على روضة الناظر

(ص: ٦٩).

وما يعنينا هنا أنَّ منع النَّسخ في الأخبار يقطع بعدم إيمانه وتوبته في الدنيا. والحاصل أنَّ الآية تعلِّمُ للمخاطبين بإنشاء الدُّعاء عليه، أي: قولوا ذلك، فهو مصروفٌ إلى الخلق؛ لإعلامهم بأنَّه أهلٌ لأنَّ يُدعى عليه. أو هو من قبيل الإخبار بما يؤول إليه حاله.

أقول: والفائدةُ عدم اقتفاء أثر من كان حاله كذلك، والتَّحذير من سلوك طريقه. وفي ذكر المآل والعاقبة عبرة للمعتبر.. والقرآن إنما يعنى بالمقاصد، فليس الأمر مجرد إنشاء للدُّعاء عليه. وإذا كان القرآن الكريم لا يعنى غالبًا بذكر أشخاص ولا زمن ولا مكان ولا مسافات مما لا صلة بالحدث، فعندما يذكر فرعون -مثلاً- وهو لقب لملوك مصر في تلك الحقبة من الزمن لا يذكر من هو على وجه التحديد. وإذا نصَّ القرآن الكريم في القليل النَّادر على ذلك فإنما يكون لقصد عظيم. والملاحظ هنا أنه جرى ذكر أبي لهب لفائدة، وهي أن الآية تتضمن الإعجاز والتَّحدي، فمن الَّذي يملك أن يطلق هذا التَّهديد على صفحات الدَّهر، والقطع بأنه لن يتوب في حياته، فلو أنَّ أبا لهب قال: آمنت ولو كذبًا؛ ليثبت أنَّه قد محى أسباب شقائه، أو بقصد تشكيك النَّاس بصحَّة هذا الإخبار لكان نسخًا للخبر، وقد علمت ما فيه. وفهم ذلك الإعجاز المشافهون بالخطاب وقت تنزله، ومن أتى بعدهم إلى قيام الساعة، فكانت الفائدة جليلة، دالة دلالة واضحة على أن القرآن الكريم إنما وحي الله تعالى، لا مبدل لكلماته.

خامساً: ألفاظ السَّلام هل هي من قبيل الإنشاء أم الخبر؟
أما الآيات التي هي موضع البحث من (ألفاظ السَّلام) فهي على
النَّحو التالي:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤].
قوله ﷺ: ﴿سَلَامٌ﴾ مبتدأ، وجاز الابتداء به - وإن كان نكرة-؛ لأنه
دعاء، والدُّعاء من المسوَّغات^(١).

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: ٦٩].
وسلامُ الملائكةِ دعاءٌ^(٢). وهنا لطيفة فقد قالوا: إنَّ سلام الخليل عليه
السلام أبلغ من سلام الملائكة حيث قال: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾؛ فإنَّ
نصب ﴿سَلَامًا﴾ إنما يكون على إرادة الفعل، أي: (سَلَّمْنَا سلامًا)، وهذه
العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم؛ إذ الفعل تأخَّر عن وجود الفاعل،
بخلاف سلام إبراهيم عليه السلام؛ فإنَّه مرتفع بالابتداء، فاقتضى الثبوت
على الإطلاق، وهو أولى بما يعرض له الثبوت، فكأنَّه قصد أن يحييهم
بأحسن مما حيَّوه به اقتداء بقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيٍّ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ
رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]^(٣).

(١) انظر: الدر المصون (٧٣/٣)، تفسير ابن عادل (١٧٣/٨)، (٧٠/٢٠)، السَّراج المنير
(٥٢٠/٤).

(٢) انظر: المحرَّر الوجيز (١٨٨/٣)، وانظر: أيسر التَّفاسير (٥٤/٣).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٧١/٤)، والمحرَّر الوجيز (١٨٨/٣).

ومن ذلك قوله ﷺ:

﴿الَّذِينَ تَوْفَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [النحل: ٣٢].

قوله ﷺ: ﴿سَلَامٌ﴾ مبتدأ، والجار متعلق بالخبر، وجاز الابتداء بالنكرة؛ لأنها دعاء^(١).

ومن ذلك قوله ﷺ:

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧]. ومعنى:

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾: أدعو الله ﷻ لك بالهداية والمغفرة^(٢). وكانت هذه المقالة منه لأبيه قبل أن يوحى إليه أنه عدو لله ﷻ، وذلك أنه إنما تبين له في أبيه أنه عدو لله ﷻ بأحد وجهين: إما بموته على الكفر، وإما أن يوحى إليه الحتم عليه^(٣).

ومن ذلك قوله ﷺ:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].

ومن ذلك قوله ﷺ:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ

عَلَيْكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].. متاركة لهم وتوديعاً ودعاء لهم بالسَّلامة عما هم فيه، لا سلام تحية وإكرام. ونظير ذلك: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

(١) انظر: الدر المصون (٧٣/٣)، تفسير ابن عادل (١٧٣/٨)، (٧٠/٢٠)، السراج المنير (٥٢٠/٤)، تفسير التيسابوري (٤٦٠/٢).

(٢) انظر: تفسير العز بن عبد السلام (٦٤٨/١)، البحر المحيط (١٨٤/٦).

(٣) انظر: البحر المحيط (١٨٤/٦)، المحرر الوجيز (١٩/٤).

سَلَمًا ﴿ [الفرقان: ٦٣] ^(١)، أي: متاركة لهم وتوديعًا أو دعاء لهم بالسَّلامة عمَّا هم فيه ^(٢). وقال الألوسي: «قالوه توديعًا لهم لا تحية أو هو للمتاركة» ^(٣). وفي (معاني القرآن) للزجاج: «ليس يريدون بقولهم ههنا: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ التحية. المعنى فيه: أعرضوا عنه وقالوا: سلام عليكم، أي: بيننا وبينكم المتاركة والتَّسَلُّم» ^(٤).

ومن ذلك ما سبقت الإشارة إليه ممَّا قيل في قوله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. وهذا يدلُّ على جواز متاركة المنصوح إذا ظهر منه اللجاج، وعلى أنَّه يحسن مقابلة الإساءة بالإحسان. ويجوز أن يكون دعاء له بالسَّلامة استمالة ^(٥).

وممَّا قيل في قوله ﷻ:

﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ^(٧٨) سَلِّمْ عَلَيَّ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ^(٧٩) [الصافات: ٧٨-٧٩].

قوله ﷻ: ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ^(٧٨)، أي: «من الأمم هذه الكلمة، وهي:

(١) انظر: روح المعاني (٩٥/٢٠)، السراج المنير (١٥٦/٣)، تفسير البيضاوي (٢٩٨/٤).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٢٩٨/٤).

(٣) روح المعاني (٩٥/٢٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١٤٩/٤).

(٥) انظر: الكشف (٥١٣/٢)، تفسير قوله ﷻ: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ

فِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] تفسير الرازي (٥٤٧/٢١)، تفسير ابن عادل (٧٩/١٣)،

السراج المنير (٤٧٤/٢)، فتح القدير (٤٨٠/٣)، تفسير الثيسابوري (٤٩٢/٤)، تفسير

القاسمي (٨٢/٥).

﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ﴾ ، يعني : يَسْلُمُونَ عليه تسليماً ، ويدعون له ، وهو من الكلام المحكي ، كقولك : (قرأت ﴿سُورَةَ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور : ١])^(١). «ومعلوم أنَّ هذا السَّلام فيهم هو سلام العالمين عليه ، كُلُّهُمْ يَسْلُمُ عليه ، ويثني عليه ، ويدعو له ، فذكره بالسَّلام عليه فيهم. وأمَّا سلام الله ﷻ عليه فليس مقيداً بهم ؛ ولهذا لا يشرع أن يسأل الله ﷻ مثل ذلك ، فلا يقال : (السَّلام على رسول الله في العالمين) ، ولا : (اللهم صلِّ وسلم على رسولك في العالمين) ، ولو كان هذا هو سلام الله ﷻ لشرع أن يطلب من الله ﷻ على الوجه الذي سلَّم به. وأمَّا قولهم : إنَّ الله ﷻ سلَّم عليه في العالمين ، وترك عليه في الآخرين ، فالله ﷻ أبقى على أنبيائه ورسله -عليهم الصَّلاة والسَّلام- سلاماً وثناءً حسناً فيمن تأخَّر بعدهم جزاء على صبرهم وتبليغهم رسالات ربهم ، واحتمالهم للأذى من أممهم في الله ﷻ. وأخبر أنَّ هذا المتروك على نوح عليه السلام هو عامٌّ في العالمين ، وأنَّ هذه التَّحية ثابتة فيهم جميعاً لا يخلون منها ، فأدامها عليه في الملائكة والثقلين طبقاً بعد طبق ، وعالماً بعد عالم ، مجازاة لنوح عليه السلام بصبره وقيامه بحقِّ ربِّه ، وبأنَّه أوَّل رسول أرسله الله ﷻ إلى أهل الأرض ، وكلُّ المرسلين بعده بعثوا بدينه كما قال ﷻ : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى : ١٣]»^(٢).

(١) الكشاف (٣/ ٣٤٣).

(٢) جلاء الأفهام ، لابن القيم (١/ ٤٦١-٤٦٢).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥].

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]. وقد اختلف في معنى

﴿سَلَّمَ﴾ هنا؟ «ف قيل: إنه من السَّلام. وقيل: إنه من التَّحية؛ لأنَّ الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها»^(١). وقال العلامة محمد الطاهر بن عاشور: «والسَّلام [هنا] بمعنى: التَّحية..»^(٢). ومن الخير العظيم: سلام الملائكة على المؤمنين^(٣). والحاصل في جواب السؤال الذي قد يرد، أعني: هل صيغة (السَّلام عليكم) من قبيل الإنشاء أم من قبيل الخبر؟ فقد أجاب ابن القيم رحمه الله عن ذلك، وعن الإشكال الذي قد يفهم من قول سيويوه^(٤) الآتي بكلامٍ جِدُّ نفيس حيث قال:

الجواب: «إنَّ قول المسلم: (سلام عليكم) ونحوه من ألفاظ الدُّعاء متضمَّن للإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه لا تناقض جهة الإنشائية، وهذا موضعٌ بديعٌ يحتاج إلى كشف وإيضاح فنقول: الكلام له نسبتان نسبة إلى المتكلِّم به نفسه، ونسبة إلى المتكلِّم فيه إمَّا طلبًا، وإمَّا خبرًا، وله نسبةٌ ثالثة إلى المخاطب لا يتعلَّق بها هذا الغرض، وإنما يتعلَّق

(١) تفسير ابن جزى (٤/٢١١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/٤٦٥).

(٣) انظر: أضواء البيان (٩/٣٨).

(٤) انظر: الكتاب، لسيويوه (١/٣٣٣-٣٣٤). وسيأتي بيان قول سيويوه بتمامه في (الاستفتاح بالدُّعاء في القرآن).

تحقيقه بالنسبتين الأوليين، فباعتبار تينك النسبتين نشأ التقسيم إلى الخبر والإنشاء، ويعلم أين يجتمعان، وأين يفترقان، فله بنسبته إلى قصد المتكلم وإرادته لثبوت مضمونه وصف الإنشاء. وله بنسبته إلى المتكلم فيه والإعلام بتحقيقه في الخارج وصف الإخبار، ثم تجتمع النسبتان في موضع، وتفترقان في موضع، فكل موضع كان المعنى فيه حاصلًا بقصد المتكلم وإرادته فقط فإنه لا يجمع فيه الخبر والإنشاء، نحو قوله: (بعثك كذا) و(وهبتكه) و(أعتقت) و(طلقت)، فإن هذه المعاني لم يثبت لها وجود خارجي إلا بإرادة المتكلم وقصده، فهي إنشاءات وخبريات من جهة أخرى، وهي تضمنها إخبار المتكلم عن ثبوت هذه النسبة في ذهنه، لكن ليست هذه هي الخبرية التي وضع لها لفظ الخبر.

وكل موضع كان المعنى حاصلًا فيه من غير جهة المتكلم، وليس للمتكلم إلا دعاؤه بحصوله ومحبه فالخبر فيه لا يناقض الإنشاء، وهذا نحو: (سلام عليكم)؛ فإن السلامة المطلوبة لم تحصل بفعل المسلم، وليس للمسلم إلا الدعاء بها ومحبتها، فإذا قال: (سلام عليكم) تضمن الإخبار بحصول السلامة والإنشاء للدعاء بها وإرادتها وتمنيها. وكذلك: (ويل له) قال سيويه: هو دعاء وخبر^(١). ولم يفهم كثير من الناس قول سيويه على وجهه، بل حرفوه عما أراده به، وإنما أراد سيويه هذا المعنى أنها تتضمن الإخبار بحصول (الويل) له مع الدعاء

(١) الكتاب، لسيويه (١/٣٣٣ - ٣٣٤).

به. فتدبر هذه النكتة التي لا تجدها محررة في غير هذا الموضع هكذا، بل تجدهم يطلقون تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، من غير تحرير وبيان لمواضع اجتماعهما وافتراقهما.

وقد عرفت بهذا أن قولهم: (سلام عليكم)، و(ويل له) وما أشبه هذا أبلغ من إخراج الكلام في صورة الطلب المجرد نحو: (اللهم سلمه)^(١).

سادساً: ألفاظ الصلاة التي هي من قبيل الدعاء
ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٩].
ومعنى: ﴿وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ﴾ استغفاره ودعاؤه. والصلاة تقع على ضروب، فالصلاة من الله ﷻ الرحمة والخير والبركة^(٢)، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، والصلاة من الملائكة الدعاء، وكذلك هي من النبي ﷺ، كما قال: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي: دعاؤك تثبيت لهم وطمأنينة^(٣). ويعلم الفرق أيضاً بين الصلاة من الله ﷻ، وبين صلاة الملائكة، وبين صلاة المخاطبين من قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨).

(٢) وذلك كما في قوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧].

(٣) تفسير القرطبي (٨/ ٢٣٥).

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ اللَّهِ ﷻ ثَنَاؤُهُ عَلَى الْعَبْدِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ. وقيل: الصَّلَاةُ مِنْ اللَّهِ ﷻ الرَّحْمَةُ - وسيأتي التَّعْقِيبُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ - وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الْاسْتِغْفَارُ وَالِدُّعَاءُ، وَمِنَ الْآدَمِيِّينَ الدُّعَاءُ^(١).

أقول: أمَّا مَا قِيلَ: إِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ اللَّهِ ﷻ الرَّحْمَةُ فَهُوَ قَوْلُ مَرْجُوحٍ، وَذَلِكَ لَمَّا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (صَحِيحِهِ)، «بَابُ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ^(٢). فَصَلَاتُنَا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ هُوَ دَعَاؤُنَا وَسُؤَالُنَا اللَّهَ ﷻ بِأَنْ يَصَلِّيَ عَلَيْهِ، وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ ﷻ: ثَنَاؤُهُ عَلَى عَبْدِهِ فِي الْمَلَائِكَةِ، وَلَنَبِينَا ﷺ مِنْ ثَنَاءِ اللَّهِ ﷻ أَكْمَلُ مَا أَثْنَى اللَّهُ ﷻ بِهِ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْخَلْقِ، وَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحُظُّهُ مِنْ صَلَاةِ اللَّهِ ﷻ، وَمِنْ ثَنَاءِ اللَّهِ ﷻ هُوَ

(١) وَيَنْظُرُ ذَلِكَ مَفْصَلًا فِي (تَفْسِيرِ ابْنِ عَادِلٍ) (١/ ٢٩٠)، (٥/ ٩٥)، (١٥/ ٥٦٠-٥٦١)، (١٥/ ٥٨٦)، تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ (٧/ ١١٣)، الْخَازَنُ (٥/ ٢٦٦)، (٥/ ٢٧٤)، السُّرَّاجُ الْمُنِيرُ (٣/ ٣١٤)، تَفْسِيرُ السَّلْمِيِّ (٢/ ١٥٠)، تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ (١/ ٤٤)، (١/ ١٥٧)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (٤/ ١٨٠٢)، وَانْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِيِّ (٨/ ٥٣٣). وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ ﷻ ثَنَاؤُهُ عَلَى الْعَبْدِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ. وَرَوَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْهُ. وَقَالَ غَيْرُهُ: الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةِ». تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٣/ ٤٩٦).

أوفر حظً ونصيب. فالصلاة من الله ﷻ على الرسول ﷺ، وعلى الأنبياء والمرسلين وعلى المؤمنين كما قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، والصلاة من الله ﷻ بمعنى: الثناء، يعني: يُثني على نبيه ﷺ في الملائكة الأعلى. ويكون معنى قولنا: (اللهم صل على محمد) يعني: (اللهم أثنِ على محمد ﷺ في الملائكة الأعلى بما هو أهله). والصلاة من الملائكة على المؤمنين هو الدعاء لهم والاستغفار كما قال ﷻ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥]. والصلاة من العبد للعبد: (اللهم صل على فلان) يعني: (اللهم أثنِ على فلان). يقال: (صليتُ عليك أو لك)، يعني: دعوت لك، وقد قال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ويدلُّ على صحَّة ما تقدَّم ما دلَّ عليه قول الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، فعطف الرحمة على الصَّلوات، والأصل في العطف المغايرة؛ لأنَّ الرحمة تكون لكلِّ أحد؛ ولهذا أجمع العلماء على أنَّه يجوز أن تقول: (فلان رحمه الله)، واختلفوا: هل يجوز أن تقول: (فلان صلى الله عليه؟) ^(١).

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ١٥٦)، القول المفيد على كتاب التَّوْحِيد (١/ ٤٤٨)، الكليات =

سابعاً: الاستفتاح بالدعاء في القرآن

أمّا الاستفتاح^(١) بالدعاء في القرآن فقد ورد في (ثلاث) سور:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

قال سيويه: وهذا دعاء وخبر^(٢).

وقال: «وأمّا قوله تعالى جدّه: ﴿وَيْلٌ يُّومِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾

[المرسلات: ١٥]، و﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فإنه لا ينبغي أن

تقول: إنه دعاء ههنا؛ لأنّ الكلام بذلك قبيح، واللفظ به قبيح، ولكن

العباد إنما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون،

= (ص: ٥٥٣-٥٥٤)، مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى، لحمد بن ناصر بن عثمان آل معمر التميمي الحنبلي (١/١٦٧)، وانظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم (١/٢٠-٢١).

(١) المراد بالاستفتاح هنا: استفتاح (السور)، وليس الآيات. أمّا استفتاح (الآيات) فانظر الآيات

التالية: ﴿وَيْلٌ﴾ [الجاثية: ٧]، [المرسلات: ١٥-١٩-٢٤-٢٨-٣٤-٣٧-٤٠-٤٥]

- ٤٧-٤٩]، [المطففين: ١-١٠]، [الهمزة: ١]، ﴿قَوْلٌ﴾ [البقرة: ٧٩]،

[الذاريات: ٦٠]، [الطور: ١١]، [الماعون: ٤]. وأمّا قوله ﷻ: ﴿وَوَيْلٌ﴾ فلم ترد في

أوائل السور أو الآيات، وإنما وردت في أثنائها.

(٢) انظر: الكتاب، لسيويه (١/٣٣٣-٣٣٤)، البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٦)، بدائع

الفوائد، لابن القيم (٢/٣٦٧-٣٦٨). ومنهم من أنكر كونه دعاء لاستحالة هنا، وأجاب

الزركشي أنّه مصروف للخلق وإعلامهم بأنهم أهل لأن يدعى عليهم. انظر: البرهان في

علوم القرآن (٢/٣٢٦).

فكأنه -والله أعلم- قيل لهم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١)، و﴿وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٥)، أي: هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم؛ لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة، فقيل: هؤلاء ممن دخل في الشر والهلكة ووجب لهم هذا. ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، فالعلم قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهبا أنتما في رجائكما وطمعكما ومبلغكما من العلم، وليس لهما أكثر من ذا ما لم يعلما. ومثله: ﴿فَقَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠]، [المنافقون: ٤]، فإنما أجري هذا على كلام العباد وبه أنزل القرآن^(١).

وقد يشكل قول سيبويه، وقد سبق بيان الجواب عن ذلك بما يزيل الإشكال.

ثامناً: الأهداف والمقاصد

- ١ - الدُّعَاءُ وسيلة من وسائل الاتصال بين المخاطب -بكسر الطاء المهملة- والمخاطب -بفتح الطاء المهملة-.
- ٢ - إِنَّ التَّعَرُّفَ على صيغ الدُّعَاءِ في الخطاب القرآني هو من التَّعَرُّفِ على أسمى صيغه، وأكثرها بلاغة، وأجمعها للمعاني.
- ٣ - إِنَّ صيغ الدُّعَاءِ من جملة صيغ الإنشاء الطَّلَبِيّ.
- ٤ - إِنَّ الدُّعَاءَ بمعناه الشرعي هو أخص من الدُّعَاءِ من حيث معناه

(١) الكتاب، لسيبويه (١/ ٣٣٣-٣٣٤).

اللُّغوي العام.

٥ - إنَّ إخلاص الدُّعاء لله ﷻ فيه الخير العظيم للمخاطب - بفتح الطاء المهملة -، حيث يشعر بلذَّة القرب والمناجاة، وهي وسيلة من وسائل الظُّفر بالمرغوب، ودفع المكروه..

٦ - قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: فإن قيل: فما فائدة الدُّعاء مع أنَّ القضاء لا مَرَدَّ لَهُ؟ فاعْلَمْ أنَّ من جُمْلَةِ القضاء: رَدُّ البلاء بالدُّعاء، فإنَّ الدُّعاء سَبَبُ رَدِّ البلاء، وَوُجُودُ الرَّحْمَةِ، كما أنَّ البَذْر سَبَبُ لِيُخْرُجَ النَّبَات من الأرض، وكما أنَّ التُّرْسَ يَدْفَعُ السَّهْمَ كذلك الدُّعاء يَرُدُّ البلاء..^(١)

ولا تتوقَّف فائدة الدُّعاء على ما ذكره الغزالي رَحِمَهُ اللهُ بل يضاف إليه ما ذكرته هنا من المقاصد، وكونه عبادة وطاعة، وقد أمر به العبدُ.

٧ - لا بدَّ أن يكون الدُّعاء مقروناً بالتَّضرع والإخفاء، بعيداً عن الرياء كما في قوله ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦] .
وذلك أنَّ من فائدة الدُّعاء:

١ - الخوف من العقاب.. وهو محفِّزٌ إلى فعل المأمور، واجتناب المحظور.

(١) انظر ما قاله الغزالي مفصلاً في (إحياء علوم الدين) (١/٣٢٨ - ٣٢٩)، وانظر: تفسير الثعالبي (١/ ١٤٣)، (٢/ ٢١٢)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٤٠).

٢ - الطَّمع في الثَّواب، وهو كذلك محفَّزٌ...

فقوله ﷻ: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ، أي: ادعوه سبحانه خائفين من عقابه، طامعين في ثوابه. ثمَّ إِنَّهُ بَيْنَ فائِدة الدُّعاء، وعِلَل سبب طلبه، فقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ، أي: إِنَّ رَحْمَتَهُ قَرِيبَةٌ مِنْ كُلِّ مُحْسِنٍ، وهي أَكيدةٌ مُحَقَّقة. والجزاء من جنس العلم، فمن أحسن في عبادته نال حُسْنَ الثَّواب، ومن أحسن في الدُّعاء نال خيرًا مما طَلَب.

وقال ابن عادل في (تفسيره): «إن قلت: قال في أوَّل الآية: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ ، وقال هنا: ﴿وَادْعُوهُ﴾ ، وهذا هو عطف الشَّيء على نفسه، فما فائدة ذلك؟ قلتُ: الفائدة فيه أَنَّ المراد بقوله ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ ، أي: ليكن الدُّعاء مقرونًا بالتَّضرُّع والإِخبات، وقوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أَنَّ فائِدة الدُّعاء أَحَدُ هَذينِ الأمرين، فكانت الآية الأولى في بيان شرط صَحَّة الدُّعاء، والآية الثانية في بيان فائِدة الدُّعاء. وقيل: معناه: كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرَّجاء في أعمالكم كُلِّها، ولا تطمعوا أنكم وفيتم حقَّ الله ﷻ في العبادة والدُّعاء، وإن اجتهدتم فيهما.

الثَّانية: في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ الآية، ترجيحُ الطَّمع على الخوف؛ لأنَّ المؤمن بين الرَّجاء والخوف، ولكِنَّه إذا رأى سعة رحمته

وسبقها، غلب الرجاء عليه»^(١).

وليست حالة في الطاعات أشرف من حال الدعاء؛ لأنَّ الإنسان ربما يُشغل قلبه في جميع العبادات، في الصَّلَاة والصَّوم وغيرها، فأما في حالة الدعاء فيلزم جوارحه ويضطر إليه، فأَيُّ حالة أحسن من هذا؟^(٢).



(١) تفسير ابن عادل (١٦٠/٩)، الرازي (٢٨٦/١٤)، الخازن (٢٤٢/٢)، التيسابوري (٢٥٨/٣).

(٢) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، للكلايازي (ص: ٢٢٦).

المطلب السابع التَّمني والترجّي في الخطاب القرآني

ويتضمَّن ما يلي:

● أولاً: التعريف والأدوات

أ. التعريف:

التَّمني: التَّشهي والرَّغبة في حصول الشَّيء، وأداته: (ليت)،
(ولو)، فإن كان مع زوال المرغوب فيه عن شخص؛ ليحصل للمتمني
فهو الحسد^(١).

والتَّمني نوع من الإرادة يتعلَّق بالمستقبل، وإذا شاهد الإنسان أنواع
الفضائل حاصلّة لإنسان، ووجد نفسه خاليًا عن جملتها، أو عن
أكثرها، فحينئذ يتألَّم قلبه، ثمَّ يعرض له ها هنا حالتان:
إحداهما: أن يتمنى زوال تلك السَّعادات عن ذلك الإنسان.
والأخرى: لا يتمنى ذلك، بل يتمنى حصول مثلها له.

فالأوّل هو الحسدُ المذموم، والثَّاني هو الغِبْطَة، فأما كون الحسد
مذمومًا؛ فلأنَّ الله ﷻ لما دبَّر هذا العالم، وأفاض أنواع الكرم
عليهم، فمن تمنى زوال ذلك، فكأنَّه اعترض على الله ﷻ في فعله،
وفي حكمته، وربَّما اعتقد في نفسه أنه أحقُّ بتلك النِّعم من ذلك

(١) أو يقال: التَّمني: طلب حصول شيء على سبيل المحبَّة. شروح تلخيص المفتاح (٢/٢٣٨).

الإنسان، فيكون هذا اعتراضاً على الله ﷻ وقَدْحاً في حكمته، وكلُّ ذلك ممَّا يليق في الكفر، وفساد الدِّين، ويزيل عن قلبه نور الإيمان، وكما أنَّ الحسد سبب للفساد في الدِّين، فكذلك هو السَّبب للفساد في الدُّنيا؛ فإنَّه يقطع المودَّةَ والمحبةَ والموالاةَ، ويقلب كلَّ ذلك إلى أضدادها^(١). وهذا المعنى مستفاد من قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢].

وفي (تفسير الخازن): «أصل التَّمني: إرادة الشَّيء وتشهِّي حصول ذلك الأمر المرغوب فيه، ومنه: حديث النَّفس بما يكون وبما لا يكون. وقيل: التَّمني تقدير الشَّيء في النَّفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظنٍّ، وقد يكون عن رؤية. وأكثر التَّمني تصويراً ما لا حقيقة له. وقيل: التَّمني عبارة عن إرادة ما يعلم أو يظنُّ أنَّه لا يكون»^(٢).

والحاصل أنَّ الحسد هو تمني زوال النِّعمة عن المحسود وإن لم يَصِرْ للحاسد مثلها، وتفارقه الغِبْطة فإنَّها تمني مثلها من غير حبٍّ زوالها عن الإنسان المغبوط.

ومن هنا يمكن النَّظَرُ إلى التَّمني من شقِّه المحمود الَّذي يحفِّز المكلف على التَّهَوُّض بحاله، كما يمكن النَّظَرُ إليه من شقِّه المذموم ليحترز المكلف عنه، فإنَّ ما يؤاخذ المكلف عليه ما يظهر له أثرٌ يلحق

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٦٢/٥ - ١٦٣)، تفسير ابن عادل (٣٥٠/٦)، تفسير الرَّايزي (٦٤/١٠)، والبحر المحيط (٢٤٥/٣).

(٢) تفسير الخازن (٥١٥-٥١٦).

الأذى بالمحسود، أو يجر أسباب المحنة إليه، والسبب هو العلمُ بحسن حال الأختار..

وقد ذكر العلماء أسبابًا كثيرة للحسد تنظر في مظانها^(١). أهمها: العداوة والبغضاء، فإن من آذاه شخص لسبب من الأسباب، أو خالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه، وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد الذي يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان، وربما يفضي إلى التنازع والتقاتل والسعي إلى إزالة النعمة بالطرق الخبيثة، والحيل القبيحة. ومنها: الخوف من فوت المقاصد، وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، كتحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين؛ للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال. ومنها: حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل إلى مقصود، وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظر في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء، واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر، وفريد العصر في فنه، وأنه لا نظير له فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك، وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه المتزلة، من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به، ويفرح بسبب تفرده، وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٠٥-٢٠٦).

ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد... إلى غير ذلك.

والحسدُ إمَّا أن يكون على أمرٍ دنيويٍّ.. أو على أمرٍ أخرويٍّ، فإن كان على أمرٍ دنيويٍّ، فإنَّ ما شاء الله ﷻ كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يردُّه كراهيةٌ كارهٍ كرهه حكم الله ﷻ، وقسمته في عباده، وذلك ابتلاء من الله ﷻ للعبد..

وإن كان في أمرٍ أخرويٍّ وكان قد سعى إليه فلم يبلغه، فلا ينبغي أن يجزع إذا سبقه أحدٌ إلى ذلك جزعًا يترتب عليه أثرٌ يضرُّ بمن سبقه إلى ذلك.. فإنَّما الأعمالُ بالنيَّات^(١)، فما دام قد نوى فقد حصل الأجر..، والإنسان دائمًا يسعى إلى التَّهوض والرُّقي، وإنَّ التَّشبه بأصحاب الهمم والصَّالحين والأخيار وعدم الرِّضا عن النَّفس سلَّم إلى الكمال..^(٢). ولذلك فإنَّ المنافسة في الطَّاعات أمرٌ محمود كما قال الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

(١) حديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» أخرجه البخاري عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه [١].

(٢) ويتبيَّن ممَّا سبق أنَّ علاج الحسد أن يعلم أنَّ كلَّ شيءٍ بقضاء الله ﷻ وقدره... -كما سبق- وأنَّه لا ضررَ على المحسود في دنياه؛ لأنَّ النِّعمة لا تزولُ عنه بحسد الحاسد، بل يتنفع؛ لأنَّه مظلومٌ من جهة الحاسد فيشبهه الله ﷻ على ذلك. بل قد يتنفع في دنياه من جهة أنَّ الحاسد قد قصد إلى إلحاق الضرر به، ولكنَّ الضرر يرتدُّ عليه، فلا تزال همومه وأحزانه تزدد إلى أن يقضي به ذلك إلى الدَّنْف أو التَّلف. ولقد أحسن من قال:

(اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله)

(فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله).

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

كما بيّن النبي ﷺ أَنَّ من الحسد ما ليس بمحرّم، بل هو في حقيقته ليس بحسد، وإنما من (الغِبْطَة)، وقد أورد ما يدلّ على ذلك الإمام البخاريّ رَحِمَهُ اللهُ حيث ذكر في (باب الاغتيال في العلم والحكمة) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فُسْطَ عَلَىٰ هَلَكَةِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا»^(١).

ومن أنواع الإنشاء: التّمني والترجي^(٢). أمّا التّمني فهو طلب أمرٍ

(١) أخرجه البخاريّ، كتاب العلم، باب الاغتيال في العلم والحكمة، رقم [٧١].

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/٣٩٥). وفي (مختصر المعاني): «أنواعه، أي: الطلب كثيرة منها: التّمني..». مختصر المعاني، للسّعد (١٢١-١٢٣)، وانظر: الكلّيات (ص: ٤٦٩). وفي (التّحبير): «هذه الأربعة، وهي: العرض والتّحضيض والتّمني والترجي ليس طلباً صريحاً، بل إيماء إلى الطلب، فهي شبيهة بالطلب الصّريح، ولكونه ليس طلباً بالوضع جعله قوم -كالبيضاوي- قسيماً له، [انظر: نهاية السؤل شرح منهاج الأصول (١/١٩٠)] بحيث قال: إنّ الكلام إمّا أن يفيد طلباً بالوضع، وهو الأمر والنهي، والاستفهام، أو لا، فما لا يحتمل الصدق والكذب تثنية وإنشاء، وتحتّم لهما الخبر. فقلوه: (فما لا يحتمل)، [أي: منه (الصدق والكذب) فيما دلّ عليه (تثنية وإنشاء) أي: يسمّى بكلّ من هذين الاسمين سواء لم يفد طلباً، نحو: (أنت طالبي) أم أفاد طلباً باللازم كالتّمني والترجي نحو: (لئت الشّباب يعود). ولعلّ الله ﷻ أن يعفو عني]. (وتحتّم لهما)، أي: الصدق والكذب من حيث هو (الخبر) وقد يقطع بصدقه أو كذبه لأمر خارجة. انظر: حاشية العطار على جمع الجوامع (٢/١٣٦)، التّحبير (٤/١٧١٠-١٧١٢). =

محبوبٍ أو مرغوب فيه لكن لا يرجى حصوله في اعتقاد المتمني؛ لاستحالته في تصوُّره، أو هو لا يطمع في الحصول عليه؛ إذ يراه متعذراً بعيد المنال^(١).

أما التَّرجي فهو طلبُ أمرٍ محبوبٍ أو مرغوبٍ فيه ممَّا يرى طالبه أنَّه مطموع فيه، وهو يترقَّب الظَّفَر به، أو الحصول عليه، وقد ترد صيغته لمجرَّد التَّوَقُّع، ولو كان تَوَقُّع أمرٍ محذور منه، ويسمَّى حيثئذٍ: (إشفاقاً)، كما في قوله ﷺ: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]. وقد نَقَلَ القرافي^(٢) في (الفروق)^(٣) الإجماعَ على أنه [أي:]

- = وانظر: شرح الرُّضِي على الكافية (٣٣٢/٤)، شروح تلخيص المفتاح (٢٣٨/٢-٢٣٩).
 (١) انظر الفرق بين التَّمني والتَّرجي مفصلاً في (شروح تلخيص المفتاح) (٢٣٨/٢) إلى (ص: ٢٤٥). وانظر: الإبهاج (١/٢٢٠)، نهاية السُّؤل، للإسنوي (١/١٩١)، مع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢/٣٩٧). وفي (التَّحبير): «الفرق بين التَّرجي والتَّمني أنَّ التَّرجي لا يستعمل إلا في الممكن بخلاف التَّمني فإنَّه يستعمل في الممكن والمستحيل، تقول: (لَيْتَ الشُّبَابُ يَعُودُ)، ولا تقول: (لَعَلَّ الشُّبَابُ يَعُودُ)». التَّحبير (٤/١٧١٠-١٧١٢)، وانظر: دستور العلماء (١/٢٣٨)، وينظر: المعجم الوسيط، مادة: (لَعَلَّ)، (٢/٨٢٩)، النَّحو الوافي، للدكتور عباس حسن (٤/٣٧٠)، دَرَّةُ الغَوَاصِ في أوْهَامِ الخَوَاصِ (ص: ٢٣٦).
 (٢) هو أبو العباس، شهابُ الدِّين الصَّنْهَاجِي القُرَافِي، من علماء المالكية، فقيهٌ، أصوليٌّ، مفسِّر، نسبته إلى قبيلة (صنهاجة) -من برايرة (المغرب)- وإلى (القرافة) -المحلَّة المجاورة لقبر الإمام الشَّافعي (بالقاهرة)- وهو مصريُّ المولد والمنشأ والوفاء. له مصنَّفات جليَّة في الفقه والأصول. توفي [٦٨٤هـ]. انظر: الأعلام (١/٩٥)، معجم المؤلِّفين (١/١٥٨)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الدَّهبي (١٧٦/٥١).
 (٣) انظر: الفروق، للقرافي (١/٤١ - ٤٩). وقال السَّعْد في (مختصر المعاني) (١/١٢١): «أنواعه - أي: الطَّلَب - كثيرة منها: التَّمني، وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة، واللفظ الموضوع له: (ليت)، ولا يشترط إمكان التَّمني بخلاف التَّرجي» اهـ.

الترجي [إنشاء، وفرق بينه وبين التمني بأنه في الممكن، والتمني فيه وفي المستحيل، وبأن الترجي في القريب، والتمني في البعيد، وبأن الترجي في المتوقع والتمني في غيره، وبأن التمني في المشفوق للنفس، والترجي في غيره^(١)].

قال السيوطي: «سمعت شيخنا العلامة الكافيجي^(٢) يقول: الفرق بين التمني وبين العرض هو الفرق بينه وبين الترجي، وحرف الترجي: (لعل) و(عسى) وقد ترد مجازاً؛ لتوقع محذور، ويسمى: (الإشفاق) نحو: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾»^(٣).

والحاصل أن التمني هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله.

إمّا لكونه مستحيلاً، كقوله ﴿لَكَ حِكَايَةٌ عَنِ الَّذِينَ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾﴾ [الأنعام: ٢٧]^(٤).

(١) انظر: الفروق (٤١/١-٤٩).

(٢) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محبي الدين، أبو عبد الله الكافيجي، من كبار العلماء بالمعقولات. رومي الأصل. اشتهر (بمصر)، ولازمه السيوطي [١٤] سنة. وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. ولي وظائف، منها: مشيخة الخانقاه الشيخونية. وانتهت إليه رئاسة الحنفية (بمصر)، توفي [٨٧٩هـ]. الأعلام (١٥٠/٦)، وانظر: بغية الوعاة (١١٧/١)، معجم المؤلفين (٥١/١٠).

(٣) الإتيان (٢/٢٢٢).

(٤) أمّا قوله ﴿لَكَ﴾: ﴿فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ففيه مسائل: المسألة الأولى: قوله: ﴿يَلَيْتُنَا نُرَدُّ﴾ يدل على أنهم قد تمنوا أن يردوا إلى الدنيا. فأمّا قوله: ﴿وَلَا﴾ =

ب. وإمّا لكونه ممكناً غير مطموع في نيله كقوله ﷻ: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُتُوبٌ﴾ [القصص: ٧٩].

وإذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجياً. ويعبر فيه بـ: (عسى) و(لعل)، كما في قوله ﷻ: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١٠]، ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة: ٥٢].

= نَكْذِبَ يَكَايِتَ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: أنّه داخل في التّمني والتّقدير: أنّهم تمنّوا أن يردّوا إلى الدّنيا، ولا يكونوا مكذّبين، وأن يكونوا مؤمنين. فإن قالوا هذا باطل؛ لأنّه ﷻ حكم عليهم بكونهم كاذبين بقوله في آخر الآية: ﴿وَلَا يَكْفُرُ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ﴾ [الأنعام: ٢٨]، والتمني لا يوصف بكونه كاذباً. قلنا: لا نسلم أنّ التّمني لا يوصف بكونه كاذباً؛ لأنّ من أظهر التّمني فقد أخبر ضمناً كونه مريداً لذلك الشّيء، فلم يبعد تكذيبه فيه، ومثاله أن يقول الرّجل: (ليت الله يرزقني مالا فأحسن إليك)، فهذا غن في حكم الوعد، فلو رزق مالا ولم يحسن إلى صاحبه ل قيل: إنّّه كذب في وعده. القول الثّاني: أنّ التّمني تمّ عند قوله: ﴿يَلَيْتُنَا نَرُدُّ﴾، وأمّا قوله: ﴿وَلَا نَكْذِبُ يَكَايِتَ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فهذا الكلام مبتدأ، وقوله ﷻ في آخر الآية: ﴿وَلَا يَكْفُرُ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ﴾ عائد إليه. وتقدير الكلام: (يا ليتنا نرد)، ثمّ قالوا: ولو رددنا لم نكذب بالدين، وكنا من المؤمنين، ثمّ إنّّه ﷻ كذبهم، وبيّن أنّهم لو ردّوا لكذبوا، ولأعرضوا عن الإيمان. «فإن قيل: كيف يحسن منهم تمني الرّد مع أنّهم يعلمون أنّ الرّد لا يحصل البتّة؟ والجواب من وجوه: الأوّل: لعلمهم لم يعلموا أنّ الرّد لا يحصل. والثّاني: أنّهم وإن علموا أنّ ذلك لا يحصل إلا أنّ هذا العلم لا يمنع من حصول إرادة الرّد كقوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٧]، وكقوله: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْكَ مِنْ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]، فلمّا صحّ أن يريدوا هذه الأشياء مع العلم بأنّها لا تحصل، فبأن يتمنّوه أقرب؛ لأنّ باب التّمني أوسع؛ لأنّه يصح أن يتمنى ما لا يصح أن يريد». تفسير الرّازي (٥٠٧/١٢).

ب. الأدوات:

وللتمني أربع أدوات، واحدة منها أصلية، وهي الأداة الأُم التي وضعت للتمني، وهي (ليت). - وستأتي دراسة (ليت) في القرآن الكريم -.

وثلاث غير أصلية نابعة عنها، ويتمنى بها لغرض بلاغي^(١)، وهي:

١ - (هل) كقوله ﷻ: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣].

ونكتة العدول عن (ليت) إلى (هل): إبراز المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتفائه، وهو المستفهم عنه^(٢).
جملة: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من الإنشاء الطلبي، والمطلوب نوع من التمني في أمر مرغوب فيه لا يطمعون في الحصول عليه. والأداة المستخدمة هي: (هل)، والاستفهام هنا مستخدم في التمني؛ لأنهم يعلمون أنه لا يشفع أحدٌ يومئذٍ إلا بإذن الله ﷻ، ولا يردون إلى الدنيا..

٢ - (لو) وتأتي بها إذا كان المتمنى عزيزاً، صعب الوقوع، بعيد المنال كقوله ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]. فإن (لو) في معنى: التمني^(٣).

(١) انظر: جواهر البلاغة (ص: ٦٥).

(٢) انظر: مختصر المعاني، للسعد (ص: ١٢٢).

(٣) تفسير أبي السعود (١/ ١٤٥). وقد قالوا: إنها تأتي للتمني مثل (ليت) في المعنى لا في اللفظ =

﴿وَدَّتْ طَلِيفَةً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩]، حيث قال: ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ ، ولم يقل: (أن يضلوكم)؛ لأنَّ (لو) للتمني. فإنَّ قولك: (لو كان كذا) يفيد التمني. ونظيره قوله ﷺ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]^(١).

والدليل على كون المتمنى صعباً وبعيد المنال ما جاء في تمام الآية من قوله ﷺ: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]، وما تفيده (لو) من معنى التمني الذي أشرت إليه. ومن ذلك قوله ﷺ:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَىٰ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٧].

ومن ذلك قوله ﷺ حكاية عن لوط عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ [هود: ٨٠]. وقال الله ﷻ: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢]^(٢).

= والعمل. انظر: رصف المباني (ص: ٢٩١)، الجنى الداني (ص: ٢٨٨-٢٨٩).

(١) انظر: تفسير الرازي (٨/٢٤٥)، تفسير ابن عادل (٥/٣١١).

(٢) «أي: فليت لنا كربة، ولهذا نصب ﴿فَنَكُونَنَّ﴾ في جوابها كما انتصب ﴿فَأَقُوزَ﴾ في جواب (ليت) في ﴿يَكَلِّتُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَقُوزَ﴾ [النساء: ٧٣]، ولا دليل في هذا لجواز أن يكون النصب في ﴿فَنَكُونَنَّ﴾ مثله في ﴿إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِن وَرَآيَ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١]... انظر: مغني اللبيب (ص: ٣٥١). [أي: من باب عطف الفعل في قوله: ﴿فَنَكُونَنَّ﴾ على الاسم في قوله: ﴿كَرَّةٌ﴾]. انظر الإعراب مفصلاً في (البحر المحيط) (٧/٥٠٤)، الدر المصون (٦/٨٨)، تفسير ابن عادل (١٧/٢٢١ - ٢٢٢)، الكشف (٣/١١٩)، (٣/٤٧٥)، تفسير القرطبي (١٦/٥٣). «واختلف في (لو) هذه =

ويقال في نكتة العدول ما قيل في (هل)..^(١).

٣ - (لعل) .. يقال: (لعلي أحج فأزورك) بالنصب إذا كنت بمستبعد الحصول الموجود^(٢). وكما قيل في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِيَّ لِي صِرَاحًا لَّعَلِّي أَتْلُعَ﴾ **الْأَسْبَبُ** ﴿٣٦﴾ **أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى اللَّهِ**

= [أي: التي للثمني] فقيل: هي قسم برأسها لا تحتاج إلى جواب كجواب الشرط، ولكن قد يؤتى لها بجواب منصوب كجواب (ليت). وقال بعضهم: هي (لو) الشرطية أشربت معنى الثمني بدليل أنهم جمعوا لها بين جوابين جواب منصوب بعد الفاء، وجواب باللام ... وقال ابن مالك [في (التسهيل) (١/٢٣٠)]: هي لو المصدرية أغنت عن فعل الثمني، وذلك أنه [أي: ابن مالك] أورد قول الزخسري [في كتابه (المفصل في صنعة الإعراب) (ص: ٤٤٣)]: وقد تحييء (لو) في معنى الثمني في نحو: (لو تأتيني فتحدثني) فقال: إن أراد أن الأصل: (وددت لو تأتيني فتحدثني) فحذف فعل الثمني لدلالة (لو) عليه، فأشبهت (ليت) في الإشعار بمعنى الثمني فكان لها جواب كجوابها فصحيح، أو أنها حرف وضع للثمني ك: (ليت) فممنوع؛ لاستلزامه منع الجمع بينها وبين فعل الثمني، كما لا يجمع بينه وبين (ليت) اهـ بتصرف عن (مغني اللبيب) (ص: ٣٥١-٣٥٢)، وانظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٢٤)، الكشف (٣/١١٩)، (٣/٤٧٥)، البحر المحيط (٧/١٩٦)، روح المعاني (١/٣٣٠)، ابن عادل (١٥/٤٨٢)، مع الهوامع (٢/٥٧٤)، المفصل في صنعة الإعراب (ص: ٤٤٣)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٤/٣٢-٣٣)، وكذلك الصبان على الأشموني (٤/٣٢-٣٣)، التسهيل (١/٢٣٠).

(١) والدليل على أن (لو) للثمني، وأنها خرجت عن أصل الوضع أن الفعل المضارع ينصب بعدها. ففي الآية الكريمة: ﴿قُلُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **﴿١٦﴾** جاء الفعل المضارع (نكون) منصوبًا، ولو أنها بقيت على أصلها. أي: حرف امتناع لامتناع لم ينصب المضارع بعدها. تقول: (لو زرتني أكرمك) برفع المضارع؛ لأنك لم تقصد الثمني. انظر: البلاغة فنونها وأفنانها (ص: ١٦٤).

(٢) انظر: مصابيح المعاني (ص: ٣٠٤).

مُوسَى ﴿ غافر: ٣٦-٣٧ ﴾. على قراءة من قرأ بالنَّصب^(١). وهو بالرفع عطف على ﴿أَبْلَغُ﴾ وبالنَّصف بإضمار (أن) في جواب (لعلَّ)؛ لأنَّ التَّرجِي غير واجب، فهو كاللَّمني في انتصاب جوابه. وأميل في التَّرجيح إلى قول ابن جزي حيث قال في (تفسيره): «ولا نقول: إنَّ (لعلَّ) أُشربت معنى: (ليت) كما قال بعض النُّحاة»^(٢)؛ وذلك لأنَّ (لعلَّ) للتَّوقع، وهو ترجِّي المحبوب، والإشفاق من المكروه نحو: (لعلَّ الحبيب واصل)، و(لعلَّ الرقيب حاصل)، وتختصُّ بالممكن. وقول فرعون: ﴿... لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ إنما قاله جهلاً أو مخرقةً وإفكاً^(٣).

ج. ما وَرَدَ بصورة التَّرجِي مع تعذُّر حصوله:

أمَّا ما ورد بصورة التَّرجي مع تعذُّر حصوله، أو يقال: ما يُظَنُّ أنَّه ممكن، ثمَّ يتبيَّن تعذُّره فذلك كقوله ﷻ: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا

(١) وهي قراءة حفص عن عاصم فقد قرأه حفص بالنَّصب على جواب اللَّمني، والباقي بالرفع عطفًا على ﴿أَبْلَغُ﴾. انظر: حجة القراءات (ص: ٦٣١)، إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٨٦).

(٢) تفسير ابن جزي (٦/٤). وانظر: تفسير ابن عادل (١٤٦/٣)، (٣٨٤/٧)، وانظر: البحر المحيط (٤٤٦/٧)، روح المعاني (٦٩/٢٤)، إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٨٦)، الإتيان (٢/٢٢١)، البرهان في علوم القرآن (٣٢٢/٢)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١٢٦٠/٣)، البلاغة فنونها وأفنانها (ص: ١٦٥).

(٣) انظر: مغني اللبيب (ص: ٣٧٩).

وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]. فَإِنَّ «قولهم: ﴿لَعَلِّي﴾» ليس المراد به الشك، وإنما هو كقول المقصّر: (مكّنوني لعلّي أتدارك) مع كونه جازماً بأنه سيتدارك. ويحتمل أنهم وإن كانوا جازمين بذلك إلا أنّ أمر المستقبل مبنيّ على الظنّ والتّخمين دون اليقين؛ فلذلك أوردوا الكلام بصورة التّرجي. ثمّ ردّهم بقوله: ﴿كَلَّا﴾، أي: ليس الأمر على ما توهموه من إمكان الرّجعة. ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ والمراد بها: طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض، وهي قوله: ﴿... رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾^(١).

د. استعمال لفظ: (ليت) في التّرجي لغرضٍ بلاغيّ:

وقد يستعمل في التّرجي لفظ: (ليت) الذي للتّمني لغرضٍ بلاغيّ، وهو إبراز المرجو في صورة المستحيل أو المتعذّر بعيد المنال؛ للمبالغة في بيان بعد الحصول عليه أو تحقيقه. ويلاحظ أنّ مجيء عبارات التّرجي أو الدّعاء في كلام الله ﷻ هو على معنى أنّ مقتضى الحال يلائمه من البشر التّرجي أو الدّعاء، فقول الله ﷻ: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣-٤٤]. ينبغي أن نفهم التّرجي فيه على معنى: (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَاجِعَيْنِ وَطَامِعَيْنِ فِي أَنْ يَتَذَكَّرَ أَوْ يَخْشَىٰ)؛ إذ لو ذهبَا إليه وهما يائسان من استجابته، لم تندفع أنفسهما للقيام بمهمّة رسالتهما على

(١) تفسير الثّيسابوري (غرائب القرآن) (١٣٥/٥).

الْوَجْهِ الْأَمْثَلِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُمَا^(١).

هـ. بيان معنى كُلٍّ مِنْ (عسى ولعل) في القرآن:

أَمَّا عسى فَإِنَّهَا مِنْ أفعال الرَّجاءِ. وأخواتها: (حري) و(اخلولق).

ولم يرد في القرآن إلا (عسى).

وتستعمل للتَّرجي وللإشفاق كما في قوله ﷻ:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. قيل: (عسى) الأولى للإشفاق، والثانية للتَّرجي.

وقيل العكس.

وبيان ذلك على النحو التالي:

قال أبو حيان في (البحر) في ترجيح الوجه الأول: «(عسى) الأولى

لِلإشفاق، والثانية لِلرَّجاءِ. عسى هنا [أي: الأولى] لِلإشفاق لا

لِلتَّرجي، ومجيئها لِلإشفاق قليل، وهي هنا تامة لا تحتاج إلى خبر،

ولو كانت ناقصة لكانت مثل قوله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ قُلْتُمْ أَنْ

تُفْسِدُوا﴾ [محمد: ٢٢]. فقوله: ﴿أَنْ تَكْرَهُوا﴾، في موضع رفع

بعسى^(٢).

أقول: وقد تعقَّبَ ابنُ عرفة في (تفسيره) قولَ أبي حيان حيث قال:

«المناسب العكس؛ فَإِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ فِي الْأَوَّلَى خَيْرٌ، وَانْتِظَارُهُ رَجَاءٌ،

(١) انظر: البلاغة العربية، للميداني (٢٥٢/١).

(٢) البحر المحيط (١٥٢/٢).

والمستقبل في الثانية شرًّا، فانتظاره إشفاقٌ وخوفٌ.

قيل لابن عرفة: إنّما المعتبرُ ما دخلت عليه (أن)؟ فقال: نعم لكن بصفته وقيده، والأوّل مقيّدٌ بأنّه يعقبه خيرٌ، والثاني مقيّدٌ بأنّه يعقبه الشرُّ. قيل لابن عرفة: المستقبلُ غير معلوم للإنسان، وإنّما يُعلم الحاضرُ، فيعسر عليه المستقبل، فإن كان الحاضر خيرًا ترجّى دوامه، وإن كان شرًّا أشفق وخاف من دوامه»^(١).

وقال أبو حيّان: «وكلُّ (عسى) في القرآن للتّحقيق يعنون به الوقوع إلا قوله: ﴿عَسَى رَيْثُكَ إِن طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾ [التحریم: ٥]»^(٢).

أقول: وتعقّب ابنُ عرفة أيضًا قول أبي حيّان حيث قال: «بل هي أيضًا للتّحقيق لما تقدّم من أنّ القضية الشرطيّة تقتضي صحّة ملزوميّة الجزاء للشرط، ولا تقتضي الثبوت والوقوع، والقضية الحملية تقتضي الثبوت والوقوع، أو يفهم الوقوع في الآية باعتبار المتكلّم بهذا الشرط، والرجاء واقع من الله ﷻ»^(٣).

أقول: وذلك لأنّ الجزاء إنّما يقع عند وقوع الشرط، فإذا قال قائل لزوجته: (أنت طالق إن ذهبت إلى أهلك)، لا تتحقّق ملزوميّة الجزاء إلا عند تحقق الشرط.. أمّا القضية الحملية فهي واقعة لا محالة. وبيان

(١) تفسير ابن عرفة (٢/٦١٧).

(٢) البحر المحيط (٣/١٥٣)، وانظر: تفسير ابن عادل (٣/٥٢٧)، وتفسير الثعالبي (١/١٦٦).

(٣) تفسير ابن عرفة (٢/٦١٧-٦١٨).

ذلك أنَّ القضية الشرطيَّة هي الَّتِي يحكم فيها بالتَّلازم أو العناد^(١) بين شيئين، أو بنفيه فيها. أو القضية الَّتِي قُيِّد الحكم فيها بشرط، نحو: (إن كانت الشَّمس طالعة فالنَّهار موجود)، فقد حكمنا بالتَّلازم بين وجود النَّهار وطلوع الشَّمس. ونحو: العددُ إمَّا أن يكون زوجًا أو فردًا، فقد حكمنا بالتَّنافي والعناد بين زوجيَّة العدد وفردِيَّتِه. ولا بدَّ أن تكون كلُّ قضيةٍ شرطيَّة من جزأين على الأقلِّ، هما: (المقدَّم)، و(التَّالي). ففي قولنا: (إن كانت الشَّمس طالعة فالنَّهار موجود)، فإنَّ عبارة: (الشَّمس طالعة) هي المقدَّم، وعبارة: (النَّهار موجود) التَّالي. أمَّا القضية الحملية هي الَّتِي يحكم فيها بثبوت شيءٍ لشيءٍ أو نفيه عنه، نحو: (كلُّ السَّلاحف بطيئة، ولا شيء من الأسماك طائر)، ويسمَّى الجزء الأوَّل موضوعًا؛ لأنَّه وضع ليحمل عليه الثَّاني أو ليحكم عليه بشيء. والجزء

(١) (العناد) لغةً: الاعوجاجُ والخلاف. وقيل: المبالغة في الإعراض ومخالفة الحق. وعند المنطقيين قضية يكون الحكم فيها بالتَّنافي لذات الجزئيين مع قطع النَّظر عن الواقع كما بين الفرد والزَّوج، والشَّجر والحجر، وبين إمَّا أن يكون زيد في البحر وإمَّا أن لا يغرق، أي: وإمَّا أن لا يكون في البحر، ويلزمه أن لا يغرق. أو يقال: إمَّا أن يكون زيد في البحر وإمَّا أن لا يغرق لكِنَّه ليس في البحر فلا يغرق، أو لكِنَّه غرق فيكون في البحر. وتسمَّى الأخيرة مانعة الخلو. فالجمع أن يكون في البحر ولا يغرق، والخلو يغرق لا في البحر. أمَّا مانعة الجمع فنحو: (هذا العدد إمَّا مساوٍ لذلك أو أكثر)، وأمَّا مانعتهما فنحو: (العدد إمَّا زوج أو فرد). انظر: الإشارات والتَّنبهات (ص: ٢٥٢)، كتاب المواقف، عضد الدِّين بن أحمد الإيجي (١٨٣/١)، الكليات (ص: ٧١٢)، التَّعريفات، للجرجاني (ص: ٢٠٣)، التَّوقيف على مهمات التَّعريف، فصل الثَّون، (ص: ٥٢٨)، دستور العلماء، باب العين مع الثَّون (٢/٢٧١)، (٣/٢٣٨).

الثاني يسمّى: محمولاً^(١)...

ولكلّ من القضية الشرطيّة والحمليّة أحكامٌ تنظرُ في مظانّها.. وعلى أيّة حالٍ فإنّ مصطلح (الموضوع والمحمول) هو مصطلحٌ عند المنطقيين، ويعبرُ عنه عند البلاغيين بـ: (المسند والمسند إليه)، وفي الفقه والأصول بـ: (المحكوم به والمحكوم عليه)، وعند التّحويين: الموضوع هو المبتدأ أو الفاعلُ أو نائبُ الفاعل وأسماء النواسخ، والمحمولُ هو الخبرُ أو الفعل التام، واسم الفعل، والمبتدأ الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر، وأخبار النواسخ، والمصدر النائب عن الفعل.

والحاصل أنّه لا تتحقّق ملزوميّة الجزاء هنا إلا عند تحقّق الشرط.. ومن المعلوم أنّ ذلك لم يتحقّق..، ولكن كما قال ابن عرفة: إنّ القضية الشرطية تقتضي صحّة ملزوميّة الجزاء للشرط، ولا تقتضي الثبوت والوقوع، والقضية الحملية تقتضي الثبوت والوقوع.. وهو الذي يترجّح على قول أبي حيّان.

وفي الغالبٍ يقترنُ خبرُ (عسى) بـ: (أن). ولم يرد في القرآن غير ذلك. وتأتي ناقصةً كما في قوله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رُكُوكُكُمْ أَن يَرْحَمَكُمُ﴾ [الإسراء: ٨].

(١) انظر: شرح التّهذيب بحاشية العطار (ص: ١١٧)، الإشارات والتّنبّهات، لابن سينا (ص: ٢٦٠)، الجديدي في الحكمة، سعيد بن منصور بن كمونة (ص: ١٦١)، غاية المرام في علم الكلام، للآمديّ (ص: ٥٣)، الكلّيات (ص: ١١٣٢)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرّسوم، للسيوطي (ص: ١٢٠)، تحرير القواعد المنطقيّة (ص: ٨٣، ١١١)، وسيف الغلاب (ص: ١٠١)، وطرق الاستدلال ومقدماتها (ص: ١٧٧-١٨٠).

وتامة، وهي التي تكتفي بمرفوعها فيكون فاعلاً كما في قوله ﷻ: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]^(١).

وأما مواضع (عسى) في القرآن فهو على النحو التالي:
[النساء: ٨٤ - ٩٩]، [الأعراف: ١٨٥]، [التوبة: ١٠٢]،
[يوسف: ٢١ - ٨٣]، [الإسراء: ٨ - ٥١ - ٧٩]، [الكهف: ٢٤]،
[مريم: ٤٨]، [الثلث: ٧٢]، [القصص: ٩ - ٢٢]، [الحجرات: ١١]،
[الممتحنة: ٧]، [التحریم: ٥ - ٨]، [القلم: ٣٢].
أما عدد الآيات فهو: [٢٠].

وعدد التكرار: [٢١].

ثانياً: دراسة (ليت) في الخطاب القرآني
إنَّ (ليت) حرف تمنٍّ يتعلّق بالمستحيل^(٢) غالباً^(٣). والإنسان قد
يتمنّى شيئاً مع علمه بتعذُّره^(٤) كقول القائل:
(يا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب)^(٥).

(١) انظر: الشواهد على القواعد (ص: ١٧٧). فإنَّ (عسى) تامة، والمصدر ﴿أَنْ يَهْدِيَنَّ﴾ فاعل (عسى)، و﴿يَهْدِيَنَّ﴾ فعل مضارع منصوب، والثَّوْن للوقاية، والياء المقدَّرة مفعول به...
(٢) أو يقال: هو طلب ما لا طمع فيه، أو فيه عسر (ليت لي مالا فأتصدَّق منه). انظر: حاشية الآجرومية، لابن قاسم (ص: ٧٦).

(٣) مغني اللبيب (ص: ٣٧٥).

(٤) وفي (الإيضاح): «ولا يشترط في التمني الإمكان. تقول: (ليت زيداً يجيء)، و(ليت الشاب يعود)». الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣٠)، وانظر: شروح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٣٩).

(٥) قاله أبو العتاهية. انظر: ديوان أبي العتاهية (ص: ٥٠)، شرح الشواهد للبغدادي (٥/ ١٦٣)، مجالس ثعلب (ص: ٢٤٦)، انظر: البيان والتبيين (ص: ٤٢٩)، نهاية الأرب في فنون الأدب =

وبالممكن قليلاً نحو: (لَيْتَ الْمَسَافِرَ حَاضِرًا) ...
 وحكمه أن ينصب الاسم، ويرفع الخبر^(١).
 قال الفراء وبعض أصحابه^(٢): وقد ينصبهما كقوله:
 (يا لَيْتَ أَيَّامَ الصُّبَا رَوَاجِعًا)^(٣)
 أمّا مواضع (ليت) في القرآن الكريم فهي على النحو التالي:
 ١ - ﴿يَلَيْتَ﴾ [القصص: ٧٩] في (ثلاثة) مواضع:
 [القصص: ٧٩]، [يس: ٢٦]، [الزُخْرَف: ٣٨].
 ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوقِفَ قُرُونٌ﴾ .
 ﴿يَلَيْتَ قَوِي يَعْلَمُونَ﴾ .
 ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَ الْقَرِينُ﴾ .

-
- = (٣٢/٢). و(الشَّابَّ): اسمُ (ليت) منصوب، والشَّاهد أنه قد جاء استعمال (ليت) في غني المستحيل، وطلب ما لا يُطَمَع فيه، فما ينقضي من العمر لا يرجع!!
 (١) مغني اللبيب (ص: ٣٧٥-٣٧٦)، هو الرَّاجِع.. انظر: الإِتْقَان (١/٥١٢)، الجنى الدَّاني (ص: ٤٩١-٤٩٣)، موصل الطُّلاب إلى قواعد الإعراب، للأزهري (ص: ١٦٥).
 (٢) انظر: معاني القرآن، للفراء (١/٤١٠)، (٢/٣٥٢).
 (٣) هذا شطر من (الرَّجَز) للشَّاعر العجاج بن ربيعة، وهو من الشُّواهد المشهورة عند النُّحويين، وهو من شواهد سيبويه رَكْعًا. انظر الكتاب (٢/١٤٢)، وانظر: طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجهمي (١/٧٨)، وملحقات ديوان العجاج بن ربيعة (ص: ٨٢)، خزنة الأدب (١٠/٢٥٣-٢٥٤)، أسرار العريئة (ص: ٢٥٩)، الجَمَل في النُّحو (ص: ٢٣٤).
 والشَّاهد فيه: (أَيَّامَ الصُّبَا رَوَاجِعًا) فقد نصبت (ليت) الاسم والخبر. انظر: الدُّر المصون (٣/٣٨٥)، ابن عادل (٩/٤٢٦)، البحر المحيط (٤/٤٤٠)، الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ١٣٠)، دلائل الإعجاز (ص: ٢٤٧).

٢ - ﴿يَلْتَنِي﴾ [النساء: ٧٣] في (سبعة) مواضع:
 [النساء: ٧٣]، [الكهف: ٤٢]، [مريم: ٢٣]،
 [الفرقان: ٢٧]، [الحاقة: ٢٥]، [النبا: ٤٠]، [الفجر: ٢٤].

﴿يَلْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .
 ﴿يَلْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ .
 ﴿قَالَتْ يَلْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًا﴾ .
 ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾
 ﴿٢٧﴾ (١) .

﴿يَلْتَنِي لَمْ أَوْتِ كَثِيرَةً﴾ .
 ﴿يَلْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا﴾ .
 ﴿يَقُولُ يَلْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ﴿٢٤﴾ .

٣ - ﴿يَلْتَنَانَا﴾ في موضعين:
 [الأنعام: ٢٧]، [الأحزاب: ٦٦].
 ﴿يَلْتَنَانَا نُرْذُ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .
 ﴿يَلْتَنَانَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ .

(١) و«يَلْتَنِي» نداء للكلام الدال على التمني بتنزيل الكلمة منزلة العاقل الذي يطلب حضوره؛ لأن الحاجة تدعو إليه في حالة الندامة، كأنه يقول: (هذا مقامك فاحضري)، على نحو قوله ﷻ: ﴿يَحْضَرَانَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]. وهذا النداء يزيد التمني استبعاداً للحصول. وكذلك قوله: ﴿يَكُونَلَقَى﴾ [الفرقان: ٢٨] هو تحسّر بطريق نداء (الويل). و(الويل): سوء الحال، والألف عوض عن ياء المتكلم، وهو تعويض مشهور في نداء المضاف إلى ياء المتكلم. التحرير والتنوير (١٩/١٣).

وقوله: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ﴾ المنادى محذوف، أي: يا قوم، و﴿مِثْلَ﴾ اسم (ليت)، والخبر ﴿لَنَا﴾.. ويقاس عليه غيره، وهذا وجه، ولم يذكر الوجه الآخر، ولعلّه قد استغنى عن ذلك بسبب ذكره في مواضع أخرى..^(١).

«وحرف النداء في قوله ﴿لَكَ﴾: ﴿يَلَيْتَنَا نُزِدُ﴾ مستعمل في التَّحَسُّر؛ لأنَّ النداء يقتضي بُعد المنادى، فاستعمل في التَّحَسُّر؛ لأنَّ المتمنى صار بعيداً عنهم، أي: غير مفيد لهم، كقوله ﴿لَكَ﴾: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

ومعنى ﴿نُزِدُ﴾: نرجع إلى الدنيا، وعطف عليه: ﴿وَلَا تُكَذِّبُ بَيِّنَاتٍ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

«وحرف النداء مستعمل في التَّلَهْف. و﴿لَيْتَنِي﴾ تمنى مراد به التَّندُم. وأصل قولهم: (يا لَيْتَنِي) أنّه تنزيل للكلمة منزلة من يعقل، كأنّه يخاطب كلمة (ليت) يقول: (احضري فهذا أوانك)، ومثله قوله ﴿لَكَ﴾: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾. وهذا ندمٌ على الإشرak فيما مضى، وهو يؤذن بأنّه آمن بالله ﴿لَكَ﴾ وحده حينئذٍ^(٣). «رفع الفعلين بعد (لا) النَّافِيَةِ في قراءة الجمهور عطفًا على ﴿نُزِدُ﴾، فيكون من جملة ما تمنّوه؛ ولذلك لم ينصب في جواب التمني؛ إذ

(١) انظر: الفريد (١/٧٦٠)، (٣/٧٢٥).

(٢) التَّحْرِير والتَّنْوِير (٧/١٨٤).

(٣) المصدر السابق (١٥/٣٢٧).

ليس المقصود الجزاء؛ ولأنَّ اعتبار الجزاء مع الواو غير مشهور، بخلافه مع الفاء؛ لأنَّ الفاء متأصلة في السببية. والرَّد غير مقصود لذاته، وإنما تمنَّوه لما يقع معه من الإيمان وترك التَّكذيب. وإنما قدَّم في الذِّكر ترك التَّكذيب على الإيمان؛ لأنَّه الأصل في تحصيل التَّمَنِّي على اعتبار الواو للمعيَّة واقعة موقع فاء السببية في جواب التَّمَنِّي. وقرأه حمزة والكسائي: ﴿نَكْذِبْ، وَنَكُونُ﴾ - بنصب الفعلين^(١)، على أنَّهما منصوبان في جواب التَّمَنِّي..

وقرأ ابنُ عامر^(٢): ﴿وَلَا نَكْذِبْ﴾ بالرفع كالجمهور، على معنى أنَّ انتفاء التَّكذيب حاصل في حين كلامهم، فليس بمستقبل حتى يكون بتقدير (أن) المفيدة للاستقبال. وقرأ: ﴿وَنَكُونُ﴾ بالنصب على جواب التَّمَنِّي، أي: نكون من القوم الذين يعرفون بالمؤمنين^(٣).

والحاصل أنَّ (يا) إذا دخلت على حرف أو فعل تكون حرف تنبيه، وإذا عددناها حرف نداء نقدر المنادى محذوفاً؛ لأنَّ المنادى لا يكون

(١) «وقرأ حمزة إلا العجلي، وحفص عن عاصم ويعقوب بنصب الباء من ﴿نَكْذِبْ﴾، والثَّوْن من ﴿وَنَكُونُ﴾. قال مكِّي بن أبي طالب - [مشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٢٥٠)] - : وهذا النَّصْب على جواب التَّمَنِّي وذلك بإضمار (أن) حملاً على مصدر ﴿نَزِدُ﴾، فأضمرت (أن) لتكون مع الفعل مصدرًا، فعطف بالواو مصدرًا على مصدر، وتقديره: (يا ليت لنا ردًا وانتفاءً من التَّكذيب، وكونًا من المؤمنين). وقرأ ابنُ عامر برفع الباء من ﴿نَكْذِبْ﴾، ونصب الثَّوْن من ﴿وَنَكُونُ﴾. فالرفع قد بينا علته، والنَّصْب على جواب التَّمَنِّي. زاد المسير (٣/ ٢٣)، انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٣٧)، تفسير القرطبي (٦/ ٤٠٩)، تفسير النَّسفي (٢/ ١٣).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) التَّحْزِير والتَّنْوِير (٧/ ١٨٥).

إلا اسمًا..

وَأَنَّ (ليت) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، ومعناه: التَّمني،
وأنها تفيد تأكيداً.

وفي (البحر): «الأصح أَنَّ (يا) في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَعْيُنَ﴾ حرف تنبيه
لا حرف نداء»^(١). وليس في الكلام منادى محذوف، وعلل ذلك بأنَّ
كونها للنِّداء والمنادى محذوف فيه إجحاف كبير؛ لأنَّ في ذلك حذف
جملة النِّداء، وحذف متعلِّقه^(٢). وكذلك سيبويه في (الكتاب) جعلها
للتَّنبيه^(٣).

وفي (التَّسهيل) لابن مالك: «إِنْ وليها (ليت) أو (رَبِّ) أو (حَبِّذاً)
فهي للتَّنبيه لا للنِّداء»^(٤).



(١) البحر المحيط (١٠٧/٤) .

(٢) انظر: البحر المحيط (٣٠٣/٣)، وانظر: روح المعاني (٨١/٥).

(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه (٣٠٧/٢).

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٦١١/٣)، التَّسهيل، لابن مالك (٣٥٨/٣).

المطلب الثامن العرض والتَّحْضِيض في القرآن

أ. التعريف:

(العَرَضُ): طلب شيء في رفق ولين. أمَّا (الحَضُّ أو التَّحْضِيضُ) فهو الطَّلَب في قوَّةٍ وحثٍّ وإلحاحٍ^(١)، فهو أشدُّ توكيدًا من العرض. والفرق بينهما أنَّك في (العَرَضِ) تعرض عليه الشيء لينظر فيه، وفي التَّحْضِيضِ تقول: الأولى لك أن تفعل، فلا يفوتَنَّك^(٢).
و(ألا) -بالفتح والتَّخْفِيف- لها معانٍ^(٣) منها ما كنتُ بصدد بيانه من العَرَضِ والتَّحْضِيضِ^(٤).

(١) وهو مبالغة من (الحَضُّ)، يقال: حَضَّه على كذا، أي: رَغَّبَه في فعله، فإذا أُريد تأكيد التَّوَعُّب والمبالغة قيل: حَضَّضَه. انظر: حاشية الصَّبَّان (٥٠/٤).

(٢) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزَّركشي (٢٩٤/٣)، التَّحْبِير شرح التحرير (٦٨٦/٢)، حاشية العَطَّار على جمع الجوامع (٤٥٦/١)، شرح الكوكب المنير (٣٠٨/٢)، مع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣٩٠/٢)، الجنى الدَّاني (ص: ٣٨٢-٣٨٣).

(٣) انظر المراجع السابقة.

(٤) تختصُّ (ألا) هذه [أي: التي للعرض والتَّحْضِيض] بالفعلِيَّة؛ لأنَّها للطَّلَب، وتكون مختصةً بالمضارع نحو قول الله ﷻ: ﴿أَلَا تَحْجُونَ أَنَّ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟﴾ [الثَّور: ٢٢]، ﴿أَلَا تَقْبَلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ [التَّوْبَة: ١٣]. انظر: مغني اللبيب (ص: ٩٧). قال الدَّمَامِينِي: «وكأنَّ الأولى مثال للعرض، والثَّانية مثال للتَّحْضِيض». الدَّمَامِينِي (١/١٥٠)، وكذلك في (البرهان في علوم القرآن) ذكر أنَّ الأولى للعرض، والثَّانية للتَّحْضِيض. انظر: البرهان في علوم القرآن (٣٤٢/٢)، وانظر: الإنقان (٢/٢١٥)، وانظر ما يدلُّ على =

و(ألاً) بالفتح والتشديد -[أي: بفتح الهمزة، وتشديد اللام]- تستعمل على وجهين: مفردة ومركبة. أمّا المفردة فهي تختصّ بالجمل الفعلية^(١) الخبرية^(٢) كسائر أدوات التحضيض. وقد تبدل همزتها هاء كما في قول الشاعر:

= معنى الحض في قوله ﷻ: ﴿أَلَا نَقْتُلُوكَ قَوْمًا نَكَّوْا أَيْمَانَهُمْ﴾ في (البحر المحيط) (١٨/٥)، والسراج المنير (٦٧٦/١)، تفسير التفسير (١٧٠/٢)، زاد المسير (٤٠٥/٣). ولفظ (ألاً) يحتمل أن يكون مجموع حرفين: هما همزة الاستفهام و(لا) النافية، ويحتمل أن يكون حرفاً واحداً للتحضيض مثل قوله ﷻ: ﴿أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فعلى الاحتمال الأول يجوز أن يكون الاستفهام إنكارياً على انتفاء مقاتلة المشركين، وهو ما ذهب إليه البيضاوي [انظر: تفسير البيضاوي (١٣٤/٣)] فيكون دفعا لأن يتوهم المسلمون حرمة لتلك العهود. ويجوز أن يكون الاستفهام تقريرياً، وهو ظاهر ما حمله عليه صاحب (الكشاف) تقريراً على الثقي تنزيلاً لهم منزلة من ترك القتال، فاستوجب طلب إقراره بتركه [انظر: الكشاف (١٧٧/٢)]، وانظر: حاشية الشهاب الخفاجي (٣٠٧/٤). قال في (الكشاف): ومعناه: الحض على القتال على سبيل المبالغة. [الكشاف (١٧٧/٢)]. وفي (مغني اللبيب) أنّ (ألاً) التي للاستفهام عن الثقي تختصّ بالدخول على الجملة الاسمية... [انظر: مغني اللبيب (ص: ٩٧)]، ولا يخفى أنّ كلام الزمخشري في (الكشاف) ينادي على خلافه.. وعلى الاحتمال الثاني أن يكون (ألاً) حرفاً واحداً للتحضيض فهو تحضيض على القتال. التحرير والتنوير (١٨/٥).

- (١) وقد جاء اختصاصه بالجمل الفعلية؛ لأنّ التحضيض إنما هو طلب لأمر يتجدد. وفي (شرح المفصل): «حروف التحضيض حيث حصل فيها معنى التحضيض جرت مجرى حروف الشرط في اقتضائها الأفعال، فلا يقع بعدها مبتدأ، ولا غيره من الأسماء». شرح المفصل (١٤٤/٨). وانظر: شرح مغني اللبيب، للدكتور عبد اللطيف الخطيب (٢٨٤/١).
- (٢) وقد خص ذلك بالجملة الخبرية، واستبعد الطليية؛ لأنه لا يطلب إلا ما يحصل في الخارج، والإنشاء ليس كذلك؛ لأنه لا خارج له، هذا شيء، ثم أدوات التحضيض تفيد الطلب، وطلب الطلب محال كما في (الدماميني) (ص: ١٦٠)، وشرح الدسوقي (٧٩/١).

يقولون ليلى أرسلت بشفاعةٍ إليّ فهلأ نفس ليلى شفيعها^(١).
 أمّا المركبة فنحو قوله ﷻ: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾
 [الأعراف: ١٢]، وقوله ﷻ: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ﴾ [النمل: ٣١].
 وهي مركبة من (أن) و(لا)^(٢)، فقد تكون (أن) -المخففة-، وقد
 تكون النّاصة للفعل، وقد تكون المفسرة. وقد تكون (لا) النّائية، وقد
 تكون (لا) النّافية، وقد تكون الزائدة كما في (مصاييح المعاني)^(٣).

(١) البيت ينسب لمجنون ليل (قيس بن الملوح) في ديوانه (ص: ١٥٤)، ولإبراهيم الصولي في
 ديوانه (ص: ١٨٥)، ولابن الدّمينية في ملحق (ديوانه) (ص: ٢٠٦)، وقيل: للّصمة بن
 عبد الله القشيري، وقيل غير ذلك. انظر: شرح البغدادي (١١٩/٢)، شواهد المغني
 (٢٢١/١)، الخزانة (٥٩/٣)، (٢٤٧/١٠)، (٢٦١/١١)، نهاية الأرب في فنون الأدب.
 والشاهد في البيت قوله: (فهلأ) حيث أبدل الهمزة هاء، والأصل: (ألا). وفيه شاهد آخر
 حيث أضمر فيه ضمير (كان) الشّانية، والتّقدير: فهلأ كان نفس ليلى شفيعها، فاسم (كان)
 ضمير الشّان المحذوف، وخبرها الجملة الفعلية، وذلك أنّ (هلاً) تختصّ بالجمع الفعلية.
 انظر: حاشية محمد الأمير (٧٠/١)، الدّماميني والشّمني (١٦٠/١)، شرح الأشموني مع
 حاشية الصّبّان (٥٢/٤)..
 وسيأتي مزيد من البيان لذلك.

(٢) جاء في (شرح المفصل): «و(ألا) في معناها مركبة من (أن) و(لا)، ومعناها كلّها: التّحضيض
 والحثّ، إذا وليهنّ المستقبل كنّ تحضيضاً، وإذا وليهنّ الماضي كنّ لوماً وتوبيخاً فيما تركه
 المخاطب، أو يقدر فيه التّرك، نحو قول القائل: أكرمت زيدا، فتقول: هلاًّ خالداً، كأنك
 تصرفه إلى إكرام خالدٍ أو تحثّه عليه، أو تلومه على ترك إكرامه». شرح المفصل (١٤٤/٨)،
 الدّماميني (٣٨٧/٢). وذلك أنّ أدوات التّحضيض إنما هي لطلب الفعل والحضّ عليه، وهذا
 ظاهر إذا كان الفعل مضارعاً، أمّا إذا كان ماضياً فإنها تدخل إليه على معنى اللّوم على تركه، ولا
 يكون اللّوم على تركه إلا وهو مطلوب، فأشبهت (لام الأمر)، فلذلك اختصّت بالفعل كما
 اختصّت (لام الأمر) به لكونها للطلب. انظر: الدّماميني (١٦٠/١)، إيضاح ابن الحاجب (٢/٢٣٤)،
 شرح مغني اللّبيب، للدكتور عبد اللطيف الخطيب (١/٤٨٢).

(٣) مصاييح المعاني (ص: ٤٧-٤٨).

والحاصل أنها ليست هنا للتَّحْضِيض، بل هي كلمتان: (أن) النَّاصِبَة، و(لا) النافية أو (أن) المفسرة و(لا) النَّاهِيَة.. وسيأتي بيان ما له من أدوات التَّحْضِيض ذكر في القرآن الكريم.

ب. حروف التَّحْضِيض:

حروفُ التَّحْضِيض هي: (هَلَّا)، و(أَلَّا)، و(لَوْلَا)، و(لو ما) لها صدرُ الكلام، وتلزم الفعل لفظًا أو تقديرًا^(١)، ويكون معناها إذا دخلت في الماضي: (التَّوْبِيخُ واللُّومُ على ترك الفعل)، ومعناها في المضارع: (الحضُّ على الفعل والطلب له)، فهي في المضارع بمعنى الأمر، ولا يكون التَّحْضِيض في الماضي الذي قد فات، إلا أنها تستعمل كثيرًا في لوم المخاطب على أنه ترك في الماضي شيئًا يمكنه تداركه في المستقبل، فكأنها من حيث المعنى للتَّحْضِيض على فعل مثل ما فات. وقلما تستعمل في المضارع أيضًا إلا في موضع التَّوْبِيخِ واللُّومِ على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه، فإن خلا الكلام من التَّوْبِيخِ، فهو العَرَضُ، فتكون هذه الأحرف للعرض^(٢).

وتستعمل في ذلك المعنى: (أَلَا) مخففة، أيضًا، و(لو) التي فيها معنى التَّمْنِي، نحو: (لو نزلت فأكلت)، و(أما) نحو: (أما تعطف عليّ)، قوله: (وتلزم الفعل لفظًا)، نحو: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ﴾

(١) انظر: الجني الداني (ص: ٥٠٩)، رصف المباني (ص: ٧٩).

(٢) قال الضَّبَّان: «ولا يبعد عندي أنهم بالاشتراك إذا دخلن على الماضي كُنَّ توبيخًا على ترك الفعل في الماضي، وتحضيضًا على فعل مثله في المستقبل فتدبر». حاشية الضَّبَّان (٤/ ٥٠ - ٥١).

[طه: ١٣٤]، و[القصص: ٤٧]. ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ [الحجر: ٧] أو تقديرًا نحو قول الشاعر:

(تَعْدُونَ عَقْرَ الثَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ
بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمُقْتَنُ)^(١).
ويجوز: (هَلَّا زَيْدًا ضَرَبْتَهُ).

وجاءت الاسميّة بعدها في ضرورة الشعر، نحو قوله -الآنف الذكر-:
(يَقُولُونَ لَيْلَى أَرْسَلْتَ بِشَفَاعَةٍ إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا).

وإذا وليها الظرف فهو منتصب بالفعل الذي بعده، لا بمقدر قبله، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٩]؛ لأنَّ الظرف يتسع فيه. وأمّا إذا كان الفاصل منصوبًا غير الظرف، نحو: (هَلَّا زَيْدًا ضَرَبْتَ) فهو على الخلاف الذي مضى، ولزومها صدر الكلام لما مرَّ^(٢).

(١) وهو من قول جرير يهجو الفرزدق. انظر: ديوان جرير رقم [٢] (ص: ٩٠٧)، الكامل في اللغة والأدب، للمبرّد (٢٢١/١)، خزانة الأدب (٢٦٢/١)، (٣/٥٥-٥٩)، (١١/٢٦٠). «على أنَّ الفعل مقدّر بعد (لولا) التّحضيضية. أي: لولا تعدّون. و(الكمي): الشّجاع مفعول أوّل لهذا المقدّر بتقدير مضاف. والمفعول الثّاني محذوف، والتّقدير: لولا تعدّون عقر الكمي أفضل مجدكم. و(المقنع): الذي وضع على رأسه البيضة والمغفر، و(بني ضوطرى) منادى، وهي كلمة سبّ وذمّ. خزانة الأدب (١١/٢٦٠)، شرح الأشموني مع حاشية الصّبّان (٤/٥١). ومعنى (بَنُو ضَوْطَرَى) قيل: حَيٌّ معروف أو قبيلة، وقيل: (الضّوّطرى) الحَقَمَى قال ابن سيده: وهو الصّحيح. ويقال للقوم -إذا كانوا لا يَغْنَوْنَ غَنَاءً: بَنُو ضَوْطَرَى. لسان العرب، مادة: (ضطر) (٤/٤٨٩)، المخصص، لابن سيده (٤/١٣٠)، (٤/٤٩٦)، وانظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/٤٣٣).

(٢) شرح الرّضي على كافية ابن الحاجب (٤/٤٤٣-٤٤٤).

وفي (الفروق): «والتَّحْضِيضُ، وصيغه أربع، وهي: (أَلَّا) بالتشديد، نحو: (أَلَّا تَشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ)، و(هَلَّا)، و(لَوْ مَا)، و(لَوْلَا) نحو: (هَلَّا أَوْ لَوْ مَا أَوْ لَوْلَا اشْتَغَلْتُ بِهِ)، فَإِنَّ هَذِهِ الصِّيغَ كُلُّهَا إِمَّا لِلطَّلَبِ أَوْ يَتَّبِعُهَا الطَّلَبُ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا، وَلَا يَلْزِمُهَا صَدَقَ وَلَا كَذَبَ، فَهِيَ كَالْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِي إِنْشَاءً»^(١).

وتأتي (لولا) للدلالة على امتناع شيء لوجود غيره، وهو كثير جدًا كقول عامر بن الأكوع رضي الله عنه^(٢):

(تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا)^(٣).

وما يعيننا هنا هو دلالة (لولا) على التَّحْضِيضِ...

وأما (هل) فلم تتركب إلا مع (لا) وحدها للتَّحْضِيضِ.

ج. (لولا) التَّحْضِيضِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ:

وبعد أن ذكرنا أدوات التَّحْضِيضِ، وما لها من المعنى، وبعد أن

(١) (الفروق، للقرافي (١/٤١)، وانظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١/١٧٠)، (٣/١٣٠٨)، ومغني اللبيب (ص: ٧٩)، وتنظر أدوات التَّحْضِيضِ أيضًا في (تفسير الرازي) (٢٩/٤٣٨).

(٢) هو عامر بن سنان الأنصاري عم سلمة بن عمرو بن الأكوع استشهد عامر بن سنان يوم (خير). الاستيعاب، (٢/٧٨٥)، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٤/٣٠٣)، الإصابة (٣/٥٧٦)، وانظر: إيضاح الإشكال، للمقدسي (ص: ٩٠).

(٣) انظر: الاكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (٢/١٦٤)، السيرة النبوية، لابن كثير (٣/٣٤٦-٣٤٧)، زاد المعاد (٣/٢٨١)، سبل الهدى والرشاد (٥/١١٦)، البداية والنهاية (٤/٢٠٨)، الاستيعاب (٢/٧٨٦).

أتيتُ على بيان ذلك مجملاً فإنني أُنقل هنا إلى التحليل والتفصيل من حيث مواضع هذه الأدوات من القرآن الكريم، حيث يعتبر ما يأتي هنا بمثابة النماذج التطبيقية لما قُرر آنفاً. وأعرض في هذه الفقرة الأداة الأولى من أدوات التحضيض، وهي (لولا) ثم أُنقل إلى الأدوات الأخرى.

ولا بدَّ أولاً من بيان أنَّ (لولا) للتحضيض^(١)، فهي بمعنى: (هلاً)^(٢):

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨]^(٣).

(١) قال ابن هشام في (المغني) (ص: ٣٦١) في بيان معنى (لولا): «وتكون بمعنى التحضيض والعرض فتختص بالمضارع كقوله ﷻ: ﴿لَوْلَا سَتَقِفُونَ اللَّهَ﴾ [النمل: ٤٦]، أو ما في تأويله [أقول: أي: ماضياً لفظاً، ومستقبلاً من حيث المعنى، وذلك كقوله ﷻ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ [الفرقان: ٢١]، وقوله ﷻ: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]». وانظر الآيات: [الأنعام: ٨]، [يونس: ٢٠]، [هود: ١٢]، [الرعد: ٧ - ٢٧]، [الفرقان: ٧]، [العنكبوت: ٥٠]. قال ابن يعيش: «فقد وليه الماضي، إلا أنَّ الماضي هنا في تأويل المستقبل؛ لأنه في معناه، والتقدير: (إنَّ أَخَّرْتَنِي أَصَدَّقَ)، ولذلك جزم ﴿وَأَكُنْ﴾ [المنافقون: ١٠]، بالعطف على موضع فأصَدَّقَ». انظر: شرح المفصل، لابن يعيش (١٤٤/٨)، وانظر: الكليات (ص: ٧٩٠)، شرح الأشموني على الألفية مع حاشية الصبان (٥٠/٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٤٣/٧)، (٣٢/٢٨)، البحر المحيط (١٩٢/٥)، التسهيل، لابن مالك (١١٢/٤ - ١١٣).

(٣) (لولا) هنا للتحضيض، وحروف التحضيض إذا دخلت على الماضي كان معناها: (التوبيخ واللوم على ترك الفعل)، بمعنى: (لم يفعله). ومعناها في المضارع: (تحضيض الفاعل على الفعل والطلب له في المضارع)، بمعنى الأمر، والمعنى: هلاً يكلمنا الله. انظر: تفسير ابن جزي (١٨٢/١).

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾
[النساء: ٧٧]^(١).

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْآثِمَ وَاللَّهُمَّ السَّخْتُ﴾
[المائدة: ٦٣]^(٢).

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]^(٣).

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الأنعام: ٣٧].

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا نَضَرِعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣]^(٤).

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢]^(٥).

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾

[يونس: ٢٠].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨]^(٦).

(١) (لولا) للتخصيص بمعنى: هلاً، وهي كثيرة في القرآن. انظر: البحر المحيط (٣/٣١٠).

(٢) ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ﴾ عرض وتخصيص وتقريع. انظر: تفسير ابن جزي (١/١٨٢).

(٣) ﴿لَوْلَا﴾ هنا تخصيصية، أي: هلاً أنزل إليه ملك. انظر: الدر المنثور (٣/١٤)، تفسير ابن عادل (٤٨٣/١٤)، البحر المحيط (٤/٨٢).

(٤) ﴿فَلَوْلَا﴾ هذا عرض وتخصيص. انظر: تفسير ابن جزي (٢/٩).

(٥) «والمقصود أن ﴿نَفَرَ﴾ في الآية ماضٍ، وإنما يفهم منه الاستقبال؛ لأن التخصيص يؤذن به. والتحقق في هذا الموضع أن لفظة: (لولا) و(هلاً) إن تجرّد للتوبيخ لم يتغير الماضي عن وضعه، وإن تجرّد للتخصيص تغير إلى الاستقبال، وإن كان توبيخاً مشرباً معنى التخصيص صلح للأمرين...». بدائع الفوائد، لابن القيم (٤/٩٩٥ - ٩٩٦).

(٦) (لولا) هنا للتخصيص بمعنى: هلاً. انظر: تفسير ابن جزي (٢/٩٩)، البحر المحيط (١/٤٠٣)، =

﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢].
 ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي
 الْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦].
 ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد: ٧]، [الرعد: ٢٧].
 ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ
 بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥]^(١).
 ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]^(٢).
 ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [طه: ١٣٣].
 ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا

= وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٤٤). وقد ذكروا أنها - أعني: (لولا) - تكون نافية بمعنى: (لم)، وجعل منه قوله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمِنَتْ﴾، ولكن الظاهر أن المعنى على التوبيخ، أي: فهلاً كانت قرية واحدة من القرى المهلكة ثابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها ذلك. انظر: ذلك مفصلاً في (بصائر ذوي التمييز) (٦/ ٣٦)، الإتيان (١/ ٥١١). وسيأتي أن (لولا) هنا للتوبيخ والتنديد. انظر: (مجيء أدوات التحضيض للتوبيخ والتنديد) من البحث.

(١) قوله ﷻ: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ﴾ تحضيض فيه معنى الإنكار والتعجيز، أي: هلاً يأتون عليهم على ألوهيتهم أو على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بين. [أي: بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم. وهو تبكيت لهم وإقام حجر. انظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٢١٠)، تفسير القرطبي (١٠/ ٣٦٦)، وانظر: الكشف (٢/ ٤٧٤)، تفسير السمرقندي (٢/ ٢٩٣).

(٢) (لولا) للتحضيض، أي: هلاً إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حدث الله ﷻ على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٨٥)، المحرر الوجيز (٣/ ٥١٨)، تفسير الثعالبي (٢/ ٣٨١)، تفسير أبي السعود (٥/ ٢٢٣)، البحر المديد (٤/ ١٦٠).

فَنَتَّبِعْ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْذِلَ وَنَخْزِيَ ﴿١٣٤﴾ [طه: ١٣٤] ^(١).
 ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ
 ﴿١٣٥﴾ [النور: ١٣٥] ^(٢).
 ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [النور: ١٣٥].
 ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ [النور: ١٣٦].
 ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رُسُولٌ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ
 إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان: ٧] ^(٣).
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾
 [الفرقان: ٢١].

- (١) و(لولا) هذه هي التحضيضية، أي: هلاً أرسلت إلينا رسولا من عندك.. انظر: البحر المحيط (١١٧/٧)، تفسير أبي السعود (١٧/٧)، روح المعاني (٩٠/٢٠)، فتح القدير (٢٥٢/٤).
 (٢) ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ تلويح للخطاب، وصرف له عن رسول الله ﷺ وذويه إلى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في (لولا) التحضيضية من التوبيخ. انظر: تفسير أبي السعود (٣١/٥)، وانظر: تفسير النيسابوري (١٦٧/٥). وفي (روح المعاني) (١١٧/١٨): ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ التفات إلى خطاب الخائضين ما عدا من تولى كبره منهم. واستظهر أبو حيان [في (البحر المحيط) (٤٠٢/٦)] كون الخطاب للمؤمنين دونه [أي: من تولى كبره]، واختير الخطاب لتشديد ما في (لولا) التحضيضية من التوبيخ، ولتأكيد التوبيخ عدل إلى الغيبة في قوله ﷺ: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٣٥] لكن لا بطريق الإعراض عن المخاطبين وحكاية جناياتهم لغيرهم، بل بالتوسل بذلك إلى وصفهم بما يوجب الإتيان بالمحض عليه، ويقتضيه اقتضاء تاماً، ويزجرهم عن ضده جزراً بليغاً. وانظر: غرائب القرآن (١٦٧/٥)، والسراج المنير (٦٧٣/٢).
 (٣) أي: هلاً، وتأتي للتوبيخ. انظر: الكشاف (٨٣/٣)، نظم الدرر (٢٩٨/٥)، تفسير أبي السعود (١١٢/٣)، روح المعاني (٩٧/٧)، تفسير ابن كثير (٣١١/٣).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].
 ﴿قَالَ يَلْفُورٌ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالْسِّيئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٦) [النمل: ٤٦].

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
 إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ [القصص: ٤٧]^(١).

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوفِيَ مِثْلَ مَا أُوفِيَ مُوسَى﴾
 [القصص: ٤٨].

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠].
 ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾
 [فصلت: ٤٤]^(٢).

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١)
 [الزخرف: ٣١].

﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٣].
 ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلَهَةً﴾
 [الأحقاف: ٢٨].

(١) أي: هلاً أرسلت إلينا رسولاً. انظر: البحر المحيط (٧/ ١١٧)، فتح القدير (٤/ ٢٥٢).
 ﴿لَوْلَا﴾ هنا حرف امتناع، و﴿لَوْلَا﴾ الثانية عرض وتحضيض. انظر: تفسير ابن جزي
 (١٠٧/ ٣).

(٢) ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض بمعنى: هلاً، وحرف التَّحْضِيزُ إذا دخل على الماضي كان
 معناه: اللوم والتوبيخ على ترك الفعل، فهو في الماضي بمعنى الإنكار. انظر: روح المعاني
 (١٢٩/ ٢٤).

- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ [محمد: ٢٠] ^(١).
- ﴿فَنَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٧].
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢].
- ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠].
- ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣].
- ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦] ^(٢).
- ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨].
- ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفِكَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠] ^(٣).
- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨].

د. (لوما) التَّحْضِيضِيَّة فِي الْقُرْآن:

جاءت (لوما) ^(٤) التَّحْضِيضِيَّة فِي (آية واحدة): ﴿وَقَالُوا يَتَّخِذُ الْوَلَدُ

(١) «(لولا) حرف مستعمل هنا في التَّمني، وأصل معناه: التَّخصيص فأطلق وأريد به التَّمني لأنَّ التَّمني يستلزم الحرص، والحرص يدعو إلى التَّحْضِيض». التَّحْزِير والتَّنْوِير (١٠٧/٢٦).

(٢) ويقال في الآية ما قيل في الآية السابقة.

(٣) أي: هلاً أهملتني فلولا للتَّحْضِيض. وقيل: (لا) زائدة للتَّأكيد، و(لو) للتَّمني بمعنى: (لو) أخرتني). انظر: روح المعاني (٣٥١/٤)، تفسير البغوي (٣٥١/٤)، تفسير البضاوي (٣٤٣/٥)، الحازن (١٠٢/٧)، الرَّاظِي (٥٥٢/٣٠)، فتح القدير (٣٢٧/٥).

(٤) و«(لوما) بمنزلة (لولا) تقول: (لوما زيد لأكرمك)، قال الله ﷻ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِيَا بِالْمَلِكَةِ﴾. وزعم المالقي [في رصف المباني (ص: ٢٩٧)] أنها لم تأت إلا للتَّحْضِيض. ويردّه قول الشاعر: (لو ما الإضاخة للوشاة لكان لي من بعد سخطك في رضاك رجاء).

انظر: مغني اللبيب (ص: ٣٦٤). ولم أهدد لقاتل البيت. انظر البيت في شرح الشواهد، =

نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ [الحجر: ٦-٧].

أي: هَلَّا تَأْتِينَا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على إنذارك^(١).

فإن ﴿لَوْ مَا﴾ ، في هذه الآية الكريمة للتَّحْضِيضِ ، وهو طلب الفعل طلبًا حثيًا^(٢) ، ومعنى الآية: أَنَّ الْكَفَّارَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ طَلَبَ تَحْضِيضٍ أَنْ يَأْتِيَهُم بِالْمَلَكَةِ؛ ليكون إتيان الملائكة معه دليلًا على صدقه أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وإنَّ (لو) ترَكَّبَ مع (لا) و(ما) لمعنيين.

الأوَّلُ منهما: التَّحْضِيضُ ، ولا يليه إلا فعل ظاهر أو مضمر. ومثاله قوله ﷺ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ .

والثَّانِي: أَنَّهَا تَأْتِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى امْتِنَاعِ شَيْءٍ لَوْجُودِ غَيْرِهِ ، فيختصُّ بالأَسْمَاءِ ، ويرتفع الاسم بعده بالابتداء ، نحو قولنا: (لوما زيد لأكرمته). وفي (أسرار التكرار): «قوله ﷺ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ وفي غيرها: ﴿لَوْلَا﴾ لأنَّ (لولا) تأتي على وجهين:

= للبغداديّ (١٣١/٥) ، والشَّاهد فيه أَنَّ (لوما) امتناعيّة ، وهذا يبطل قول من زعم أَنَّهَا لا تأتي إلا للتَّحْضِيضِ . وانظر أيضًا شواهد أخرى غير هذا البيت في (تفسير الطبري) (٦/١٤) ، الكشاف (٣٨٧/١) ، معاني القرآن ، للفرَّاء (٨٤/٢) . وما يعيننا هنا ما يدلُّ على التَّحْضِيضِ .

(١) انظر: الكشاف (٣٨٧/٢) ، تفسير ابن عادل (٤٣٠/١١) ، تفسير السَّفي (٣٨٧/٢) .

(٢) أضواء البيان (٢٥٤/٢) ، وانظر: التَّحْزِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (١٤٣/٧) ، الكشاف (٣٨٧/٢) .

أحدهما: امتناع الشيء لوجود غيره، وهو الأكثر.
والثاني: بمعنى: هلاً، وهو للتَّحْضِيض، ويختصُّ بالفعل و(لولا)
بمعناه. وخصَّت هذه السُّورة بـ: ﴿لَوْ مَا﴾ موافقة لقوله ﷻ: ﴿رُبَّمَا
يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، فإنها أيضاً ممَّا
خُصَّت به هذه السُّورة^(١).

هـ. مجيء أدوات التَّحْضِيض للتَّوْبِيخ والتَّنْذِير:
وقد ترد أدوات التَّحْضِيض للتَّوْبِيخ والتَّنْذِير، فتختصُّ بالماضي أو
ما في تأويله^(٢) نحو: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ

- (١) أسرار التكرار، للكرماني (ص: ١١٨).
(٢) وقد سبق (في بيان حروف التَّحْضِيض) أنها إذا وليها الماضي كان فيها معنى التَّوْبِيخ. انظر:
الجنى الداني (ص: ٦٠٦). وقال ابن هشام في (المغني) في بيان معنى: (لولا): «وتكون
للتَّوْبِيخ والتَّنْذِير فتختصُّ بالماضي، نحو: ﴿لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ﴾ [النور: ١٣]،
﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلَهَةً﴾ [الأحقاف: ٢٨]. ومنه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ
سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ [التور: ١٦]، إلا أنَّ الفعل أُخِرَ [أي: عن (لولا)]، وفُصل بينهما
بـ: ﴿إِذَا﴾، والظروف يتوسَّع بها.. وقد فُصِّلَتْ [(لولا)] من الفعل [الموْبِخ] بـ: (إِذَا) و(إِذَا)
معمولين له [أي: في حال كونهما معمولين للفعل المتأخَّر عنهما]، وبجملة شرطية
معتزلة، فالأول نحو: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ ، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾
[الأنعام: ٤٣]، والثاني والثالث نحو: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ ٨٧ ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ ٨٨
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ٨٩ ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ ٩٠ ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ [الواقعة:
٨٣-٨٧]. المعنى: فهلاً تُرجعون الرُّوح إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مريوين، وحالتكم
أنكم تشاهدون ذلك، ونحن أقرب إلى المُخْتَضِر منكم بعلما، أو بالملائكة ولكنكم لا
تشاهدون ذلك، و(لولا) الثانية تكرار للأولى. مغني اللبيب (ص: ٣٦٢)، وكذلك في
(الفريد) (٤/٤٢٣). وانظر: حاشية الصَّبان على الأشموني (٤/٥١). وقال أبو حيَّان:
«و﴿إِذَا﴾ ليست شرطاً، بل ظرفاً يعمل فيها ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ المحذوف بعد ﴿فَلَوْلَا﴾ لدلالة =

يُؤْسَ ﴿ [يونس: ٩٨]. وقوله ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [النور: ١٣]. وقوله: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ [الأحقاف: ٢٨].

وفي (البحر): «(لولا) هنا هي التحضيضية التي صاحبها التوبيخ، وكثيراً ما جاءت في القرآن للتحضيض، فهي بمعنى: (هَلَّا)»^(١).

وتأتي وفيها معنى الإنكار كما في قوله ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥] تحضيض فيه معنى الإنكار^(٢). وقد سبق أن حرف التحضيض إذا دخل على الماضي كان معناه: اللوم والتوبيخ على ترك الفعل، فهو في الماضي بمعنى الإنكار.

و. (ألا) أداة عرض وتحضيض:

وهي قسمان:

الأول: (ألا) - بالفتح والتخفيف - أداة عرض وتحضيض.

= ﴿تَرْجُونَهَا﴾ في التحضيض الثاني عليه، فجاء التحضيض الأول مقيداً بوقت بلوغ الحلقوم، وجاء التحضيض الثاني معلّقاً على انتفاء مربوبيتهم، وهم لا يقدرّون على رجوعها؛ إذ مربوبيتهم موجودة فهم مقهورون، لا قدرة لهم. البحر المحيط (٢١٥/٨)، تفسير ابن عادل (٤٤٥/١٨). وقوله ﴿لَوْلَا﴾ للتحضيض لإظهار عجزهم. انظر: التحرير والتنوير (٣٤٥/٢٧)، أسرار التكرار، للكرمانيّ (ص: ١٥١). وما يترجّح لديّ أن ما ذكر من معنى التحضيض في (لولا) هنا هو تحضيض يؤول أمره إلى التعجيز، وذلك أنهم لا يستطيعون ذلك حتماً. وذلك على حدّ قوله ﴿لَوْلَا﴾: ﴿وَلَا يَكُنْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾. [البقرة: ٢٣]. والحكم في (لوما) هو كالحكم في (لولا)..

(١) البحر المحيط (١٩٢/٥)، وانظر: فتح القدير (٦٨٦/٢).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (٢١٠/٥)، وتفسير ابن عادل (٤٣٨/١٢).

والثاني: (ألا) - بالفتح والتشديد - الدالة على التحضيض.

وبيان ذلك على النحو التالي:

أولاً: (ألا) - بالفتح والتخفيف - أداة عرض وتحضيض:

وتختص بالمضارع^(١).

﴿أَلَا تَقْنَلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرْءٌ﴾ [التوبة: ١٣]. (ألا) حرف عرض، ومعناه هنا: الحضُّ على قتالهم. وزعموا^(٢) أنها مركبة من همزة الاستفهام، و(لا) النافية، فصار فيها معنى التخصيص^(٣). قال الزجاج: هذا على وجه التوبيخ، ومعناه: الحضُّ على قتالهم^(٤). وقال الزمخشري: «دخلت الهمزة على ﴿لَا تَقْنَلُونَ﴾ تقريراً بانتفاء المقاتلة، ومعناه: الحضُّ عليها على سبيل المبالغة»^(٥).

وقال البقاعي في (نظم الدرر): قال الله ﷻ: ﴿أَلَا﴾ هو حرف عرض، ومعناه هنا: الحضُّ لدخول همزة الإنكار على النافي فنفته، فصار مدخولها مثبتاً على سبيل الحث عليه، فهو أبلغ مما لو أثبت بغير هذا الأسلوب»^(٦).

(١) انظر: روح المعاني (٢٣٨/١٨)، البحر المحيط (١٩٢/١)، دراسات لأسلوب القرآن (١٩٦/١).

(٢) سبق بيان ذلك مفصلاً.

(٣) البحر المحيط (١٨/٥)، وانظر: المحرر الوجيز (١٣/٣)، الكشف (١٧٧/٢).

(٤) معاني القرآن، للزجاج (٤٣٦/٢)، وانظر: زاد المسير (٤٠٥/٣).

(٥) الكشف (١٧٧/٢).

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٧٧/٣).

وقال الله ﷻ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]^(١).
 وقال الله ﷻ: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: ٩١].

وقال: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]. فإن
 الهمزة في قوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ للإنكار عليهم في عدم أكلهم، أو
 للعرض، أو للتخفيف^(٢). وفي (التحرير والتنوير): «﴿أَلَا﴾ كلمة
 واحدة، وهي حرف عَرْض، أي: رغبة في حصول الفعل الذي تدخل
 عليه. وهي هنا متعينة للعرض لوقوع فعل القول بدلا من فعل: ﴿فَقَرَّبَهُ
 إِلَيْهِمْ﴾، ولا يحسن جعلها كلمتين من همزة استفهام للإنكار مع (لا)
 النافية. والعرض على الضيف عقب وضع الطعام بين يديه زيادة في
 الإكرام بإظهار الحرص على ما ينفع الضيف، وإن كان وضع الطعام
 بين يديه كافيا في تمكينه منه. وقد اعتبر ذلك إذنا عند الفقهاء في
 الدعوة إلى الولائم، بخلاف مجرد وجود مائدة طعام أو سفرة؛ إذ
 يجوز أن تكون قد أعدت لغير المدعو»^(٣).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٣٤٢)، الإتيان (٢/٢١٥)، مصابيح المعاني (ص: ٤٦).
 وفي (التحرير والتنوير): «الاستفهام في قوله ﷻ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ إنكارِي مستعمل في
 التخفيف على السعي فيما به المغفرة، وذلك العفو والصفح في قوله ﷻ: ﴿وَلْيَعْفُوا
 وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢]». التحرير والتنوير (١٨/١٨٩).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/١٨٩)، تفسير ابن عادل (١٨/٨٥)، وكذلك في (تفسير السراج
 المنير) (٤/٩٠).

(٣) التحرير والتنوير (٢٦/٣٥٩-٣٦٠)، وانظر: تفسير البيضاوي (١/٢٣٨).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠-١١]. قال الزمخشري: «وفي ﴿أَلَا يَنْقُوتُونَ﴾ : -بالياء وكسر الثؤن- وجه آخر، وهو أن يكون المعنى: (ألا يا ناس اتقون)، كقوله: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ [النمل: ٢٥]»^(١).

قال أبو حيان تعقيبا على ما قاله الزمخشري: «يعني: وحذف ألف (يا) خطأ ونطقا؛ لالتقاء الساكنين، وهذا تخريج بعيد. والظاهر أن ﴿أَلَا﴾ للعرض المضمّن الحضّ على التّقوى، وقول من قال: إنها للتنبيه لا يصحّ، وكذلك قول الزمخشري: إنها للتّفي دخلت عليها همزة الإنكار»^(٢). والحاصل أن ﴿قَوْمَ﴾ بدل، وجملة: ﴿أَلَا يَنْقُوتُونَ﴾ مستأنفة، و﴿أَلَا﴾ أداة عرض.

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥]. قوله: ﴿حَوْلَهُ﴾ : ظرف مكان متعلّق بالصلّة المقدّرة. و﴿أَلَا﴾ أداة عرض.

(١) الكشف (١٠٦/٣). فقد قرئ بكسر الثؤن اكتفاء به عن ياء التّكلم. انظر: تفسير أبي السّعود (٢٣٦/٦)، البحر المحيط (٨/٧)، تفسير البيضاوي (٢٣٣/٤)، تفسير الرّازي (٤٩٥/٢٤)، روح المعاني (٦٤/١٩).

(٢) البحر المحيط (٨/٧). وانظر ذلك مفضّلا في (روح المعاني) (٦٤/١٩)، وانظر ما دلّت عليه الآية من التّحضيض في (البرهان في علوم القرآن) (٣٤٢/٢). وانظر: مشكل إعراب القرآن، للخراط (ص: ٣٦٧).

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٦].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٤].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا نُنْقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٢].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا نُنْقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٧].

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا نُنْقُونَ﴾ [الصافات: ١٢٤]. وبيان ذلك أن

يقال: إنَّ قوله ﷻ حكاية عن الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- في

مجموع هذه الآيات: ﴿أَلَا نُنْقُونَ﴾ عرض رقيق وتلطف كما قال ﷻ:

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَ﴾ [النازعات: ١٨]^(١). وفي (البحر):

«عرض عليهم برفق تقوى الله ﷻ»^(٢).

ومن ذلك ما قيل في قوله ﷻ:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤]. فقد قيل:

الظاهر أنَّها: ﴿أَلَا﴾ التَّحْضِيضِيَّة، حَضَّهم على ذلك، ويكون (الظنُّ)

بمعنى: اليقين^(٣). ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ﴾ المطففون الموصوفون بذلك

الوصف الشنيع الهائل. فقلوه: ﴿أَلَا﴾ ليست هي الَّتِي لِلتَّنْبِيهِ؛ لَأَنَّ ما

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢٤٢/٤)، وانظر: تفسير الثعالبي (١٥١/٣)، ومشكل إعراب

القرآن، للخراط (ص: ٣٧١)، وينظر: إعراب القرآن وبيانه (٩٩/٧)، (١٠٩/٧).

(٢) البحر المحيط (٢٩/٧).

(٣) انظر: الكشف (٢٣١/٤)، تفسير ابن عادل (٢٠٩/٢٠)، مفردات القرآن، مادة: (ظنُّ)

(ص: ٣١٧)، السراج المنير (٥٦٨/٤)، الرَّاظي (٢٣١/٢٨)، القرطبي (٢٥٤/١٩).

بعد حرف التَّنبِيه مثبتٌ، وهنا منفيٌّ؛ لأنَّ ﴿أَلَا﴾ التَّنبِيهِيَّةُ إذا حذفت لا يختلُّ المعنى، نحو: (أَلَا إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)، وإذا حذفت ﴿أَلَا﴾ هذه اختلَّ المعنى، بل الهمزة الاستفهاميَّة الإنكارِيَّة داخلة على (لا) النَّافِيَّة. وجوِّز أن تكون للعرض والتَّحْضِيض على الظَّنِّ^(١).

أقول: ولعلَّ الأقرب أنَّها للإنكار والتَّعْجِيب من عظيم حالهم في الاجتراء على التَّطْفِيف كأنَّهم لا يعتقدون ﴿أَنْتُمْ مَبْعُوثُونَ﴾^(٢)، وهو الَّذي يترجَّح لديَّ، فهو الأقرب إلى ما يفهم من ظاهر النَّص.

ثانياً: (أَلَا) - بالفتح والتَّشْدِيد - الدَّالَّة على التَّحْضِيض:

إنَّ (أَلَا) - المشدَّدة المفتوحة - ليس لها في الكلام إلا موضع واحد، وهي أن تكون تحضيضاً، ولا عمل لها، وتليها الأفعال لا غير؛ لأنها تطلبها. وإن وليها الأسماء فعلى تقدير الفعل. فإن قلت: (ألا زيدا) فعلى إضمار فعلٍ دلَّ عليه الكلام. وتبدلُ همزتها هاء^(٣)، فيقال: هلاً تقوم، هلاً تضرب زيدا...^(٤).

وقد مثَّلوا لـ (أَلَا) المشدَّدة من القرآن الكريم بقول الله ﷻ:

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥].

ولم أجد في القرآن إلا هذا المثال لـ: (أَلَا) المشدَّدة الدَّالَّة على

التَّحْضِيض.

(١) روح البيان (٣٦٣/١٠).

(٢) ولم يذكر الرَّخْشَرِي غيره. انظر: الكشاف (٢٣١/٤).

(٣) انظر: الجنى الدَّاني (ص: ٣٨٣).

(٤) رصف المباني (ص: ٨٤).

أَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾ [النمل: ٣١]، فَإِنَّ (أَلَّا) هُنَا لَيْسَتْ لِلتَّحْضِيضِ، وَإِنَّمَا لَمَّا سَبَقَ بَيَانُهُ مِنْ كَوْنِهَا كَلِمَتَانِ: (أَنْ) النَّاصِبَةُ وَ(لَا) النَّافِيَةُ أَوْ (أَنْ) الْمَفْسُورَةُ وَ(لَا) النَّاهِيَةُ..
وَقَدْ حَقَّقْتُ ذَلِكَ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُ عَيْنُ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْطَانِيُّ فِي (الْإِتْقَانِ)، حَيْثُ قَالَ:

«(أَلَّا) -بِالْفَتْحِ وَالتَّشْدِيدِ- حَرْفٌ تَحْضِيضٌ، وَلَمْ يَقَعْ فِي الْقُرْآنِ لِهَذَا الْمَعْنَى -فِيمَا أَعْلَمَ- إِلَّا أَنَّهُ يَجُوزُ عِنْدِي أَنْ يَخْرُجَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾ فَلَيْسَتْ هَذِهِ، بَلْ هِيَ كَلِمَتَانِ: (أَنْ) النَّاصِبَةُ، وَ(لَا) النَّافِيَةُ، أَوْ (أَنْ) الْمَفْسُورَةُ وَ(لَا) النَّاهِيَةُ»^(١).
وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: (تَسْجُدُونَ) -بِتَاءِ الْخَطَابِ وَنُونِ الرَّفْعِ-. وَقُرِئَ كَذَلِكَ بِالْيَاءِ مِنْ تَحْتِ، فَمَنْ أَثْبَتَ نُونِ الرَّفْعِ فَـ ﴿أَلَّا﴾ -بِالتَّشْدِيدِ أَوْ التَّخْفِيفِ- لِلتَّحْضِيضِ، وَقَدْ تَكُونُ الْمَخْفَفَةُ لِلْعَرْضِ أَيْضًا نَحْوُ: (أَلَّا تَنْزُلُ عِنْدَنَا فَتَحَدَّثُ)^(٢).

(١) الْإِتْقَانُ (١/٤٤٢) .

(٢) انظر: الكشاف (٣/١٤٤ - ١٤٥)، تفسير أبي السعود (٦/٢٨٢)، ابن عادل (١٥/١٧٤)، البيضاوي (١/٢٦٤)، الرَّاظِي (٢٤/٥٥٥)، معاني القرآن، للفرَّاء (٢/٢٩٠)، وانظر: رصف المباني (ص: ٨٥). وقد قرأ الجمهور: (أَلَّا) -بِالتَّشْدِيدِ-. وقرأ بالتَّخْفِيفِ الكسائيُّ. انظر: السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ، لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ٤٨٠)، والكشف عن وجوه القراءات السَّبع وعللها وحجتها، لِمَكِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (٢/١٥٦)، الفريد (٣/٦٨١).

وفي (روح المعاني): «قرأ الأعمش: (هَلَّا يسجدون) على التَّحْضِيضِ، وإسناد الفعل إلى ضمير الغائبين. وفي قراءة أبي^(١): (أَلَا تسجدون) على العرض وإسناد الفعل إلى ضمير المخاطبين. وفي حرف عبد الله: (أَلَا هَلْ تَسْجُدُونَ) بـ: (أَلَا) الاستفاحية، و(هل) الاستفهامية، وإسناد الفعل إلى ضمير المخاطبين.....»^(٢).
وقد فَصَّلَ ذلك ابن عطية في (المحرر الوجيز)^(٣).



(١) هو أبي بن كعب رضي الله عنه سيد القراء .

(٢) روح المعاني (١٩/١٩١).

(٣) المحرر الوجيز (٤/٢٥٦-٢٥٧). السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص: ٤٨٠)، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجتها (٢/١٥٦)، الفريد (٣/٦٨١).

الفصل الثالث

النِّداء في القرآن الكريم

يتضمَّن:

المبحث الأول

التعريف بالنِّداء، وذكر أقسامه

المبحث الثاني

في بياض أدوات النِّداء وما وليها.

وبيان المستخدم في القرآن من هذه الأدوات.

المبحث الثالث

صيغ النِّداء في القرآن

المبحث الرابع

تقسيم المنادى إلى معرب ومبني

المبحث الخامس

بيان ما ولي المنادى

المبحث السادس

خروج صيغة النِّداء عن معناها الأصلي

خاتمة في بيان الأهداف والمقاصد العامة

المبحث الأول

التعريف بالنداء

● توطئة

وبادئ ذي بدء أتعرض لبيان معنى النداء وتوضيح أهميته، وما له من مكانة بارزة في اللغة، فله دوره في الحياة البشرية ووظيفته في التواصل بين الناس إمّا للحوار بينهم، وإمّا لأغراض أخرى تفهم من السياق أو السباق. وافتتاح الكلام بالنداء دليل على الاعتناء والتنبية بما سيلقى على المخاطب -بفتح الطاء المهملة-، وكأنّه يُعَدُّ نفسه ويهيئها؛ لتلقّي ما يقال له. كما أنّ النداء أسلوبٌ من أساليب الخطاب يتذوّق المخاطب -بفتح الطاء المهملة- ما فيه من روعة الأسلوب وبلاغته، وما يتضمّنه من الأمر أو النهي أو الإرشاد أو التوجيه أو الحوار. وفيه: حثٌّ على الاهتمام بموضوع الكلام، ودعوة للتبصر فيه، فيكون ما فيه من التنبية والاتصال مع المخاطب -بفتح الطاء المهملة- أدعى إلى استجابته، وتأمله؛ لما يحويه ذلك الخطاب من المعاني والقيم، وهو متيقّظ فطن، وعلى بصيرة بالعاقبة والمآل لمن استجاب أو أعرض.

وقد أفردته في هذا الفصل؛ لأنه قد ينفك عن الأمر والنهي، ويجيء في الخبر والاستفهام - كما سيأتي بيان ذلك -؛ ولكثرته في القرآن الكريم..

قال العزُّ بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ: «النِّداء تنبيه للمنادى؛ لسمع ما يلقي إليه بعد النِّداء من الكلام؛ ليعمل بمقتضاه؛ ولذلك كثر النِّداء في القرآن»^(١).

ولا بُدَّ من التعريف به قبل الخوض في التَّفريعات ذات الصِّلة بموضوع البحث، وذلك كأساسٍ لا بُدَّ منه في مبحث مطوَّل عن (النِّداء في الخطاب القرآني)، حيث إنَّ النِّداء هو من صلب الموضوعات؛ وذلك لما فيه من الخطاب بصيغة من صيغ الخطاب المباشرة بين المنادي - بكسر الدال المهملة - والمنادى - بفتح الدال المهملة -.

وكذلك كانت العناية والاهتمام بدراسة (ما ولي المنادي)؛ وذلك لأنَّ النِّداء في القرآن الكريم إنما جاء بأداة واحدة، هي (يا) ظاهرة أو مقدَّرة على الرَّاجح من الأقوال - على ما سيأتي - بخلاف الأمر والنهي - مثلاً - من أساليب الخطاب القرآني، والذي يأتي بأدوات وأساليب متعدِّدة.

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢١٧)، وسيأتي مزيد بيان الأهميَّة والمقاصد في نتائج البحث.

ويتضمَّن هذا المبحث:

المطلب الأول

مادّة النداء في القرآن الكريم، وبيان اللُّغات في لفظ
النداء، وما يتعلّق بالاشتقاق.

ويتضمَّن:

- ١ - مادّة النداء في القرآن الكريم.
- ٢ - بيان أوجه النداء في القرآن الكريم.
- ٣ - بيان اللُّغات في لفظ النداء، وما يتعلّق بالاشتقاق.

المطلب الثاني

تعريف النداء لغةً واصطلاحاً، وتوضيح المعنى من
خلال تفسير الآيات.

ويتضمَّن:

- ١ - تعريف النداء لغةً واصطلاحاً.
- ٢ - توضيح معنى النداء من خلال تفسير آيات.
- ٣ - بيان من الذي ينادى؟

المطلب الثالث

أقسام النداء في القرآن الكريم في الجملة وبيان ما
يصحب النداء.

ويتضمن ذكر أقسام القرآن الكريم جملة مع بيان ما يصحب النداء.
وبيان ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول
مادّة النداء في القرآن الكريم،
وبيان اللُّغات في لفظ النداء،
وما يتعلّق بالاشتقاق

وقد جاءت على النحو التّالي:

- أولاً: مادّة النداء في القرآن الكريم
 ثانياً: بيان أوجه النداء في القرآن الكريم
 ثالثاً: بيان اللُّغات في لفظ النداء، وما يتعلّق بالاشتقاق

• أولاً : مادة النداء في القرآن الكريم

وأما مادة (النداء) في الخطاب القرآني فهي على النحو التالي ..

﴿نَدَّاءٌ﴾ [البقرة: ١٧١]، [مريم: ٣].

﴿فَنَادَتْهُ﴾ [آل عمران: ٣٩].

﴿مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿يُنَادِي﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿نَادَيْتُمْ﴾ [المائدة: ٥٨].

﴿وَنَادَاهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢].

﴿وَنُودُوا﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿وَنَادُوا﴾ [الأعراف: ٤٦]، [الزخرف: ٧٧].

﴿نَادَى﴾ [الأعراف: ٤٤ - ٤٨ - ٥٠]، [مريم: ٣]،

[الأنبياء: ٧٦ - ٨٣ - ٨٩]، [الشعراء: ١٠]، [ص: ٤١]، [القلم: ٤٨].

﴿نَادُوا﴾ [الكهف: ٥٢].

﴿فَنَادَتْهَا﴾ [مريم: ٢٤].

﴿وَنَدَيْتُهُ﴾ [مريم: ٥٢]، [الصافات: ١٠٤].

﴿نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]^(١).

(١) النَّدِي: المجلس، يقال: نَدَيْ وِنَادٍ، والجمع الأنديّة، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَتَأْتُونَكَ فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧]، و(النَّادِي): الْمَجْلِسُ يَنْدُو الْقَوْمُ حَوْلَيْهِ، وهو النَّدِي، والأنديّة جُمعُه. وَسَمِيَتْ (دَارُ النَّدْوَةِ) بِمَكَّةَ لِبَنِي هَاشِمٍ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا حَزَبَهُمْ أَمُرٌ نَدَّوْا إِلَيْهَا فَاجْتَمَعُوا لِلتَّشَاوُرِ. وَنَدَا فُلَانٌ النَّاسَ: أَي: دَعَاهُمْ يَنْدُوهُمْ. وَقِيلَ: (دَارُ النَّدْوَةِ): دَارُ الدَّعْوَةِ إِلَى الطَّعَامِ. وَنَادَيْتُهُ مُنَادَاةً، أَي: =

﴿تُودَى﴾ : [طه: ١١] ، [النمل: ٨] ، [القصص: ٣٠] ،
[الجمعة: ٩].

﴿نَادَيْنَا﴾ : [القصص: ٤٦].

﴿يُنَادِيهِمْ﴾ : [القصص: ٦٢] ، [القصص: ٦٥] ، [القصص: ٧٤] ،
[فصلت: ٤٧].

﴿نَادِيكُمْ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

﴿نَادَيْنَا﴾ : [الصفّات: ٧٥].

﴿فَنَادَوْا﴾ [ص: ٣] ، [القمر: ٢٩].

﴿نَادَتْهُ﴾ : [النّازعات: ١٦].

﴿يُنَادُونَكَ﴾ : [غافر: ١٠].

﴿النَّادِ﴾ : [غافر: ٣٢].

﴿يُنَادُونَكَ﴾ : [الحجرات: ٤].

﴿يُنَادِ﴾ : [ق: ٤١].

﴿النَّادِ﴾ [ق: ٤١].

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ : [الحديد: ١٤].

﴿فَنَادَوْا﴾ : [القلم: ٢١].

﴿نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧]

= جالسته. و(تَنَادَى الْقَوْمُ)، جَلَسُوا فِي نَادِيهِمْ، وَاتَّخَذُوا: كَذَلِكَ. انظر: تاج العروس، مادة: ندا) (٥٥/٤٠)، مختار الصحاح، (ص: ٦٨٨)، اللّباب في علل البناء والإعراب (٣٢٨/١). أقول: ويتبيّن ممّا سبق الصّلة الوثيقة بين النداء الَّذي هو الدّعاء بأيّ لفظٍ كان وبين النّدي أو النّادي الَّذي يدعى أو ينادى له.

• ثانيًا: أوجه النداء في القرآن الكريم

ذكر بعض المفسرين أنَّ النداء في القرآن على (ستة) أوجه:
أحدها: الأذان، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: ٥٨]، وقوله عز وجل: ﴿إِذَا نَادَىٰ تَوَدَّىٰ لِلصَّلَاةِ مِنَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩].

والثاني: الدعاء، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءَ خَفِيٍّ﴾ [٣] ﴿مريم: ٣﴾، وقوله عز وجل: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقوله عز وجل: ﴿وَيُؤْتِيكَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقد سبق بيان ذلك في (الدعاء في القرآن الكريم).
والثالث: التكليم^(١)، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَنَادَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦].

(١) ومن مراتب الوحي: ((التكليم من وراء حجاب، كما كلم موسى -عليه السلام-؛ ولهذا سمى الله ﷻ هذا: (نداء) و(نجاء) فقال ﷻ: ﴿وَنَادَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقَتْهُ يَمِينًا﴾ [٥٢] ، وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا أَنَّهُمَا تَوَدَّىٰ يَنْمُوسَىٰ﴾ [١١] ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاسْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ [١٢] وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [١٣] [طه: ١١-١٣]. وهذا التكليم مختص ببعض الرسل، كما قال ﷻ: ﴿بَلَّغْ الرُّسُلَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال بعد ذكر إيجائه إلى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]). كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٢/٤٠١).

والرَّابِع: الأمر، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] ^(١).

والخامس: التَّفخ في الصُّور، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَسْتَبِيعَ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] ^(٢).

والسادس: الاستغاثة، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، وقوله عز وجل: ﴿وَنَادَوْا بِمَلَائِكِهِمْ﴾ [الزخرف: ٧٧] ^(٣).

(١) أقول: ولعلَّ مما يستدلُّ به لذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [القصاص: ٤٤] .

(٢) المنادي هنا (إسرافيل) -عليه السلام- الذي ينفخ في الصُّور. والنداء (نفخه، سَمِي (نداء) من حيث إنَّه جعله علماً للخروج وللحشر، وإنما يقع ذلك النداء كأذان المؤذن، وعلامات الرِّحيل في العساكر. وقيل: هو النداء حقيقة، فيقف على الصَّخرة، ويضع إصبعه في أذنيه، وينادي: أَتَيْتُهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةَ، والأوصال المتقطعة، واللُّحوم المتمزقة، والشُّعور المتفرقة: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ. وقيل: (إسرافيل) ينفخ (جبرائيل) ينادي بالحشر. انظر: تفسير ابن جزي (٦٦/٤)، التَّنْفِي (٢٤١/٤)، تفسير الرَّازِي (١٥٦/٢٨)، القرطبي (٢٧/١٧)، فتح القدير (١١٤/٥).

(٣) أقول: وقد اختلف المفسرون في أنَّ قولهم: ﴿وَنَادَوْا بِمَلَائِكِهِمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ على أيِّ الوجه طلبوه؟ فقال بعضهم: على التَّمني. وقال آخرون: على وجه الاستغاثة، وإلَّا فهم عالمون بأنَّه لا خلاص لهم من ذلك العقاب. وقيل: لا يبعد أن يقال: إنهم لشدة ما هم فيه نَسُوا تلك المسألة تذكرة على وجه الطَّلَب. انظر: تفسير ابن عادل (٢٩٥/١٧)، السُّراج المنير (٦٧٩/٣)، تفسير الرَّازِي (٦٥١/٢٧). أقول: ثُمَّ إِنَّ مَالِكًا -عليه السلام- يقول لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ [الزُّخْرَف: ٧٧]. وليس في القرآن متى أجابهم؟ هل أجابهم في الحال أو بعد ذلك بمدة؟ وما مقدار المسافة بين المناذِي -بفتح الدال المهملة- والمناذِي -بكسر الدال المهملة-؟ وذلك لأنَّ القرآن لا يُعْنَى إِلَّا بالمقاصد والمهمَّات، ولا علاقة للزَّمان والمكان =

وقد ألحق بعضهم وجهًا سابعًا فقال: و(النِّداء): الوحي، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]^(١).

● ثالثًا: بيان اللغات في لفظ النداء، وما يتعلّق بالاشتقاق

(النداء) فيه ثلاث لغات أشهرها: كسر النون مع المدّ، ثمّ مع القصر، ثمّ ضمّها مع المدّ، واشتقاقها من (ندى الصّوت)، وهو بعده. يقال: (فلان أندى صوتًا من فلان) إذا كان أبعد منه صوتًا^(٢). وفي (المصباح): «(النداء) الدّعاء، وكسر النون أكثر من ضمّها، والمدّ فيهما أكثر من القصر»^(٣) - وسيأتي مزيد من التفصيل في بيان معنى (النداء) لغة-.

وفي (حاشية الصّبان)^(٤) ذكر أنّ لغاته أربع حيث ذكر ذلك تعليقًا

= والمسافة بالحدّث، وكذلك لا يُعنى غالبًا بذكر الأشخاص فعندما يذكر فرعون مثلاً لا يذكر من هو؟ مع أنّ فرعون لقب لجميع ملوك (مصر) في تلك الحقبة من الزّمن؛ وذلك لما قرّرت من أنّ القرآن لا يعنى إلّا بالمهمّات والمقاصد الشّريفة.. وما يعنينا هنا ما قيل من أنهم قالوا ذلك على وجه الاستغناء.

(١) انظر: نزّهة الأعين التّواظر في علم الوجوه والتّظاير (ص: ٥٩٣-٥٩٤). وفي (البحر): «وقال الجمهور: إنّ النداء كان بواسطة الوحي». البحر المحيط (٤/٢٨١). وينظر ذلك المعنى في (التّحرير والتّنوير) (٨/٦٠).

(٢) شرح الأسمونيّ على ألفيّة ابن مالك (٣/١٣٣)، وانظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك (٢/١٠٥١).

(٣) المصباح المنير، مادّة: (ندا) (٢/٥٩٨).

(٤) هو محمّد بن علي الصّبان، أبو العرفان، عالم بالعربيّة والأدب، مصريّ. مولده ووفاته =

على ما جاء في (ألفية ابن مالك):

(بِالْجَرِّ وَالْتَنْوِينِ وَالنَّدَا وَالْأَنِّ وَمُسْتَدِلِّ لِّلْأَسْمِ تَمْيِيزُ حَصَلُ) ^(١).

«فعلم أن لغاته أربع، وأنَّ القصر في عبارة المصنّف [يقصد ابن مالك] ليس للضرورة، بل على لغة، لكنَّ المكسور الممدود مصدرٌ قياسي، وغيره سماعي؛ لأنَّ قياس مصدر (فاعل) كنادى الفاعل والمفاعلة، وقد وجهت لغة الضمِّ والمدُّ بأنه لما انتفت المشاركة في (نادى) - كما لا يخفى - كان في معنى فعل بلا ألف، فمن ضمَّ ومدَّ لم يراع جهة اللَّفْظِ المقتضية للكسر والمدُّ، بل راعى جهة المعنى؛ لأنَّ المصدر المقيس للفعل الدَّال على الصَّوت (فعال) كصرّاح ونباح. وصرّح كثيرٌ بأن المضموم اسمٌ لا مصدر» ^(٢).

وقد ناسب أن يعقب بيان اللُّغات في لفظ النداء، وما يتعلّق بالاشتقاق: ما يتعلّق بمعنى النداء لغةً واصطلاحاً كأساسٍ لا بُدَّ منه، وبيان اهتمام المفسّرين في تجلية ذلك المعنى.



= بالقاهرة [١٢٠٦هـ]. انظر ترجمته في (الأعلام) (٢٩٧/٦)، فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (٧٠٥/٢)، معجم المؤلفين (١٧/١١)، عجائب الآثار، للجبرتي (١٣٧/٢).

(١) ألفية ابن مالك (ص: ٩).

(٢) بقليل من التصرف عن (حاشية الضبان على شرح الأشموني) (٣٧/١).

المطلب الثاني
تعريف النداء لغة واصطلاحاً
وتوضيح المعنى من خلال تفسير الآيات

● ويتضمّن:

- ١ - تعريف النداء لغة واصطلاحاً ..
 - ٢ - توضيح معنى النداء من خلال تفسير آيات.
 - ٣ - بيان من الذي ينادى؟
 - ٤ - حذف أداة النداء في الخطاب القرآني.
 - ٥ - حذف المنادى -بفتح الدال المهملة-.
- وبيان ذلك على النحو التالي:

● أولاً: تعريف النداء لغة واصطلاحاً

أمّا تعريف النداء لغة فهو: الدُّعاء بأيّ لفظٍ كان، وناداه مناداة ونداء، أي: صاح به. و(النداء) بالضم والكسر. وفي (الصّحاح): «(النداء): الصّوت، وقد يُضَمُّ مثْلُ الدُّعاءِ والرُّغَاءِ»^(١).

وقال الرّاعب: «(النداء): رفع الصّوت وظهوره، وقد يقال ذلك للصّوت المجرّد، وإيّاه قصد بقوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعُوّ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً﴾ [البقرة: ١٧١]، أي: لا يعرف إلّا الصّوت المجرّد دون المعنى الذي ييقّضه ترتيبُ الكلام، ويقال للحرف الذي فهم منه المعنى ذلك. قال عز وجل: ﴿وَإِذَا نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ [الشعراء: ١٠]، وقوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٥٨]، أي: دعوتهم، وكذلك: ﴿إِذَا تُودَىٰ الصَّلَاةُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩].

ونداء الصّلاة مخصوص في الشّرع بالألفاظ المعروفة، وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَكَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، فاستعمال النداء فيهم؛ تنبيهاً على بعدهم عن الحقّ في قوله: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١]، ﴿وَنَذِيقُهُ مِنَ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾ [النمل: ٨]، وقوله: ﴿إِذَا

(١) الصّحاح، للجوهري، مادة: ندا (٢٥٠٥/٦).

نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ [مريم: ٣]، فَإِنَّهُ أَشَارَ بِالنِّدَاءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ تَصَوَّرَ نَفْسَهُ بَعِيدًا مِنْهُ بِذُنُوبِهِ..

ثُمَّ قَالَ -أَي: الرَّاعِب-: «وَأَصْلُ (النِّدَاءِ) مِنَ النَّدَى. أَي: الرُّطُوبَةِ، يُقَالُ: صَوْتُ نَدَى رَفِيعٍ، وَاسْتِعَارَةُ (النِّدَاءِ)؛ لِلصَّوْتِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ مَنْ تَكَثَّرَ رُطُوبَةُ فَمِهِ حَسُنَ كَلَامُهُ؛ وَلِهَذَا يُوصَفُ الْفَصِيحُ بِكَثْرَةِ الرَّيْقِ»^(١).

و(نَادَيْتُهُ) و(نَادَيْتُ بِهِ مُنَادَاةً وَنِدَاءً): صَاحَ بِهِ^(٢).

وَأَمَّا تَعْرِيفُ النِّدَاءِ اصْطِلَاحًا فَهُوَ: «طَلَبُ الْإِقْبَالِ بِحَرْفِ نَائِبِ مَنْابٍ: (أَدْعُو)^(٣) مَلْفُوظٌ بِهِ أَوْ مَقْدَّرٌ^(٤). وَالْمَرَادُ بِالْإِقْبَالِ: مَا يَشْمَلُ الْإِقْبَالَ الْحَقِيقِيَّ وَالْمَجَازِيَّ الْمَقْصُودَ بِهِ الْإِجَابَةُ كَمَا فِي نَحْوِ: (يَا اللَّهُ)^(٥). وَالْحَاصِلُ أَنَّ النِّدَاءَ هُوَ طَلَبُ الْمَنَادِي بِأَحَدِ حُرُوفِ النِّدَاءِ. وَالتَّحْوِيلُ يَرُونِ فِي حَرْفِ النِّدَاءِ وَالْمَنَادِي بَعْدَهُ جُمْلَةً مَقْدَّرَةً، فَقَوْلُكَ: (يَا زَيْدُ) بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: (أَدْعُو زَيْدًا)، وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ الْإِنْشَاءِ الْوَارِدِ بِصِيغَةِ الْخَبَرِ.

(١) بِقَلِيلٍ مِنَ التَّصَرُّفِ عَنْ (مَفْرَدَاتِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ)، مَادَّةُ: (نَدَا) (٢/٤١٤-٤١٥).

(٢) وَانْظُرْ: الصُّحَاخُ، لِلْجَوْهَرِيِّ، مَادَّةُ: (نَدَا) (٦/٢٥٠٥)، تَاجُ الْعُرُوسِ (٤٠/٥٨-٨٩)، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (١٥/٣١٣)، وَالْمُصْبَاحُ الْمُنِيرُ (٢/٥٩٨-٥٩٩)، وَانْظُرْ: حَاشِيَةُ الصَّبَّانِ عَلَى شَرْحِ الْأَشْمُونِيِّ (٣/١٣٣).

(٣) انْظُرْ: الْمُقْتَضِبُ، لِلْمَبْرَدِ (٤/٢٠٢)، وَانْظُرْ: الْأَصُولُ فِي النَّحْوِ، لِابْنِ السَّرَاجِ (١/٣٤٠).

(٤) وَعَرَّفَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بِأَنَّهُ ((اسْتِدْعَاءُ الْمُخَاطَبِ إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنْهُ)). نَزْهَةُ الْأَعْيُنِ الثَّوَاظِرُ (ص: ٥٩٢)، وَانْظُرْ: شُرُوحُ تَلْخِيصِ الْمِفْتَاحِ (٢/٣٣٤-٣٣٥).

(٥) حَاشِيَةُ الصَّبَّانِ (٣/١٣٣).

وقد نصَّ على ذلك الشُّيوطيُّ في (همع الهوامع)^(١).
والحرف قد يكون ملحوظًا نحو: ﴿يَتَّعَدُمُ﴾ [البقرة: ٣٣]، أو
مقدَّرًا نحو: ﴿يُؤَسِّفُ أَعْرَضُ﴾ [يوسف: ٢٩].
وهنا أورد صاحب الحاشية على الأشموني^(٢) اعتراضين ثمَّ أجاب
عنهما:

قال: «ولا يرد: (يا زيد لا تقبل)؛ لأنَّ (يا) لطلب الإقبال لسماع
النَّهي، والنَّهي عن الإقبال بعد التَّوجه. واعترض نيابة حرف النداء عن
(أدعو) بأنَّ (أدعو) خبر، والنداء إنشاء، وأجيب بأنَّ (أدعو) نقل إلى

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢/ ٣٢)، وانظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي (ص: ١٣٦). وفي (المغني): ((حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة، أو حكمًا، وقد ينادى بها القريب توكيدًا. وقيل: هي مشتركة بين القريب والبعيد. وقيل: بينهما وبين المتوسط، وهي أكثر أحرف النداء استعمالًا؛ ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها نحو: ﴿يُؤَسِّفُ أَعْرَضُ﴾ [يوسف: ٢٩])). مغني اللبيب (ص: ٤٨٨). وعند المالقي والمرادي حرف موضوع لنداء البعيد مسافة أو حكمًا.. الجنى الداني (ص: ٣٥٤)، رصف المباني (ص: ٣٥٤)، توضيح المقاصد (٢/ ١٠٥١). -وسيأتي تحقيق ما يترجَّع من حيث المعنى بالنسبة لنداءات القرآن-. وقوله: (حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكمًا)، أي: كالتائم والغافل والساهي فهو ينزَّل منزلة البعيد.. انظر: مصابيح المعاني (ص: ٤٢٤)، حاشية الشيخ محمد الأمير على المغني (٢/ ٤١). وسيأتي أيضًا بيان ذلك مفصلاً..

(٢) وهو العلامة الصُّبان، وقد سبق التعريف به.. والأشموني هو علي بن محمد بن عيسى بن محمد الأشموني الأصل، ثمَّ القاهري، الشَّافعي، (نور الدِّين) نحوي، فقيه، فرضي، منطقي، ناظم. ولد في شعبان، وتوفي في [١٧] ذي الحِجَّة. [٩١٨هـ]. من آثاره: تعليقه على (الأنوار لعمل الأبرار)، للأردبي في فروع الفقه الشَّافعي، نظم (إيساغوجي) في المنطق، وشرح ألفية ابن مالك في النُّحو. معجم المؤلِّفين (٧/ ٢٢٥).

الإِنْشَاء»^(١).

● ثانيًا: توضيح معنى النداء من خلال تفسير آيات

تتوجّه العناية والاهتمام هنا إلى إبراز هذا المعنى من ثنايا التفسير، وفي ظلال النصوص القرآنية، وذلك ممّا لا يستغني عنه الباحث في هذا المجال، ولعلّ ممن أفاد وأجاد في توضيح بعض المعاني المتعلقة بالنداء العلامة المفسّر محمد الطاهر بن عاشور في (التحرير والتنوير). وقد رأيت أن أنقل بعض ما ذكره ممّا يثري هذا الموضوع، وهو بمثابة نماذج تطبيقية؛ لتوضيح معنى النداء في الخطاب القرآني، وفيه نظرات رائعة لمعانٍ تتعلّق بالنداء بما يفيد موضوع البحث، ويزيد في توضيح مفهوم النداء حركةً وتألقاً.

يقول مثلاً في بيان معنى قوله عز وجل:

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣]: «أرادوا به النبيّ محمّداً صلى الله عليه وسلم. و(المنادي) -بكسر الدال المهملة-: الذي يرفع صوته بالكلام. و(النداء): رفع الصّوت بالكلام رفعاً قوياً؛ لأجل الإسماع، وهو مشتقّ من (النداء) -بكسر النون وبضمّها-، وهو الصّوت المرتفع. يقال: (هو أندى صوتاً)، أي: أرفع، فأصل (النداء): (الجهر بالصّوت والصّياح به)، ومنه سمّي دعاء الشّخص شخصاً ليقبل إليه: (نداء)؛ لأنّ من شأنه أن يرفع الصّوت به؛ ولذلك

(١) حاشية الصّبان (١٣٣/٣).

جعلوا له حروفاً ممدودة مثل: (يا) و(آ) و(أيا) و(هيا)^(١). ومنه سمّي (الأذان): نداء^(٢)، وأطلق هنا على المبالغة في الإسماع والدعوة - وإن لم يكن في ذلك رفع صوت. - ويطلق النداء على طلب الإقبال بالذات أو بالفهم بحروف معلومة كقوله ﷻ: ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُ﴾ [١٤] قَدْ صَدَقْتَ الرَّيًّا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٥]. ويجوز أن يكون هو المراد هنا؛ لأن النبي ﷺ يدعو الناس بنحو: (يا أيها الناس)، و(يا بني فلان)، و(يا أمة محمد)، ونحو ذلك^(٣). وذكر أيضاً في قول الله ﷻ:

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢] «أنّه مستعمل في المعنى المشهور: وهو (طلب الإقبال)، على أنّ الإقبال مجازي لا محالة، فيكون كقوله ﷻ: ﴿وَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، وهو كثير في الكلام. ويجوز أن يكون مستعملاً في الكلام بصوت مرتفع كقوله ﷻ: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُو بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: ١٧١]، وقوله ﷻ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ورفع الصوت يكون؛ لأغراض، ومحملة هنا^(٤) على أنّه صوت غضب وتوبيخ. وظاهر إسناد النداء إلى الله ﷻ أنّ الله ﷻ

(١) سيأتي بيان حروف النداء، والمستخدم من ذلك في القرآن الكريم.

(٢) سبق بيان ذلك في أوجه النداء.

(٣) يعني قول الله ﷻ مخاطباً آدم عليه السلام وحواء: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢].

التحرير والتنوير (١٩٩/٤).

(٤) يعني قول الله ﷻ: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾

ناداهما بكلام بدون واسطة مَلَك مرسل، مثل: الكلام الذي كلَّم الله ﷺ به موسى عليه السلام، وهذا واقع قبل الهبوط إلى الأرض، فلا ينافي ما ورد من أن موسى عليه السلام هو أوَّل نبيِّ كلَّمه الله ﷺ بلا واسطة. يجوز أن يكون نداء آدم عليه السلام بواسطة أحد الملائكة^(١).

ومن ذلك ما قيل في قول الله ﷻ:

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾ [الكهف: ٥٢] أَنَّ (النداء): «طلب الإقبال للنصرة والشفاعة. و(الاستجابة): الكلام الدالُّ على سماع النداء، والأخذ في الإقبال على المنادي بنحو قول: (ليكم). وأمره إياهم بمناداة شركائهم مستعمل في معناه مع إرادة لازمه، هو إظهار باطلهم بقرينة فعل الزعم؛ ولذلك لم يسعهم إلا أن ينادوهم حيث قال: ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ لطمعهم، فإذا نادوهم تبين لهم خيبة طمعهم؛ ولذلك عطف فعل الدُّعاء بالفاء الدالَّة على التَّعقيب. وأتى به في صيغة الماضي؛ للدلالة على تعجيل وقوعه حيثئذٍ حتى كأنَّه قد انقضى^(٢).

(١) بقليل من التصرف عن المصدر السابق (٦٦/٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣٤٥/١٥). وقد جاء معنى (النداء) في كتب التفسير مع زيادة في الإيضاح والبيان، فمن ذلك ما قيل في قوله ﷻ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءَ خَفِيًّا ۝٢﴾ [مريم: ٣] «أَنَّ النداء: أصله رفع الصوت بطلب الإقبال. ويطلق النداء كثيرًا على الكلام الذي فيه طلب إقبال الذات لعمل أو إقبال الذهن لوعي كلام؛ فلذلك سُميت الحروف التي يفتح بها طلب الإقبال: حروف النداء. ويطلق على الدُّعاء بطلب حاجة وإن لم يكن فيه نداء؛ لأنَّ شأن الدُّعاء في المتعارف أن يكون جهرًا. أي: تضرعًا؛ لأنَّه أوقع في نفس =

ويتبين ممّا سبق: أهميّة إبراز ما يتعلّق بالنداء من المعنى في ثنانيا التفسير، وبيان الحكمة من استخدام أداة النداء، وكذلك (ما ولي المنادى) من الأمر أو النهي أو الاستفهام أو الخبر؛ لأنّ القصد من النداء: دعوة المخاطب -بفتح الطاء المهملة-؛ ليُقبل على المخاطب -بكسر الطاء المهملة-، ويتنبّه إلى مضمون الخطاب، ويعلم فائدة الاستجابة، وليكون على حذر من عاقبة الإعراض. قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَى مَا قَدِمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۖ﴾ [الكهف: ٥٧].

وقال حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۖ﴾ [نوح: ٧].

= المدعو. ومعنى الكلام: أنّ زكريّا عليه السلام قال: (يا رب) بصوتٍ خفيٍّ. وإنما كان خفيًّا؛ لأنّ زكريّا عليه السلام رأى أنّه أدخل في الإخلاص، مع رجائه أنّ الله ﷻ يجب دعوته لئلا تكون استجابته مما يتحدّث به الناس؛ فلذلك لم يدعه تضرّعًا، وإن كان التضرّع أعون على صدق التوجّه غالبًا، فلعلّ يقين زكريّا عليه السلام كافٍ في تقوية التوجّه، فاختر لدعائه السّلامة من مخالطة الرّياء. ولا منافاة بين كونه نداءً، وكونه خفيًّا؛ لأنّه نداء من يسمع الخفاء. التّحرير والتّنوير (٦٣/١٦). وفي موضع آخر: النداء: الكلام الدّالّ على طلب الإقبال، وأصله: جهر الصّوت؛ لإسماع البعيد، فأطلق على طلب إقبال أحد مجازًا مرسلًا. ومنه قوله ﷻ: ﴿إِذَا تَوَدَّعَ الصَّالُونَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]. وهو مشتقّ من (التّدى) -بفتح التّون وبالقصّر- وهو بعد الصّوت. ولم يسمع فعله إلا بصيغة المفاعلة، وليست بحصول فعل من جانبيين بل المفاعلة للمبالغة. بتصرف عن (التّحرير والتّنوير) (١٢٨/١٦).

• ثالثاً: بيان من الذي ينادى؟

وإنما ينادى المميّز الذي يعقل الخطاب. .
وقد سبق بيان أن النداء طلب الإقبال بحرف نائب مناب (أدعو) ملفوظ به أو مقدّر، والإقبال: ما يشمل الإقبال الحقيقي والمجازي المقصود به الإجابة، ولكن من الذي ينادى؟
إن الذي ينادى إنما هو المميّز؛ ولذلك وصف الله ﷻ الخطاب القرآني بأنه منزّل لقوم يعقلونه بعقولهم، ومن يعقل هو الذي يميّز؛ ولذلك يقع عليه التكليف المتفرّع عن عبوديته لله ﷻ بما يتضمّنه الخطاب القرآني، وذلك إذا كان المخاطب - بكسر الطاء المهملة - هو الله ﷻ. يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

وقد سبق في (الدعاء) التفريق بين كون المخاطب عالياً أو سافلاً أو مساوياً للمخاطب - بفتح الطاء المهملة - فأغنى عن ذكره هنا.
«وَأَمَّا نَحْوُ: ﴿يَتَأَرَضُّ﴾ [هود: ٤٤]، و﴿يَجِبَالُ﴾ [سبأ: ١٠]، فقليل: إنه من باب المجاز؛ لتشبيه ما ذكر بالميّز في الانقياد، واستعارته في النفس له على طريق الاستعارة بالكناية^(١)، و(يا) تخيل.

(١) وأمّا الاستعارة بالكناية فهي أن تذكر المشبّه وتريد المشبّه به دالاً على ذلك بإضافة شيء من لوازم المشبّه به المساوية إلى المشبّه مثل أن تشبه المنية بالسبع، ثم تفردا بالذكر مضيئاً إليها الأناب والمخالب قائلًا: (أنياب المنية) أو (مخالب المنية قد نشبت بفلان)، ونحوه: (لسان الحال ناطق بكذا) وهي لا تنفك عن التخيّل؛ فإنّ إثبات ذلك الأمر للمشبّه استعارة تخيلية. أمّا الكناية فلائّه لم يصرّح به، بل إنما دلّ عليه بذكر خواصّه ولوازمه، وأمّا الاستعارة فمجرد تسمية خالية عن المناسبة. ويسمى إثبات ذلك الأمر المختص بالمشبّه به للمشبّه =

ولك أن تقول: من الجائز أن الله ﷻ لما ذكر حال الخطاب تمييزاً فلم يقع النداء إلا لمميز، وهمزة النداء منقلبة عن واو مثل (كساء)^(١).

= استعارة تخيلية؛ لأنه قد استعير للمشبّه ذلك الأمر الذي يختص المشبّه به، وبه يكون كمال المشبّه به أو قوامه في وجه الشبّه ليخيل أن المشبّه من جنس المشبّه به. انظر: الكليات (ص: ١٠٢)، الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٢٩٠)، التعريفات (ص: ٣٥)، مختصر المعاني، للسعد (ص: ٢٢٦).

(١) حاشية الصّبان (١٣٣/٣)، وانظر: روح المعاني (٦٤/١٢)، تفسير التيسابوري (٢٤/٤)، تفسير النّسفي (١٦٢/٢)، الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٣١٢)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (ص: ٣٨٩-٣٩٠). قال الزّحشرّي: «نادى الأرض والسّماء بما ينادي به الإنسان المميّز على لفظ التّخصيص، والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله: ﴿يَتَأَرَضُ﴾، ﴿وَيَسْمَكُ﴾ ثمّ أمرهما بما يؤمر به أهل التّمييز والعقل من قوله ﷻ: ﴿أَبْلَى مَاءَكِ﴾، و﴿أَقْلَى﴾ [هود: ٤٤]، من الدّلالة على الاقتدار العظيم، وأنّ السّموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء، غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميّزون، قد عرفوا عظمتهم وجلالهم وثوابه وعقابه، وقدرته على كلّ مقدور، وتبيّنوا تحمّل طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التّوقف دون الامتثال له، والنّزول عن مشيئته على الفور من غير ريب، فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء». الكشف (٢٧١/٢)، البحر المحيط (١٨٨/٥). وفي تفسير البيضاوي (٢٣٦/٣)، والبحر المديد (٢١٦/٣) ما يفيد المعنى نفسه. أقول: والمعنى أنّه ﷻ إذا أراد تكوين الأشياء لم تمتنع عليه، ووجدت كما أرادها على الفور من غير تأخير في ذلك، كالمأمور المطيع الذي إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء، وهو المجاز الذي يسمّى بالاستعارة التّمثيلية، تمثيلاً لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالأمر المطاع الذي يأمر المتقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره مهابة من عظمتهم وخشية من أليم عقابه. والاستعارة التّمثيلية هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. والقرينة على هذا القول هي خطاب الجماد، ووجه الشبّه سرعة الاستجابة. هذا على القول الأوّل، أمّا على القول الثّاني فقد جعل الله ﷻ لها إرادة وتمييزاً فكان الخطاب على حقيقته -وهو الرّاجح كما سيأتي -.

والحاصل أن ذلك من حمل هذه الألفاظ وما كان مثلها في الكتاب
والسنة على المجاز المعروف من لسان العرب، وجعل قرينة المجاز:
الخطاب للجماد.

هذا على المذهب الأول.

والمذهب الآخر أن ذلك على سبيل الحقيقة.

ومن حمل هذا على الحقيقة جعل للأرض وللجبال إرادة يفهما من
شاء الله ﷻ له ذلك. وقد جعل الله ﷻ لكل شيء تسبيحاً كما قال
ﷻ: ﴿يَجِئَالُ أَوْيَ مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠]، وقوله ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ
الَّتِي سَبَّحَ بِهَا الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾
[الإسراء: ٤٤]. وجعل للسموات والأرض بكاءً وقولاً في مثل هذا
المعنى صحيحاً. قال الله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا
مُظْهِرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]، وقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾
[فصلت: ١١]. فخطبهما وأثبت لهما القول.

وكذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ فإنَّ العرض -التخيير-
إنما يكون للمميز..

والرَّاجح أنَّ التَّسْبِيح والاستجابة على سبيل الحقيقة، فكلُّ شيءٍ
على العموم يُسَبِّحُ الله ﷻ مثلاً تسبيحاً لا يفقهه البشر كما هو منطوق
الآية، ولو كان التَّسْبِيح ما قاله الآخرون من أنَّه أثر الصَّنعة، لكان أمراً

مفهوماً، والآية تنطق بأنه لا يفقه. ولو كان تسييحها آثار الصنعة لما كان لقوله ﷻ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨] فائدة.

والقول بالحقيقة هو القول الرَّاجح - كما أسلفت -، ولكنَّ هذا كلُّه في (الجمادات).

وأما ما يمكن التَّسييح منه فقول واحد أنَّ تسييحهم حقيقة^(١). وسيأتي مزيد من البيان في (نداء الجمادات).

● رابعاً: حذف أداة النداء في الخطاب القرآني

وكثيراً ما تحذف أداة النداء، ولا سيما في نداء الرَّبِّ ودُعائه، فتكون مقدَّرة ذهنًا، مثل:

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]^(٢)، وما كان نحو: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ [البقرة: ١٢٩]، ﴿رَبَّنَا ءِئِنَّا فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠١]، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: ٢٥٠]، ﴿عُفِّرْ أُنْكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]... إلخ. أي: يا ربَّنَا

(١) انظر: معاني القرآن، للزجاج (١٢١/٥)، المحرَّر الوجيز (٤/٤٥٩)، تفسير القرطبي (١٠/٢٦٦)، البحر المديد (٤/٩٥)، تفسير الثعالبي (٤/٢٦١)، زاد المسير (٤/٤٥٣). وانظر:

التمهيد، لابن عبد البر (٢٠/١٧٨)، (٢٢/٣٣١)، الاستذكار (١/١٠٠)، (١/٣٨٦).

(٢) ونحوه: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً﴾ [آل عمران: ٤١]، و[مريم: ١٠]، ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ونحو: ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِإِخِي﴾ [الأعراف: ١٥١]^(١)، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ [المؤمنون: ٢٦]، [٣٩]^(٢). -وقد سبق بيان ذلك في (الدعاء)..

ومن ذلك: ﴿سَنَفْرُجُ لَكُمْ أَنَّهُ الْثَقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، وهو منادى نكرة مقصودة حذف منه حرف النداء..-وسياتي بيان (نداء التكرة المقصودة)..

ومما قيل^(٣) من الحذف مع (اسم الإشارة) قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، أي: يا

(١) ونحوه: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَغْفِرْ وَأَرْحَمَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ . [ص: ٣٥]، ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨].

(٢) ونحوه: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

(٣) ((جوز الكوفيون حذف (يا) من اسم الإشارة عند النداء؛ لأنه معرفة قبل النداء. وأما البصريون فمنعوا هذا الحذف؛ لأن اسم الإشارة وإن كان معرفة قبل النداء فهو موضوع في الأصل لما يُشار إليه للمخاطب، وبين الاسم مشاراً إليه وكونه منادى - أي: مخاطباً - تنافر ظاهر، فلما أُخرج في النداء عن ذلك الأصل، وجعل مخاطباً احتيج إلى علامة ظاهرة تدل على تغييره وجعله مخاطباً، وهي حرف النداء، والكوفيون جوزوا حذف الحرف من اسم الإشارة، اعتباراً بكونه معرفة قبل النداء، واستشهاداً بقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ . وليس في الآية دليل؛ لأن ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خبر المبتدأ، كما يجيء في الحروف، فبقي على هذا من المعارف التي يجوز حذف الحرف منها: العلم والمضاف إلى (أي) معرفة كانت، والموصولات. وأما المضمرات فيشدُّ نداؤها، نحو: يا أنت، ويا إياك...)). شرح الرضي على الكافية (١/٤٢٦ - ٤٢٧)، وانظر: شرح الكافية الشافية (ص: ١٢٩١)، مغني اللبيب (ص: ٢٥٧)، وقد اختار رأي الكوفيين ابن مالك. انظر: شرح ابن عقيل (٣/٢٥٧)، توضيح المقاصد (٢/١٠٥٤ - ١٠٥٦).

هؤلاء^(١). وقال الطبري: «في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءَ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون أريد به (ثمَّ أنتم يا هؤلاء)، فترك (يا)، استغناء بدلالة الكلام عليه، كما قال ﷻ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩]. وثأويله: (يا يوسف أعرض عن هذا). والوجه الآخر أن يكون معناه: ثمَّ أنتم قوم تقتلون أنفسكم. فيرجع إلى الخبر عن ﴿أَنْتُمْ﴾. وقد اعترض بينهم وبين الخبر عنهم بهؤلاء، كما تقول العرب: (أنا ذا أقوم) و(أنا هذا أجلس)، وإذ قيل: أنا هذا أجلس كان صحيحاً جائزاً، كذلك: أنت ذاك تقوم...»^(٢).

والأداة التي تُقدَّرُ عند الحذف هي: (يا) فيما ذكر النحاة - كما سيأتي -..

● خامساً: حذف المندى

قد يُحذف المندى بعد (يا)، كقوله ﷻ: ﴿يُولِيْنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: ٥٢]، فإنَّ أداة النداء في قوله: ﴿يُولِيْنَا﴾ ينادى بها محذوف، وأنَّ ما بعدها مفعول فعل محذوف، والتقدير: (يا من

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٣/١٨٦)، البحر المديد (١/١٠٥)، الكشف والبيان (١/٢٢٩)،

الخازن (١/٧٩)، السمعاني (١/١٠٣)، الثبيان في إعراب القرآن (١/٤٨).

(٢) بتصرف عن (تفسير الطبري) (١/٣٩٦)، وانظر: تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان...).

(١/٨٤-٨٥)، الكشف والبيان (١/٢٢٩)، البحر المديد (١/١٠٥). أقول: ولكن ينبغي

أن يلاحظ الباحث ما ذكرت آنفاً في الحاشية من اختلاف البصريين والكوفيين في مثل هذا

الحذف... وأنَّ الأكثر قد اختار رأي البصريين...

بحضرتنا انظروا هلكتنا^(١).

وكما في قوله ﷻ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ [النمل: ٢٥] على تقدير:
(ألا يا اسجدوا)، أي: يا هؤلاء -وسياتي بيان ذلك مفصلاً-.
﴿يَلَيْتَ﴾ [القصص: ٧٩]، و[يس: ٢٦]، و[الزخرف: ٣٨]، أو يا
هؤلاء..، وقد سبق بيان ذلك مفصلاً في نداء (يا ليت) في التَّمني.



(١) انظر: البحر المحيط (١٢٨/٦)، روح المعاني (٢٩١/١٥)، أضواء البيان (٢٨٨/٣).

المطلب الثالث أقسام النداء في القرآن الكريم في الجملة وبيان ما يصحب النداء

والمقصود هنا ذكر ما ورد من أقسام النداء في الخطاب القرآني مجملًا، وذلك بتناول ما ذكر في كتب التفسير وعلوم القرآن مجملًا، ومتابعا غير متفرق..

أ. أقسام النداء في القرآن الكريم:

أمّا أقسام النداء في القرآن الكريم فهي (سبعة)، وذكر البعض أنها (ستة)^(١)، وهي على النحو التالي:

- ١ - نداء تنبيه مع مدح: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُلَ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]^(٢).
- ٢ - نداء تنبيه مع ذم: ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التحریم: ٧]^(٣)، ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الجمعة: ٦].

(١) ذكر الصّاوي في حاشيته على تفسير الجلالين أنها (سبعة)، تنبيه مع مدح، أو تنبيه مع ذم، أو تنبيه، أو إضافة، أو نسبة، أو تسمية، أو تخصيص. حاشية الصّاوي (٢١/١). وذكر السمرقندي في (تفسيره) المسمى: (بحر العلوم) أنّ النداء (ست) مراتب، مدح، أو ذم، أو تنبيه، أو إضافة، أو نسبة، أو تسمية. تفسير السمرقندي (١٠١/١).

(٢) سبق بيان ما يتعلق بخطاب المدح.

(٣) سبق بيان ما يتعلق بخطاب الذم.

٣ - نداء تنبيه^(١): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الانفطار: ٦].

٤ - نداء إضافة: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [العنكبوت: ٥٦].

٥ - نداء نسبة: ﴿يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]، ﴿يَبْنَىٰ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦]، ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

٦ - نداء التسمية: ﴿يَتَابِرْهِمُ أَعْرَضَ عَنْ هَٰذَا﴾ [هود: ٧٦]، ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

٧ - نداء التخصيص: ﴿يَتَاهَلْ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٦٤]^(٢).

ب. بيان ما يصحب النداء:

أمّا ما يصحب النداء فقد حَقَّقَ هذه المسألة الشَّيْطِيُّ - رحمه الله - حيث قال: «النداء: طلب إقبال المدعو على الدَّاعي بحرف نائب مناب (أدعو)^(٣)».

ويصحب في الأكثر الأمر والنهي والغالب تقدُّمه نحو:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي كَفَرَ الْيَلَّ﴾ [المزمل: ١-٢]، ﴿وَيَنْقُورِ اسْتَغْفِرُوا﴾ [هود: ٥٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ [الحجرات: ١].

(١) أي: نداء مطلق عن قيد كونه مدحاً أو ذمّاً..

(٢) يقليل من التصرف عن (حاشية الصَّاوي) (٢١/١)، تفسير السُّمَرْقَنْدِي (١٠١/١).

(٣) انظر: شروح تلخيص المفتاح (٣٣٤-٣٣٥).

وقد يتأخر نحو: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر نحو:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاذْكُرُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، ﴿وَيَقْوِمِ هَٰذِهِ نَافَةَ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا﴾ [هود: ٦٤].

وقد لا تعقبها نحو:

﴿بِعِبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الزخرف: ٦٨]^(١)، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، ﴿يَتَأْتِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحریم: ١]، ﴿وَيَقْوِمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ﴾ [غافر: ٤١]^(٢).

وسياتي تحقيق أن النداء قد ينفك عن الأمر والنهي، ويكثر مجيئه في الخبر والاستفهام مع النداء. وما ذكر هنا مجملا سياتي بيانه في مواضع متفرقة.



(١) سياتي التعقيب على ذلك.

(٢) الإتيان (٢/ ٢٢٢ - ٢٢٣).

المبحث الثاني

بيان أدوات النداء وما وليها،
وبيان المستخدم في القرآن من هذه الأدوات

المطلبُ الأوَّل: بيان أدوات النداء.

المطلبُ الثاني: في بيان أداة النداء المستخدمة في القرآن الكريم.

المطلبُ الثالث: بيان الحكمة من استخدام حرف النداء (يا) دون غيره.

المطلبُ الرَّابِع: دخول حرف النداء (يا) على الاسم في الخطاب القرآني.

المطلبُ الخامس: بيان معنى (أي) وحكمة ذكره.

المطلبُ السَّادس: حكمة التَّنبيه بـ (ها).

المطلب الأول بيان أدوات النداء

أ. التعريف بأدوات النداء:

قال الزَّمَخْشَرِيُّ في (المفَصَّل): «حروف النداء هي: (يا) و(أيا) و(هيا) و(أي) و(الهمزة) و(وا). فالثلاثة الأول لنداء البعيد، أو من هو بمنزلته من نائم أو ساه، فإذا نودي بها من عداهم فلحرص المنادي على إقبال المدعو عليه، ومفاطنته لما يدعوه له. و(أي)، و(الهمزة) للقريب، و(وا) للندبة خاصّة. وقول الدّاعي: (يا رب) و(يا الله)؛ استقصار منه لنفسه، وهضم لها، واستبعاد عن مظانّ القبول والاستماع، وإظهار للرغبة في الاستجابة بالجوار»^(١).

وعلى ذلك فإنّ أدوات النداء متعدّدة، ف (الهمزة) للقريب، و(أي) لنداء القريب، أو القريب المحبّب - كما سيأتي -، و(يا) لنداء البعيد المتوسط البعد، و(أيا) و(هيا) لنداء الشّدِيد البعد.

فأدوات النداء ثمان: (أ)، (أي)، (يا)، (أ)، (آي)، (أيا)، (هيا)، (وا).

(١) المفصّل في صناعة الإعراب (١/٤١٣)، وانظر: حاشية الصّبان على شرح الأشموني (٣/١٣٣) فما بعد. وانظر: الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربي (ص: ١٣٦)، البلاغة العربيّة، للميداني (١/٢٤٠)، البلاغة فنونها وأفنانها، للدكتور فضل حسن عباس (١/١٦٧)، جواهر البلاغة (ص: ٦٦-٦٧)، نزهة الأعين التّواظر (ص: ٥٩٢).

أَمَّا الهمزة [أ] و(أَي) فلنداء القريب.
 وأَمَّا (أَيَا) و (هَيَا) و(آ) فلنداء البعيد.
 وأَمَّا (يا) حرف لنداء البعيد حقيقةً أو حكماً، وهي أكثر أحرفه استعمالاً، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها نحو: ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي﴾ [الأعراف: ١٥١]، ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ [يوسف: ٢٩]، ولا ينادى اسم الله ﷻ، وأَيُّهَا وأَيَّتُهَا إلَّا بها^(١).

قال الزمخشري: «و(يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه. وأَمَّا نداء القريب فله (أي) و(الهمزة)، ثم استعمل في مناداة من سها وغفل - وإن قرب - تنزيلاً له منزلة من بعد، فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنيٌّ به جداً»^(٢).

وترد للتنبيه فتدخل على الفعل والحرف نحو: ﴿أَلَا يَا اسْجُدُوا﴾ [النمل: ٢٥]^(٣)، ﴿يَلَيْتَ قَوِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦].. وسيأتي بيان ذلك.

(١) انظر: الإتيان (١/ ٥٢٧)، البرهان في علوم القرآن (٤/ ٤٤٥)، وانظر: الكليات (ص: ٩٧٩)، مغني اللبيب (ص: ٤٨٨)، وانظر: تاج العروس (٤٠/ ٥٥٥).
 (٢) الكشف (١/ ٢٢٤)، وانظر أيضاً استعمال حرف النداء في (الأساليب الإنشائية في النحو العربي) (ص: ١٣٦ - ١٣٧).

(٣) قرأ الكسائي: ﴿أَلَا يَا اسْجُدُوا﴾، .. وقيل: قرأ ابن عباس وعبد الرحمن السلمي والحسن وأبو جعفر وحيد الأعرج: ﴿أَلَا يَا اسْجُدُوا﴾ - وسيأتي بيان ذلك مفصلاً. - انظر: حجة القراءات (١/ ٥٢٦ - ٥٢٧)، النشر (٢/ ٣٣٧)، الإنحاف (ص: ٣٢٦)، إبراز المعاني من حوز الأماني (٢/ ٣٣٥)، معاني القرآن، للثحاس (٥/ ١٢٦)، المحرر الوجيز (١/ ٤٥٠).

وَتُسْتَعْمَلُ (وَا) لِلنَّدْبَةِ، وَالنَّدْبَةُ هِيَ الَّتِي يُنَادَى بِهَا الْمُنْدُوبُ الْمُتَفَجِّعُ عَلَيْهِ^(١)، وَتُسْتَعْمَلُ فِي النَّدْبَةِ أَيْضًا (يَا) عِنْدَ أَمْنِ الْإِلْتِبَاسِ بِالنَّدَاءِ الْحَقِيقِيِّ، نَحْوَ مَا جَاءَ مِنْ تَفْسِيرِ لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿يَتَأَسَفُنِي عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] أَنَّ الْأَلْفَ أَلْفَ النَّدْبَةِ وَالْهَاءَ مَحْذُوفَةٌ، -وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ-.

ب. تَصَرُّفُ الْبَلِغِ فِي اسْتِعْمَالِ أَدْوَاتِ النَّدَاءِ:

١ - « قَدْ يَسْتَعْمَلُ الْبَلِغُ أَدْوَاتِ النَّدَاءِ الَّتِي لِلْقَرِيبِ فَيُنَادِي بِهَا الْبَعِيدَ، لِمَعْنَى يُرِيدُ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ، كَأَن يُرِيدُ الْإِشَارَةَ إِلَى أَنَّ هَذَا الْبَعِيدَ فِي جَسَدِهِ هُوَ قَرِيبٌ إِلَى قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ حَاضِرٌ فِي تَصَوُّرِهِ الْمُسْتَمَرِّ، وَكَأَن يُرِيدُ الْإِشَارَةَ إِلَى أَنَّهُ لَشِدَّةٌ سَمِعَهُ وَانْتَبَاهَهُ وَسُرْعَةً اسْتَجَابَتْهُ، كَأَنَّهُ قَرِيبٌ، فَهُوَ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُنَادِيَ بِأَدْوَاتِ نَدَاءِ الْبَعِيدِ.

٢ - وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ الْبَلِغُ أَدْوَاتِ النَّدَاءِ الَّتِي لِلْبَعِيدِ فَيُنَادِي بِهَا الْقَرِيبَ، لِمَعْنَى يُرِيدُ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ، كَأَن يُرِيدُ أَنَّهُ رَفِيعُ الْمَنْزِلَةِ عَالِي الْمَقَامِ، فَهُوَ لَارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهِ وَبَعْدَ مَقَامِهِ بِمِثَابَةِ الْبَعِيدِ إِلَى الْأَعْلَى فِي جَسَدِهِ، فَالْإِثْقَابُ بِهِ أَنَّ يُنَادَى بِأَدْوَاتِ النَّدَاءِ الَّتِي لِلْبَعِيدِ. وَكَأَن يُرِيدُ أَنَّهُ مُنْحَطُّ الْمَنْزِلَةِ جَدًّا، فَهُوَ لَانْحِطَاطِ مَنْزِلَتِهِ بِمِثَابَةِ الْبَعِيدِ إِلَى الْأَسْفَلِ فِي جَسَدِهِ، فَالْإِثْقَابُ بِهِ أَنَّ يُنَادَى بِأَدْوَاتِ النَّدَاءِ الَّتِي لِلْبَعِيدِ. وَكَأَن يُرِيدُ

(١) تقع (وا) في الندبة، وفيما مددت به صوتك، كما تمدّه بالندبة، وإنما أصلها للندبة، وهي من الحروف التي تنبه بها المدعو ك: (يا)، و(أيا)، و(هيا)، و(أي)، و(ألف الاستفهام). انظر: المقتضب، للمبرّد (٢٣٣/٤).

التَّعْبِيرَ عَنْ حَالَةٍ تَلْهَفُهُ وَشِدَّةِ طَلَبِهِ، فهو بمثابة المستغيث الَّذِي يَمُدُّ صَوْتَهُ فِي النَّدَاءِ، فيستعمل أدوات النداء الَّتِي لِلْبَعِيدِ لِمَا فِيهَا مِنْ مَدِّ الصَّوْتِ وَطُولِ النَّفْسِ مَعَهُ. وَكَأَن يَرِيدُ أَنَّ الْمَنَادَى غَافِلٌ شَارِدُ الذَّهْنِ أَوْ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لِلِاسْتِجَابَةِ فَهُوَ بِمِثَابَةِ الْبَعِيدِ.

٣ - وقد يخرج النداء عن المعنى الأصلي الموضوع له، فيُسْتَغْمَلُ لِدَى الْبَلَاءِ وَغَيْرِهِمْ فِي أَغْرَاضٍ أُخْرَى غَيْرِ النَّدَاءِ، وَهَذِهِ الْأَغْرَاضُ تُفْهَمُ مِنْ قَرَائِنِ الْحَالِ أَوْ قَرَائِنِ الْمَقَالِ، فَكُلُّ حَرَكَةٍ نَفْسِيَّةٍ ذَاتِ مَشَاعِرَ تَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى التَّعْبِيرِ عَنْهَا بِنداءٍ مَا بِطَرِيقَةٍ تَلْقَائِيَّةٍ، وَلَوْ لَمْ يَشْعُرْ بِأَنَّ هَذَا النَّدَاءَ يَحَقِّقُ لَهُ مَرْجُوًّا أَوْ مَأْمُولًا أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَكْرُوهًا.

كَأَن يَسْتَعْمَلَ النَّدَاءَ فِي الزَّجْرِ وَاللُّومِ، أَوْ التَّحَسُّرِ وَالتَّأْسُفِ وَالتَّفَجُّعِ وَالتَّوَدُّعِ أَوْ التَّذَبُّعِ، أَوْ الْإِغْرَاءِ، أَوْ الْاسْتِغَاثَةِ، أَوْ الْيَأْسِ وَانْقِطَاعِ الرَّجَاءِ، أَوْ التَّمْنِي، أَوْ التَّذَكُّرِ وَبُثِّ الْأَحْزَانِ، أَوْ التَّضَجُّرِ، أَوْ الْإِخْتِصَاصِ، أَوْ التَّعَجُّبِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ^(١).

وقد خَصَّصْتُ (يَا) مِنْ بَيْنِ حُرُوفِ النَّدَاءِ بِكَوْنِهَا لِنَدَاءِ الْبَعِيدِ الْمَتَوَسِّطِ الْبَعْدِ فَحَسَبَ، وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ الصَّبَّانُ فِي (حَاشِيَتِهِ عَلَى الْأَشْمُونِيِّ)^(٢)، وَمِنْ الْمَتَأَخِّرِينَ الْمَعَاصِرِينَ: الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ خَلِيفَةُ^(٣) - وَسَيَأْتِي شَرْحُ وَبَيَانُ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَدَوَاتِ

(١) البلاغة العربية، للميداني (١/٢٤٠-٢٤١).

(٢) حاشية الصَّبَّانُ عَلَى شَرْحِ الْأَشْمُونِيِّ (٣/١٣٤)، وَانْظُرْ: الْمُقْتَضِبُ، لِلْمَبْرَدِ (٤/٢٣٥).

(٣) تَفْسِيرُ سُورَةِ النِّسَاءِ (ص: ١٠٦).

النداء، والمستخدم في الخطاب القرآني من هذه الأدوات شرحًا تحليليًا مفصلاً -.



المطلب الثاني أداة النداء المستخدمة في القرآن الكريم

وأول ما يتقرر في هذا المطلب أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل من أدوات النداء في نداءاته العديدة ومواضعه الكثيرة غير (يا) ^(١) اللهم إلا ما كان من دعوى من ادَّعى أنَّ الهمزة في قراءة من قرأ، وهي قراءة سبعية ^(٢) ﴿أَمَنْ هُوَ فَتَنْتَ ءَانَاءَ أَلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزمر: ٩]

(١) (يا) حرف نداء، وهي أمُّ الباب، وزعم بعضهم أنها اسمُ فعلٍ، معناها: أنادي، وسيأتي ردُّ هذا الزعم. وعلى كثرة وقوع النداء في القرآن لم يقع نداءٌ إلاَّ بها، وهي أعمُّ حروف النداء؛ إذ ينادي بها القريب والبعيد والمستغاث والمندوب. وقد تُحذف نحو: ﴿يُوشَعُ أَعْرَضُ﴾ [يوسف: ٢٩]. انظر: الدر المصون (١/١٤٤)، تفسير ابن عادل (١/٤٠٦)، مع الهوامع (٢/٣٤). وعلى كثرة وقوع النداء في القرآن لم يقع نداءٌ إلاَّ بها. انظر: البحر المحيط (١/٢٣١)، الدر المصون (١/١٤٤)، ابن عادل (١/٤٠٦)، الثبيان في تفسير غريب القرآن، لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ص: ٦٥).

(٢) قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر والكسائي: ﴿أَمَنْ﴾ -مشددة الميم-. وقرأ ابن كثير ونافع وحمة: ﴿أَمَّنْ﴾ -خفيفة الميم-. السبعة في القراءات (١/٥٦١)، انظر القرطبي (١٥/٢٣٨)، الكشف (٣/٣٩٠)، فتح القدير (٤/٦٤٤)، تفسير النيسابوري (٥/٦١٧)، الثبيان، للعكبري (٢/٢١٤). وفي (زاد المسير): قرأ ابن كثير ونافع وحمة وأبو جعفر والمفضل عن عاصم وزيد عن يعقوب ﴿أَمَّنْ﴾ -بالتخفيف-. وقرأ الباقر بالتشديد، فأما المشددة فمعناها: أهذا الذي ذكرنا خير أم هو قانت؟ والأصل في ﴿أَمَّنْ﴾: (أم من) فأدغمت الميم في الميم. وأما المخففة ففي تقديرها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها بمعنى النداء، قال الفراء (معاني القرآن)، (٢/٤١٦) فسرها الذين قرؤوا بها فقالوا: (يا من هو قانت) وهو وجه حسن، والعرب تدعو =

بالتخفيف، وزعم أن الهمزة حرف نداء، وتقدير الكلام: يا من هو قانت.. إلخ.

فهناك من ادّعى أن القرآن استعمل أداة أخرى غير (يا) ولمرة واحدة في نداءاته^(١). وهي (الهمزة) الموضوعية لنداء القريب في قراءة: ﴿أَمِنْ﴾ - بالتخفيف - كأنَّ الله ﷻ ينادي نبيّه ﷺ فيقول له: (يا من هو قانت).. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].. إلخ. لكنَّ الصَّحيح أنَّ الهمزة هنا ليست همزة نداء، وإنما هي همزة الاستفهام المحذوفة المعادل، وهو ما رجَّحه الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة في (تفسيره لسورة النساء)^(٢)؛ وذلك لأنَّ همزة الاستفهام تحتاج إلى جملة مفيدة يستفهم عنها سواء كانت اسمية أو فعلية، المهمُّ أن تدخل على جملة، فنقول مثلاً: (أحمد في الدار؟)، ونقول: (أقام محمد؟) مثلاً، وهمزة الاستفهام كثيراً ما يكون لها معادلٌ في الذكر كقولنا: (أقام محمد أم لم يقم؟). وقد يحذف هذا

= بالألف كما تدعوا بيا، فيقولون: (يا زيد أقبل) و(أزيد أقبل)، فيكون المعنى: أنه ذكر النَّاسِي الكافر، ثمَّ قصَّ قصَّة الصَّالح بالنداء كما تقول: (فلان لا يصوم ولا يصلي، فيا من يصوم أبشر). والثاني أنَّ تقديرها: (أمن هو قانت كمن ليس بقانت)، والثالث: (أمن هو قانت كمن جعل لله ﷻ أنداداً». زاد المسير (١٦٥/٧-١٦٦)، معاني القرآن، للقرءاء (٤١٦/٢)، نظم الدرر (٤٢٧/٦)، (٦٢٩/٦)، معاني القرآن، للثحاس (١٥٧/٦-١٥٨)، وسأتي على بيان وتحقيق ما يترجَّح من هذه الأقوال..

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: تفسير سورة النساء (ص: ٩٦-٩٧). وقد أضفت هنا إضافات سمعتها من العلامة الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة.

المعادل، ويكون مطوياً في الضمير. فعندما نقول: (أقام محمداً؟) ويكون في ضمير المخاطب ما هو محذوف، يعني: (أم لم يقم). وأحياناً يحكم بوجوب أن يكون هناك شيء محذوف، وذلك عندما نرى الهمزة دخلت على ما ليس جملة مفيدة. فقول الله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. فإن الهمزة في قوله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ هي همزة الاستفهام محذوفة المعادل..

وبعد هذا التمهيد أعرض تحقيق هذه المسألة لبيان أن القرآن الكريم لم يستعمل في نداءاته المتعددة من حروف النداء سوى حرف النداء: (يا)، وبيان الحكمة من ذلك.

فقد جاء في (الفريد): «قرئ: ﴿أَمَّنْ﴾ -بالتخفيف- على إدخال همزة الاستفهام على (مَنْ)، و(مَنْ) موصول في موضع رفع بالابتداء، ﴿هُوَ قَنِتٌ﴾ صلة صلته، والخبر والمعادل محذوفان، أي: (الذي صفته كيت وكيت خير أم من هو جاحد)، ودلّ على الكلام شيان: جرى ذكر الكافر قبله، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي﴾ الآية. وقيل^(١): الهمزة للنداء، وبمعنى (يا)، أي: (يا من نعته كيت وكيت: أبشر فإنك من أصحاب الجنة). وأنكر على هذا بأنه لا وجه للنداء هنا؛ لأنّ هذا في موضع معادلة لدلالة ما قبله وما بعده. وبالتشديد على إدخال (أم)

(١) قاله الفراء في (معاني القرآن) (٤١٦/٢). انظر ذلك مفصلاً في (الدر المصون) (٨-٩/٦)، البحر المحيط (٤٠٢/٧)، تفسير ابن عادل (٤٨٢/١٦)، روح المعاني (٢٤٦/٢٣).

عليه (أَمْ مَنْ)، و(مَنْ) موصول أيضًا مبتدأ، والجمله المعادلة لـ: (أَمْ) مع (خير) كلاهما محذوف، أي: أيهما. وقيل^(١): أَمْ منقطعة، أي: بل أَمْن هو قانت آناء الليل وكمن هو بضده..^(٢)

وتوضيح ذلك أن نقول: الهمزة للاستفهام، و﴿مَنْ﴾ موصولة مبتدأ، و﴿هُوَ قَانِتٌ﴾ مبتدأ وخبر، والجمله صلة الموصول. ولا يصح أن تكون ﴿مَنْ﴾ للاستفهام؛ لأنه لا يصح دخول همزة الاستفهام عليها؛ لأن الاستفهام لا يدخل على استفهام^(٣). فعندما نجعل الهمزة للاستفهام فالجمله لم تتم بعد. ويلزم أن يكون الخبر شيئًا محذوفًا؛ لأنه لا يوجد جزء جملة، وإلا كان الكلام غير مفيد^(٤)، وما دام غير مفيد فلا يحسن السكوت عليه، ولا يصح في نظر البلغاء والنحويين.

(١) القرطبي (٢٣٩/١٥)، معاني القرآن، للنحاس (١٥٧/٦ - ١٥٨)، البحر المحيط (٤٠٢/٧)، التحرير والتنوير (٣٤٦/٢٣)، الدر المصون (٨/٦ - ٩).

(٢) الفريد، بقليل من التصريف (١٨٥/٤ - ١٨٦).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (٦٣١/٢).

(٤) قال ابن مالك في (الألفية):

(والخبر الجزء المتمم الفائدة كاله بر والأيادي شاهده).

وتعقبه ابن عقيل حيث قال: ((عرّف المصنّف الخبرَ بأنّه الجزء المكمل للفائدة، ويرد عليه (الفاعل) نحو: (قام زيد)، فإنّه يصدق على زيد أنّه الجزء المتمم للفائدة. وقيل في تعريفه: إنّ الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة، ولا يرد الفاعل على هذا التعريف؛ لأنه لا ينتظم منه مع المبتدأ جملة، بل ينتظم منه مع الفعل جملة، وخلاصة هذا أنّه عرف الخبر بما يوجد فيه وفي غيره، والتعريف ينبغي أن يكون مختصًا بالعرّف دون غيره)). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢٠١/١ - ٢٠٢).

فالخبر محذوف قطعاً، تقديره مثلاً: كمن ليس على هذه الصفة، والمعنى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ﴾ كمن هو على مضادة تلك الصفة أو كَأَنَّ أَهْيَا النَّاسِي..، ويقدر الخبر بمعونة الآية السابقة التي تقول: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ ثُمَّ مَسَّهُ ضَرْ دَعَا رَبَّهُ مَنِيئًا إِلَيْهِ، وَإِذَا خَوَّلَهُ اللَّهُ وَكَفَّلَ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ [الزمر: ٨]، فعندما نقدر الخبر: أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ كَالنَّاسِي لِنِعْمَةِ رَبِّهِ الْجَاعِلُ لَهُ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ أَمْ الْكَافِرِ الْمُخَاطَبُ بِقَوْلِهِ وَكَفَّلَ: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ أَمْ مِنْ لَيْسَ كَذَلِكَ؟

والدليل على أنها همزة استفهام أَنَّ خَيْرُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ مَا كَانَ تَفْسِيرًا بِالْقُرْآنِ نَفْسَهُ فَقَوْلُهُ وَكَفَّلَ: ﴿أَمَّنْ﴾ فِي قِرَاءَةِ حَفْصٍ، فَإِنَّ (أَمْ) لَا تَكُونُ حَرْفَ نِدَاءٍ، ف (أَمْ) الْمَعِينَةُ لِلْاِسْتِفْهَامِ إِمَّا أَنْ تَكُونَ: (أَمْ) الْمُنْقَطِعَةُ بِمَعْنَى: (بَلْ وَالْهَمْزَةُ)، وَالَّتِي تَفِيدُ الْإِضْرَابَ وَالْاِسْتِفْهَامَ مَعًا، أَوْ تَكُونَ (أَمْ) الْمُتَّصِلَةُ، وَهِيَ الَّتِي تَقَعُ عَادَةً فِي مُعَادَلَةِ هَمْزَةِ الْاِسْتِفْهَامِ، أَوْ فِي مُعَادَلَةِ هَمْزَةِ التَّسْوِيَةِ كَقَوْلِنَا: (أَمْحَمَّدٌ قَامَ أَمْ عَلِيٌّ؟)، أَوْ قَوْلِنَا: (أَمْحَمَّدٌ قَامَ أَمْ قَعْدٌ؟)..

وبيان المنقطعة أننا عندما نخبر عن شيء ما، وبعدها نضرب عن هذا الشيء، ونستفهم استفهاماً إنكارياً يفيد إنكار ما سبق. ومثال ذلك

قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۖ﴾ (٢٧) أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۖ﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

فالكفار ينكرون البعث، ومقتضى الإنكار أن يكون خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ولعباً وعبثاً، وأن يكون تقوى المتقين كشقاوة الأشقياء ما دام الكلُّ إلى زوال، ولم يلقَ أحد جزاءه، بل ربما كانت شقاوة الأشقياء ومعصية العاصين ربما كان ذلك أسعد لأصحابه من تقوى المتقين؛ لأنه عندما نتصورُ أنَّ الشقيَّ قادرٌ على أن يفعل ما يشاء، وما يحلو له من اللذائذ، وإن كان على حساب كثيرٍ من الضعفاء.

وقد أخبر الله ﷻ أنَّ ذلك منافٍ للحكمة، وقال ما قال من خلق السموات والأرض..، ومقتضى قولهم بعدم البعث أن يكون هذا باطل، فهذا مقتضى ظنهم.

﴿أَمْ تَجْعَلُ﴾ ، أي: (بل نجعل). والإضراب نوعان:

إضرابٌ إبطاليٌّ: والمراد منه أن يبطل ما سبق، ونأتي بجديد يصححه. ومثال ذلك: الآية التي يحتمل معنى الإضراب فيها أن يكون إبطالياً، وأن يكون انتقالياً، أمَّا الإبطاليُّ فإنَّا لو تصوَّرنا أنَّه إضراب من قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ يعني: إبطال لضد ما ذكر، أي: لكون خلق السموات... باطلاً..

والإضراب الانتقاليُّ، وهو الأظهر. ويكون الانتقال فيه من نفي أن

يكون خلق السَّمَوَات والأَرْض باطلاً، أو يكون من ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ﴾.. فكأنَّه انتقل وقال: دعنا من هذا الأمر المفروغ منه، ثم قال: إِنَّا سنأتي بما تنكره العقول السَّليمة، أي: بل أنجعل الَّذِينَ آمَنُوا وعملوا الصَّالِحَات كالمفسدين في الأرض، بل أنجعل المتقين كالفعجار، ف: (أم) بمعنى: بل والهمزة.

أما (أم) فقد وردت منقطعةً بمعنى: (بل والهمزة)، ومتَّصلة معادلة لهمزة الاستفهام أو التَّسوية كقوله ﴿كَذَلِكَ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

ف (أم) في قراءة حفص للاستفهام قطعاً. لكن هل هي المتَّصلة أم المنقطعة؟ يجوز ويجوز.

فيجوز أن نتصوَّرها المتَّصلة، وكأنَّ الله ﷻ يقول: (قل تمتع بكفرك قليلاً، إنيك من أصحاب النار آمن هو قانت). فإذا جعلناها متَّصلة فإننا نقول: همزة الاستفهام حذفت قبل: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، ويكون التَّقدير: (يا أيُّها النَّاسي لنعمة ربِّه ﷻ الجاعل له أنداداً أنت من أصحاب النَّار أم هو قانت آناء الليل).

والمنقطعة تكون بمعنى (بل والهمزة)، فيكون التَّقدير: (قل تمتع بكفرك... بل آمن هو...).

والخلاصة أنَّ (أم) متعيَّنة للاستفهام، فالأولى أن يفسَّر بها من قرأ بالهمزة على قراءة التَّخفيف حتى لا تختلف القراءتان اختلافاً جذرياً، أمَّا إذا جعلت (أم) للاستفهام فقد تطابقت القراءتان. وخير تفسير

للقرآن أن يفسّر بالقرآن نفسه، والقراءة مع أختها، يعني أن القراءة تفسّر القراءة كما تفسّر الآية الآية.

وأنتقل بعد ذلك لبيان أصل هذا الحرف (يا)، وسبب استخدامه في نداءات القرآن الكريم.

وبادئ ذي بدء فلا بدّ من بيان أننا عندما نقول: (يا) حرف فهل نقصد أنه حرف مبني أم حرف معني؟ وما معنى ذلك؟

أمّا حرف المبني: فهو حرف الهجاء الذي يكون في مبني الكلمات. نقول -مثلاً-: (ضَرَبَ)، الضَّاد مثلاً حرف مبني.. أمّا قولنا: (مِنْ) حرف جر، فهذا حرف معني، وكذلك قولنا: (يا) حرف نداء، و(أَمْ) حرف استفهام، و(إِلَى) حرف جرّ.

والحاصل أنه إذا دلّ الحرف على معنى في غيره يسمّى حرف المعني، أو يقال: حرف المعني: مَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى غَيْرِ مُسْتَقِلٍّ بِالْفَهْمِ مثل: (هَلْ)، (فِي)، (لِمَ).

أمّا حُرُوفُ الْمَبْنِيِّ فهي الحروف التي تَتَأَلَّفُ مِنْهَا كَلِمَةٌ مَا. فيقال: إِنَّ ابْتِنَاءَ هَذَا الْحَرْفِ عَلَى حَرْفَيْنِ أَوْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ، فَإِنَّ الْحَرْفَ فِي الْأَوَّلِ حَرْفٌ مَبْنِي، وَالثَّانِي: حَرْفٌ مَبْنِي أَيْضًا.

أمّا بيان ما وضع له هذا الحرف، فإنّ أصل وضعه لنداء البعيد متوسط البعد -كما سبق-

وإنّ لغة العرب لغةٌ حكيمة؛ ولكونها على هذا النحو تنزل بها القرآن الكريم؛ ولأنّ النداء للبعيد يناسبه اختتامه بحرف مدّ، من حيث

كونه يساعد الصَّوت على الانطلاق.

وعندما نلاحظ ما وضع للقريب كالهزمة في (أَمْحَمَّد) المفروض أنَّه قريب فيسمع بمجرد النُّطق باسمه. فَإِنَّ مَهْمَّةَ حَرْفِ النَّدَاءِ أَنَّنَا نَمِيزُ الْمَنَادَى، وَأَنَّنَا نَرِيدُ مِنْهُ شَيْئًا؛ لَأَنَّنَا لَوْ قُلْنَا: (مَحَمَّد) فَقَطْ فَقَدْ نَتَكَلَّمُ عَنْ مُحَمَّدٍ آخَرَ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى حَرْفٍ مَدٍّ يَنْطَلِقُ بِهِ الصَّوْتُ؛ لِأَنَّهُ قَرِيبٌ. وَقَدْ وَضَعُوا (أَيُّ) -بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ- لِلْقَرِيبِ الْمُحَبَّبِ. وَنَلَاظُ أَنَّ (أَيُّ) فِيهَا السُّكُونُ مِنْ غَيْرِ مَدٍّ، وَلَا يَسَاعِدُ ذَلِكَ الصَّوْتُ عَلَى الْإِنْطِلَاقِ، أَمَّا لَوْ قُلْتُ: (أَيُّ) بِمَدٍّ فَإِنَّهَا تَصْبِحُ (مَدًّا لَيْنًا) كَ (شَيْءٍ)، وَلَمْ يَصْبَحْ سَاكِنًا سَكُونًا كَامِلًا^(١)، فَتَخْرُجُ بِذَلِكَ عَنْ كَوْنِهَا حَرْفَ نَدَاءٍ. وَقَدْ وَضَعْتُ (أَيُّ) لِنَدَاءِ الْقَرِيبِ الْمُحَبَّبِ كَأَنَّ الْحَرْفَ الْأَوَّلَ يُشِيرُ لِلْقَرَبِ، وَالْحَرْفَ الثَّانِي يُشِيرُ لِلْمَحَبَّةِ، فَالْهَمْزَةُ لِلْقَرِيبِ، وَالْيَاءُ السَّاكِنَةُ لِلْحُبِّ، وَكَوْنُ (يَا) لِنَدَاءِ الْبَعِيدِ يَتَنَاسَبُ مَعَهُ إِنْطِلَاقُ الصَّوْتِ، وَكَوْنُ الْبَعِيدِ مُتَوَسِّطُ الْبَعْدِ تَنَاسَبُ مَعَهُ ابْتِنَاءُ الْأَدَاةِ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَطْ.

أَمَّا شَدِيدُ الْبَعْدِ فَأَكْثَرُ مِنْ حَرْفَيْنِ كَ (أَيَا) وَ (هَيَا)^(٢)؛ لِأَنَّ زِيَادَةَ الْمَبْنَى تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَعْنَى غَالِبًا، فَإِنْ فَاتَهُ الْحَرْفَانِ الْأَوَّلَانِ فَلَنْ يَفُوتَهُ إِنْطِلَاقُ الصَّوْتِ بِالْمَدِّ، فَكَأَنِّي أَتِي لَهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْمَعَهُ، فَإِنْ فَاتَهُ سَمَاعُهُ لَا يَفُوتُهُ سَمَاعُ الْحَرْفِ الْآخِرِ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِهِ

(١) (مَدُّ اللَّيْنِ) هُوَ مَدُّ الْوَائِ وَالْيَاءِ السَّاكِنَتَيْنِ الْمَفْتُوحَ مَا قَبْلَهُمَا، مِثْلُ: خَوْفٌ، بَيْتٌ، صَيْفٌ. وَسَمِّيَ (بِمَدِّ اللَّيْنِ)؛ لِأَنَّ فِي النُّطْقِ بِهِ سَهُولَةً وَلَيِّنًا. انْظُرْ: إِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ (ص: ٥٣، ٦٠)، هَدَايَةُ الْقَارِي إِلَى تَجْوِيدِ كَلَامِ الْبَارِي (١/ ٨٧، ٢٦٨، ٢٨٨، ٣٥٣).

(٢) وَفِي (الْمُقْتَضَبِ): «وَأَمَّا (أَيَا)، وَ (هَيَا) فَلَا يَكُونَانِ إِلَّا لِلتَّائِمِ، وَالْمُسْتَقِلِّ، وَالْمُتَرَاخِي عَنْكَ؛ لِأَنَّهُمَا لَمَدُّ الصَّوْتِ». الْمُقْتَضَبُ (٤/ ٢٣٥).

الصَّوت لكونه حرف مدٍّ. والموضوع له (يا) بعيد متوسّط البعد. واللُّغة جاءت لحاجة المخاطبين بعضهم لبعض، والأصل عندما تضع اللُّغة كلمةً لإفادة معنى من المعاني أن تضعها لأوّل حاجة الإنسان المخاطب، فأوّل ما يحتاج الإنسان إلى التّعامل مع الكون المحيط به، والأصل أن يكون ذلك الوضع للحاجات المحسّنة. ولنفترض أن معنا واحد من النَّاس فقط في بيئته، فعندما نريد أن يصبح بيننا وبينه تفاهم، ولنفترض أنّنا نخاف عليه من حيوانٍ مفترسٍ واقفٍ أمامنا فإننا نشير له بما يفيد الابتعاد عنه، وعندما نشير له بذلك إنما نشير له على شيءٍ محسوس، فإنّنا نضع للحيوان اسمًا بحيث لو كان المخاطب لا يرى إشارتنا يفهم من الكلمة التي سنضعها أنّ الذي أمامه حيوانٌ مفترس، أو الذي سيأتيه مثلاً: أسدٌ. فأسد؛ لتنبيه المخاطب، فاصطلحنا أنّ الحيوان المفترس: (أسد)، فعندما أقول: (أسد) ينظر إلى هذا الحيوان.

ونرى هذا الإنسان يريد ماءً -مثلاً- يرويه ولا يجد.. فنقول له: (ماء).. فالأصل في الأوضاع أنها للمحسوسات، ثمّ بعد أن نضع ما نضع للمحسوسات نترقى منها للمعنويّات بعدما نتخطّى الحاجات الأوّليّة في الكون المحسّ المشاهد؛ فلذلك فإنّ الأصل في البعد والقرب أن يكون محسّاً يقاس بالمسافة الحسيّة كغيره من الموضوع له. وهذا بالنسبة لنداءات القرآن غير قائم لسببين:

الأوّل: السّبب الخاصّ: وهو أنّنا نجد أن كثيراً من نداءات القرآن

بين الخالق والمخلوق، سواء كان الطرف الخالق هو المنادي -بكسر الدال المهملة- أو العكس. ومثل هذا النداء يلاحظ فيه عدم صلوح المسافة الحسية عقلاً ولا نقلاً؛ لأنَّ الخالق وَكَلَّكَ وهو أحد الطرفين ليس جسمًا ولا عرضًا قائمًا بجسم، وليس مادة، ولا تعقل المسافة الحسية إلا بين جسمين.

الثاني: السبب العام: القرآن لا يُعنى إلا بالمهمَّات أصلاً، والمكان والمسافة ليس من المهمَّات؛ ولذلك نجد القرآن الكريم عندما يسوق القصص لا يأتي بالمكان المحدد بالضبط.

فمثلاً: أين كان نوح عليه السلام؟ أين كان داود عليه السلام؟ لا يقول؛ لأنَّه ليس المكان الذي يشكِّل الحدث، وليس الزَّمانُ هو الذي يشكِّل الحدث، وليس اسم الشخص يشكِّل الحدث؛ ولذلك لا يصرِّح حتى بذكر اسم الشخص، فيقول: (فرعون) مثلاً، وهو لقب لكل ملوك (مصر) القدماء، و(تُبَّع) لكل ملوك (اليمن) مثلاً. القرآن لا يُعنى إلا بالمهمَّات، فتحديد المكان فضلاً عن المسافة الدقيقة لا دخل له في تشكيل الحدث. فعندما أتصوَّر مثلاً أنَّ محمَّداً ﷺ سينادي الكفار كما يقول الله وَكَلَّكَ له مثلاً: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، صحيح أن محمَّداً ﷺ جسم محسوس، والكفار أجسام محسوسة، ولكن ما قيمة أن يقال: إنَّ محمَّداً ﷺ وهو ينادي كان بينه وبين الكفار الذين يناديهم مسافة كذا؟ فما قيمة هذا حتى يُعنى به القرآن؟ فلمَّا كان ملاحظة المكان الحسي شيء يسقط من قصد القرآن؛ لأنَّه لا صلة له

بتشكيل الأحداث، والقرآن إنما يعنى بموطن العبرة والحكمة، وكذلك في النداءات التي بين المخلوق والمخلوق لا يلاحظ المسافة الحسية. والأصل في أكثر الألفاظ الموضوعية لمعانٍ أنها جاءت موضوعية أصلاً لمحسّ مشاهد، وأنها لا تصرف إلى ما ليس حسياً مشاهداً إلا بنوع من الإطلاق بعد التقييد - كما سيأتي -؛ لأن الأصل أن الواضع عندما يضع اللفظ يضعه ليكون وسيلة تفاهم بينه وبين مخاطبه، ولا بُدَّ من اللفظ؛ لأن الإشارة وحدها لا تكفي فقد يكون الشخص بعيداً لا يرى الإشارة..

وملاحظة البعد الحسي لا تصلح في القرآن الكريم؛ لأننا عندما نحصي نداءات القرآن في الجملة نجدها قسمين:

الأول: أحد الطرفين - المنادي - وهو الخالق ﷻ .

والثاني: ما طرفاه مخلوقان.

أما القسم الأول: فلا يصلح ملاحظة البعد الحسي بالمسافة؛ لأن البعد الحسي لا يتصور إلا بين جوهريين أو جسمين، والله ﷻ منزّه عن ذلك.. - كما سبق -.

وأما القسم الثاني: فإن القرآن لا يُعنى بأمثال هذه الأغراض، وإنما يعنى بالمقاصد الشريفة. وإذا نصّ القرآن الكريم في القليل النادر على بُعد أو قرب فإنما يكون لقصد عظيم.

فالقرآن لا يُعنى غالباً بتقرير زمانٍ ولا مكان، ولا تحديد أشخاص بدقة؛ لأن ذلك ليس له شأن في تشكيل الحدث - كما سبق -.

فإن قال قائل: لِمَ لَمْ يُسْتَعْمَلْ ما وضع لنداء الشَّدِيد البعد؟
 فإنَّ الجواب أنَّه إذا تَرَكَّزَ في النَّفس أنَّ الفرق أجسُم ما يكون،
 وأعظُم ما يكون بين المنادِي - بكسر الدال المهملة - والمنادَى - بفتح
 الدال المهملة -، وأنَّ الغفلة قد بلغت حدَّها الأقصى في إبعادِ المنادَى
 - بفتح الدال المهملة - عن المنادِي - بكسر الدال المهملة -، فكيف
 يفهم خطابه مع وجود ذلك الفرق؟! فاليأس يجعلُ الإنسانَ لا يسمع
 الخطاب؛ فذلك مَلِكٌ عَظِيمٌ بيني وبينه أبعد ما يكون من التَّقارب بين
 المنزلتين، كذلك عندما تكون الغفلة بلغت حدَّها الأقصى، أو يقال:
 إِنَّ إنساناً طغت عليه معصيته إلى حدٍّ أنَّه لم يصبح عنده أيُّ أملٍ في
 الخلاص، فذلك يجعله ينهمك في المعصية، فكأنَّ الله ﷻ يقول
 للخلق مدًّا في بعض أسباب الأمل: كأنَّ بيني وبينكم مسافةً متوسطةً
 بحيث لا تشقُّ عليكم، ولا تنقطع دونها أعناقكم، فالبعد؛ لبيان تعاظم
 الفرق، والتَّوسط؛ لبيان أنَّه ينبغي أن لا تنقطع بسبب هذا البعد آمالكم
 دون الوصول.

وهذا أمرٌ مضطَّرٌّ في عادات النَّاس، وسيراً على هذا الأمر المظَّرد
 جاء النداء ب: (يا) إشارة إلى أنَّ الأمر الَّذي يُنادَى من أجله جدير بأن
 تحتمل من أجله المشاقُّ^(١).

يقول الألوسي في (تفسيره): «و(يا) حرف لا (اسم فعل) على

(١) هذه إضافات هامة سمعتها من أستاذنا أ.د إبراهيم خليفة.

الصَّحيح وضع لنداء البعيد. وقيل: لمطلق النداء أو مشتركة بين أقسامه، وعلى الأوّل ينادى بها القريب؛ لتنزيله منزلة غيره، إمّا لعلو مرتبة المنادي أو المنادى، وقد ينزل غفلة السّامع وسوء فهمه منزلة بعده، وقد يكون ذلك للاعتناء بأمر المدعوّ له والحثّ عليه؛ لأنّ نداء البعيد وتكليفه الحضور لأمر يقتضي الاعتناء والحثّ، فاستعمل في لازم معناه على أنّه مجازٌ مرسل أو استعارةٌ تبعيّةٌ في الحرف أو مكنيّةٌ وتخييليّةٌ..»^(١).

«ثمّ لم يبيّن كيفيّة إجراء المجاز أو الاستعارة، وعلى أيّ الوجهين يكون أحدهما، وعلى أيّهما يكون الآخر، وكذلك صنع من قبله الشّهاب الخفاجي^(٢) في (حاشيته على تفسير البيضاوي)^(٣).

وقد بيّن الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرّحمن خليفة ذلك في شرح وتوضيح لم يسبقه إليه غيره فقد جاء عند آلوسيّ^(٤) مجملاً، وبحاجة

(١) روح المعاني (١/١٨١).

(٢) هو أحمد بن محمّد بن عمر، شهاب الدّين الخفاجي المصري، قاضي القضاة وصاحب التّصانيف في الأدب واللّغة. نسبته إلى قبيلة (خفاجة). ولد ونشأ (بمصر)، ورحل إلى بلاد (الرّوم)، واتّصل بالسلطان مراد العثماني فولّاه قضاء (سلانيك)، ثمّ قضاء (مصر). ثمّ عزل عنها فرحل إلى (الشّام) و(حلب) وعاد إلى بلاد (الرّوم)، فنفي إلى (مصر) وولي قضاء يعيش منه فاستقرّ إلى أن توفي. [١٠٦٩هـ]، وله كتب كثيرة، منها: حاشية على تفسير البيضاوي. الأعلام (١/٢٣٨)، معجم المؤلّفين (٢/١٣٨)، فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (١/٣٧٧).

(٣) تفسير سورة النّساء (ص: ١٠٤)، وانظر: روح المعاني (١/١٨١)، حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي (٢/٣).

(٤) انظر: روح المعاني (١/١٨١).

إلى بيان؛ ولذلك كانت العناية والاهتمام بما أورده الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة في ذلك -من البيان لكيفية إجراء المجاز أو الاستعارة-؛ لأهميته؛ ولانفراده من بين الباحثين في التفسير وعلوم القرآن ببيان ذلك سواء في ذلك المتقدمين منهم والمتأخرين. وأول ما يتقرر في ذلك أن (يا) صرف عن حقيقة ما وضع له إلى أحد أمرين:

«الأول: تنزيل البعد المعنوي منزلة البعد الحسي، سواء أكان هذا التَّنْزِيلُ لواحد من الغرضين أم كان لهما، فإنَّ استعمال الحرف في ذلك يكون من (المجاز المرسل) بمرتين:

إحداهما: إطلاق البُعد في هذا الحرف عن قيد خصوص كونه حسيًا بالمسافة إلى ما هو مطلق بُعد، أعم من أن يكون حسيًا أو معنويًا مجازًا مرسلًا بعلاقة التقييد.

والأخرى: تقييد هذا البُعد المطلق بخصوص كونه معنويًا مجازًا مرسلًا بعلاقة الإطلاق هذه المرة. ونكتة هذا المجاز: إظهار وضوح أمر هذا البُعد وإبرازه في صورة المحسّ المشاهد المرئي المسافة عيانًا. وإما بالاستعارة التصريحية التبعية في الحرف، بأن تشبه البعد المعنوي بالحسي كذلك بجامع مطلق البعد في كلٍّ، ثم تحذف المشبه به وترمز له بشيء من لوازمه، وهو الحرف الموضوع لذلك البعد (يا) استعارة مكنية. ونكتة الاستعارة بأي من نوعيها هي عين ما سبق من نكتة

المجاز المرسل^(١).

الثاني: الاهتمام بما تدعو المنادى -بفتح الدال المهملة- من أجله، فإن إرادته من هذا الحرف هي من قبيل المجاز المرسل كذلك، لكن من إطلاق الملزوم الذي هو إفادة البعد الحسي وإرادة لازمه الذي هو إفادة كون الأمر المدعو له مهمًا جديرًا أن تحمل في تحصيله المشقة.

ونكتة هذا المجاز:

إبراز وضوح أهمية هذا الأمر، وبيان أنه كالمرتّب على المحسوس، والتّدليل على حتمية ثبوته من حيث إنه يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت لازمه.

ويمكن أن تجري في هذا الوجه الاستعارة أيضًا بنوعيتها بأن تشبّه ما وقع النداء لأجله في القرآن بما ينادى من أجله الشّخص البعيد بجامع مطلق الأهمية في كلّ. إلخ، فالكلام هو الكلام^(٢).

ولأجل توضيح ذلك يقال: إنّ أيّ مجازٍ أو استعارة يطلب له ثلاثة أشياء: القرينة، والعلاقة، والشّيء الثالث بالغ الأهمية غفّل عنه من أنكر المجاز، وهو النّكتة. فمثلاً: عندما أفيد أنني رأيت رجلاً شجاعاً

(١) الاستعارة من المجاز اللّغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً، وهي قسمان: الأوّل: تصريحيّة، وهي ما صرّح فيها بلفظ المشبّه به. والثاني: مكنيّة، وهي ما حذف فيها المشبّه ورُمز له بشيء من لوازمه.

(٢) تفسير سورة النساء (ص: ١٠٤-١٠٦).

عظيم الشجاعة أقول مثلاً: (رأيتُ أسدًا رابضًا خلف مدفعه). فقولنا: (رابضًا خلف مدفعه) هذه القرينة أفادت أنني لا أقصد (الحيوان المفترس)، فهذه هي القرينة، والعلاقة المشابهة، ولكن طالما أنني قصدت أن أفيد أنني رأيتُ رجلًا شجاعًا فلماذا نبحت عن قرينة؟ ولماذا لم نُعبّر بالحقيقة من أوّل الأمر؟ فبدلاً من إيقاع المخاطب أولاً في اللبس، ثمّ تصحيح ذلك بما يأتي من تمام الكلام، ثمّ تطلب العلاقة. فبدلاً من هذه التعمية لماذا لا يأتي المتكلّم من أوّل الأمر بحقيقة ما يقصده؟ فيقول من أوّل الأمر: (رأيتُ رجلًا شجاعًا). يلزم وجود نكتة اقتضت عدم التعبير بالحقيقة المرادة إلى مجازٍ يراد منه هذه الحقيقة الأخرى. والتّحقيق أنّ هناك حقيقتين: حقيقةً مرادة من الكلام، وحقيقةً مهجورة غير مرادة من الكلام فقولنا: (رأيتُ أسدًا رابضًا) الحقيقة المهجورة هي: الحيوان المعروف، والمرادة هي: الرّجل الشجاع، فلماذا لا نعبر بالحقيقة المرادة من أوّل الأمر؟ ولماذا نصرف المخاطب إلى المجاز؟

والجواب: إنّ الحرف مصروفٌ إلى أحد وجهين أو كليهما: الأوّل: تنزيلُ البعد المعنويّ منزلةَ البعد الحسيّ، والاهتمام بما تدعو المنادى من أجله لأحد الغرضين أو كليهما.. وعندما أقصد من الحرف هذه الإرادة - (البعد المعنوي) - هل يكون مجازاً أم حقيقة؟ وإن قلنا: هو مجاز فما نوعه؟ هل هو مرسلٌ أم مجازٌ بالاستعارة؟ الجواب أنّه يجوز ويجوز. أمّا إذا كان مجازاً مرسلًا فأين العلاقة؟ وأين النكتة؟ أمّا

القرينة فهي واضحة، وهي استحالة إرادة البعد الحسي بالمسافة. وقد ذكرت من قبل أنه مجاز مرسل فيجب أن أُبين أولاً أنه مجاز مرسل بمرتين حتى تتبين العلاقة. وإذا كان أصل وضع الحرف هو البعد المقيّد بكونه حسياً، فإن أول خطوة في سلوك المجاز المرسل أنني أطلق هذا الحرف عن قيد الوضع فيه - (وهو البعد الحسي) -، فأطلق البعد فيه عن قيد كونه حسياً، وأريد منه (مطلق بُعد) أعم من أن يكون هذا البعد حسياً أو معنوياً، وعندما أفعل ذلك فما هي العلاقة؟ للبلغاء في تقرير علاقة المجاز المرسل قولان:

القول الأول: أن ينظر في تقرير العلاقة إلى المعنى المنتقل عنه.

القول الثاني: أن ينظر في تقرير العلاقة إلى المعنى المنتقل إليه.

وربما جمع بين الأمرين. يعني عندما يقول الله ﷻ -مثلاً-: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعُهُمْ فِيْءًا ذَارِبَهُمْ﴾ [البقرة: ١٩]. أو عندما أقول: (رأيتُ عينا يتلصص)، وأقصد الجاسوس، أو (أعتقت رقبة) وأقصد الشخص كله، فالرقبة جزء من الشخص، فبالنسبة للرقبة عندما نقرر العلاقة هل أنظر إلى المعنى المنتقل عنه فأقول: (العلاقة الجزئية)، أو أنظر إلى المعنى المنتقل إليه فأقول: (العلاقة الكلية)؟ فقله ﷻ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعُهُمْ فِيْءًا ذَارِبَهُمْ﴾ فإن المراد الجزء وليس الكل؛ فالأنامل جزء، فإن نظرنا إلى المعنى المنتقل عنه نقول: (الكلية)، وإن نظرنا إلى المعنى المنتقل إليه نقول: (الجزئية). وقد يتسامح البعض فيقول: الكلية والجزئية.

أمّا حرف النداء (يا) فهل المعنى الذي انتقلنا عنه هو التّقيّد أو

الإطلاق؟ قد علم أن الأصل في وضع حرف النداء (يا) هو (البعد المقيد بكونه حسياً)، ولكننا قد انتقلنا عنه إلى إطلاق البعد من قيده الحسي بحيث صار صادقاً على الحسي والمعنوي، وبذلك نكون قد انتقلنا من التقييد إلى الإطلاق. فإن نظرنا إلى المنتقل عنه نقول: العلاقة التقييد، وإن نظرنا إلى المنتقل إليه نقول: العلاقة الإطلاق. وأصح الوجهين أن ننظر إلى المعنى المنتقل عنه. لكن ماذا نريد من هذا الحرف هل نريد مطلق بُعد أم خصوص البعد المعنوي؟ طبعاً لا نريد مطلق بعد؛ لأننا إن أردنا مطلق بعد فنحن نحتاج إلى ما يقيد هذا المطلق. فعندما نقول مثلاً: (رأيت رجلاً)، فقد أطلقت لفظ: (الرجل) عن كل قيد، فيجوز أن يكون صالحاً أو فاسقاً أو فقيراً أو غنياً.. إلخ، ولكنني أفهم حقيقة المراد عندما يذكر القيد، وإلا فإنك تجد النفس دائرة بين الاحتمالات لهذا المطلق. فإن قلنا: إن المراد من (يا) هو خصوص البعد المعنوي فنحن نحتاج نقلة أخرى أو مرتبة أخرى في المجاز. تنتقل عن مطلق بعد إلى تقييد هذا البعد بخصوص كونه معنوياً، فالذي انتقلنا عنه الإطلاق فتكون العلاقة في المرتبة الثانية الإطلاق. والخلاصة أن نقول: إنه مجاز مرسل بمرتين: إحداهما: إطلاق البعد الحسي عن قيد كونه حسياً إلى ما هو مطلق بُعد أعم من أن يكون حسياً أو معنوياً بعلاقة التقييد، ثم تقييد هذا البعد المطلق بكونه معنوياً مجازاً مرسلًا لكن بعلاقة الإطلاق هذه المرة. والنكته: إظهار ووضوح أمر هذا البعد. فأوضح ما يكون الأمر الواضح عندما يكون محسناً

مشاهدًا، فأطلقنا ما هو موضوع للبعد الحسيّ إشارةً إلى أنّ أمر هذا البُعد المعنويّ الَّذي هو تعاظم الفرق أو شدّة الغفلة هو من الوضوح بمنزلة المُحسّ المشاهد الَّذي بيننا وبينه مسافة نقيسها.

أما الاستعارة: فَإِنَّ (المشبه) معنويّ، و(المشبه به) حسيّ، يجمع بينهما مطلقُ البُعد، ثُمَّ حُذِفَ المشبه، واستعير له لفظُ المشبه به، ثُمَّ سُرِيَ التّشبيه من الكليّات إلى الجزئيّات فأتينا من المشبه به بالحرف الَّذي هو موضوع لذلك البُعد الحسيّ (استعارةً تصرّحيةً تبعيّةً في الحرف). وذلك كقوله ﷻ: ﴿وَأَصْلَيْتُكُمْ فِي جُدُوعٍ أَلْتَخَلُّ﴾ [طه: ٧١]. الأصل (على جذوع النّخل)، فشبه الاستعلاء على الجذوع بالدّخول فيها بجامع التّمكن في كلّ، ثُمَّ سُرِيَ التّشبيه من الكليّات إلى الجزئيّات، وأُتِيَ بالحرف الدّال على الظّرفية الّتي هي الدّخول في الشّيء (استعارةً تصرّحيةً تبعيّةً في الحرف). و(النّكته): بيان وضوح هذا البُعد المعنوي وأنّه بمنزلة البُعد الحسيّ، أي: المحسّ المشاهد المرئي المسافة عيانًا.

الوجه الثّاني: إنّ العلماء لما صرفوا (يا) عن إرادة البُعد الحسيّ المتوسّط صرفوها إلى أحد أمرين:

١ - إلى البُعد المعنوي تنزيلاً له منزلة البُعد الحسيّ لأحد الغرضين أو كليهما.

٢ - أن ينادى بـ: (يا) للدّلالة على الاهتمام بأمر المنادى من أجله فهذا بيان الوجه الأوّل.

أما الوجه الثاني فإننا عندما نريد من (يا) إفادة الاهتمام بالأمر المندى من أجله فإنَّ الصَّرفَ إلى هذه الإرادة من قبيل من (المجاز المرسل) كالأوَّل ولكن تختلف العلاقة هنا، فهو مجازٌ مرسلٌ بمرتبة واحدة ومختلفُ العلاقة والنُّكته، وتزيد على النُّكته هناك، فإنَّه يلزم عادة لمن يكون بعيدًا عنك بعدًا حسيًا بالمسافة ألا تناديه إلا لأمرٍ مهمٍّ، فمعنا هنا ملزوم ولازم، وبيان ذلك على النحو التالي:

(نداء البعيد بعدًا حسيًا) هو الملزوم. و(كون الأمر المندى من أجله مهمٌ) هو اللازم. فهو (مجاز مرسل) من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم حيث أطلقنا النداء للبعيد وأردنا إفادة أهمية الأمر. والنُّكته تتمثل في أمرين: الأوَّل: إفادة هذا الوضوح الذي تحدَّثنا عنه من قبل في الوجه السَّابق في المجاز وفي الاستعارة، وهو وضوح أهمية الأمر المندى من أجله، وأنَّه بمثابة المترتب على أمر المحسّس. الثاني: -وهو الجديد- التَّدليل على الأهمية، وإقامة البرهان على الأهمية، فقولنا: (هذا الأمر مهمٌ) مجرد دعوى، لكن إذا استدللنا على هذه الدَّعوى فقلنا: هذا الأمر مهمٌ بدليل أنَّه ينادى من أجله البعيد، وتحتملُ في سبيله المشقَّة، فكأنَّنا قد أتينا بالدَّعوى وبرهنا عليها. ويأتي الدَّليل من القاعدة المنطقيَّة والعقليَّة التي تفيد أنَّ بين الملزوم واللازم تناسبٌ عكسيٌّ بالنسبة للوجود والعدم. وتصوير المسألة: أن نقول مثلاً: الشَّمس ملزوم، والضوء لازم، فكلَّما وجدت الشَّمس وجد الضوء،

فيلزم من وجود الملزوم وجود اللازم، وليس كلَّما انعدمت الشمس انعدم الضوء. كأن يأتي الضوء من القمر مثلاً أو الكهرباء، فلا يلزم من عدم الملزوم عدم اللازم. والعكس بالنسبة لللازم. نقول: يلزم من عدم اللازم عدم الملزوم، فيلزم من عدم الضوء عدم الشمس، ولا يلزم من وجود اللازم وجود الملزوم، فلا يلزم من وجود الضوء وجود الشمس. ولكن ما معنى التعبير بالملزوم وإرادة اللازم؟ نقول: يلزم من النداء للبعيد وجود لازمه، وهو أهمية الأمر المنادى من أجله. حيث شبه أهمية الأمر المنادى من أجله معنى بما ينادى من أجله البعيد بُعداً حسيّاً، فإن حذف المشبه وذكر المشبه به فهي (استعارة تصريحية تبعية في الحرف). وإن حذف المشبه ورمز له بشيء من لوازمه -وهو الحرف الموضوع لذلك البعد (يا)- فهي استعارة مكنية. ونكتة الاستعارة بأي من نوعيها هي عين ما سبق من نكتة المجاز المرسل.

«ثم يقال ما قيل بعينه حين تتمخض (يا) للتنبية فتدخل على الفعل في قراءة من قرأ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥] -بتخفيف اللام-، وعلى الحرف كقوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ﴾ [الأنعام: ٢٧]، على القول بأن (يا) في هذين الموطنين وأمثالهما هي حرف تنبيه لا حرف نداء، أمّا على القول بأنها حرف نداء والمنادى محذوف فلا يعود حملها على ما يليق بها من الوجهين الآنفين»^(١). ف ﴿أَلَّا﴾ في قراءة التشديد تحمل على أنها مركبة من

(١) تفسير سورة النساء، أ.د إبراهيم خليفة (ص: ١٠٦).

(أَنْ)، وقد دخلت عليها (لا) فأدغمت فيها، ﴿يَسْجُدُوا﴾ : فعل مضارع منصوب بأن و(لا) نافية، ولكن بالتخفيف قراءتها هكذا (أَلَا يا اسجدوا). وتوجيه ذلك أن يقال: ﴿أَلَا﴾ حرف استفتاح وتنبيه أو يقال للعرض. و(اسجدوا): فعل أمر، ف (يا) دخلت على فعل الأمر، ودخلت على الحرف في ﴿يَلْتَلِنَا نُرْدُّ﴾ ، و(يا) عندما تدخل على الفعل أو على الحرف فيها توجيهين:

التوجيه الأول: أن يقال: إن (يا) حرف تنبيه.

والتوجيه الثاني أن يقال: إنَّ (يا) حرف نداء والمنادى محذوف، ويكون التقدير مثلاً: (يا هؤلاء اسجدوا)، و(يا هؤلاء ليتنا نردُّ)، (يا نفس ليتنا نردُّ)، فعندما تكون حرف نداء يجري عليها ما سبق، أمّا عندما تكون حرف تنبيه فيقال: الكلام أيضاً هو الكلام من حيث إنه لا ينبّه إلّا إلى الأمر المهمّ فيمكن أن تجري المجاز أو الاستعارة عندما تتمحض (يا) للتنبيه^(١).

(١) وتفصيل الإعراب في قوله ﷻ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ «قُرى بتشديد ﴿أَلَا﴾ [قرأ جمهور السبعة (أَلَا) - بالتشديد- وبالتخفيف قرأ الكسائي. انظر: السبعة في القراءات (ص: ٤٨٠)، والحجة في القراءات (١/ ٢٧١)، وحجة القراءات (١/ ٥٢٦-٥٢٨)] على أنها (أَنْ) دخلت عليها (لا) فأدغمت فيها. و﴿يَسْجُدُوا﴾ منصوب بأن، وفي محلِّ (أَنْ) وجهان: أحدهما: النَّصب إمّا مفعولاً له على معنى: (فصدّهم عن السَّييل لئلاَّ يسجدوا) أو (زين لهم لئلاَّ يسجدوا)، فحذف الجارّ، أو بدل من قوله: ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ ، أي: (وزَّين لهم ألا يسجدوا). ويجوز أن يكون من صلة الابتداء على أن (لا) صلة، أي: (وزَّين فهم لا يهتدون ألا يسجدوا). والثاني: الجرُّ على البدل من السَّييل متعلّق بالله. أي: (فصدّهم عن أن يسجدوا)، و(لا) صلة أيضاً. وقُرى - بتخفيفها - على أن (أَلَا) تنبيه، و(يا) حرف نداء

وسياتي مزيد من البيان في المطلب الذي يتعلّق بدخول حرف النداء: (يا) على الاسم في الخطاب القرآني.. مع بيان التّرجيح.

= ومناداه محذوف كحذفه في قوله:

(يا لعنة الله والأقوام كلّهم) هذا صدر بيت من (البسيط)،

وعجزه: (والصّالحين على سمعان من جار).

وهذا من شواهد (الكتاب)، انظر: الكتاب، بتحقيق: عبد السّلام هارون (٢/٢١٩)، وفي البيت يدعو على جاره؛ لأنّه لم يرع حقّ الجوار، والشّاهد فيه حذف المدعو؛ لدلالة حرف النداء عليه، والمعنى: (يا قوم) أو (يا هؤلاء) لعنة الله على سمعان؛ ولذا رفع (لعنة) بالابتداء، ولو أوقع النداء عليها لنصبها. انظر: تفسير القرطبي (١٣/١٨٦)، انظر ذلك مفصّلاً في (الدّر المصون) (٥/٣٠٧-٣٠٩)، تفسير ابن عادل (١/٤٠٦)، (١٥/١٤٤)، البحر المحیط (٧/٦٧)، معاني القرآن، للنّحاس (٥/١٢٦)، أضواء البيان (٦/١١٣-١١٤).. والتّقدير: (يا قوم)، أو (يا هؤلاء اسجدوا) فحذف المنادى للعلم به، وحذفت الألف لالتقاء الساكنين، ولما حذفت من اللفظ حذفت من الخطّ، وكذلك في (اسجدوا) حذفت لفظاً وخطاً، فبقي ﴿يَسْجُدُوا﴾ كما ترى. قال أبو علي [وهو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان أبو علي الفارسي النّحوي. انظر ترجمته في (البلغة في تراجم أئمة النّحو واللّغة) (ص: ١٣)، تاريخ بغداد (٧/٢٧٥)]: ووجه دخول حرف التّنبيه على الأمر أنّه في موضع يحتاج فيه إلى استعطاف الأمور؛ لتأكيد ما يؤمر به كما أنّ النداء موضع يحتاج إلى استعطاف المنادى لما ينادي له من إخبار أو أمر أو نهي، ونحو ذلك مما يخاطب به. انتهى كلامه. الفريد في إعراب القرآن الجيد (٣/٦٨١)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه، للزّجاج (٤/١١٥-١١٦).

المطلب الثالث بيان الحكمة من استخدام حرف النداء (يا) دون غيره

أصل النداء بـ (يا) أن تكون للبعيد حقيقة أو حكماً^(١). وقد ينادى بها القريب^(٢) لنكت منها:

إظهار الحرص في وقوعه على إقبال المدعو نحو: ﴿يَمْوَسَّىٰ أَقْبِلْ﴾ [القصص: ٣١]، ومنها: كون الخطاب المتلو معتنى به نحو: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعِبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

ومنها: قصد تعظيم شأن المدعو إمّا إجلالاً كما في قول الداعي: ﴿يَرْبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠]، وهو أقرب إليه من حبل الوريد؛ استقصاراً

(١) وعند المرادي والمالقي: مسافة أو حكماً... والمراد من قولهم: (حكماً)، أي: كالتائم والغافل والساهي.. انظر: الجني الداني (ص: ٣٥٤)، رصف المباني (ص: ٤٥١).

(٢) انظر: الكليات (ص: ٩٧٩)، الإتيان (٢/ ٢٢٢-٢٢٣)، البرهان (٢/ ٣٢٤)، (٤/ ٤٤٥)، القاموس المحيط، الياء، (ص: ١٧٤٨)، المعجم الوسيط كذلك، (٢/ ١٠٦٢)، تاج العروس، الياء، (٤٠/ ٥٥٥)، مختار الصحاح، الياء (ص: ٣٠٩)، همع الهوامع (٢/ ٣٢-٣٤)، تفسير أبي السعود (١/ ٥٨). وفي (مغني اللبيب): «حرف موضوع لنداء البعيد حقيقةً أو حكماً، وقد ينادى بها القريب توكيداً. وقيل: هي مشتركة بين القريب والبعيد. وقيل: بينهما وبين المتوسط. وهي أكثر أحرف النداء استعمالاً؛ ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها». مغني اللبيب (ص: ٤٨٨). وفي (حاشية الأمير على المغني): قوله: [أي: ابن هشام في (المغني)] «توكيداً.. إشارة إلى أنَّ الكلام الذي يلقي أو نفس الدعاء معتنى به حتى نُزِلَ القريب وإن كان متنبهاً لذلك منزلة الغافل...». الحاشية (٢/ ٤١).

لنفسه؛ واستبعاداً لها من محافل الرُفَى، ومنازل المقرين، وإمّا تنبيهاً على غفلته وسوء فهمه. وقد يقصد به التّنبية على أن ما يعقبه أمر خطير يعتنى بشأنه نحو: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، وقد قال ﷻ: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ومنها: قصد انحطاطه كقول فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]^(١).

قال الزّمخشرى: كثر في القرآن الكريم النداء بـ: ﴿يَتَأْتِيهَا﴾ دون غيره؛ لأنّ فيه أوجهًا من التّأكيد، وأسبابًا من المبالغة، منها: ما في (يا) من التّأكيد والتّنبية، وما في (ها) من التّنبية، وما في التّدرج من الإبهام في (أي) إلى التّوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتّأكيد؛ لأنّ كلّ ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعدته ووعيده ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية، وغير ذلك ومما أنطق الله ﷻ به كتابه، أمورٍ عظام، وخطوبٍ جسام، ومعانٍ واجب عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم غافلون فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ^(٢).

وقال: «و(يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرّجل بمن يناديه. وأمّا نداء القريب فله (أي) و(الهمزة)، ثمّ استعمل في مناداة من سَهَا وغَفَل وإن قرب تنزيلاً له منزلة من بُعد، فإذا نودي

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) الكشف (٢٢٥/١-٢٢٦)، تفسير أبي السّعود (٥٨/١)، وانظر: الإتيان (٢/٢٢٢-٢٢٣).

(٢٢٣). وانظر: المفصل في صناعة الإعراب (٤١٣/١).

به القريب المفطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنيٌّ به جدًّا. فإن قلت: فما بال الداعي يقول في جواره: (يا رب)، و(يا الله)، وهو أقرب إليه من جبل الوريد، وأسمع به وأبصر؛ قلت: هو استقصار منه لنفسه؛ واستبعاد لها من مظانِّ الرُّلْفى، وما يقربُه إلى رضوان الله ﷻ، ومنازل المقرَّبين؛ هضمًا لنفسه؛ وإقرارًا عليها بالتفريط في جنب الله ﷻ، مع فرط التَّهالك على استجابة دعوته، والإذن لندائه وابتهاله.. و(أي) وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، كما أن (ذو) و(الذي) وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس، ووصف المعارف بالجمال. وهو اسمٌ مبهمٌ مفتقرٌ إلى ما يوضِّحه ويزيل إبهامه، فلا بدَّ أن يردفه اسمٌ جنس أو ما يجري مجراه يتَّصف به حتى يصحَّ المقصود بالنداء، فالَّذي يعمل فيه حرف النداء هو (أي)، والاسم التابع له صفته، كقولك: (يا زيد الظَّريف)، إلا أن (أيًا) لا يستقلُّ بنفسه استقلالَ (زيد)، فلم ينفك من الصِّفة. وفي هذا التدرُّج من الإبهام إلى التَّوضيح ضرب من التَّأكيد والتَّشديد. وكلمة التَّنبيه المقحمة بين الصِّفة وموصوفها لفائدتين:

- ١ - معاضدة حرف النداء ومكاتفته بتأكيد معناه.
- ٢ - ووقوعها عوضًا ممَّا يستحقه (أي) من الإضافة^(١).

(١) الكشاف (١/٢٢٤-٢٢٦)، وانظر: تفسير أبي السُّعود (١/٥٨)، تفسير الرَّاзи (٣/٣١٩)، تفسير التَّيسابوري (١/١٨٠)، الإِتقان (٢/٢٢٢-٢٢٣). وانظر: تفسير سورة النساء، إبراهيم خليفة (ص: ١٠٦-١٠٧).

ويتبيّن مما سبق الحكمة من استخدام حرف النداء (يا)، وما للنداء بـ (يا) دون غيرها من أدوات النداء الأخرى من المزايا والخصائص التي إن دلّت فإنما تدلّ على الدقة والإحكام في تناسق ألفاظ القرآن الكريم، ودلالاتها على المعاني الجليلة.



المطلب الرابع دخول حرف النداء : (يا) على الاسم في الخطاب القرآني

يتبين ممّا سبق أنّ النداء هو طلبُ الإقبال بالحروف (يا) وإخوته، والمقصود هنا: (يا)، حيث لم يقع النداء القرآني إلا بـ (يا) كما حَقَّقْتُ ذلك.

وأوّل ما ينبغي أن يعلم أن الاسم يتميّز عن الفعل بعلامات منها: النداء: قال في (اللفيّة):

(بالجرّ والتثوين والنداء وأنّ ومُسندٍ للاسم تَمييزٌ حَصَلَ)^(١).
نحو: ﴿يَصْلِحْ أَقْبَتَنَا﴾ [الأعراف: ٧٧]، ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿يَنْجُ أَهْبَطُ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿يَهْدُو مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: ٥٣]، ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨١]، ﴿يَشْعَبُ أَصْلَؤُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧]، فكلٌّ من هذه الألفاظ التي دخلت عليها (يا) اسم، وهكذا كلُّ منادى^(٢).

وقد اعترض بدخول (يا) على الفعل في قراءة من قرأ: ﴿أَلَا يَا اسْجُدُوا﴾ [النمل: ٢٥]-بتخفيف اللّام- فقد قرأ الكسائي: ﴿أَلَا يَا

(١) ألفيّة ابن مالك (ص: ٩).

(٢) شذور الذهب (٢٢/١). وانظر: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك (٢١/١)، أوضح

المسالك (١٩/١).

اسجدوا ﴿-بتخفيف اللّام- و﴿أَلَا﴾ تنبيه، وبعدها (يا) الّتي ينادى بها، والابتداء ﴿أَسْجُدُوا﴾ على الأمر بالسُّجود، فالمعنى: (ألا يا قوم اسجدوا لله)، خلافاً لهم، وحمداً لله ﷻ أنكم لم تكونوا مثلهم في الطُّغيان، بل هداكم الله ﷻ، وهذا الكلام يكون منقطعاً مما قبله على أنّ ما قبله تمام، ويكون ما بعده كلاماً معترضاً من غير القصة الماضية، إمّا من سليمان عليه السلام، وإما من الهدد، على تأويل (يا هؤلاء اسجدوا)، فلمّا كف ذكر هؤلاء اتصلت (يا) بقوله: ﴿أَسْجُدُوا﴾، فصار (يسجدوا) كأنّه فعل مضارع إذا أدرجت الكلام، والعرب تقول: (ألا يا ارحمونا)، أي: (ألا يا هؤلاء ارحمونا)؛ لأنّ (يا) لا يلي الفعل إلّا مع إضمار. والمعنى: (ألا يا قوم اسجدوا)، فحذفت الأسماء، وقامت (يا) مقامها، وكان هذا الحذف في النداء خاصّة، وقرأ الباقون بالتّشديد^(١).

قال الزّركشي في (البرهان): «قوله ﷻ: ﴿أَلَا يا اسجدوا﴾ على قراءة الكسائيّ بتخفيف (ألا) على أنها تنبيه، و(يا) نداء، والتّقدير: (ألا يا هؤلاء اسجدوا لله). ويجوز أن يكون (يا) تنبيهاً، ولا منادى هناك، وجمع بينهما تأكيداً؛ لأنّ الأمر قد يحتاج إلى استعطاف

(١) بتصرّف عن (حجّة القراءات) (١/٥٢٦-٥٢٧). وقيل: قرأ ابن عباس وعبد الرّحمن السلمي والحسن وأبو جعفر وحيد الأعرج: ﴿أَلَا يا اسجدوا﴾. انظر: حجّة القراءات (١/٥٢٦-٥٢٧)، النّشر (٢/٣٣٧)، الإتحاف (ص: ٣٢٦)، إبراز المعاني من حرز الأمان (٢/٣٣٥)، معاني القرآن، للنّحاس (٥/١٢٦)، المحرّر الوجيز (١/٤٥٠)، تفسير أبي السّعود (٦/٢٨١)، البيضاوي (٤/٢٣٣)، مشكل إعراب القرآن، لمكي (٢/٥٣٣).

المأمور، واستدعاء إقباله على الأمر، وأمّا على قراءة الأكثر بالتشديد فعلى أن (أن) النّاصة للفعل دخلت عليها (لا) النّافية، والفعل المضارع بعدها منصوب، وحذفت النون علامة النّصب فالفعل هنا معرب، وفي تلك القراءة مبني^(١).

وقد اعترض أيضًا بقولهم: فما تصنع بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنعام: ٢٧]، حيث دخل حرف النّداء على ما ليس باسم؟ والجواب يقال فيه ما قيل في سابقه.

وقد سبق في بيان أداة النّداء المستخدمة في القرآن الكريم ما له صلة فيما نحن بصدد بيانه هنا، وقد أُعيد هنا للوفاء ببيان دخول حرف النّداء (يا) على الاسم في الخطاب القرآني مستقلًا، وزيادةً في توضيح المعنى، وذلك من خلال الإعراب التفصيلي.

والخلاصة في ذلك:

أنّ قراءة الكسائي: ﴿أَلَا يَا أَسْجُدُوا﴾، لها توجيهان، وكذلك قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾:

التّوجيه الأوّل: أن يقال: إنّ (يا) حرف تنبيه.

والتّوجيه الثّاني: أن يقال: إنّ (يا) حرف نداء والمنادى محذوف، ويكون التّقدير: (يا هؤلاء اسجدوا)، و(يا قوم ليتنا نرد)..^(٢). ومال

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٨٠).

(٢) انظر: تفسير الطّبري (١٩/ ١٥٠)، ابن كثير (٣/ ٣٦٢)، أبو السّعود (٦/ ٢٨١)، معاني القرآن، للّحاس (٥/ ١٢٦)، تفسير البغوي (٣/ ٤١٥)، فتح القدير (٤/ ١٣٣).

إلى هذا الرأي الفراء في (معاني القرآن الكريم)^(١)، وابن مالك في (التسهيل)^(٢)، والأنباري^(٣) في (البيان)^(٤).



(١) معاني القرآن الكريم، للفراء (٢/ ٢٩٠).

(٢) التسهيل، لابن مالك (٣/ ٣٨٩).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال. كان زاهداً عفيفاً، خشن العيش والملبس، لا يقبل من أحد شيئاً. سكن (بغداد) وتوفي فيها [٥٧٧هـ]. انظر: الأعلام (٣/ ٣٢٧)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ٣٣)، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الديلمي (١/ ٢٣٩)، وترجم له في (تاريخ بغداد) (١٥/ ٢٣٩)، بغية الوعاة (٢/ ٨٦)، طبقات الشافعية، لابن قاضي شعبة (٢/ ١٠)، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٧/ ١٥٦)، معجم المؤلفين (٥/ ١٨٣).

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٢٢١).

المطلب الخامس بيان معنى (أي) والحكمة من ذكره

قال أستاذنا العلامة إبراهيم خليفة في (تفسير سورة النساء): «إنَّ أصل (أي) الواقعة في النداء نكرة صالحة لأن تقال على كافّة ما يمكن أن يندرج تحتها (على سبيل البدل)، فهي من المطلق بالمعنى الأصولي المعروف فيه، وإن كانت من أعمّه (ما صدقًا)، وأكثره صلاحية؛ لاندرج الأجناس تحتها على سبيل البدل»^(١).

وقد فرّقوا بين العام والمطلق في الأصول من حيث (الما صدق)، أي: (الأفراد) فيقولون: إنَّ كلَّ واحد منهما عامٌّ إلّا أنَّ عموم العام هو (عموم دفعي)، وعموم المطلق هو (عموم بدلي)^(٢).

والمثال يتحقّق عندما نأتي بنكرة في سياق الإثبات، ثمَّ نأتي بها بعينها في سياق النفي^(٣) ..

(١) تفسير سورة النساء (ص: ١٠٨) .

(٢) انظر: الإبهاج، للسبكي (٣١٦/١) .

(٣) وتوضيح ذلك إذا قلنا مثلاً: (ما جاءني طالبٌ) أو (ما جاءني رجلٌ) فهو نكرة في سياق النفي، وهي تعمُّ، أي: تشمل جميع أفراد الرّجال دفعةً واحدة، بحيث إذا قلتُ: (ما جاءني رجلٌ) لا يصحُّ أن تقول لي: هل جاءك محمّد؟ لأنَّ النّكرة عمّت جميع أفراد الجنس دفعةً واحدة. أمّا قولنا: (جاءني رجلٌ) من غير نفي، فالمطلق هنا يعمُّ الأفراد لكن لا على سبيل الدّفعة الواحدة، إنّما على سبيل البدل.. فقولك: (جاءني رجلٌ)، فرجل صالحة لأن تقال على أيّ ذكّرٍ من بني آدم، فيصحُّ أن أقصد محمّداً بدلا من عليٍّ أو غيره. ويصحُّ أن أقصد =

وعندما نقول: (يا)، ونقول بعدها: (أي)، وقبل أن يذكر المفسر فإنَّ النَّفس هنا كأنَّه قد حضر فيها كلُّ جنسٍ من الأجناس لكن على سبيل البدل، مثلاً: (النَّاس) في ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١] كأنَّه حضر في النَّفس أيضًا لكن لا على سبيل الاستقلال، وإنما على سبيل صلوح أن يكون هو المقصود بدل غيره، مثل: صلوح الملاء الأعلى مثلاً، ومثل: صلوح العلماء.. إلخ.

فعندما أذكرُ المفسر يأتي الحضور الثاني الَّذي هو على سبيل الاستقلال، فكأنَّ معنا حضورين، أو كأنَّ النَّاس قد حضروا مرَّتين، مرَّةً بذكر (أي) لكن لا على سبيل الاستقلال، وإنما الصَّلوح للإرادة بدلًا من غيرها؛ لأنَّ كلَّ الأجناس تحضر لكن على سبيل الصَّلوح للإرادة - (واحد بدل الآخر) -، ثمَّ يذكرُ المفسر بالحضور الاستقلالي. و(أي) التَّدائية وصلة لنداء ما فيه (أل)^(١).

= عليًا بدلًا من محمَّد أو غيره، بحيث إذا قلتُ: (جاءني رجلٌ) وسَكَتُ فلكَ أن تسألني عن الرَّجل من هو؟ هل هو محمَّد؟ هل هو عليٌّ؟.. و(أي) لها نفس المواصفات تشمل جميع ما يمكن أن يندرج تحتها من الأجناس أو الأنواع على سبيل البدل، نحو: يا أيُّها الرجل.. الطَّالِب.. الملاء.. العالم.. والمقصود في الحكم بالنداء في الحقيقة ليست هي، وإنما نعتُها الَّذي يليها، ولكونه هو المقصود بالحكم اغْتَفِر فيه ما لا يغتَفَر في غيره من الثَّعوث، فالمفروض في الثَّعْت عند التَّحويين أن يكون مشتقًّا أو مؤوَّلًا بالمشتقِّ، فالمشتقُّ مثل: (العاقل)، والمؤوَّل بالمشتقِّ مثل: المنسوب (المصري) مثلاً، أي: المنسوب إلى (مصر)، هذا المشار إليه مثلاً. أمَّا (النَّاس) أو (الرَّجل) فهو جامد، فجاز أن يكون نعتًا؛ لأنَّه المقصود بالنداء في الحقيقة في قولك: (يا أيُّها النَّاس).. كأنَّك تناديه لا تنعت به.

(١) و(أي) التَّدائية وصلة لنداء ما فيه (أل) يقال: ﴿يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، و﴿يَتَأَيَّهَا

«و(أي) وصلة إلى ندائه إنما آثروا (أي)؛ لأنها لوضعها على الإبهام، واحتياجها وضعًا إلى المخصّص ألصق بما بعدها من غيرها، ولما شابهها اسم الإشارة بكونه وضع مبهمًا مشروطًا بإزالة إبهامه بالإشارة الحسيّة أو الوصف بعده قام مقامها في التوصل إلى نداء ما فيه (أل). وأمّا ضمير الغائب فإنّه وإن وضع مبهمًا مشروطًا بإزالة إبهامه لكن بما قبله غالبًا وهو المفسر، وأمّا الموصول فإنّه وإن أزال إبهامه ما بعده لكنه جملة»^(١).

وقد سبق ما قاله الزّمخشرى وغيره من البيان الواضح للحكمة من

= الَّذِينَ آمَنُوا ﴿البقرة: ١٠٤﴾. ويجوز أن تؤث مع المؤنث فتقول: ﴿يَكَايُنْهَا أَنْفُسُ الْمُطْمَئِنِّينَ﴾ [الفجر: ٢٧]. وإنما كانت (أي) وصلة؛ لأنّه لا يقال: (يا الرّجل) أو (يا الّذي) أو (يا المرأة)، و(أي) هذه: اسم مبني على الضّم؛ لأنّه منادى مفرد، و(ها) لازمة لأيّ للتنبيه، وهي عوض من الإضافة في (أي) و(الرّجل) صفة لازمة لـ: (أي)، ولا بد من أن تكون هذه الصّفة فيها (أل). انظر: حاشية الصّبان (٣/ ١٥٠-١٥٢). والحاصل أنّه لا ينادى المعروف بـ: (أل) فلا يقال: (يا الرّجل) إلّا في الضّرورة؛ لأنّ في ذلك جمعًا بين أداتي التعريف. وجوّزه الكوفيون في الاختيار. واستثنى البصريون شيئين: اسم الله ﷻ، فيقال: (يا الله)؛ لأنّ (أل) للزومها فيه كأنها من بنية الكلمة، فيجوز حينئذٍ قطع همزه ووصله. والثّاني: الجملة المسمّى بها كأن تسمّى (يا الرّجل قائم) فإذا ناديته قلت: (يا الرّجل قائم) أقبل؛ لأنّه سمّي به على طريق الحكاية. انظر: معجم الهوامع (٢/ ٤٦-٤٨). «و(أي) بمنزلة (كل) مع التّكرة وبمنزلة (بعض) مع المعرفة والفعل في قولك: (أيّ عبيدي ضربك فهو حرّ) عامّ حتى لو ضربه الجميع عتقوا؛ لأنّ الفعل مسند إلى عامّ، وهو ضمير (أي)، وفي (أيّ عبيدي ضربته فهو حرّ) خاصّ حتّى لو ضرب الجميع لم يعتق إلّا الأوّل؛ لأنّ الفعل مسند إلى ضمير المخاطب، وهو خاصّ إذ الرّاجع إلى (أي) ضمير المفعول، والفعل يعمّ بعموم فاعله لكونه كالجُزء من الفعل». الكليّات (ص: ٣٢٦ - ٣٢٨).

(١) حاشية الصّبان (٣/ ١٥١).

ذكر (أي). وقال الألوسي: و(أي) لها معانٍ شهيرة، والواقعة في النداء نكرة موضوعة لبعض من كل، ثم تعرّفت بالنداء، وتوصّل بها لنداء ما فيه (أل)؛ لأنّ (يا) لا يدخل عليها في غير الله ﷻ إلا شذوذاً لتعذر الجمع بين حرفي التعريف، فإنهما كمثليين، وهما لا يجتمعان إلا فيما شذّ من نحو:

فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لَلِّمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً^(١)

أعطيت حكم المنادي، وجعل المقصود بالنداء وصفاً لها، والتزم فيه هذه الحركة الخاصة المسماة بالضمة، وإنما التزم ذلك إشعاراً بأنّه المقصود بالنداء، ولا ينافي هذا كون الوصف تابعاً غير مقصود بالنسبة لمتبوعه؛ لأنّ ذلك بحسب الوضع الأصلي حيث لم يطرأ عليه ما يجعله مقصوداً في حدّ ذاته ككونه مفسّراً لمبهم، ومن هنا لم يشترطوا

(١) البيت لمسلم بن معبد الوالبي الأسدي، من بني أسد، وقيل: لرجل من بني أسد [الوافر].
اللغة: (لا يلفى) لا يوجد، من ألفى إذا وجد، (لما بي) الذي بي. والمعنى: يقسم أنّه لا يوجد للذي به من المودة والألم، ولا للذي عند خصومه من الحقد والضغينة علاج، وليس هناك أمل في المودة والمصالحة وإزالة الأحقاد والضغائن، بعد أن تفاقم الخطب وعظم الخلاف. والشاهد فيه: (للما) فاللام الثانية تأكيد للأولى الجارة، ولم يفصل بينهما فاصل مع أنّ اللام ليست من أحرف الجواب وهو شاذ؛ لأنّ الحرف المؤكد موضوع على حرف هجائي واحد لا يكاد يقوم بنفسه، ولو جاء على الصواب لقال: (لِمَا لِمَا بِهِ)؛ لأنّ الأصل في حرف أن يعاد مع الاسم المجرور عند توكيده. انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٢/٩٨٢)، سر صناعة الإعراب (١/٢٨٢)، (١/٣٣٢)، الخصائص (٢/٢٨٢)، وانظر: التحرير والتنوير (٢٣/٣٧٠)، الدر المصون (٢/١٨٣)، ابن عادل (٦/٤٦٨).

في هذا الوصف الاشتقاق مع أنَّ التَّحْوِينَ إِلَّا النَّذْرَ كَابِنِ الْحَاجِبِ^(١) اشترطوا ذلك في النُّعُوتِ. و(ها) التَّنْبِيْهِيةُ زائدة لازمة للتَّأْكِيدِ والتَّعْوِيْضِ عَمَّا تَسْتَحِقُّ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ أَوْ مَا فِي حُكْمِهِ مِنَ التَّنْوِينِ كَمَا فِي ﴿أَيُّ مَآ تَدْعُوْنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وإن لم يستعمل هنا مضافاً أصلاً. وكثُرَ النَّدَاءُ فِي الْكِتَابِ الْمَجِيدِ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ لَمَّا فِيهَا مِنَ التَّأْكِيدِ الَّذِي كَثِيراً مَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ بِتَكَرُّرِ الذِّكْرِ، وَالْإِيضَاحِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ، وَالتَّأْكِيدِ بِحَرْفِ التَّنْبِيْهِ، وَاجْتِمَاعِ التَّعْرِيفِينَ.. هَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ..^(٢) وفي (تفسير أبي السُّعُود): «و(أي) اسم مبهم جعل وصلة إلى نداء المعروف باللام لا على أنه المنادى أصالة، بل على أنه صفة موضحة له، مزيلة لإبهامه والتزام رفعه مع انتصاب موصوفه محلاً إشعاراً بأنه المقصود بالنداء، وأقحمت بينهما كلمة التنبية تأكيداً لمعنى النداء،

(١) انظر: شرح الرُّضِيِّ عَلَى كَافِيَةِ ابْنِ الْحَاجِبِ (١/٣٨٦)، (٤/٢٨٥). أمَّا ابْنُ الْحَاجِبِ فَهُوَ عِثْمَانُ بْنُ عَمْرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ يُونُسَ، أَبُو عَمْرٍو، جَمَالُ الدِّينِ ابْنُ الْحَاجِبِ، فُقَيْهٌ مَالِكِيٌّ، مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ بِالْعَرَبِيَّةِ. كُرْدِيٌّ الْأَصْلُ. وَلَدَ فِي (أَسْنَا) -بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ، وَفَتْحِ الثُّوْنِ وَبَعْدَهَا أَلِفٌ- بَلِيدَةً صَغِيرَةً مِنْ صَعِيدِ (مِصْرَ)، وَنَشَأَ فِي (الْقَاهِرَةِ)، وَسَكَنَ (دِمَشْقَ)، وَمَاتَ بِالإِسْكَانْدَرِيَّةِ. وَكَانَ أَبُوهُ حَاجِبًا فَعَرَفَ بِهِ. مِنْ تَصَانِيفِهِ: (الْكَافِيَةُ) فِي النُّحُو، وَ(الشَّافِيَةُ) فِي الصُّرُفِ، وَ(مَخْتَصَرُ الْفَقْهِ) اسْتَخْرَجَهُ مِنْ سِتِّينَ كِتَابًا فِي فِقْهِ الْمَالِكِيَّةِ، وَيُسَمَّى: جَامِعُ الْأَمْهَاتِ، وَ(مُنْتَهَى السُّؤَالِ وَالْأَمَلُ فِي عِلْمِي الْأَصُولِ وَالْجَدَلِ) فِي أَصُولِ الْفَقْهِ.. إلخ. [٦٤٦هـ]. انظر: الْأَعْلَامُ (٤/٢١١)، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ (٣/٢٤٨-٢٤٩)، سِيرُ أَعْلَامِ الثُّبَلَاءِ (٢٣/٢٦٤-٢٦٥)، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ (٥/٢٣٤)، مَعْجَمُ الْمُؤَلَّفِينَ (٦/٢٦٥).

(٢) بِتَصْرِفٍ عَنْ (رُوحِ الْمَعَانِي) (١/١٨١-١٨٢)، وَانْظُرِ التَّفْصِيلَ فِي (رُوحِ الْمَعَانِي) (١/١٨١-١٨٢)، وَانْظُرِ: تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ (١/٥٨).

وتعويضاً عما يستحقّه، أي: من المضاف إليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروبٍ من أسباب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد، كيف لا.. وكلُّ ما ورد في تضاعيفه على العباد من الأحكام والشرائع وغير ذلك خطوبٌ جليّةٌ حقيقةً بأن تقشعرّ منها الجلود، وتطمئنّ بها القلوب الآيية، ويتلقّوها بأذانٍ واعية، وأكثرهم عنها غافلون.. فافتضى الحال المبالغة والتأكيد في الإيقاظ والتنبية^(١).

وعلى ذلك فإنّ فائدة ذكر (أي) في النداء في ثلاثة أمور:
«أحدها: غرض لفظي يتمثّل في كونها وصلة لنداء ما فيه (أل)، فإنّ حرف النداء لا يصحّ أن يباشر منادى فيه (أل).

أمّا الغرضان المعنويان لذكرها: فأحدهما: أنها بحكم إطلاقها وصلوحها لأن تقال على هذا وعلى ذاك من الأجناس على سبيل البدل - كما سبق - إذا طرق ذكرها السمع بمجرّدها، وقبل أن يذكر ما بعدها المفسّر لها يصلح في النفس أن يراد منها هذا المفسّر، وأن يراد غيره من بقية الأجناس الصالحة للإرادة، فإذا ذكر المفسّر بعدها كان حضوره في النفس على سبيل الاستقلال والإلغاء لما عداه، وكذلك يقال في كلّ تخصيصٍ لعام أو تقييدٍ لمطلق، فذكر (أي) أفادنا حضوراً مشتركاً للجنس المفسّر لها مع بقية الأجناس زائداً على الحضور المستقلّ لذلك المفسّر بعد ذكره..

(١) تفسير أبي السعود (١/٥٨).

وأما الغرض الآخر أنه عند ذكرها، وقبل أن يطرق السمع ذكر ما يفسرها تتردد النفس في المراد.. فتشوق النفس إلى معرفة المراد..، وتفسير هذا المبهم بحكم ما غرسه الله ﷻ فيها، وجبلها عليه من غريزة حب الاستطلاع. فإذا ذكر المفسر بعد ذلك فجاءها البيان بعد الإيهام تمكن في النفس أيما تمكن كأنما حفر وغرز في أعماق الأعماق منها؛ لأن ما يأتي عن تعب في الطلب، وتلهف وحرص على التحصيل تكون على بقاءه أحرص، وفي مزيد العناية به أتم وأبلغ^(١). وبذلك أكون قد أتيت على بيان ما قيل في معنى (أي)، والحكمة من ذكره، وما لذلك من الأهمية بالنسبة لموضوعات هذا الفصل..



(١) تفسير سور النساء (ص: ١٠٨-١٠٩).

المطلب السادس
حكمة التَّنبِيه بـ (ها)،
ونداء ما فيه (أل)

● ويتضمَّن:

- ١ - حكمة التَّنبِيه بـ (ها)
- ٢ - نداء ما فيه (أل)

وبيان ذلك على النحو التالي:

● أولاً: حكمة التَّنبِيه بـ (ها)

إِنَّ ما نادى الله ﷻ به عباده من أوامره ونواهيه ووعدته ووعدته أمور عظام، وخطوب جسام يجب عليهم أن يتيقظوا لها... قال الزَّمَخْشَرِيُّ: «وكلمة التَّنبِيه المقحمة بين الصِّفَة وموصوفها لفائدتين:

- ١ - معاضدة حرف النِّداء ومكاتفته بتأكيد معناه..
 - ٢ - وقوعها عوضاً ممَّا يستحقُّه، أي: من الإضافة.^(١)
- وتدخل على نعت^(٢) (أي) في النِّداء، نحو: (يا أَيُّهَا الرَّجُلُ)^(٣)، وهي في هذا واجبة^(٤) للتَّنبِيه على أنَّه المقصود بالنِّداء. قيل: وللتَّعْوِيز عَمَّا تضاف إليه (أي).
- ويجوز في هذه في لغة (بني أسد)^(٥) أن تحذف ألفها، وأن تضم

(١) الكشف (١/٢٢٥-٢٢٦)، وانظر: تفسير الرَّاзи (٣/٣١٩)، تفسير التَّسْفِي (١/٤٨)،

البرهان في علوم القرآن (٢/٤١٥)، مغني اللِّيب (ص: ٤٥٦).

(٢) وقيل: هو عطف بيان لعدم الاشتقاق كما في الرُّضي على الكافية (١/١٤٣).

(٣) وعلى ذلك يكون (أي) منادى نكرة مقصودة، و(ها) للتَّنبِيه، و(الرَّجُل) نعت لـ: (أي).

انظر: المقتضب، للمبرِّد (٤/٢١٦-٢١٧).

(٤) أي: واجبة الزيادة. وفي (الجنى الدَّاني): «وحرف التَّنبِيه لازم في هذا الموضع؛ لأنَّه كالصلة

لـ (أي)، بسبب ما فاتها من الإضافة؛ ولذلك يقول المعربون فيه: ها صلة وتنبية». الجنى

الدَّاني (ص: ٣٤٧).

(٥) قبيلة (بني أسد) من أشهر القبائل العربيَّة. انظر: بطون (بني أسد) في جمهرة أنساب العرب

(١/١٩٠)، (٢/٤٦٦)، وانظر: المفصل في تاريخ العرب (٨/١٢٥).

هاؤها إتباعاً^(١).

وعليه قراءة ابن عامر:

﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾^(٣)، ..

﴿أَيُّهُ السَّاحِرُ﴾^(٤) - بضمّ الهاء في الوصل -^(٥).

وفي (تفسير سورة النساء) بيان لحكم ثلاث تُستفاد من التنبيه بـ:

(ها):

«أولها: الإرشادُ إلى أهميّة الأمر المنبّه إليه ضرورة أنّه لا يحسن

(١) أي: إتباعاً لضمّة الياء في (أي).

(٢) وهي آية طويلة ختمت بقوله ﷻ: ﴿وَتُؤْنِسُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

(٣) وتام الآية: ﴿سَنَقُصُّ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

(٤) وتام الآية: ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٩].

(٥) انظر: الدر المصون (٢١٧/٥)، البحر المحيط (٤١٤/٦). وفي (الكشاف): «وقرئ: ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ - بضمّ الهاء - ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف، فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين أتبع حركتها حركة ما قبلها». الكشاف (٩٣/٣). وفي (المحرر الوجيز): «وقرأ ابن عامر: ﴿أَيُّهَا﴾ - بضمّ الهاء - ووجهه أن تجعل الهاء كأنها من نفس الكلمة، فيكون إعراب المنادى فيها.. وضعف أبو علي [الفارسي] ذلك جداً. وبعضهم يقف (أيّه). وبعضهم يقف (أيها) بالألف. وقوى أبو علي الوقف بالألف؛ لأنّ علّة حذفها في الوصل إنما هي سكونها وسكون اللّام، فإذا كان الوقف ذهبت العلّة فرجعت الألف كما ترجع الياء إذا وقفت على ﴿يُحْيِي﴾ من قوله ﷻ: ﴿غَيْرَ يُحْيِي الْقَبْرِ﴾ [المائدة: ١]. المحرر الوجيز (١٨٠/٤)، وانظر: البحر المحيط (٤١٤/٦)، غرائب القرآن (١٧٦/٥)، الرّازي (٣٧١/٢٣)، السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، تحبير التيسير (ص: ٤٨١)، حجة القراءات، بن زنجلة (ص: ٤٩٧)، الفريد (٥٩٦-٥٩٥/٣).

التَّنبِيهِ من العاقل فضلاً عن العليم ﷻ إِلَّا إلى ما هو مهمُّ يخشى أن تقع الغفلة عن أهميَّته لولا التَّنبِيهِ إليه.

ثانيها: تجليةُ رحمة الله ﷻ الواسعة، ونعمته السَّابغة على عباده بتنبئهم إلى ما يهمُّهم، وبحيث لم يكلهم إلى أنفسهم في اكتشاف ما فيه من الأهميَّة، ولا وكلهم إلى الغفلة التي يمكن أن تعثرهم فتحول دون تنبئهم إليه.

ثالثها: قطعُ أعداءِ الخلق، وإقامة الحجَّة عليهم بهذا التَّنبِيهِ، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيٍّ عن بينة. فَإِنَّه ﷻ بعد إذ نَبَّههم إلى ما يهمُّهم لا يبقى لهم عذر في ادِّعاء أنهم لم يعرفوا أهميَّته، وأنهم لو نَبَّهوا إليها لعرفوها^(١).

«و(ها) التَّنبِيهية زائدة لازمة للتأكيد والتَّعويض عمَّا تستحق من المضاف إليه أو ما في حكمه من التَّنوين كما في ﴿أَيُّهَا مَا تَدْعُوا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وإن لم يستعمل هنا مضافاً أصلاً. وكثر النداء في الكتاب المجيد على هذه الطَّريقة لما فيها من التَّأكيد الَّذي كثيراً ما يقتضيه المقام بتكرُّر الذِّكر والإيضاح بعد الإبهام، والتَّأكيد بحرف التَّنبِيهِ، واجتماع التَّعريفين^(٢).

وممَّا سبق يتبيَّن أنَّ (ها) التَّنبِيهية سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّ المراد منها: إمَّا تنبيه الغافل إلى ما بعدها، وتوجيهه إلى ما سيذكر. وإمَّا لإشعار غير

(١) تفسير سور النساء، أ.د إبراهيم خليفة (ص: ١١١).

(٢) روح المعاني (١/ ١٨٢).

الغافل إلى أهميّة ما بعدها، وجلال شأنه، ليتفرّغ له، ويقبل عليه.

● ثانيًا: نداء ما فيه (أل)

إذا أريدَ نداء ما فيه (أل)، يُؤتى قبله بكلمة (أيها) للمذكر، و(أيتها) للمؤنث. وتبقيان مع التثنية والجمع بلفظ واحد، مراعى فيهما التذكير والتأنيث، أو يؤتى باسم الإشارة .

فالأول: كقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧].

والأمثلة كثيرة وواضحة.

والثاني: نحو: (يا هذا الرجل)، و(يا هذه المرأة) إلّا إذا كان المنادى (لفظ الجلالة)^(١). لكن تبقى (أل) وتُقطَع همزتها وجوبًا، نحو: (يا الله).

والأكثر معه حذف حرف النداء والتعويض منه بميم مُشدّدة مفتوحة، للدلالة على التعظيم نحو: (اللهم). وقد وردت في (خمسة) مواضع:

(١) وذلك «أنّ الاسم لا ينادى وفيه الألف واللام؛ لأنك إذا ناديته فقد صار معرفة بالإشارة بمنزلة هذا، وذلك، ولا يدخل تعريف على تعريف، فمن ثم لا تقول: (يا الرجل تعال). وأما قولهم: (يا الله اغفر) فإنما دُعي وفيه الألف واللام؛ لأنهما كأحد حروفه. ألا ترى أنهما غير بائنتين منه. وليستا فيه بمنزلهما في (الرجل)؛ لأنك في (الرجل) تثبتهما وتحذفهما، وهما في (اسم الله) ثابتتان، وهو اسم علم». المقتضب، للمبرد (٤/٢٣٩-٢٤٢).

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلُوكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾

[المائدة: ١١٤].

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾

[الأنفال: ٣٢].

﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠].

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٦]^(١).

ولا يجوز أن توصف (اللهم)، على اللفظ، ولا على المحل، على الصحيح؛ لأنه لم يسمع. وأمّا قوله ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فهو على أنه نداء آخر، (قُلِ اللَّهُمَّ يا فاطر السموات). وإذا ناديت علماً مُقْتَرِناً بألٍ وضعاً حذفتهما وجوباً فتقول في نداء العباس والفضل والسموأل: يا عباسُ.. يا فضلُ.. يا سموألُ^(٢).

«و(اللهم) في كلام العرب خاصٌ بنداء الله ﷻ في الدعاء،

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٢/٢١)، وانظر: الدر المصون (٢/٥٣)، المحرر الوجيز (١/٤١٧)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/٣٩٤)، الثبيان (١/١٣٠)، النسفي (١/٢٢٨)، وانظر: تفسير النيسابوري (٢/١٣٦)، وانظر: الكتاب، بتحقيق: عبد السلام هارون، لسيبويه (٢/١٩٦).

(٢) وتستعمل (اللهم) على ثلاثة أنحاء: الأول: أن تكون للنداء المحض، نحو: (اللهم اغفر لي). الثاني: أن يذكرها المجيب تمكيداً للجواب في نفس السامع، كأن يقال لك: أخالد فعل هذا؟ فتقول: اللهم نعم. الثالث: أن تستعمل للدلالة على الثدرة وقلة وقوع المذكور معها، كقولك للبخیل: إِنَّ الْأَمَّةَ تَعْظُمُكَ، اللهم إن بذلت شطراً من مالك في سبيلها. انظر: الأصول في النحو (١/٣٣٨).

ومعناه: (يا الله). ولما كُثِرَ حذف حرف النداء معه قال النُّحاة: إنّ الميمَ عوضٌ من حرف النداء يريدون أنّ لحاق الميم باسم الله ﷻ في هذه الكلمة لما لم يقع إلّا عند إرادة الدُّعاء صار غنيًّا عن جلب حرف النداء اختصارًا، وليس المراد أنّ الميم تفيد النداء. والظاهر أنّ الميم علامة تنوين في اللُّغة المنقول منها كلمة: (اللَّهُم) من عبرانيّة أو قحطانيّة، وأنّ أصلها: (لَا هُمْ) مرداف (إله).

ويدلُّ على هذا أنّ العرب نطقوا به هكذا في غير النداء كقول الشاعر:

(كدعوة من أبي رياح يَسْمَعُهَا اللَّهُمَّ الكبير)^(١)
وأنهم نطقوا به كذلك مع النداء، كقول الشاعر:
(إنّي إذا ما حَدَثْتُ أَلَمًا أقول يا اللَّهُمَّ يا اللَّهُمَّا)^(٢).

(١) والبيت ينسب للأعشى، ويروى: (كَخَلْفَةٍ) بدل: (كدعوة). انظر: ديوانه (ص: ١٩٣)، والطبري (٢٢١/٣)، البحر المحيط (٤٣٣/٢)، (٤٣٦/٢)، القرطبي (٥٣/٤)، خزنة الأدب (٢٣٦/٢). وقد أنشده الفراء ولم يبيّن قائله. معاني القرآن، للفراء (٢٠٣/١). وقيل: الأعشى - كما سبق -. والبيت من [البسيط]. أمّا اللُّغة فإنّ قوله: (كَخَلْفَةٍ) كيمين، (أبي رياح) كناية عن رجل من (بني ضبيعة)، واسمه: (حصن بن عمرو). وكان أبو رياح قد قتل رجلًا من (بني سعد بن ثعلبة)، فسأله أن يحلف أو يعطي الدّية، فحلف ثم قتل بعد حلفته، فضربه العرب مثلاً لما لا يغني عن الحلف. والشاهد فيه: (لاهم) حيث استعمل (اللهم) في غير النداء. انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١٠٧٠/٢).
(٢) البيت قيل: إنّهُ لأبي خراش الهذلي، وقيل: لأميّة بن أبي الصلت، وهو من [الرجز]. اللُّغة: (حَدَثٌ) -بفتحين- وهو الأمر الذي يحدث من مكاره الدُّنيا، (أَلَمًا) نزل. والمعنى: يريد أنّه إذا نزلت به حادثة، أو أصابه مكروه لجأ إلى الله ﷻ في كشف ما ينزل به. والشاهد فيه: =

وأنهم يقولون: (يا الله) كثيرًا. وقال جمهورُ النُّحاة: إِنَّ الميم عوضٌ عن حرف النَّداء المحذوف، وأنه تعويضٌ غير قياسيٍّ، وأنَّ ما وقع على خلاف ذلك شذوذ. وزعم الفراء^(١) أَنَّ (اللَّهُمَّ) مختزلٌ من (اسم الجلالة)، وجملة أصلها (يا الله أم)^(٢) أي: أقبل علينا بخير^(٣)، وكلُّ ذلك تكلف لا دليل عليه^(٤).

= (يا اللهم يا اللهم) حيث جمع بين حرف النَّداء والميم المشددة التي يؤتى بها للتعويض عن حرف النَّداء، فجمع بين العوض والمعوَّض عنه. انظر: خزانة الأدب (٢/٢٥٨-٢٥٩)، الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس (١/٥٠)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٢/١٠٦٨)، شرح الرُّضي على كافية ابن الحاجب (١/٣٨٤)، وانظر: المقتضب، للمبرد (٤/٢٤٢).

(١) معاني القرآن، للفراء (١/٢٠٣-٢٠٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/٥٣)، تفسير الرَّاзи (٨/١٨٥)، وانظر: جلاء الأفهام، لابن القيم (ص: ١٤٣-١٤٤).

(٣) التَّقدير الَّذي ذكره الفراء: (يا الله أَمنا بخير). قال: فكثرت في الكلام فاختلطت. [أي: امتزجت بما قبلها، وهو (لفظ الجلالة)، وفي (تفسير الطَّبْرِي) (٣/٢٢١): «فاختلطت به»]. قال الفراء: الرفعة الَّتِي فِي الهاء من همزة (أَم) لما تركت [أي: الهمزة، يريد حذفها قبل انتقال حركتها إلى ما قبلها]. قال الفراء: ونرى أَنَّ قول العرب: (هَلُمَّ إلينا) مثلها، إنما كانت (هل) فضم إليها (أَم) فتركت على نصبها.. إلى آخر ما ذكره الفراء في المعاني. معاني القرآن (١/٢٠٣-٢٠٤).

(٤) التَّحرير والتَّنوير (٣/٢١٢). وينظر في ذلك: معاني القرآن وإعرابه، للرَّجاج (١/٣٩٣-٣٩٤)، الدُّر المصون (٢/٥٣-٥٥)، روح المعاني (٣/١١٣)، تفسير ابن عادل (٥/١٢٢-١٢٣)، تفسير الرَّاзи (٨/١٨٥)، القرطبي (٤/٥٣)، تفسير الماوردي (٢/٨٤)، أسرار العريَّة (ص: ٢١١-٢١٢)، أوضح المسالك (٤/٣١)، الأصول في التَّحْو (١/٣٣٨). إلخ.

لا خلاف أنَّ لفظة: (اللَّهُمَّ) معناها: (يا الله)؛ ولهذا لا تستعمل
إِلَّا في الطَّلَب، فلا يقال: (اللَّهُمَّ غفور رحيم)، بل يقال: (اللَّهُمَّ اغفر
لي وارحمني)..^(١)؛ ولذلك صلة بمحور البحث.



(١) انظر ذلك مفصلاً في (جلاء الأفهام) (ص: ١٤٣ - ١٤٤).

المبحث الثالث

صيغ النداء في القرآن

● ويتضمّن:

المطلب الأول: النداء القرآني العام إلى المخلوق.

المطلب الثاني: نداء الأعلام.

● توطئة:

وبعد بيان أهمية النداء بـ: (يا)، والحكمة من استخدام هذا الحرف دون غيره، أذكرُ هنا ما يتعلّق بصيغ النداء بـ: (يا).

و بادئ ذي بدء أذكر أمرين:

١ - أمّا عدد الآيات التي ذكرت فيها هذه الأداة فهو: [٣٤٧].

وأما عدد التكرار فهو: [٣٤٩].

٢ - أمّا بالنسبة للتّمثيل لما يتعلّق بالنداء العامّ فإن كان هذا العموم من وجه، فإني أذكر اسم السّورة، ورقم الآية، من غير ذكر المثال نفسه، وذلك لكثرة الأمثلة - وذلك بغرض الاختصار - إلّا إذا كان ذكر المثال يزيد الأمر وضوحًا.



المطلب الأول النداء القرآني العام إلى المخلوق

وقد اختلف التّقسيم هنا عنه في تنوّع أوجه الخطاب القرآني، وأردت أن يكمل كلُّ واحدٍ منهما الآخر، وهو هنا أخصُّ من حيث ذكر صيغة النداء، وهو هناك أعمُّ من ذلك..

ومن المهمّ توضيح ما يحيط بهذه الصّيغ من معنى، وذلك لاختلافها وتنوّعها، وتنوّع المقاصد منها، وما فيها من المنهج العلمي، وكذلك البعد الدّعوي الذي يزيدها حركةً وتألقاً من حيث إشراقها في نفس المخاطب -بفتح الطاء المهملة-.

أمّا صيغ الخطاب القرآني العام من المخاطب إلى المخلوق فهي على النحو التالي:

١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]:

أ. بيان المعنى:

أمّا ما يتعلّق بلفظ (النّاس) من حيث معناه، وما يندرج تحته، وعمومه فقد سبق بيان ذلك.

ب. ما يستفاد مما ولي المنادى:

ومن خلال تفسير أوّل موضع وردت فيه هذه الصّيغة نفهم الحكمة من ذلك، فيقاس عليها غيرها من الآيات. وأمّا أهميّة ذلك فإنما تعلم

بالتفكر والتأمل فيما ولي المنادى، وأنه أمر عظيم ينبغي أن يتنبه له المخاطب كما أن النظر في أقوال المفسرين يزيد المخاطب فهماً لما ولي المنادى يدفع عن تفكيره الإشكال، ويبصره بالعاقبة والمآل، وقد كانت العناية والاهتمام بذكر نماذج تطبيقية تثري الموضوع، وتفتح أمامه الآفاق، وتجمع بين العلم والدعوة، وهما في حقيقة الأمر صنوان يُرتقى بهما إلى سُدّة النّجاة.

قال الله ﷻ:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، فقد جاء أن النداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم. ربهم الذي تفرّد بالخلق، فوجب أن يتفرّد بالعبادة. وللعبادة هدف لعلهم ينتهون إليه ويحققوه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.. لعلكم تصيرون إلى تلك الصورة المختارة من صور البشرية. صورة العابدين لله ﷻ. المتقين لله ﷻ. الذين أدّوا حقّ الربوبية الخالقة، فعبدوا الخالق وحده، ربّ الحاضرين والغابرين، وخالق الناس أجمعين، ورازقهم كذلك من الأرض والسّماء، بلا ند ولا شريك^(١).

وهذا أمرٌ عامٌّ لكلّ النَّاسِ، بأمرٍ عامٍّ، وهو العبادة الجامعة، لامتثال أوامر الله ﷻ، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم ﷻ بما خلقهم له، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، إلى غير ذلك..

(١) انظر: الظلال (١/٤٦-٤٧).

أمّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو: [٢٠].
وأمّا عدد التكرار فهو: [٢٠].
وهي على النحو الآتي:

[البقرة: ٢١-١٦٨]، [النساء: ١ - ١٧٠ - ١٧٤]، [الأعراف: ١٥٨]، [يونس: ٢٣ - ٥٧ - ١٠٤ - ١٠٨]، [الحج: ١ - ٥ - ٤٩ - ٧٣]، [النمل: ١٦]، [لقمان: ٣٣]، [فاطر: ١٥]، [الحجرات: ١٣]^(١).

٢ - ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]:

و(إسرائيل) هو يعقوبُ بنُ إسحاقَ بن إبراهيم، وقيل: (إسرا) بالعبرانية: عبد، و(إيل) هو الله ﷻ، فكان اسمه: (عبد الله)^(٢).

(١) وذلك موافق لما ذكره ابنُ الجوزي في (فنون الأفنان في عيون علوم القرآن) (ص: ٤٠٥)، وفاته أن يذكر في كتابه (عجائب علوم القرآن) الآية: [٣٣] من (سورة لقمان). انظر: عجائب علوم القرآن (ص: ١٩١-١٩٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١/٣٣١)، تفسير الماوردي (١/١١٠)، البحر المحيط (١/٣٢٥)، التحرير والتنوير (١/٤٥٠)، السراج المنير (١/٦١)، الرّازي (٣/٤٢٧)، الدر المصون (١/٢٠٢). وينسب هذا القول إلى ابن عباس ؓ «حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء، عن عُمير مولى ابن عباس عن ابن عباس ؓ: أَنَّ إِسْرَائِيلَ كَقَوْلِكَ: عبد الله». تفسير الطبري (١/٢٤٨)، تفسير ابن كثير (١/٨٣)، وانظر: الإقتان (٢/٣٨٠). وهذا إسناد صحيح. وإسماعيل بن رجاء بن ربيعة: ثقة، أخرج له مسلم في (صحيحه). وعُمير مولى ابن عباس: هو عمير بن عبد الله الهلالي، مولى أم الفضل، وقد ينسب إلى ولاء زوجها (العباس)، كما ورد في إسناد حديث آخر في المسند: [٧٧]، وقد ينسب إلى ولاء بعض أولادها، كما في هذا الإسناد، وهو تابعي ثقة، وأخرج له الشيخان وغيرهما. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٧٥٤)، تهذيب الكمال (٢٢/٣٨١)، إسعاف المبطلأ برجال الموطنأ (ص: ٢٣)، تعجيل المنفعة (١/٨٨).

وذلك مثل: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، -عليهم السلام-.

وقيل غير ذلك^(١).

وقد اختلفوا فيه، والأصح أنه علم أعجمي؛ ولهذا منع من الصّرف، وهو مركّب تركيب الإضافة، فإنّ (إسرا) هو العبد بالعبريّة، و(إيل) هو الله ﷻ، وقد تصرّفت العرب فيه بلغاتٍ أصحّها لغة العرب.

وهنا كلام مهمّ للظاهر بن عاشور يذكر التّنوع في (خطاب بني إسرائيل)، ثمّ يذكر وجه المناسبة لكلّ خطاب، حيث يقول في قول الله ﷻ: ﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ﴾: [هو] «خطابٌ لذريّة يعقوب عليه السلام، وفي ذريّته انحصر سائر الأُمّة اليهوديّة. وقد خاطبهم بهذا الوصف دون أن يقول: (يا أيّها اليهود)؛ لكونه هو اسم القبيلة، أمّا اليهود فهو اسم النّحلة والدّيانة؛ ولأنّ من كان متّبعا دين اليهوديّة من غير بني إسرائيل كحمير^(٢) لم يعتدّ بهم؛ لأنهم تبع لبني إسرائيل، فلو آمن بنو إسرائيل

(١) انظر: الثّبيان في تفسير غريب القرآن الكريم (١/٨٠)، وانظر التّفصيل والقراءات في (تفسير القرطبي) (١/٣٣١)، وروح المعاني (١/٢٤١)، انظر: إعراب القرآن وبيانه (١/٨٩).

(٢) حمير: أبو قبيلة من (اليمن)، وهو حمير ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهي قبيلة يمنية معروفة منذ أيام السّبئيين، اشتدّ نفوذها في أواخر عهد السّبئيين، ثمّ كوّنت لنفسها دولة عاصمتها (ظفار)، وقد استمر نفوذها حتّى ظهور الإسلام، وكان لها لغة خاصّة هي (الحميريّة) وقد انقرضت. مؤسّس القبيلة هو (حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب). انظر: الصّحاح، مادّة: (حمر) (٢/٦٣٨)، وكذلك في (لسان العرب) (٤/٢٠٨)، وانظر: =

بالنبي ﷺ لآمن أتباعهم؛ لأنَّ المقلد تبع لمقلده»^(١).
وقد جاء تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ يَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْزُقُكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] أنَّ هذا الخطاب للتذكير بنعم أنعم الله ﷻ بها على أسلافهم، وكرامات أكرمهم بها فكان لندائهم بعنوان كونهم أبناء يعقوب عليه السلام وأعقابه مزيد مناسبة لذلك، ألا ترى أنه لما ذكروا بعنوان التدين بدين موسى عليه السلام ذكروا بوصف (الذين هادوا) في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية [البقرة: ٦٢].

وتوجيه الخطاب إلى جميع بني إسرائيل يشمل علماءهم وعامتهم؛ لأنَّ ما خوطبوا به هو من التذكير بنعمة الله ﷻ على أسلافهم وبعهد الله ﷻ لهم. وكذلك نجد خطابهم في الأغراض التي يراد منها التّسجيل على جميعهم يكون بنحو: ﴿يَتَاهَلْ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، أو بوصف اليهود الذين هادوا، أو بوصف النصارى، فأما إذا كان الغرض التّسجيل على علمائهم فنجد القرآن يعنونهم بوصف: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [النساء: ٤٧]، أو ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الأنعام: ٢٠].

وقد يستغنى عن ذلك بكون الخبر المسوق ممّا يناسب علماءهم

= المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١/٥٢)، تاريخ ابن الوردي (١/٥٦-٥٨)، تاريخ الإسلام (١١/٣١٨)، تاريخ الطبري (١/٢٦١) (١/٤٢٩)، معجم البلدان (٥/١٤-٣٥).
(١) التّحرير والتّنوير (١/٤٤٩).

خاصّة مثل قوله ﷻ: ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيْبٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. ونحو: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِحَاثِيَتِي ثَمَنًا قَلِيْلًا﴾ [البقرة: ٤١]^(١). إلى غير ذلك من الآيات. فإذا جاء الخطاب بأسلوبٍ شاملٍ لعلمائهم وعامّتهم صرف إلى كلّ طائفة من الطّائفتين ما هو لائق بها .

وهنا فائدة: فقلوه ﷻ: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ، أي: (يا أولاد إسرائيل)، والأصل في (بني) أن تكون للذكور، لكن إذا كانت لقبيّلة، أو لأمةٍ شملت الذكور والإناث، كقلوه ﷻ: ﴿يَبْنِي ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦]^(٢).

أمّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصّيغة من النداء فهو: [٦].
 أمّا عدد التّكرار فهو أيضًا: [٦].
 وهي على التّحو الآتي:

[البقرة: ٤٠ - ٤٧ - ١٢٢] ، [المائدة: ٧٢] ، [طه: ٨٠] ،

[الصّف: ٦].

٣ - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]:

«وصفّهم بالإيمان إثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطاً لهم وحثاً على مراعاة ما يعقّبه من الأمر»^(٣).

(١) انظر: المصدر السابق (١/٤٥٠).

(٢) انظر: المصباح المنير، مادّة: (الابْن) (١/٦٢).

(٣) تفسير أبي السّعود (١/١٧٩).

يناديهم بالصِّفة الَّتِي تميِّزهم، وَالَّتِي تربطهم بربهم وبنبيهم، وَالَّتِي تستجيش في نفوسهم الاستجابة والتَّلبية^(١).

أَمَّا عددُ الآياتِ الَّتِي وردت فيها هذه الصِّيغة من النداء فهو: [٨٩].
أَمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [٨٩]^(٢).

وهي على النَّحو الآتي:

- البقرة: ١٠٤ - ١٥٣ - ١٧٢ - ١٧٨ - ١٨٣ - ٢٠٨ - ٢٥٤ -
- ٢٦٤ - ٢٦٧ - ٢٧٨ - ٢٨٢، [آل عمران: ١٠٠ - ١٠٢ - ١١٨ -
- ١٣٠ - ١٤٩ - ١٥٦ - ٢٠٠]، [النساء: ١٩ - ٢٩ - ٤٣ - ٥٩ - ٧١ -
- ٩٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٤]، [المائدة: ١ - ٢ - ٦ - ٨ - ١١ -
- ٣٥ - ٥١ - ٥٤ - ٥٧ - ٨٧ - ٩٠ - ٩٤ - ٩٥ - ١٠١ - ١٠٥ -
- ١٠٦]، [الأنفال: ١٥ - ٢٠ - ٢٤ - ٧٢ - ٢٩ - ٤٥]، [التوبة: ٢٣ -
- ٢٨ - ٣٤ - ٣٨ - ١١٩ - ١٢٣]، [الحج: ٧٧]، [التور: ٢١ - ٢٧ -
- ٥٨]، [الأحزاب: ٩ - ٤١ - ٤٩ - ٥٣ - ٥٦ - ٦٩ - ٧٠]،
- [محمد ﷺ: ٧ - ٣٣]، [الحجرات: ١ - ٢ - ٦ - ١١ - ١٢]،
- [الحديد: ٢٨]، [المجادلة: ٩ - ١١ - ١٢]، [الحشر: ١٨]،
- [الممتحنة: ١ - ١٠ - ١٣]، [الصَّف: ٢ - ١٤]، [الجمعة: ٩]،

(١) انظر: الظلال (١/١٠٠).

(٢) وذلك موافق لما ذكره ابنُ الجوزي في كتابه (فنون الأفتان في عيون علوم القرآن) (ص: ٤٠٧)، وكذلك في كتابه (عجائب علوم القرآن) من [١٩٤] إلى [٢٠٢]، مع ذكره في كتابه الأخير (ما ولي المناذى) في قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾...

[المنافقون: ٩]، [التَّغَابُن: ١٤]، [التَّحْرِيم: ٦ - ٨].

٤ - ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩]:

و(الألباب) هنا: جمع لب، وهو العقل، واللُّبُّ من كلِّ شيءٍ: الخالصُ منه^(١).

يعني: يا ذوي العقول. أي: يا ذوي العقول الخالصة عن شوب الأوهام. خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الإيمان تنشيطاً لهم إلى التأمل...^(٢).

أمّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو: [٤].

أمّا عدد التكرار فهو أيضاً: [٤].

وهي على النحو الآتي:

[البقرة: ١٧٩، ١٩٧]، [المائدة: ١٠٠]، [الطلاق: ١٠].

٥ - ﴿يَتَأَهَّلَ آلُكَتَبٍ﴾ [آل عمران: ٦٤]:

أ. بيان المعنى:

أي: من اليهود والنصارى، وهو كثير، وقد جاءت الصيغة نصّاً صريحاً في إرادة كلٍّ منهما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ آلُكَتَبٍ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَقٍّ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

(١) انظر: مفردات القرآن، مادة: (لب) (ص: ٤٤٦)، لسان العرب، مادة: (لب)

(٧٢٩/١)، الكليات (ص: ٧٩٨)، التعاريف (ص: ٦١٧).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (١/١٩٦)، روح المعاني (٢/٥٢).

أقول: وقد يراد به واحد منهما، وذلك بحسب القرائن كما في قوله ﷻ: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]. فقوله ﷻ: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ﴾ تجريدًا للخطاب وتخصيصًا له بالنصارى زجرًا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال، ﴿لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ بالإفراط في رفع شأن عيسى عليه السلام، وادعاء ألوهيته، وأما غلو اليهود في حط رتبته - عليه السلام - ورميهم له بأنه ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق^(١). وكذلك ما جاء في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]. المراد بأهل الكتاب هنا: النصارى؛ لأنهم هم الذين اتخذوا المخلوق ربًا وعبدوه مع الله ﷻ^(٢). وقد أريد بالذين (أوتوا الكتاب) - في هذه الصيغة المشابهة للصيغة التي نحن بصددتها - اليهود في قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ [النساء: ٤٧].

ب. ما يستفاد مما ولي المنادى :

أقبل على خطاب أهل الكتاب بعد أن ذكر من عجائب ضلالهم، وإقامة الحجّة عليهم، ما فيه وازع لهم لو كان بهم وزع^(٣)، وكذلك

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٢/٢٥٩)، روح المعاني (٦/٢٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣/٢٦٨).

(٣) «وزعته أزعجه وزعًا: كفته، فاتزع هو، أي: كف. وأوزعته بالشئ: أغريته به، فأوزع به، =

شأن القرآن أن لا يفلت فرصة تَعِنُّ من فُرص الموعظة والهدى إلا انتهزها، وكذلك شأن النَّاصِحِينَ من الحكماء والخطباء أن يتوسَّموا أحوالَ تأثُر نفوس المخاطبين، ومظانَّ ارعوائها عن الباطل، وتبصُّرها في الحقِّ، فينجدوها حينئذٍ بقوارع الموعظة والإرشاد^(١).

وسياأتي مزيد من البيان عند ذكر الصِّيْغة.

أَمَّا وصفهم بـ: (أهل الكتاب) فقد وُصفوا بأهليَّة الكتاب؛ تمهيدًا لما سيأتي من تبكيتهم وإلزامهم بكفرهم بكتابهم^(٢).

أَمَّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصِّيْغة من النداء فهو: [١٢].

أَمَّا عدد التَّكرار فهو أيضًا: [١٢].

وهي على النَّحو الآتي:

[آل عمران: ٦٤ - ٦٥ - ٧٠ - ٧١ - ٩٨ - ٩٩]، [النساء: ١٧١]،

[المائدة: ١٥ - ١٩ - ٥٩ - ٦٨ - ٧٧].

٦ - ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [النساء: ٤٧]:

أ. بيان المعنى:

وقد جاءت هذه الصِّيْغة في آية واحدة في (خطاب اليهود)^(٣) في

قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ

= فهو موزع به، أي: مغرى به». الصُّحاح، مادة: (وزع) (٣/١٢٩٧).

(١) انظر: التَّحْريْر والتَّنْوِير (٥/٧٨).

(٢) انظر: تفسير أبي السُّعود (٣/٥٤)، روح المعاني (٦/١٧٢).

(٣) انظر: تفسير الطُّبري (٥/١٢١)، روح المعاني (٥/٤٩)، ابن كثير (١/٥٠٩)، الدر المنثور

(٢/٥٥٥)، البياضوي (٢/١٩٨)، لباب النقول (١/٧٠)، الثَّعالبي (١/٣٧٩).

مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ
الْسَّبْتِ ﴿٤٧﴾ [النساء: ٤٧].

ب. ما يستفاد ممّا ولي المنادى:

«يتّجه الخطاب إلى الذين أوتوا الكتاب، [وهم هنا] اليهود دعوة إلى الكتاب المصدّق لما بين أيديهم، وتهديدًا لهم بالمسخ واللّعن المتوقّعين من وراء عنادهم وأفاعيلهم. ودمعًا لهم بالشّرك والانحراف عن التّوحيد الخالص، اللّذي عليه دينهم، والله ﷻ لا يغفر أن يشرك به. وفي الوقت ذاته بيان عام لحدود المغفرة الواسعة، وبشاعة الشّرك حتى إنّّه ليخرج من هذه الحدود. إنّّه نداء لهم بالصّفة الّتي كان من شأنها أن يكونوا أوّل المستجيبين، وبالسّبب اللّذي كان من شأنه أن يكونوا أوّل المسلمين، فهم أوتوا الكتاب، فليس غريبًا عليهم هذا الهدى. والله ﷻ اللّذي آتاهم الكتاب هو اللّذي يدعوهم إلى الإيمان بما أنزل مصدّقًا لما معهم، فليس غريبًا عليهم ذلك، وهو مصدّق لما معهم. ولو كان الإيمان بالبيّنة، أو بالأسباب الظّاهرة، لآمنت يهود أوّل من آمن، ولكن يهود كانت لها مصالح ومطامح، وكانت لها أحقاد وعناد، ومن ثمّ لم تؤمن، ومن ثمّ يجيئها التّهديد العنيف القاسي..»^(١).

أمّا عدد الآيات الّتي وردت فيه هذه الصّيغة من النداء فهو: [١].

أمّا عدد التّكرار فهو أيضًا: [١]. وهي: [النساء: ٤٧].

ولكن ينبغي أن يلاحظ فيه ما جاء في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَتَأْهَلْ

الْكِتَابِ﴾ ، هذا من جانب، ومن جانب آخر أنّ هذه الصّيغة -أعني:

(١) بقليل من التّصرّف عن (الظلال) (٦٧٦-٦٧٧).

﴿أَوْثُوا الْكِتَابَ﴾ - لها ذكرٌ من غير ذِكْرِ صيغة النداء (يا) في مواضع متعددة، فعدد الآيات التي وردت فيها هذه الصيغة مجردة عن النداء في [١٧] موضعاً^(١)، ولستُ هنا بصدد بيان إلّا ما جاء مسبوقاً منها بـ: (يا).

٧ - ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ﴾ [الأنعام: ١٢٨]:

أ. بيان المعنى:

النداء هنا نداء مضاف - وسيأتي بيانه - و(المعشر): الجماعة الذين أمرهم وشأنهم واحد^(٢)، بحيث تجمعهم صفة أو عمل، وهو اسم

(١) انظر الآيات التالية: [البقرة: ١٠١، ١٤٤، ١٤٥]، [آل عمران: ١٩، ٢٠، ١٠٠، ١٨٦، ١٨٧]، [النساء: ١٣١]، [المائدة: مرتين في الآية: ٥، ٥٧]، [التوبة: ٢٩]، [الحديد: ١٦]، [المدثر: مرتين في الآية: ٣١]، [البيّنة: ٤]. أمّا ما كان مسبوقاً بالنداء فقد جاء في [النساء: ٤٧] - كما سبق -.

(٢) وفي (تاج العروس): يقال: المعشَرُ كَمَشَكَنَ: الجماعة، وقيدَ بعضهم بأنّه الجماعة العظيمة، سمّيت لبلوغها غاية الكثرة؛ لأنّ (العشرة) هو العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده إلا وهو مُركَّبٌ ممّا فيه من الأحاد كأحدٍ عَشَرَ، وكذا عشرون وثلاثون، أي: عَشْرَتان وثلاثة، المعشَرُ محلّ العشرة الذي هو الكثرة الكاملة. وقيل: المعشَرُ: أهل الرُّجُل. وقال الأزهريّ [تهذيب اللغة، للأزهريّ، مادة: (عشر) (٢٦٢/١)]، وكذلك مادة: (طهر) (١٠١/٦): المعشَرُ والنَّفَرُ والقَوْمُ والرَّهْطُ: معناه الجمع، لا واحد لهم من لفظهم، للرُّجال دون النساء، والعشيرة أيضاً للرُّجال، والعالم أيضاً للرُّجال دون النساء. وقال اللّيث: المعشَرُ: كلُّ جماعةٍ أمرهم واحدٌ، نحو: معشَرُ المسلمين، ومعشَرُ المشركين. والجمع المعاشِر. وقيل: المعشَرُ: الجنُّ والإنسُ، وفي التّنزيل: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ﴾ [الأنعام: ١٣٠]. قال شيخنا -[علّه] يقصد أبا عبد الله محمد بن الطيّب بن محمد الفاسيّ، المتولّد بفاس سنة [١١١٠]، والمتوفّى بالمدينة المنورة سنة [١١٧٠] حيث قال: وهو عُمدتي في هذا الفنّ. تاج العروس (١/٣) -: ولكنّ الإضافة تقتضي المغايرة، وفيه أنّ التقدير: يا معشَرًا هُم الجنُّ والإنسُ، فتأمّل. تاج العروس، مادة: (عشر) (١٣/٥٣-٥٤)، وانظر: لسان العرب، مادة: (عشر) =

جمع لا واحد له من لفظه.

وهو يُجمع على: (معاشر) أيضًا، وهو بمعناه، وهو مشتق من المعاشرة والمخالطة.

والأكثر أن يضاف (المعشر) إلى اسم يبين الصفة التي اجتمع مسماه فيها، وهي هنا صفة كونهم جنًّا؛ ولذلك إذا عطف على ما يضاف إليه كان على تقدير تشية معشرًا وجمعه، فالتشية نحو: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْذُوا﴾ [الرحمن: ٣٣]، أي: يا معشر الجنِّ ويا معشر الإنس، والجمع نحو قولك: (يا معاشر العرب والعجم والبربر)»^(١).
ب. ما يستفاد ممَّا ولي المنادى:

والجنُّ مأمورون ومنهيئون كالإنس، وقد بعث الله ﷻ الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- من الإنس إليهم وإلى الإنس وأمر الجميع بطاعة الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام-...^(٢).

قول الله ﷻ: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].
الرُّسل من الإنس خاصَّة لكن لما جمعوا مع الجنِّ في الخطاب صحَّ ذلك^(٣).

= (٤/٥٦٨)، تهذيب اللُّغة، من (١/٢٥٩) إلى (١/٢٦٢)، المعجم الوسيط (٢/٩٠٢).

(١) التحرير والتنوير (٨/٦٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣/٧٩)، دقائق التفسير (٢/١٣٥).

(٣) انظر: تفسير البياضوي (٢/٤٥٣)، تفسير الطبري (٨/٣٦)، الكشف (٢/٥١)، تفسير

ابن جزي (٢/٢١)، تفسير أبي السعود (٣/١٨٥)، تفسير السمرقندي (١/٥١٤).

وفي إرسال الرُّسل إقامة للحجَّة عليهم، وهذا أيضًا مما يستفاد من الآية.

وفي (البرهان): «المراد: (الإنس)؛ لأنَّ الرُّسل لا تكون إلَّا من بني آدم عليه السلام.

وحكى بعضهم فيه الإجماع، لكن عن الضَّحَّاك^(١): إنَّ من الجن رسولًا اسمه (يوسف)؛ لقوله ﷺ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

واحتجَّ الجمهور بقوله ﷺ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]؛ ليحصل الاستثناس، وذلك مفقود في الجن، وبقوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ الآية [آل عمران: ٣٣]. أجمعوا أنَّ المراد بالاصطفاء: النبوة، وأجيب عن تمسك الضَّحَّاك بالآية بأنَّ البعضية صادقة بكون الرُّسل من بني آدم عليه السلام، ولا يلزم إثبات رسل من الجن بطريق إثبات نفرٍ من الجن يستمعون القرآن من رسل الإنس، ويبلغونه إلى قومهم وينذرونهم، ويصدق على أولئك النفر من حيث إنهم رسل الرُّسل، وقد سمَّى الله ﷺ رسل عيسى عليه السلام

(١) انظر: تفسير الطُّبري (٣٦/٨)، تفسير ابن عادل (٤٣٥/٨)، البحر المحيط (٢٢٥/٤)، البرهان في علوم القرآن (٢٣٧/٢). وقد سبق تضعيف هذا القول، ولم يذكر هذا القول (الدكتور محمد شكري أحمد..). الذي جمع أقوال الضَّحَّاك في تفسير قوله ﷺ: ﴿يَمْعَسِرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَّا يَأْتِيَكُمُ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، وكذلك في تفسير: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾. انظر: تفسير الضَّحَّاك (٣٥٢-٣٥٣)، (٢/٦٩١). وإنما ذكر قول الضَّحَّاك - الذي سيأتي-، وهو زعمه أنَّ في الجن رسلاً.

بذلك حيث قال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤] ^(١).

وقيل: قوم من الجن رسل للآية ^(٢)، ويرد عليه ما سبق.

وقد نصّ غير واحد من أئمة السلف والخلف على الاتفاق على أنه ليس من الجن رسل.. فقد قال الحافظ ابن كثير: «نصّ على ذلك مجاهد وابن جريج وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرسل من بني آدم عليه السلام، ومن الجن نذر، وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أنه زعم أن في الجن رسلاً، واحتجّ بهذه الآية الكريمة، وفيه نظر؛ لأنها محتملة وليست بصريحة. وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جرير ^(٣).

والدليل على أن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- إنما هم من الإنس قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﷻ، إلى قوله ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

وقوله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم عليه السلام في ذريته، ولم يقل أحد من الناس أن النبوة كانت من الجن قبل إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم انقطعت عنهم ببعثته.

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/٢٣٧)، وانظر: روح المعاني (٧/٢١٥).

(٢) انظر: تفسير البضاوي (٢/٤٥٣)، البرهان في علوم القرآن (٢/٢٣٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/٣٦)، وانظر: تفسير الضحاك (١/٣٥٢-٣٥٣).

وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال ﷺ: ﴿وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾
[يوسف: ١٠٩]، ومعلوم أنَّ الجنَّ تبع للإنس في هذا الباب..^(١)
إلى آخر ما ذكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ من الأدلة.

وقد حَقَّقَ ابنُ تيمية -رحمه الله ﷺ- ذلك أيضًا عند تفسير قول الله
ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، حيث
قال: «قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ يخصُّ قريشًا والعرب، ثمَّ يعمُّ
سائر البشر؛ لأنَّ القرآن خطاب لهم، والرَّسول ﷺ من أنفسهم،
والمعنى ليس بملك لا يطبقون الأخذ منه، ولا جني، ثمَّ يعمُّ الجنَّ؛
لأنَّ الرَّسول ﷺ أرسل إلى الإنس والجنَّ، والقرآن خطاب للثقلين،
والرَّسول ﷺ منهم جميعًا كما قال ﷻ: ﴿يَمَعَشَرُ الْإِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ
يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرِّبُونَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾
[الأنعام: ١٣٠]، فجعل الرُّسل التي أرسلها من النَّوعين مع أنَّهم من
الإنس؛ فإنَّ الإنس والجنَّ مشتركون مع كونهم أحياء ناطقين مأمورين
منهيين؛ فإنهم يأكلون ويشربون وينكحون وينسلون ويغتذون وينمون
بالأكل والشُّرب، وهذه الأمور مشتركة بينهم، وهم يتميِّزون بها عن
الملائكة؛ فإنَّ الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح ولا تنسل، فصار

(١) تفسير الحافظ ابن كثير (١٧٨/٢)، وانظر: الدر المنثور (٣/٣٥٩)، فتح القدير (٢/١٦٤)،
روح المعاني (٨/ ٢٨)، البرهان في علوم القرآن (٢/٢٣٧).

الرَّسُولَ ﷺ من أنفس الثَّقَلَيْنِ باعتبار القدر المشترك بينهم الَّذِي تَمَيَّزُوا به عن الملائكة حتى كان الرَّسُولُ ﷺ مبعوثاً إلى الثَّقَلَيْنِ دون الملائكة...»^(١).

ج. التَّائِجُ:
وممَّا سبق يَتَبَيَّنُ:

١ - جاء نداء الجنِّ في الخطاب القرآني بهذه الصِّيْغة، وقد بَيَّنْتُ ما جاء في معناها.

٢ - إِنَّ الجنَّ مأمورون ومنهيون كالأنس.

٣ - الاتِّفَاق على أَنَّ الله ﷻ بعث الرُّسُلَ -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- من الإنس خاصَّةً إلى الإنس والجنِّ معاً، فَإِنَّ مَبْلَغَ الخطاب الإلهي إنما هو من الإنس لكلِّ من الإنس والجنِّ.

٤ - إقامة الحُجَّة على الجنِّ، وذلك بإرسال الرُّسُل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- إليهم.

٥ - جاء الخطاب من الجنِّ بصيغة: ﴿يَقُومَنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٠] -وسياأتي بيان ذلك في موضعه-.

أمَّا عدد الآيات الَّتِي وردت فيه هذه الصِّيْغة -﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ﴾- من غير عطف لفظ (الإنس) فهو: [١].

أمَّا مع العطف فسياأتي عقب ما جاء من غير عطف.

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٦/ ١٩٢).

أما عدد التكرار فهو أيضًا: [١].

وهي: [الأنعام: ١٢٨].

٨ - ﴿يَمْعَشَرُ الْحَيْنَ وَالْأَيْنِسَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]:

سبق بيان معنى (معشر)، وهنا (الخطاب إلى الاثنين)، وقد سبق

أيضًا في (تنوع وجوه الخطاب القرآني).

أما عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو: [٢].

أما عدد التكرار فهو أيضًا: [٢].

وهي على النحو الآتي:

[الأنعام: ١٣٠]، [الرحمن: ٣٣].

٩ - ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦]:

أ. ما يستفاد من النداء بهذه الصيغة، ومما ولي المنادى:

وهنا مسائل مهمة لها صلة وثيقة بما لهذه الصيغة من الدلالة.

فمن ذلك ما ذكره الرازي - رحمه الله ﷺ - في (تفسيره)، حيث

قال: «لا شك أن (اسم الولد) واقع على (ولد الصليب) على سبيل

الحقيقة، ولا شك أنه مستعمل في (ولد الابن)، قال ﷺ: ﴿يَبْنِيْ

عَادَمَ﴾ ، وقال للذين كانوا في زمان الرسول ﷺ: ﴿يَبْنِيْ إِسْرَءِيلَ﴾

[البقرة: ٤٠]، إلا أن البحث في أن لفظ (الولد) يقع على (ولد الابن)

مجازًا أو حقيقة.

فإن قلنا: إنه مجاز فنقول: ثبت في أصول الفقه أن اللفظ الواحد لا

يجوز أن يستعمل دفعةً واحدة في حقيقته وفي مجازه معاً^(١)، فحيثُذِ
يَمْتَنَعُ أن يريد الله ﷻ بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾
[النساء: ١١] ولد الصُّلب وولد الابن معاً.

[قال]: واعلم أنَّ الطَّرِيقَ في دفع هذا الإشكال أن يقال: إِنَّا لَا
نَسْتَفِيدُ حُكْمَ (ولد الابن) من هذه الآية، بل من السُّنَّةِ ومن القياس،
وَأَمَّا إِنْ أَرَدْنَا أَنْ نَسْتَفِيدَهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ فنقول: الولد وولد الابن ما
صَارَا مرادين من هذه الآية معاً؛ وذلك لِأَنَّ أَوْلَادَ الابن لَا يَسْتَحِقُّونَ
الميراث إِلَّا فِي إِحْدَى حَالَتَيْنِ، إمَّا عِنْدَ عَدَمِ وَلَدِ الصُّلْبِ رَأْسًا، وَإِمَّا
عِنْدَمَا لَا يَأْخُذُ وَلَدُ الصُّلْبِ كُلَّ الميراث، فحيثُذِ يَقْتَسِمُونَ الباقي. وَأَمَّا
أَنْ يَسْتَحَقَّ (ولد الابن) مَعَ (ولد الصُّلْبِ) عَلَى وَجْهِ الشَّرْكَةِ بَيْنَهُمَا كَمَا
يَسْتَحَقُّهُ أَوْلَادُ الصُّلْبِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَعَلَى هَذَا
لَا يَلْزَمُ مِنْ دَلَالَةِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْوَلَدِ وَعَلَى وَلَدِ الابن أَنْ يَكُونَ قَدْ
أُرِيدَ بِاللَّفْظِ الْوَاحِدِ حَقِيقَتُهُ وَمَجَازُهُ مَعًا؛ لِأَنَّهُ حِينَ أُرِيدَ بِهِ (ولد
الصُّلْبِ) مَا أُرِيدَ بِهِ (ولد الابن)، وَحِينَ أُرِيدَ بِهِ (ولد الابن) مَا أُرِيدَ بِهِ
وَلَدُ الصُّلْبِ.

(١) أي: يكون اللفظ هنا حقيقة في (الابن) مجاز في (ابن الابن) على الرأي الأول، وهو رأي
الرازبي ومن لفَّ لفه.. والرأي الآخر أنه يجوز استعمال اللفظ الواحد في حقيقته ومجازه
معاً. انظر هذه القاعدة من كتب التفسير: تفسير ابن عادل (٢٧٢/٦)، (٢٧٣)، (٢٨٦)،
تفسير ابن عرفة (٣٣١/١)، (٣٥٦)، نظم الدرر (٤٠٠/٢)، تفسير الرازي (٥٠٦/٩)،
(١١/١٠). وانظر من المراجع الأخرى: إحكام الأحكام، لابن دقيق العيد (١/١)
(٢٢) الخ.. وانظر: (خطاب المعدوم) من البحث.

فالحاصل أنَّ هذه الآية تارة تكون خطابًا مع (ولد الصُّلب)، وأخرى مع (ولد الابن)، وفي كلِّ واحدةٍ من هاتين الحالتين يكون المراد به شيئًا واحدًا. أمَّا إذا قلنا: إن وقوع اسم الولد على (ولد الصُّلب) وعلى (ولد الابن) يكون حقيقة، فإن جعلنا اللَّفْظَ مشتركًا بينهما عاد الإشكال؛ لأنَّه ثبت أنَّه لا يجوز استعمال اللَّفْظَ المشترك لإفادة معنيه معاً^(١)، بل الواجب أن يجعله متواطئًا^(٢) فيهما كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان والفرس.

والذي يدلُّ على صحَّة ذلك قوله ﷺ: ﴿وَحَلَّيْطُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. أجمعوا أنَّه يدخل فيه ابن الصُّلب وأولاد الابن، فعلمنا أنَّ لفظ (الابن) متواطئٌ بالنسبة إلى ولد الصلب وولد الابن، وعلى هذا التقدير يزول الإشكال.

[قال]: اعلم أنَّ هذا البحث الَّذي ذكرناه في أنَّ (الابن) هل يتناول (أولاد الابن) قائم في أنَّ لفظ الأب والأم هل يتناول الأجداد والجدَّات؟ ولا شكَّ أن ذلك واقع بدليل قوله ﷺ: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ

(١) أقول: الحاصل أنَّ منهم من يحوِّر إعمال المشترك في معنيه، (يبيز أن يراد المعنيان جميعًا)، ومنهم من يعدُّ ذلك خطبًا عظيمًا. والتَّحقيق جواز حمل المشترك على معنيه، كما حقَّقه الشَّيخ تقيُّ الدِّين أبو العباس ابنُ تيمية في (رسالته في أصول التفسير)، وحرَّر أنَّه هو الصَّحيح في مذاهب الأئمة الأربعة -رحمهم الله-، وكثير من أهل الكلام. مقدِّمة في أصول التفسير، لابن تيمية (٢/١٢)، وانظر: المسودة (ص: ٣٤)، انظر: أضواء البيان (١/٣٣٦)، تفسير ابن عادل (٦/٢٧٢)، (١٣/٢٨١)، نظم الدرر (٢/٦٦٣)... إلخ.

(٢) سبق بيان معنى الاشتراك والتَّواطؤ والتَّرادف.

ءَابَايَكَ إِزْهَعَمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴿البقرة: ١٣٣﴾.

والأظهر أنه ليس على سبيل الحقيقة؛ فإن الصحابة اتفقوا على أنه ليس للجدِّ حكمٌ مذكور في القرآن، ولو كان اسم الأب يتناول الجدَّ على سبيل الحقيقة لما صحَّ ذلك والله أعلم^(١).

وفي (الكليات) «المعنى الحقيقي للابن هو الصُّلبي، كذا للولد منفردًا وجمعًا، لكن في العرف اسم الولد حقيقة في ولد الصُّلب. واستعمال الابن والولد في (ابن الابن) مجاز؛ ولهذا صحَّ أن يقال: (إنَّه ليس ولدي، بل ولد ابني)، و(ليس ابني، بل ابن ابني) فلا بد من قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي إذا استعمل في (ابن الابن) أو في معنى شاملٍ له كما في قوله ﷺ: ﴿يَبْنِيْ آدَمَ﴾ فإنَّ عدم كون أحد من ولد آدم من صلبه موجودًا عند ورود الخطاب قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي^(٢)، فيكون المراد أبناء الأبناء فقط، لا معنى شاملاً للابن الصُّلبي وابن الابن، وهذا لا يدلُّ على صحَّة استعمال لفظ الولد في المعنى الشَّامل للأولاد الصُّلبيَّة وأولاد الأبناء. [ثمَّ قال:] والحقُّ أنَّ إطلاق (الابن) على (ابن الابن) لا يستلزم إطلاق (الولد) على (ابن الابن) قطعًا؛ فإنَّ حكم لفظ (الابن) مغاير لحكم لفظ (الولد) في أكثر المواضع، وتناول لفظ الابن لابن الابن إنما يدل على تناول الولد لابن الابن أن لو كان لفظ الولد مرادفًا للفظ الابن أو كان الابن أخصَّ

(١) تفسير الرازي (٢٠٨/٩ - ٢٠٩)، وكذلك في (تفسير ابن عادل) (٥٣/٥)، وانظر: البحر المحيط (١٨٩/٣).

(٢) وقد بيَّنتُ ذلك في (خطاب المعدم ومن ليس منتظمًا في سلك التَّكليف وقت الوحي والإناث والعبيد والأمم الماضية).

مطلقاً من الولد، وكلاهما ممنوع؛ لأنَّ الأولاد [لا] ^(١) تطلق عرفاً على أولاد الأبناء، بخلاف الأبناء فإنها تطلق عليها ^(٢) بدليل دخول الحفدة في المستأمن على أبنائه ^(٣)، فبينهما عموم وخصوص وجهي ^(٤). فلا يلزم من تناول لفظ الابن له تناول لفظ الولد له أيضاً، ولا يطلق الابن إلا على الذكر بخلاف الولد ^(٥).

ب. النتائج:

أ - إنَّ إطلاق اسم الولد أو الابن واقع على ولد الصُّلب على سبيل الحقيقة.

ب - لا شك أنَّ الصَّيْغَةَ الَّتِي معنا تتناول ابن الابن، ولكن هل يستفاد ذلك من المجاز أم من الحقيقة؟ وإذا كان من المجاز هل يلزم منه استخدام اللَّفْظ الواحد في حقيقته ومجازه معاً؟ أم أنَّ يستفاد ذلك من السُّنَّة والقياس والإجماع؟

ج - دخول (ابن الابن) في الخطاب عند وروده ليس على سبيل الحقيقة خلافاً للحنابلة كما حَقَّقْتُ ذلك (في خطاب المَعْدُوم) فأغنى

(١) يوجد هنا سقط [لا]، ولا يتمُّ المعنى بدونَه، وهو في النُّسخة المتداولة كذلك، والتي قد اعتمدت هنا. مع ملاحظة أنَّ الحقيقة العرفية قد تختلف باختلاف الزَّمان والمكان.

(٢) أي: تطلق عليها مجازاً للقرينة الصَّارفة الَّتِي لَوَحَتْ إليها في (خطاب المَعْدُوم).

(٣) أي: مع بنيه في الأمان مع أنَّ الأبناء حقيقة في الصُّلبيين مجاز في الحفدة.

(٤) العموم والخصوص الوجهي أنَّ يجتمعا في شيءٍ وينفرد كلُّ منهما في شيءٍ كالنسبة بين الحيوان والأبيض.. وفي الصَّيْغَةَ الَّتِي معنا قد اجتمعا - أي: الولد والابن - في الابن، وانفرد الولد في شموله للأثنى، وانفرد الابن في شموله لابن الابن.

(٥) الكلِّيات (ص: ٢٧)، وانظر: التَّقرير والتَّحْيِير (٢/ ٣٤).

عن ذكره هنا.

- د - الجمهور على أنه من المجاز، ويكون من باب التّغليب، وهو مجاز لا حقيقة؛ فإنّه ليس إلّا التّجريد البياني - كما سبق -.
- هـ - وعلى اعتبار أنّه من الحقيقة فإنّ الرّازي يرى أنّه من المتواطئ، وليس من استخدام المشترك؛ لإفادة معنيه معاً.. ويرى الرّازي أنّ حمل اللفظ على كلا الحالين (الموجود والمعدوم) يكون من المتواطئ، ويرى أنّ الحمل على الحقيقة إن أمكن أولى من الحمل على المجاز..، وقد ذكر أنّ اعتبار المجاز يقتضي حمل اللفظ على حقيقته ومجازه في آنٍ واحد فيكون حقيقة في (الابن)، مجاز في (ابن الابن)، فيكون المخرج عنده أن نجعله من المتواطئ، وهو يتناول الماهيّات المختلفة، لكن لا من حيث هي كذلك، بل من حيث إنها مشتركة في معنى واحد. كالإنسان فإنّ معناه لا يختلف في أفرادهِ، ويسمّى ذلك المعنى متواطئاً لتواطئ أفرادهِ، أي: توافقه فيها، فإنّ أفراد الإنسان كلّها متوافقة في معناه من الحيوانيّة والنّاطقيّة، وإنما الاختلاف بينهما بعوارض خارجة كالبياض والسّواد والطّول والقصر. ولكن التّواطؤ قد يدلّ على ماهيّات مختلفة وإن اتّفقت في الأصل مثل: الإنسان والفرس أصلهما (حيوان) بينما موضوعهما حقائق مختلفة. أمّا موضوعنا هنا فهو في حقائق غير مختلفة - إلّا من حيث الوجود والعدم- وهي الإنسان المكلف..، والاعتبارات الأخرى لا محلّ لها هنا.

وما ذكره من المحذور في استخدام المجاز حيث إنّه يؤدي إلى استخدام اللفظ في حقيقته ومجازه في آن واحد - على ما فيه من الخلاف - قد دفعناه من حيث استخدامه في مجازه فحسب على اعتبار التّغليب، وهو أمرٌ شائعٌ.

و - أرى أنّ الرّاجح هو قول الجمهور باعتبار المجاز لكن على أنّه من باب التّغليب، وهو سائغٌ ومعروفٌ عند العرب كما بيّنتُ ذلك من قبل.

ز - لا شك أنّ من يقول بالحقيقة أو من يقول بالمجاز لا يرفضون الأدلّة الأخرى من السّنة والقياس والإجماع.

ح - ثمّة فرقٌ بين الولد والابن فيجتمعان ويفترقان..

ط - بيان أحكام أخرى تترتب على ذلك.

ي - أمّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصّيغة من النداء فهو:

[٥].

أمّا عدد التّكرار فهو أيضًا: [٥].

وهي على النّحو الآتي:

[الأعراف: ٢٦ - ٢٧ - ٣١ - ٣٥]، [يس: ٦٠].

١٠ - ﴿يَقُولُوا﴾ [البقرة: ٥٤]:

أمّا إذا أضيف المنادى إلى النّفس ففي ذلك أقاويل ذكرها المبرّد في

(المقتضب)، وذكر أنّ من أجودها حذف الياء، وذلك كقولك: (يا

غلام أقبل)، و(يا قوم لا تفعلوا). قال الله ﷻ: ﴿يَقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرًا [هود: ٥١]، وقال: ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]. وكذلك كلُّ ما كان في القرآن من ذا^(١). كقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [نوح: ٢٦]. وإنما كان حذفها الوجه؛ لأنها زيادة في الاسم غير منفصلة منه معاقبة للتثنية حالة في محله، فكان حذفها ها هنا كحذف التثنية من قولك: (يا زيد)، و(يا عمرو)، وكانت أخرى بذلك، إذ كانت تذهب في الموضع الذي يثبت فيه التثنية. وذلك إذا التقى ساكنان وهي أحدهما. تقول: (جاءني غلامي العاقل)، و(جاءني زيد العاقل)، فتحرك التثنية؛ لالتقاء الساكنين، وتحذف الياء؛ لالتقاء الساكنين، ومع ذا فإنَّ الياء والكسرة تستقلان، والكسرة تدلُّ على الياء، إذا حذفها دلت عليها كسرتها، وأوضحت لك المعنى. فهذا القول المختار^(٢).

(١) أي: من ذلك القليل.

(٢) المقتضب (٤/ ٢٤٥ - ٢٤٦). وانظر: الأقوال الأخرى في (المقتضب)... وانظر: الأصول في النحو، لابن السراج (١/ ٣٤٠)، الكلبيات (ص: ١٠٣٢)، وانظر: باب إضافة المنادي إلى نفسك.. في (الكتاب) لسيبويه، بتحقيق: عبد السلام هارون (٢/ ٢٠٩). وقد جاء بيان ياءات الزوائد على الرسم في (النشر في القراءات العشر) حيث ذكر ابن الجزري أنها تأتي في أواخر الكلم، وتنقسم على قسمين: أحدهما: ما حذف من آخر اسم منادى نحو: ﴿يَقْوِي لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٩]، ﴿يَقْوِي إِنْ كُنْتُمْ﴾ [يونس: ٨٤]، ﴿يَعْبَادِي﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿يَتَابَتِ﴾ [يوسف: ٤]، ﴿يَكْرَبُ إِنْ هَتُولَاءَ﴾ [الزخرف: ٨٨]، ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ﴾ [آل عمران: ٣٥]، وهذا القسم مما لا خلاف في حذف الياء منه في الحالين، والياء من هذا القسم (ياء إضافة) كلمة برأسها استغني بالكسرة عنها، ولم يثبت في المصاحف من ذلك سوى موضعين بلا خلاف وهما: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العنكبوت: ٥٦]، و﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الزمر: ٥٣]، وموضع بخلاف، وهو =

وإنَّ افتتاح الخطاب بنحو: ﴿يَقُومُ﴾ إيدانٌ بأهميّة ما سيلقى إليهم؛ لأنَّ النداء طلب الإقبال. ولما كان هنا ليس لطلب إقبال قومه إليه، لكنَّ النداء مستعملٌ في طلب الإقبال المجازي، وهو توجيه أذهانهم إلى فهم ما سيقوله. واختيار التّعبير عنهم بوصف كونهم قومه تحبيب لهم في نفسه ليأخذوا قوله مأخذ قول النّاصح المتطلّب الخير لهم؛ لأنَّ المرء لا يريد لقومه إلّا خيراً. وحذفت ياء المتكلم من المنادى المضاف إليها على الاستعمال المشهور في (نداء المضاف إلى ياء المتكلم)^(١).

أمّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصّيغة من النداء فهو: [٣٨].
 أمّا عدد التّكرار فهو أيضاً: [٣٨].
 وهي على النّحو الآتي:

[البقرة: ٥٤]، [المائدة: ٢٠ - ٢١]، [الأنعام: ٧٨ - ١٣٥]،
 [الأعراف: ٥٩ - ٦١ - ٦٥ - ٦٧ - ٧٣ - ٧٩ - ٨٥ - ٩٣]،
 [يونس: ٨٤]، [هود: ٢٨ - ٥٠ - ٥١ - ٦١ - ٦٣ - ٧٨ - ٨٤ - ٨٨ -
 ٩٢]، [طه: ٨٦ - ٩٠]، [المؤمنون: ٢٣]، [النمل: ٤٦]،
 [العنكبوت: ٣٦]، [يس: ٢٠]، [الزمر: ٣٩]، [غافر: ٢٩ - ٣٠ -
 ٣٨ - ٣٩]، [الزخرف: ٥١]، [الصّف: ٥]، [نوح: ٢].

= ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ﴾ [الزخرف: ٦٨]... والقراء مجمعون على حذف سائر ذلك إلّا موضعاً اختص به (رويس)، وهو ﴿يَعْبَادُ فَأَتَّقُون﴾ [الزمر: ١٦].* النّشر في القراءات العشر (١٧٩/٢ - ١٨٠).

(١) انظر: التّحرير والتّنوير (٢٣٦/١١).

١١ - ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾ [يوسف: ٤٣]:

(الملاء): الرؤساء سُمُّوا بذلك؛ لأنهم مِلَاءٌ بما يحتاج إليه،
و(الملاء): -مهموز مقصور- الجماعة.

وقيل: أشرف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم الذي يرجع
إلى قولهم^(١).

وقيل: سُمُّوا بذلك؛ لملاءتهم بما يلتمس عندهم من المعروف
وجودة الرأي؛ أو لأنهم يملثون العيون أبهة، والصُّدُور هيبة،
والجمع: (أملاء)، مثل: سبب وأسباب^(٢).

وفي (تفسير أبي السعود): «خطابٌ للأشراف من العلماء والحكماء»^(٣).
وفي (روح المعاني): «خطابٌ للأشراف ممن يُظنُّ به العلم»^(٤).
أمَّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو: [٥].
أمَّا عدد التكرار فهو أيضًا: [٥].

وهي على النحو الآتي:

[يوسف: ٤٣]، [النمل: ٢٩ - ٣٢ - ٣٨]، [القصص: ٣٨].

١٢ - ﴿يَعْبَادُ﴾ [الزُّمَر: ١٠]...، ﴿يَعْبَادِي﴾ [العنكبوت: ٥٦]:

(١) انظر مادة: (ملاء) في (لسان العرب) (١/١٥٨)، تاج العروس، (١/٤٣٧)، تهذيب اللغة (١٥/ ٢٩٠).

(٢) انظر مادة: (ملاء) في (المصباح المنير) (١/٢٩٩)، التوقيف على مهمات التعاريف، فصل اللام، مادة: (ملاء) (ص: ٦٧٣).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود (٤/٢٨٠)، المحرر الوجيز (٣/١٣٤)، فتح القدير (٣/٤٣).

(٤) روح المعاني (١٢/٢٥٠).

والخطاب بهذه الصيغة يدلُّ على عبوديَّة الإنسان لله ﷻ، وأنَّ الإنسان قد خلق لأجل ذلك، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] [الذَّاريات: ٥٦]، كما يدلُّ على العناية بأمر هذا المخلوق، وقد دلَّ على ذلك الإضافة إلى (ياء المتكلِّم)^(١).. وكذلك النداء بـ: (يا) حيث سبق بيان ما فيه من الحكم الكثيرة، والتي يستفاد منها العناية بأمر المخلوق..

أ. يَا عِبَادِي:

أمَّا عددُ الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو: [٢].
 أمَّا عددُ التكرار فهو أيضًا: [٢].
 وهي على النحو الآتي:
 [العنكبوت: ٥٦]، [الزُّمر: ٥٣].

ب. يَا عِبَاد:

أمَّا عددُ الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو: [٣].
 أمَّا عددُ التكرار فهو أيضًا: [٣].
 وهي على النحو الآتي:
 [الزُّمر: ١٠ - ١٦]، [الزُّخرف: ٦٨].

وهذا بالنسبة لقراءة حفص عن عاصم، أمَّا بيان القراءات فقد قال ابنُ الجوزي عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] [العنكبوت: ٥٦]. «قرأ ابن كثير ونافع

(١) قد سبق بيان ما أضيف من المنادى إلى النَّفس في صيغة الخطاب بـ: ﴿يَقَوْمِ﴾ .

وعاصم وابنُ عامر: ﴿يَعْبَادِي﴾ بتحريك الياء، وقرأ أبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ بإسكانها^(١). قال الشوكاني عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ [الزمر: ٥٣]: «قرأ أبو عمرو ويعقوب والجحدريُّ وابن محيصن والأعمش وحمزةُ والكسائيُّ وخلف: ﴿يَعْبَادِي﴾ بإسكان الياء، وفتحها الباقون»^(٢).

وقال أيضًا^(٣): «قرأ الجمهور: ﴿يَعْبَادِي﴾ بإثبات الياء وصلًا ووقفًا، وروى أبو بكر عن عاصم أنه يقف بغير ياء»^(٤). وقال عند تفسير قوله ﷻ: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزخرف: ٦٨] «قرأ نافع وابنُ عامر وأبو عمرو: ﴿يَعْبَادِي﴾ بإثبات الياء ساكنة وصلًا ووقفًا، وقرأ أبو بكر^(٥) وزرُّ بن حبيش بإثباتها وفتحها في الحالين، وقرأ الباقون بحذفها في الحالين»^(٦).

وقد جاء توجيه هذه القراءات في (الحُجَّة): «قوله ﷻ: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ [الزمر: ٥٣] يقرآن بإثبات الياء وحذفها، فالحُجَّة لمن أثبت أنه أتى بالكلام على أصله؛ لأنَّ أصل كلِّ ياءٍ الإثبات، والفتح لالتقاء الساكنين، والحُجَّة

(١) زاد المسير (٦/ ٢٨١).

(٢) فتح القدير (٤/ ٢١٠).

(٣) أي: الشوكاني في (فتح القدير) (٤/ ٤٧٠).

(٤) فتح القدير (٤/ ٤٧٠).

(٥) هو عاصم بن أبي النُّجود، يكنى بأبي بكر.

(٦) فتح القدير (٤/ ٥٦٣).

لمن أسكنها وحذفها لفظاً أنه اجتزأ بالكسرة منها وحذفها؛ لأنَّ بناء النداء على الحذف، والاختيار لمن حرَّك الياء بالفتح أن يقف بالياء؛ لأنها ثابتة في السَّواد^(١).

وجاء في موضع آخر في قوله ﷻ: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ يقرأ بحذف الياء وإثباتها، فالْحُجَّةُ لمن حذف أنه استعمل الحذف في النداء لكثرة دوره في الكلام، والْحُجَّةُ لمن أثبت أنه أتى به على الأصل^(٢). والحاصل أنَّ في هذه الصيغة ما يدلُّ على أنَّ الإنسان مخلوق لله ﷻ قد أُمِرَ بعبادته حتَّى يتحقَّق فيه معنى التَّكليف المتفرِّع عن العبوديَّة..، وفيها ما يدلُّ على العناية بأمر هذا المخلوق -كما أسلفت- من دلالة الإضافة إلى (ياء المتكلِّم)، والنداء بـ: (يا)..وقد كَرَّمَ الله ﷻ الإنسان، وأنعم عليه بالنعم الكثيرة، وكلفه إلى حين، فإذا مات استراح من التَّكليف، وانقلب إلى ما أعدَّه الله ﷻ له من النعيم الدائم في دار الخلد والكرامة.

وإذا جحد وخالف أمر الله ﷻ فقد بيَّن له العاقبة والمآل..، والله ﷻ رحيمٌ بعباده يغفرُ لهم الذُّنوب، ويضاعفُ لهم الأجور..،
ويجمع بين البشر: العبوديَّة لله ﷻ، والبنوَّة لأدم عليه السلام، وجميع النَّاس متساوون في أصل الكرامة الإنسانيَّة، وفي أصل التَّكليف والمسؤوليَّة، دون تمييز بينهم بسبب العرق أو اللُّون أو اللُّغة أو الجنس

(١) الحُجَّةُ في القراءات السَّبع (١/ ٢٨١).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣١٠).

أو الوضع الاجتماعي أو غير ذلك من الاعتبارات. وإنَّ العقيدة الصحيحة هي الضَّمان لنمو هذه الكرامة على طريق تكامل الإنسان.. وفي الآيات أيضًا: إيماءٌ إلى بُعد درجة العبودية عن مرتبة الألوهية.. فينبغي على المكلف أن يكون على بصيرة إلى ما بين خصائص الألوهية وخصائص العبودية من البون الشاسع، وأنَّ الله ﷻ قد مدَّ لهذا المخلوق جسور الأمل فكان قريبًا منه...

وفي هذه الآيات أيضًا: التلويح إلى غفلة كثير من البشر عما يحقق لهم العبودية لله ﷻ، وهو طريق السَّعادة، والحياة الطَّيبة، والجزاء الحسن. وأنَّ لهذا التكليف حكمٌ قدَّرها الله ﷻ.

ولا يكون العبدُ متحقِّقًا بوصف العبودية إلَّا بأصلين عظيمين:

١- الإخلاص لله ﷻ.

٢- متابعة الرُّسول ﷺ.

حيثُ يرتقي في مدارج العبودية ومسالك الطَّاعات إلى سدة السَّعادة والنَّجاة.

١٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١]:

أ. بيان المعنى:

لقد جاء الخطاب هنا موجَّهًا إلى الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- بصيغة النداء: (يا)، وأستعرض هنا بعض أقول المفسِّرين في بيان المراد من النداء هنا، وما يذكر هنا يكمل ما ذكر في (تنوُّع وجوه المخاطبات).

فقد ذكر غير واحد من المفسرين أنهم لم يخاطبوا دفعةً، بل خُوطِبَ كلُّ منهم في زمانه بصيغة مفردة؛ لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة^(١). وفي (تفسير أبي السعود): «فإنَّ هذا الخطاب قد حُكي لنا بصيغة الجمع مع أنَّ كلاً من المخاطبين لم يخاطب إلاَّ بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب؟»^(٢). وقيل: هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد به أنَّ الله ﷻ كأنَّه أخبر أنَّه قد قال لجميع الرُّسل قبله هذا القول، وأمرهم بهذا، والمعنى: كلوا من الحلال^(٣).

والحاصل أنَّ ظاهر قوله ﷻ: ﴿يَأْتِيَا الرُّسُلَ﴾ خطاب مع كلِّ الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسلام-، ولكنَّ ذلك غير ممكن؛ لأنَّهم أرسلوا متفرِّقين في أزمنة متفرِّقة مختلفة فكيف يمكن توجيه هذا الخطاب إليهم؟ فلهذا الإشكال اختلفوا في تأويله على وجوه:

أحدها: أنَّ المعنى الإعلام بأنَّ كلَّ رسول فهو في زمانه نودي بهذا المعنى، ووصي به؛ ليعتقد السَّامع أن أمرًا نودي له جميع الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسلام- ووصوا به حقيقةً بأن يؤخذ به ويعمل عليه^(٤).

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٢٧٦/٤)، روح المعاني (٢٣٩/١٢)، الكشف (٣٤/٣)، البحر

المديد (٢٠/٥)، تفسير ابن عادل (٢٢٥/١٤)، تفسير البياضوي (١٥٨/٤).

(٢) تفسير أبي السعود (١٨/٦)، وانظر: البحر المديد (٢٧٦/٤).

(٣) انظر: تفسير الواحدي (٧٤٨/٢).

(٤) انظر: الكشف (٣٤/٣)، البحر المحيط (٣٧٧/٦)، السَّراج المنير (٦٤٤/٢)، تفسير

النسفي (١٨١/٣)، تفسير الرَّاзи (٢٨٤/٢٣)، تفسير التَّيسابوري (١٢٢-١٢٣).

وهو الرَّاجح كما سيأتي.

وثانيها: أَنَّ المراد نبينا ﷺ؛ لأنَّه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام-، وإنما ذكر على صيغة الجمع كما يقال للواحد: (أَيُّهَا الْقَوْمُ كُفُّوا عَنِي أَذَاكُم)، ومثله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وهو نعيم بن مسعود^(١).

وثالثها: وهو قول الرَّجَّاح^(٢)، واختاره الطَّبْرِي^(٣) أَنَّ المراد به عيسى عليه السلام؛ لأنَّه إنما ذكر ذلك بعدما ذكر مكانه الجامع للطَّعام والشَّرَاب؛ ولأنَّه روى أَنَّ عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمِّه^(٤). والمعنى: وقلنا لعيسى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾ كلوا من الحلال الَّذي طَيَّبه الله ﷻ لكم دون الحرام، ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ كما يقال للواحد: (أَيُّهَا الْقَوْمُ كُفُّوا عَنِي أَذَاكُم) ..

(١) سبق بيان هذا القول وتخرجه.. وانظر: تفسير الطَّبْرِي (٢/ ٢٩٤)، تفسير القرطبي (١٢٧/ ١٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي (٧/ ٤٩٧٢). وتوجيه هذا القول كما في (المحرَّر الوجيز) أَنَّ أن يكون الخطاب لمحمَّد ﷺ، وخرج بهذه الصُّيغة ليفهم وجيزًا أَنَّ هذه المقالة قد خُوطب بها كلُّ نبيٍّ أو هي طريقتهم الَّتِي ينبغي لهم الكون عليها، وهذا كما تقول لتاجر: (يا تاجر ينبغي أن تتجنبوا الرِّبا) فانت تخاطبه بالمعنى، وقد اقترن بذلك أَنَّ هذه المقالة تصلح لجميع صنفه. انظر: المحرَّر الوجيز (٤/ ١٤٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٤/ ١٥).

(٣) قال ذلك محمد بن جرير الطَّبْرِي في (تفسيره) (١٨/ ٢٨ - ٢٩)، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي (٧/ ٤٩٧٢).

(٤) تفسير الرَّايزي (٢٣/ ١٠٤).

ب. التَّرجيح :

أَمَّا التَّرجيح بين هذه الأقوال فإنِّي أرى ترجيح القول الأوَّل ؛ لأنَّه أوفق للفظ الآية ؛ ولأنَّه روي عن أمِّ عبد الله أخت شدَّاد بن أوس^(١) أنها بعثت إلى رسول الله ﷺ بقدرح من لبن في شدَّة الحرِّ عند فطره وهو صائم فردَّه الرِّسولُ ﷺ إليها ، وقال : «من أين لك هذا؟» فقالت : من شاة لي ، ثمَّ ردَّه ، وقال : «من أين هذه الشاة؟» فقالت : اشتريتها بمالي فأخذه. ثمَّ إنها جاءت به وقالت : يا رسول الله لم ردِّدته؟ فقال ﷺ : «بذلك أمرت الرُّسل أن لا يأكلوا إلا طيبًا ، ولا يعملوا إلا صالحًا»^(٢).

ويتبيَّن مما سبق ما لذلك الخطاب القرآني الذي جاء بصيغة النِّداء (يا) من أثر على الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- ينعكس على أُمَّة كلِّ رسولٍ منهم منهجًا وعملاً وتطبيقًا ؛ لأنهم الأسوة في ذلك -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- ...

ج. ما يستفاد مما ولي المناذى :

أَمَّا قوله ﷺ : ﴿مَنْ أَلْطَبَّتْ﴾ [المؤمنون: ٥١] ففيه وجهان :

(١) هي أم عبد الله بنت أوس الأنصاريَّة أخت شدَّاد بن أوس. لها صحبة. انظر: الإصابة (٢٥٠/٨)، وانظر: الثقات، لابن حبان (٤٦٣/٣)، معرفة الصحابة (٣٥٢٩/٦).

(٢) والحديث حسن، أخرجه الطبراني [٤٢٨]، والحاكم [٧١٥٩]، وقال: صحيح الإسناد، عن أم عبد الله أخت شدَّاد بن أوس. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢١/١٠): فيه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف. وأخرجه أيضًا: أحمد في (الزهد) (ص: ٣٩٨)، والطبراني في (مسند الشاميين) [١٤٨٨]، وأبو نعيم في (الحلية) (١٠٥/٦). قال المناوي: قال الحاكم: صحيح فردَّه الذهبي بأنَّ أبا بكر بن أبي مريم راويه واه. التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (١٩٣/٢)، المستدرک (١٤٠/٤)، [٧١٥٩].

الأول: أنه الحلال. وقيل: طيبات الرزق حلال وصاف وقوام، فالحلال الذي لا يعصى الله ﷻ فيه، والصافي الذي لا ينسى الله ﷻ فيه، والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل^(١).

والثاني: أنه المستطاب المستلذ من المأكّل والفواكه^(٢).

وقال ابن عرفة في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، تعقيباً على قول ابن عطية وغيره: -الطيب هنا يجمع الحلال المستلذ، والآية تشير بتبعيض (من) إلى أنّ الحرام رزقٌ-. قال ابن عرفة: وجه دلالتها على ذلك من المفهوم؛ لأنّ مفهومه أنّ البعض الآخر، وهو الذي ليس بحلال ولا مستلذ غير مأذون فيه.

وعادتهم يوردون هنا سؤالاً وهو أنه قال في الآية الأخرى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِن الطَّيِّبَاتِ﴾ ، ولم يقل: (مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) مع أنّ تلك خطابٌ للرسل (فهو كان يكون) أولى بهذا اللفظ؟ وعادتهم يجيبون بوجهين:

الأول: أمّا إذا قلنا: إنّ الرزق لا يطلق إلّا على الحلال فنقول: لما كان الأنبياء -عليهم الصّلاة والسّلام- معصومين أمروا أمراً مطلقاً من

(١) انظر: الكشاف (٣/٣٤)، تفسير البضاوي (٤/١٥٨)، السّراج المنير (٢/٦٤٤)، تفسير الرّازي (٢٣/٢٨٤)، الكليات (ص: ٤٠٠).

(٢) انظر: المحرّر الوجيز (٤/٥٦٦)، تفسير الرّازي (١١/٢٩٠)، (٢٣/٢٨٤)، تفسير ابن عادل (٧/٢٠٤)، الخازن (١/١٤٠)، السّراج المنير (٢/٢٧٨)، (٢/٦٤٤)، أحكام القرآن، للجصاص (٣/٣٠٧).

غير تعيين الحلال، وغيرهم ليس بمعصوم، فقيّد الإذن في الأكل له بالحلال فقط، فيكون الطيب على هذا المراد به: المستلذ.

الجواب الثاني: الرّسل في مقام كمال التّوحيد، ونسبة كلّ الأشياء إلى الله ﷻ. وأمّا غيرهم فليس كذلك فقد يذهل حين اقتطاف الثمرة، ويظنّ أنها من الشجرة، ويغفل عن كون الله ﷻ هو الذي أخرجها منها وأنبتها فقيل لهم: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ حتّى يعتقدوا حين التناول أنّ ذلك الرزق كلّهُ من عند الله ﷻ، وليس للمتسبّب فيه صنع بوجه^(١).

قال الرّازي: «فبيّن ﷻ أنّه وإن ثقل عليهم بالنبوة وبما ألزمهم القيام بحقّها، فقد أباح لهم أكل الطّيبات كما أباح لغيرهم. واعلم أنّه سبحانه كما قال للمرسلين: ﴿يَأْتِيَا الرُّسُلَ كُلُّوَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾ فقال للمؤمنين: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوَا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، واعلم أن تقديم قوله ﷻ: ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾ على قوله ﷻ: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ كالدّلالة على أنّ العمل الصّالح لا بدّ وأن يكون مسبوقاً بأكل الحلال، فأما قوله ﷻ: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٢) فهو تحذير من مخالفة ما أمرهم به، وإذا كان ذلك تحذيراً للرّسل -عليهم الصّلاة والسّلام- مع علوّ شأنهم فبأن يكون تحذيراً لغيرهم أولى^(٣).

(١) تفسير ابن عرفة (٥٠٥-٥٠٦).

(٢) وهو ما ختمت به الآية، أعني: ﴿يَأْتِيَا الرُّسُلَ كُلُّوَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾.

(٣) انظر: تفسير الرّازي (١٠٤-١٠٥)، تفسير ابن عادل (٢٢٦/١٤)، زاد المسير

(٤٧٧/٥)، الخازن (٣٨/٥).

د. إجمال النتائج المستفادة:

- ١ - خطاب الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- بصيغة النداء (يا) هو من تنوع أساليب الخطاب في القرآن الكريم باعتبار المخاطبين.
- ٢ - إنَّ خطابهم لم يكن دفعةً واحدة، وإنما خوطب كلُّ واحد منهم في زمانه على أصحِّ الأقوال.
- ٣ - توضيح أثر ما ولي أداة النداء (يا)، وما ولي المنادى (الرُّسل) على الرُّسل أنفسهم -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام-.
- ٤ - توضيح أثر ما ولي أداة النداء (يا) على أُمَّة كلِّ رسول منهم -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام-.
- ٥ - إنَّ الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- أسوةٌ لأممهم في الامتثال والعمل والتَّطبيق.
- ٦ - إنَّ لهذه الأسوة أثرٌ في تفعيل الخطاب بالنسبة للمخاطبين.
- ٧ - إنَّ ما خوطبوا به مما اتفقت عليه الشَّرائع، وذلك يدلُّ على أهميَّة ما خوطبوا به، فهم متَّفِقون على إباحة الطَّيبات من المأكَل، وتحريم الخبائث منها، وأنهم متَّفِقون على كلِّ عملٍ صالح وإن تنوَّعت بعض أجناس المأمورات، واختلفت بها الشَّرائع، فإنها كلُّها عملٌ صالح، ولكن تتفاوت بتفاوت الأزمنة؛ ولهذا فإنَّ الأعمال الصَّالحة قد اتَّفقت عليها الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- وما جاؤوا به من الشَّرائع فيها صلاحٌ للأمم، كالأمر بتوحيد الله ﷻ، وإخلاص

الدين له، ومحبتّه، وخوفه، ورجائه، والبر، والصّدق، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وبرّ الوالدين، والإحسان إلى الضّعفاء والمساكين واليتامى، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك.

٨ - إنّ ما خوطبوا به ينعكس أثره على أممهم، حيث يتنبّه المخاطبون إلى أنّ أمرًا نودي له جميع الرّسل -عليهم الصّلاة والسّلام-، ووضّوا به حقيقة بأن يؤخذ ويعمل به.

وقد سبق الكلام عن جوانب أخرى من خطاب الرّسل بصيغة النداء: (يا) في (تنوّع وجوه المخاطبات في القرآن الكريم).

أمّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصّيغة من النداء فهو: [١].

أمّا عدد التّكرار فهو أيضًا: [١].

وهي: [المؤمنون: ٥١].

١٤ - ﴿يَتَأْهَلْ يَثْرَبَ﴾ [الأحزاب: ١٣]:

ولا بدّ من الرّجوع إلى الآية للإحاطة بما يتعلّق بهذه الصّيغة من معنى، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَافِقَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأْهَلْ يَثْرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣). فقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ أنتّ الفعل إشارة إلى رخاوتهم وتأنّثهم في الأقوال والأفعال ﴿طَافِقَةٌ مِّنْهُمْ﴾ ، أي: قوم كثير من موتى القلوب ومرضاها يطوف بعضهم ببعض، ﴿يَتَأْهَلْ يَثْرَبَ﴾ عدلوا عن الاسم -الذي وسمها به النبي ﷺ من (المدينة) و(طيبة) مع

حسنه - إلى الاسم الذي كانت تدعى به قديمًا مع احتمال قبحه باشتقاقه من (الثرب) الذي هو اللوم والتعنيف إظهارًا للعدول عن الإسلام يقال: (ثرب عليه ثريبًا)، و(أثرب)، بمعنى: (ثرب تثریبًا) - إذا لأمه وعيَّره بذنبه وذكره به^(١). وأكّدوا بنفي الجنس لكثرة مخالفتهم في ذلك فقالوا: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾، أي: قيامًا أو موضع قيام تقومون به - على قراءة الجماعة بالفتح، وعلى قراءة حفص بالضم^(٢) - المعنى: لا إقامة أو موضع إقامة في مكان القتال ومقارعة الأبطال، ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم هاربًا، وكونوا مع نسائكم أذنبًا، أو إلى دينكم الأول على

(١) وقد جاءت هذه المعاني مختصرة في (مختار الصحاح): «(الثرب): شحم قد غشي الكرش والأمعاء رقيق، و(التثريب): التعبير والاستقصاء في اللوم، و(ثرب عليه تثریبًا) قبح عليه فعله، و(يثرب) مدينة رسول الله ﷺ». مختار الصحاح، مادة: (ثرب). وزاد في (المغرب): «وهي مخصوصة بالحمى». المغرب، مادة: (ثرب). وقد جاء مفضلًا في (لسان العرب)، مادة: (ثرب). وإن ذلك يدل على أنهم عدلوا عن الاسم الذي سُمي بها به النبي ﷺ من (المدينة) و(طيبة) مع حسنه إلى الاسم الذي كانت تدعى به قديمًا مع احتمال قبحه كما ذكر البقاعي رحمه الله في (نظم الدرر) (٨٣/٦).

(٢) وفي (الإتحاف): ((واختلف في ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣] فحفص بضم الميم الأولى اسم مكان من (أقام)، أي: لا مكان إقامة، أو مصدرًا منه، أي: لا إقامة. وقرأ بالضم في ثاني (الدخان): ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ آيِينَ﴾ [الدخان: ٥١] نافع وابن عامر وأبو جعفر، وافقهم الأعمش والباقون بالفتح فيهما مصدر قام، أي: لا قيام أو اسم مكان منه، أي: لا مكان وأجمعوا على فتح الأول من (الدخان): ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦].
إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٥٢)، المحرر الوجيز (٢٨/٤)، وانظر: تفسير البيضاوي (٣٦٧/٤)، معاني القرآن للتحاس (٣٣١/٥)، إبراز المعاني من حوز الأماني في القراءات السبع (٦٤٧/٢)، وانظر: معاني القرآن، للزجاج (٢١٩/٤).

ولم يقل: كواحدة؛ لأنَّ (الأحد) عامٌ يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث^(١)، فالمعنى: كجماعات من جماعات النساء إذا تفصّيت أمة النساء جماعةً جماعةً لم توجد فيهنّ جماعةٌ تساويكنّ في الفضل، لما حصّكنّ الله ﷻ به من قربة بقرب رسول الله ﷺ، ونزول الوحي الذي بينه وبين الله ﷻ في بيوتكنّ^(٢).

«و(النساء) اسم جمع للمرأة لا واحد له من لفظه، والمراد به هنا: الأزواج. وإطلاق النساء على الأزواج شائع بالإضافة كثيراً، نحو: ﴿يَنسَاءَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، وبدون إضافة مع القرينة كما هنا، فالمراد: اعتزلوا نساءكم، أي: اعتزلوا ما هو أخصُّ الأحوال بهنّ، وهو المجامعة»^(٣).

قال الإمام الشافعي: «وكان ممّا خصّ الله به نبيه ﷺ قوله ﷻ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فحرّم نكاح نسائه من بعده على العالمين، وليس هكذا نساء أحدٍ غيره. وقال الله ﷻ: ﴿يَنسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فأبانهنّ به من نساء العالمين. وقوله ﷻ: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، مثل ما وصفت من اتّسع لسان

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٥٢٧).

(٢) انظر: نظم الدرر (٦/ ١٠١).

(٣) التّحرير والتّنوير (٢/ ٣٦٦).

العرب، وأنَّ الكلمة الواحدة تجمع معاني مختلفة، وَمِمَّا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَحْكَمَ كَثِيرًا مِنْ فَرَائِضِهِ بِوَحْيِهِ، وَسَنَ شَرَائِعَ وَاخْتِلَافَهَا، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ وَفِي فَعْلِهِ. فَقَوْلُهُ: ﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾ يعني في معنى دون معنى، وذلك أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُمْ نِكَاحُهُنَّ بِحَالٍ، وَلَا يَحْرَمُ عَلَيْهِمْ نِكَاحُ بَنَاتِ لَوْ كُنَّ لَهُنَّ كَمَا يَحْرَمُ عَلَيْهِمْ نِكَاحُ بَنَاتِ أُمَّهَاتِهِمُ اللَّاتِي وَلَدْنَهُمْ، أَوْ أَرْضَعْنَهُمْ. وَذَكَرَ الْحُجَّةُ فِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ فِي النَّازِلَةِ يَنْزِلُ عَلَى مَا يَفْهَمُهُ مِنْ أَنْزَلَتْ فِيهِ كَالْعَامَّةِ فِي الظَّاهِرِ، وَهِيَ يَرَادُ بِهَا الْخَاصُّ وَالْمَعْنَى دُونَ مَا سِوَاهُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْمَرْأَةِ: (تَرُبُّ أَمْرُهُمْ): (أُمُّنَا وَأُمُّ الْعِيَالِ)، وَتَقُولُ كَذَلِكَ لِلرَّجُلِ يَتَوَلَّى أَنْ يَقُوتَهُمْ: (أُمُّ الْعِيَالِ)، بِمَعْنَى أَنَّهُ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوْضِعَ الْأُمِّ الَّتِي تَرُبُّ أَمْرَ الْعِيَالِ»^(١).

وقد سبق بيان قاعدة مهمّة في (خطاب المدح)، وهي (تشبيه السُّلب في التَّزْوِل لا في العُلُوّ)
ب. ومما سبق يتبيّن ما يلي:

- ١ - إِنَّ النِّدَاءَ إِلَيْهِنَّ يَشْتَمِلُ عَلَى الْإِعْتِنَاءِ بِالنُّصْحِ لَهُنَّ، وَتُظْهِرُ أَهْمِيَّةَ النِّدَاءِ إِلَيْهِنَّ بِهَذِهِ الصِّيْغَةِ، وَبِهَذَا الْوَصْفِ، وَبِهَذِهِ الْإِضَافَةِ.
- ٢ - الْإِضَافَةُ يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا أَحْكَامُ تَخْصِيصٍ.
- ٣ - الْإِضَافَةُ هُنَا إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ.
- ٤ - تُظْهِرُ الْإِضَافَةُ مَا خُصَّ بِهِ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْفَضْلِ.

(١) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ، لِلشَّافِعِيِّ (١/١٦٧-١٦٩).

٥ - توضيح التشبيه في الآية، وبيان أنه تشبيه السلب في النزول لا في العلو.

٦ - أمّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو: [٢].
 أمّا عدد التكرار فهو أيضًا: [٢]. وهي: [الأحزاب: ٣٠ - ٣٢].
 ١٦ - ﴿يَقَوْمَنَا﴾ [الأحقاف: ٣٠ - ٣١]:

أ. وقد جاءت هذه الصيغة في الخطاب القرآني على لسان الجن مرتين: ﴿قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿يَقَوْمَنَا لَجِئُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠ - ٣١].

ب. وتدلّ الآيتان على:

- ١ - وجود الجن.
- ٢ - سماع الجن للقرآن الكريم، وأنهم مخاطبون به، ويدلّ على ذلك أنهم أُنذروا قومهم.
- ٣ - إثبات أن النبي ﷺ مرسلٌ إلى الجن كما أنه مرسلٌ إلى الإنس، ويدلّ على ذلك أيضًا ما سبق من تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

هذا يحتاج إلى تفكير؛ ولهذا سأل عمر رضي الله عنه عنها من حضره من الصحابة فأجابه ابن عباس رضي الله عنهما بالجواب الذي أرضاه ^(١).

ونظير ذلك ذكر القصص؛ فإنها كلها أمثال هي أصول قياس واعتبار، ولا يمكن هناك تعديد ما يعتبر بها؛ لأن كل إنسان له في حالة منها نصيب، فيقال فيها: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، ويقال عقب حكايتها: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، ويقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إلى قوله ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]، والاعتبار هو القياس بعينه.

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لما سئل عن (دية الأصابع) فقال: هي سواء ^(٢). واعتبروا ذلك بالأسنان، أي: قيسوها بها، فإن الأسنان

- (١) روى البخاري عن عبيد بن عمير قال: قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيُّوْهُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُوْنَتْ لَهُ جَنَّةٌ؟﴾ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر رضي الله عنه فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلاً ليعمل. قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: ليعمل. قال عمر: ليرجل غني يعمل بطاعة الله ﷻ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله. صحيح البخاري [٤١٧٤]. فقوله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ تذييل، أي: كهذا البيان الذي فيه تقريب المفعول بالمحسوس بين الله ﷻ نصحا لكم، رجاء تفكركم في العواقب حتى لا تكونوا على غفلة.
- (٢) واستدل على ذلك بروايات فمن ذلك: ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «هَذِهِ وَهَذِهِ سَوَاءٌ، يَعْنِي: الْخِنْصَرُ وَالْإِبْهَامُ». حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو أَبِي عَدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ نَحْوَهُ. صحيح البخاري [٦٣٨٧]، سنن الترمذي [١٣١٢]، سنن النسائي، [٤٧٦٤]، سنن ابن ماجه =

مستوية الذِّية مع اختلاف المنافع، فكذلك الأصابع. ويقال: اعتبرت الدِّراهم بالصَّنَجَةِ^(١) إذا قَدَّرْتَهَا بِهَا^(٢).

ومما سبق يتبيّن أن معنى قوله ﷻ: ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ .

أولاً: احمّلوا أنفسكم بالإمعان في التأمّل في عظيم قدرة الله ﷻ.
ثانياً: الاعتبار أحد قوانين الشرع، والسَّعيد من اعتبر بغيره؛ لأنّه

= [٢٦٤٢]، مسند الإمام أحمد [١٨٩٥]. وفي (سنن الدرامي) عن الشعبي قال: شهدت شريحاً، وجاءه رجلٌ من (مراد) فقال: يا أبا أمية ما دية الأصابع؟ قال: عَشْرُ عَشْرٍ [أي: عشر من الإبل] في كلِّ [أي: في كلِّ إصبع]. قال: يا سبحان الله أسوأ هاتان؟ جمع بين الخنصر والإبهام! فقال شريح: يا سبحان الله أسوأ أذنك ويدك؟! فإنَّ الأذن يواربها الشعر والكمة والعمامة فيها نصف الذِّية، وفي اليد نصف الذِّية. ويحك إنَّ السُّنَّةَ سبقت قياسكم فاتَّبِع ولا تبتدع؛ فإنَّك لن تضلَّ ما أخذت بالأثر، قال أبو بكر: فقال لي الشعبي: يا هنلي لو أن أحفكم قُتِل وهذا الصُّبي في مهده أكان ديتهما سواء؟ قلت: نعم، قال: فأين القياس؟! سنن الدرامي، كتاب المقدمة، باب تغيير الزَّمان وما يحدث فيه [٢٠٠].

(١) (الصَّنَجَةُ): الميزان - بفتح فسكون - ما يوضع في الميزان مقابل ما يوزن لمعرفة قدره. وقد تنطق بالسَّين بدل الصَّاد، وهي فارسيَّة الأصل. وكلُّ كلمة لا يكون فيها حرف من (حروف الإذلاق) - وهي: (فَرَّ من لب) -، فهي كلمة غير عربيَّة أصلاً، أي: معربة. ومن هذه الكلمات: (الصنجة). وفي (مختار الصحاح): «صَنَجَةُ الميزان: ما يوزن به معرب ولا تقل سنجة». مختار الصحاح، مادة: (صنح) (ص: ٣٧٥). وفي (الموسوعة الفقهية الكويتية): «(الصَّنَجُ) لغة: شيء يُتَّخَذ من صَفَرٍ يُضْرَبُ أحدهما على الآخر وآلة بأوتارٍ يضرب بها، ويقال لما يُجْعَل في إطار الدَّف من الثُّحاس المدوَّر صغاراً: (صُنُوجٌ) أيضاً. ويؤخذ من استعمال الفقهاء للفظ: (الصَّنَجَةِ) أنَّ المراد بها عندهم: قطعٌ مَعْدِنِيَّة ذات أَثْقَالٍ محدودة مختلفة المقادير يوزن بها. الموسوعة الفقهية الكويتية (٥/٢٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية التفسير (٥٧/١٤ - ٥٨)، وانظر: أحكام القرآن الكريم (٣١٧/٥)، المستصفى (٢٩٣/١)، (٣٧٠/١)، الإبهاج (١٠/٣)، (٢٧٤/٣)، أصول السرخسي (٩٣/٢)، (١٠٦/٢)، (١٢٥/٢)، المنحول (٣٢٩/١)، ونحوها من كتب الأصول..

ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حال نفسه، ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره.

ثالثاً: احتجّ بالآية مثبتوا القياس فإنّه مجاوزة من الأصل إلى الفرع، والمجاوزة اعتبار، وهو مأمور به في هذه الآية فهو واجب. ولما كان الاعتبار عظيم النفع، لا يحصل إلّا للكُمّل، زاده تعظيماً بقوله ﷺ: ﴿يَتَأَوَّلِي الْأَبْصَرِ﴾ بالنظر بأبصاركم وبصائركم في غريب هذا الصنع لتحققوا به ما وعدكم على لسان رسوله ﷺ من إظهار دينه، وإعزاز نبيّه ﷺ، ولا تعتمدوا على غير الله ﷻ.. (١).

رابعاً: الاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء إلى شيء؛ ولهذا سمّيت (العبرة) -بفتح العين- (٢) عبرة؛ لأنها تنتقل من العين إلى الخدّ. وسمّي (علم التعبير)؛ لأنّ صاحبه ينتقل من التخيل إلى المعقول، وسمّيت (الألفاظ) عبارات؛ لأنها تنقل المعاني عن لسان القائل إلى عقل المستمع.

خامساً: في الآية دعوة إلى التأمل والنظر في سنة الله ﷻ ودأبه في الأمم السابقين واللاحقين، والاعتبار بما قصّ الله ﷻ علينا من نبأهم.

سادساً: إنّ هذا اللون من ألوان الخطاب له أهمية عظيمة لا تخفى

(١) انظر: نظم الدرر (٥١٣/٧)، السراج المنير (٢٥١/٤)، تفسير ابن عادل (٥٦٧/١٨).

(٢) إنّ العبرة -بفتح العين- ليست هي فقط الدمعة، بل الدمعة التي تسيل على جزء من الخدّ بعد أن تحتاز المآقي، والمآقي: أطراف العين.

على كلٍّ متأملٍ؛ ولذلك قد سبق إفراده بالدراسة والبحث ضمن الموضوعات فيما يتعلّق من الخطاب بحال الإنسان ومشاعره وأحاسيسه.

١٨ - ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الجمعة: ٦]:

وتمام الآية: ﴿قُلْ يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

سبق أنّه (نداء تنبيه مع ذم)، والخطاب إلى عامّة بني إسرائيل. وقد جاء النداء مسبوقاً بـ: ﴿قُلْ﴾؛ للاهتمام بما بعد القول بأنّه كلام يراد إبلاغه إلى النّاس بوجه خاصّ منصوص فيه على أنّه مرسل بقول يبلغه، وإلاّ فإنّ القرآن كلّهُ مأمورٌ بإبلاغه، أي: يا أيّها الرّسول الذي هم قاطعون بأنّه رسول الله ﷺ؛ ولهذه الآية نظائر في القرآن مفتوحة بالأمر بالقول وستأتي عند ذكر صيغة: ﴿قُلْ يَتَأْتِيَهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]. و﴿هَادُوا﴾: تابوا. وقد ذكر ابن العربي في (أحكام القرآن الكريم) لهذه الكلمة أربعة من المعاني:

أحدها: «هَادَ يَهُودُ: تابَ.

الثاني: هَادَ: إِذَا سَكَنَ.

الثالث: هَادَ: فَتَرَ.

الرابع: هَادَ: دَخَلَ فِي الْيَهُودِيَّةِ.

وقد قيل في قوله ﷻ: ﴿كُونُوا هُودًا﴾ [البقرة: ١٣٥]، أي:

يَهُودًا. ثمّ حذف الياء.

فأما من قال: إِنَّهُ التَّائِبُ يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي: تُبْنَا، وكلُّ تَائِبٍ إِلَى رَبِّهِ سَاكِنٌ إِلَيْهِ فَاتَرُّ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وهذا معنى متقارب^(١). وقد قال الله ﷻ في الآية التالية: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٧].

قال ابن القيم رحمه الله: «وتأمل حرف (لا) كيف تجد في نهايته ألفاً يمتدُّ بها الصَّوت ما لم يقطعه ضيقُ النَّفسِ فأذن امتداد لفظها بامتداد معناها، ولن يعكس ذلك فتأملْه، فإنَّه معنى بديع، وانظر كيف جاء في أفصح الكلام، كلام الله ﷻ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ بحرف (لا) في الموضع الَّذي اقترن به (حرف الشرط) بالفعل، فصار من صيغ العموم، فانسحب على جميع الأزمنة، وهو قوله ﷻ: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنتُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ كأنه يقول: متى زعموا ذلك لوقت من الأوقات أو زمن من الأزمان، وقيل لهم: تمنوا الموت فلا يتمنونه أبداً. وحرف الشرط دلٌّ على هذا المعنى، وحرف (لا) في الجواب بإزاء صيغة العموم؛ لا تُسَاعِ معنى النَّفي فيها..»^(٢).

والحاصل أَنَّ الله ﷻ يَبَيِّنُ أَنَّ كُلَّ هَمِّهِمْ، وكلَّ أملهم الحياة الدُّنيا، وهم يعرفون أنهم بعد الموت سينتقلون إلى العذاب بسبب ظلمهم وكفرهم.

(١) أحكام القرآن الكريم، لابن العربي (٧٦٩/٢). وينظر أيضاً مفصلاً في (لسان العرب)، مادة: (هود) (٤٣٩/٣).

(٢) انظر تمام كلامه في (بدائع الفوائد) (١٠٢/١ - ١٠٣).

ولقد عاين النَّاسُ وأدركوا عظيم جبن اليهود، وكبير حرصهم على الحياة الدنيا. وقد قال الله ﷻ: ﴿لَا يُفْلِحُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

أما عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو: [١].

أما عدد التكرار فهو أيضا: [١]. وهي: [الجمعة: ٦].

١٩ - ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التحریم: ٧]:

أ. بيان المعنى:

وقد جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٧] أنه «مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه، يقال لهم ذلك عند إدخال الملائكة إياهم النار حسبما أمروا به، فتعريف (اليوم) للعهد، ونهيهم عن الاعتذار؛ لأنهم لا عذر لهم؛ أو لأن العذر لا ينفعهم». ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنهما أشد النهي، وأمرتم بالإيمان والطاعة على أتم وجه»^(١).

ونظيره في المعنى نحو قول الله ﷻ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧]، ونحو: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥].

(١) روح المعاني (١٥٨/٢٨)، وانظر: تفسير البضاوي (٣٥٧/٥).

ب. وممّا سبقَ يتبيّن أنّ الخطاب إلى الذين كفروا قطعٌ لأعذارهم حتّى لا تكون لهم حُجّة. وقوله ﷻ: ﴿لَا تُعَذِّبُوا الْيَوْمَ﴾ ، أي: فإنّ هذا اليوم ليس يوم الاعتذار، فقد فات زمان الاعتذار، وصار الأمر إلى ما صار..

وسياّتي مزيد بيان عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

أمّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو: [١].
 أمّا عدد التكرار فهو أيضاً: [١]. وهي: [التّحريم: ٧]
 ٢٠ - ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ﴾ [الانفطار: ٦]:

أ. بيان المعنى:

أمّا يتعلّق بمعنى كلمة (إنسان) فقد سبق في (عموم الخطاب)، وكذلك الخطاب بهذه الصيغة.

وفي الآية ما يدلّ على أنّ الإنسان يتميّز عن سائر المخلوقات بهذا الوصف، مكرّم ومنعم عليه، فيتحتّم عليه أن يقابل النعمة بالشكر وأداء ما يجب عليه، وأن لا يتجرأ على عصيان من خلقه، وأنعم عليه بالنعم التي لا تحصى، وجعل له الحياة مؤقتة، وهي دار اختبار له وامتحان، وأن لا ينخدع بزخرف الدنيا وإغواء الشيطان..

ب. إجمال ما يستفاد مما ولي المنادى:

قال الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، أي: «أيُّ شيءٍ خدعك وجرّأك على عصيانه، وقد

علمت ما بين يديك من الدَّواهي النَّامة، والعراقيل الطَّامة، وما سيكون
حينئذٍ من مشاهدة أعمالك كُلِّها؟ والتَّعرض لعنوان كرمه ﷻ للإيذان
بأنَّه ليس ممَّا يصلح أن يكون مدارًا لاغتراره يغويه الشَّيطان، ويقول
له: افعل ما شئت فإنَّ ربَّك كريم قد تفضَّل عليك في الدُّنيا وسيفعل
مثله في الآخرة، فإنَّه قياس عقيم، وتمنية باطلة، بل هو مما يوجب
المبالغة في الإقبال على الإيمان والطَّاعة، واجتناب الكفر والعصيان،
كأنَّه قيل: ما حملك على عصيان ربِّك الموصوف بالصفات الزَّاجرة
عنه الدَّاعية إلى خلافه؟!«^(١) إلى غير ذلك من الصفات الَّتِي هي مقرَّرة
للرُّبوبيَّة مبيَّنة لكرم الله ﷻ.

وقد خلق الله ﷻ الإنسان وكرّمه ونعمّه، وما جاء من صيغة النداء في خطاب الإنسان تدلّ على أَنَّ الله ﷻ قريب من عباده، ينبّههم إلى ما فيه الخير لهم. و(ما ولي المناذّي) فيه ما فيه من التذكير بالنعم، ونلاحظ ذلك في الآية السابعة من (سورة الانفطار): ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّهُ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار: ٦ - ٧]، وحيث جاء ذكر الإنسان في (سورة التين) قال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، فقد جاء ذكر (الإنسان) في السّورتين، وكذلك التذكير بالخلق في أحسن تقويم.

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿١﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٢﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) تفسير أبي السعود (٩ / ١٢١)، وانظر: البحر المديد (٨ / ٢٥٤).

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ الْخَكِيمِينَ ﴿٨﴾ [التين: ١ - ٨].

وقد أقسم بذلك على أن الإنسان بعد أن جعل في أحسن تقويم إن آمن وعمل صالحاً كان له أجر غير ممنون، وإلا كان في أسفل سافلين، فتضمنت الشورة بيان ما بعث به هؤلاء الرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

ج. أمّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو: [٢].

أمّا عدد التكرار فهو أيضاً: [٢]. وهي على النحو التالي: [الانفطار: ٦] [الانشقاق: ٦].

٢١ - ﴿يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]:

أ. بيان المعنى:

وقد جاء النداء مسبوقاً بـ: ﴿قُلْ﴾ ، وذكر العلامة محمد الطاهر بن عاشور أن «افتتاحها بـ: ﴿قُلْ﴾ ؛ للاهتمام بما بعد القول بأنه كلام يراد إبلاغه إلى الناس بوجه خاص منصوص فيه على أنه مرسل بقول يبلغه، وإلا فإن القرآن كله مأمور بإبلاغه، ولهذه الآية نظائر في القرآن مفتوحة بالأمر بالقول في غير جواب عن سؤال منها: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ [الجمعة: ٦]، وقد سبق بيانه.

والسور المفتحة بالأمر بالقول (خمس) سور: ﴿قُلْ أُوْحَى﴾ [الجن: ١]: سورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوذتان،

فالثلاث الأول لقول يبلغه، والمعوذتان لقول يقوله لتعويذ نفسه. وابتدئ خطابهم بالنداء لإبلاغهم؛ لأنَّ النداء يستدعي إقبال أذهانهم على ما سيلقى عليهم»^(١).

والحاصل أنَّهم قد نودوا بوصف الكافرين؛ لأنَّهم كانوا كذلك؛ ولأنَّ في هذا النداء تحقيراً لهم، واستخفافاً بهم، ولبیان أنَّهم ليسوا على شيء، وتحريضاً لهم حتَّى يخرجوا من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. وفيه أيضاً الإيذان بأنَّه (أي: مبلغ الخطاب ﷺ) لا يخشاهم فقد ناداهم بما يكرهون من الوصف، وبما يثير غضبهم، وما ذاك إلاَّ ثقةً بالله ﷻ الذي عصمه منهم وكفاه أذاهم.

وهنا قد يرد سؤال: «لم قال الله ﷻ في (سورة التحريم): ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التَّحْرِيم: ٧]، ولم يذكر (قل)، وههنا ذكر: ﴿قُلْ﴾، وذكره باسم الفاعل؟ والجواب: الآية المذكورة في (سورة التحريم) إنما تقال لهم يوم القيامة، وثمة لا يكون الرسول ﷺ رسولا إليهم، فأزال الوسطة، وفي ذلك الوقت يكونون مطيعين لا كافرين، فلذلك ذكره بلفظ الماضي، وأمَّا ههنا فهم كانوا موصوفين بالكفر، وكان الرسول ﷺ رسولا إليهم، فلا جرم قال: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكَافِرُونَ﴾»^(٢).

وهنا أيضاً مسألة مهمة ذكرها الرّازي في (تفسيره) تتعلق بهذه الصّيغة من الخطاب القرآني، قال: «قوله ﷻ ههنا: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٠ / ٥٣١).

(٢) تفسير الرّازي (٣٢ / ١٤٤)، السّراج المنير (٤ / ٦٩٩).

الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ خطاب مع الكلّ أو مع البعض؟ الجواب: لا يجوز أن يكون قوله ﷻ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١﴾ [الكافرون: ٢].. خطاباً مع الكلّ؛ لأنّ في الكفّار من يعبد الله ﷻ كاليهود والنصارى فلا يجوز أن يقول لهم: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢﴾ ، ولا يجوز أيضاً أن يكون قوله ﷻ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ﴿٣﴾ [الكافرون: ٣-٥] خطاباً مع الكلّ؛ لأنّ في الكفّار من آمن وصار بحيث يعبد الله ﷻ، فإذاً وجب أن يقال: إِنَّ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ﴾ خطابٌ مشافهةً مع أقوامٍ مخصوصين، وهم الَّذِينَ قالوا: نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة^(١).

والحاصل أنّا لو حملنا الخطاب على العموم دخل التخصيص، ولو حملنا على أنّه خطابٌ مشافهةً لم يلزمنا ذلك، فكان حمل الآية على هذا المحمل أولى^(٢).

(١) وهو سبب النزول الذي ذكره الرّازي وغيره من المفسّرين.. انظر: تفسير الطّبري (٣٠/٣٣٠ - ٣٣١)، القرطبي (٢٠/٢٢٨)، الدرّ المنثور (٨/٦٥٤)، تفسير أبي السعود (٩/٢٠٦ - ٢٠٧)، فتح القدير (٥/٥٠٨)، الواحدي (٢/١٢٣٧)، البغوي (٤/٥٣٥)، البيضاوي (١/٣١٠)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١/٣١٠)، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٦/٥٤٣) .

(٢) تفسير الرّازي (٣٢/١٤٤).

ب. إجمال ما يستفاد مما ولي المنادى :

١ - الجمع بين الأمر والنداء يدلُّ على أهمية ما سيلقى إليهم ؛ ولإظهار العناية بما بعد القول ، فهو أمر مهم ؛ لأنه أمر عقدي يقتضي التبليغ من المبلِّغ ، ويقتضي الاستجابة من المخاطبين .

٢ - لقد سبق أنَّ الخطاب بنحو : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، ﴿يَتَأْتِيهَا الْكَافِرُونَ﴾ هو من (خطاب الذم) ؛ لتضمُّنه الإهانة ، ولم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين .

٣ - جاء الخطاب هنا مسبوقاً بـ : ﴿قُلْ﴾ حيث ينفع المكلفين الاستجابة للرَّسول المبلِّغ ﷺ ، وفي الآخرة يوم الجزاء ينقطع التكليف فيقال لهم : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْنِدُكُمُ الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التَّحريم : ٧] .

٤ - أمَّا عدد الآيات التي وردت فيه هذه الصيغة من النداء فهو : [١] .
أمَّا عدد التكرار فهو أيضًا : [١] . وهي : [الكافرون : ١] .

خاتمة عامة لما سبق

إنَّ القرآن الكريم تضمَّن نداءات يمكن تقسيمها إلى (ثلاثة) أقسام:

١- نداءاتُ خَصَّ الله ﷻ بها المصطفين الأخيار ممَّن اجتباهم لتبليغ رسالاته، وستأتي .

٢ - نداءات خاصة من وجه، وعامة من آخر جاءت بإحدى هذه الصيغ: ﴿يَبْنَیْ إِسْرَءِیلَ﴾ [البقرة: ٤٠]، ﴿يَتَأْتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]... ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿يَتَأْتِهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الجمعة: ٦]، ﴿يَتَأْتِهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التحریم: ٧]، ﴿يَتَأْتِهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

٣- نداءات أكثر عموماً وردت بإحدى الصيغ التالية: ﴿يَتَأْتِهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]... ﴿يَتَأْتِهَا الْإِنْسُنُ﴾ [الانفطار: ٦]... ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦]..

ولكن التقسيم المختار كان على حسب ترتيب المصحف بالنسبة لأوّل ورود للصيغة؛ وذلك لكثرة تنوُّع الصيغ.

وقد فرَّقْتُ بين النداءات العامة إلى الخلق، والنداءات الخاصة، وجعلت النداءات الخاصة أقساماً؛ ليسهل الرجوع إليها.

وقد كانت العناية والاهتمام بإيضاح (ما ولي المنادى)، حيث يضيف ذلك صبغةً على النداء من حيث بيان الأهداف منه والمقاصد التي ينبغي للمخاطب أن يتنبه لها، والحكمة من استخدام حرف

النِّداء: (يا) من بين حروف النِّداء الأخرى في القرآن الكريم، يتجلى ذلك في العرض المفصّل لآيات النِّداء (الأداة - المنادى (بفتح الدال المهملة) - ما ولي المنادى - بيان المعنى - إجمال التّأنيج المستفادة).
 أمّا (ما ولي المنادى) من أمر أو استفهام أو خبر أو غير ذلك فسيأتي ذكر موضِع ذلك من القرآن الكريم مستقلاً.



المطلب الثاني: نداء الأعلام

- ١ - توطئة للتعريف بالعلم في الخطاب القرآني.
 - ٢ - نداء الأنبياء - عليهم الصّلاة والسّلام- في القرآن الكريم.
 - ٣ - ما يستفاد من نداء الأنبياء - عليهم الصّلاة والسّلام-.
 - ٤ - نداء من اختلف في نبوته (لقمان - مريم) -عليهما السّلام-.
 - ٥ - نداء (مالك) -عليه السّلام- من الملائكة.
 - ٦ - نداء بقية الأعلام.
 - ٧ - نداء المخلوقات الأخرى غير الجمادات.
 - ٨ - نداء الجمادات.
- وبيان ذلك على النحو التّالي:

• أولاً: توطئة للتعريف بالعلم في الخطاب القرآني

والمقصود بالخطاب القرآني هنا: معناه الأعم، وهو توطئة للدخول إلى معناه الأخص.

العلم نوعان: جنسي، وسيأتي، وشخصي، وهو اسم يعين مسماه تعييناً مطلقاً^(١). فخرج بذكر (التعيين): النكرات، وبذكر (الإطلاق)- ما عدا العلم من المعارف- فإن تعيينها لمسمياتها تعيين مقيد، ألا ترى أن ذا الألف واللام مثلاً إنما تعين مسماه ما دامت فيه (أل)، فإذا فارقت فارقته التعيين. ونحو هذا إنما يعين مسماه ما دام حاضراً، وكذا الباقي^(٢). ومسماه نوعان:

١ - العلم الشخصي:

أ. أولو العلم من المذكرين والمؤنثات:
وما ورد في الخطاب القرآني من هذا النوع: أعلام الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام، والملائكة، مثل: (مالك) عليه السلام -كما سيأتي-، وأعلام الصحابة كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأعلام النساء

(١) قال ابن مالك رحمته الله:

(اسمٌ يُعَيَّنُ الْمُسَمَّى مُطْلَقًا عِلْمُهُ كَجَعْفَرٍ وَخَزْنَقَا)

ألفية ابن مالك، العلم (ص: ١٣). «قوله: (مطلقاً)، أي: بلا قيد التكلم أو الخطاب أو الغيبة، فالاسم: جنس يشمل النكرة والمعرفة، و(يعين مسماه) أخرج النكرة، و(بلا قيد) أخرج بقية المعارف كالمضمر؛ فإنه يعين مسماه بقيد التكلم كأننا أو الخطاب كأنت أو الغيبة كهو». شرح ابن عقيل (١/ ١١٨).

(٢) بتصرف عن (أوضح المسالك) (١/ ١٢٢ - ١٢٣).

كمریم ابنة عمران -عليها السلام-، وأسماء الكفار مثل: (قارون) -كما سيأتي-، ويشمل (علم الأشخاص) الاسم والكنية واللقب، كما قال ابن مالك في (الأنفية):

(واسمًا أتى وكنية ولقبًا)^(١).

والمراد بالاسم هنا: ما ليس بكنية ولا لقب كزيد، وبالكنية: ما كان في أوله أبٌ أو أم كأبي لهب، وباللقب ما أشعر بمدح كالمسيح عليه السلام وكإسرائيل، وذو القرنين، أو ذم كأنف الناقة^(٢).

ب. أعلام القبائل: كعاد، وثمود، ومدين، وأصحاب الأيكة، وسبأ، وأصحاب الرّس، والرّوم، ونحو ذلك.

ج. أعلام البلاد والأمكنة في الدنيا: كمكة، والمدينة، ويثرب، وحنين، ومصر، ونحو ذلك.

د. أعلام الأماكن الأخروية: كالفردوس، والجنة، والنار، والأعراف، والبرزخ، والكوثر، وسدرة المنتهى، والحدور العين.

هـ. أعلام الكواكب والنجوم والشهب: كالشمس، والقمر، والشّعرى، والشّهاب.

و. أعلام الطيور: كالهدد، والطّير الأبايل^(٣).

وغير ذلك ممّا سيأتي بيانه.

(١) أنفية ابن مالك، (العلم) (ص: ١٣).

(٢) انظر: شرح ابن عقيل (١/ ١١٩).

(٣) انظر: الشواهد على القواعد من (ص: ١١١-١١٦).

٢ - العلم الجنسي:

العلم الجنسي ليس كاسم الجنس في المعنى، بل هو معينٌ لمسمّاه، لكن ليس تعييناً مطلقاً، بل كتعيين ما دخلت عليه (أل) الجنسية، وذلك أنك تقول: (هذا أسامة) تقصد به واحداً من الأسود لا تقصد به أسداً بعينه، فهذا لفظٌ صالح لكلِّ أسد. وسمّي: (علم جنس)؛ لأنه موضوع لكلِّ فرد من أفراد الجنس، فـ (أسامة) لكلِّ أسد، و(ثُعالة) لكلِّ ثعلب.

والحاصل أنه اسمٌ يُعَيِّنُ مُسَمَّاه، بغير قيدٍ تَعَيِّنُ ذِي الأداة الجِنْسِيَّةِ أو الحُضُورِيَّةِ، فإذا قُلْتَ: (أسامةٌ أجراً من ثُعالة)، فهو بمنزلة قولك: (الأسدُ أجراً من الثَّعلَبِ) و(أل) في الأسد والثَّعلب للجنس. وإذا قُلْتَ: (هذا أسامةٌ مُقْبِلاً) فهو بمنزلة قولك: (هذا الأسدُ مُقْبِلاً)، و(أل) في (الأسد) لِتَعْرِيفِ الحُضُورِ^(١).

وهو أنواع:

- أ. أعيان: كإنسان، وبقرة، وذئب، وحيوت، ونمل، ونحل، وعنكبوت، وجراد، وكفروعون لكلِّ من ملك (مصر)، ونحو ذلك.
 - ب. أمور معنويّة: «كسبحان للتَّسْبِيح»^(٢).
- وينقسم العلم إلى اسم وكنية ولقب.

(١) انظر: قطر اللّدى (ص: ٩٧)، وانظر: تعجيل اللّدى (ص: ١٠٢-١٠٣)، شذور الذهب (ص: ٢٩٠)، أوضح المسالك (١/ ١٣٢-١٣٣).

(٢) انظر: أوضح المسالك (١/ ١٣٣).

أَمَّا (الاسم) فقد سبق التَّمثِيلُ له، وكذلك الكنية واللقب.

● ثانيًا: نداء الأنبياء في القرآن الكريم

أَمَّا التَّعْرِيفُ بالرَّسُولِ والنَّبِيِّ فقد سبق.

وأذكر هنا (نداء الأنبياء) - عليهم الصَّلَاة والسَّلَام - في القرآن

الكريم مرتبة على حسب التَّرتيب الزَّمَنِي:

١ - نداء آدم عليه السلام:

وهو قسمان:

القسم الأوَّل: نداء الله عزَّ وجلَّ له:

[البقرة: ٣٣، ٣٥]، [طه: ١١٧].

القسم الثاني: نداء من إبليس له:

[طه: ١٢٠].

٢ - نداء نوح عليه السلام:

وهو قسمان:

القسم الأوَّل: نداء من الله عزَّ وجلَّ له:

[هود: ٤٦، ٤٨].

القسم الثاني: نداء قومه له:

[هود: ٣٢]، [الشُّعراء: ١١٦].

٣ - نداء هود عليه السلام:

في موضع واحد من قومه:

[هود: ٥٣].

٤ - نداء صالح عليه السلام:

في موضعين من قومه:

[الأعراف: ٧٧]، [هود: ٦٢].

٥ - نداء إبراهيم عليه السلام:

وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نداء الله تعالى له:

[هود: ٧٦]، [الصافات: ١٠٤].

القسم الثاني: نداء جاء على لسان والده:

[مريم: ٤٦]، [الأنبياء: ٦٢].

٦ - نداء لوط عليه السلام:

في موضعين من قومه:

[هود: ٨١]، [الشعراء: ١٦٧].

٧ - نداء شعيب عليه السلام:

في ثلاثة مواضع كلها من قومه:

[الأعراف: ٨٨]، [هود: ٨٧، ٩١].

٨ - نداء يوسف عليه السلام:

وهو قسمان، ويلاحظ حذف (يا) النداء فيهما:

القسم الأول: نداء من عزيز (مصر):

[يوسف: ٢٩].

القسم الثاني: نداء من صاحبي السجن:

[يوسف: ٤٦].

٩ - نداء موسى عليه السلام:

وهو ستة أقسام:

القسم الأول: نداء من الله ﷻ:

[الأعراف: ١٤٤]، [طه: ١١، ١٧، ١٩، ٣٦، ٤٠، ٤٩، ٨٣]،

[القصص: ٣٠]، [القصص: ٣١]، [النمل: ٩، ١٠].

القسم الثاني: نداء من قومه:

[البقرة: ٥٥، ٦١]، [المائدة: ٢٢، ٢٤]، [الأعراف: ١١٥، ١٣٤]،

[١٣٨].

القسم الثالث: نداء من فرعون:

[الإسراء: ١٠١]، [طه: ٥٧].

القسم الرابع: نداء من السحرة:

[طه: ٦٥].

القسم الخامس: نداء من القبطي:

[القصص: ١٩]

القسم السادس: نداء من الناصح له (مؤمن من آل فرعون يكتن إيمانه):

[القصص: ٢٠]

ويلاحظ أن مجموع نداءات موسى عليه السلام في (أربعة وعشرين)

موضعا.

١٠ - نداء هارون عليه السلام:

في موضع واحد من موسى عليه السلام:
[طه: ٩٢]

١١ - نداء زكريا عليه السلام:

وهو في موضع واحد من الملائكة:
[مريم: ٧]

١٢ - نداء عيسى عليه السلام:

وهو قسمان:

القسم الأول: نداء من الله تعالى:

[آل عمران: ٥٥]، [المائدة: ١١٠، ١١٦].

القسم الثاني: نداء من الحواريين:

[المائدة: ١١٢].

١٣ - نداء الرسول ﷺ، أو النبي ﷺ:

لا بدَّ أوَّلاً من بيان اهتمام الرسالة بنداءات النبي أو الرسول ﷺ،
حيث إنَّه ﷺ الرسول الخاتم، ومبلِّغ الخطاب القرآني، وله ما له من
الفضل الذي سبق بيان بعضها في صفات المبلِّغ ﷺ.

أ. أمَّا (نداء الرسول) ﷺ ففي موضعين:

[المائدة: ٤١، ٦٧].

ب. وأمَّا (نداء النبي) ﷺ ففي [١٣] موضع:

[الأنفال: ٦٤، ٦٥، ٧٠]، [التوبة: ٧٣]، [الأحزاب: ١، ٢٨]،

٤٥، ٥٠، ٥٩، [الممتحنة: ١٢]، [الطلاق: ١]، [التحریم: ١، ٩].

ج. وقد جاء (نداء النبي ﷺ) إلى قومه بلفظ: (قل)، وهي على النحو التالي:

[الأنعام: ١٣٥]، [الأعراف: ١٥٨]، [يونس: ١٠٤، ١٠٨]، [الحج: ٤٩]، [الزمر: ٣٩]، [الجمعة: ٦]، [الكافرون: ١].

د. وقد جاء (نداء النبي ﷺ) على لسان الكافرين في [الحجر: ٦]. هـ. ما كان وصفاً لحاله:

[المدثر: ١]، [المزمل: ١].

وقد سبق ذكر لذلك في (صيغ مخاطبة مبلغ الخطاب القرآني).

و. نماذج من مقاصد من الخطاب بصيغة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾:

وأعرض هنا للشورة التي تكرر فيها النداء بصيغة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (خمس مرّات)، وهي (سورة الأحزاب)، فإن «افتتاح الشورة بـخطاب النبي ﷺ»^(١)، وندائه بوصفه مؤذن بأن الأهم من سوق هذه الشورة يتعلّق بأحوال النبي ﷺ. وقد نودي فيها (خمس مرّات) في افتتاح أغراض مختلفة من التشريع بعضها خاصّ به وبعضها يتعلّق بغيره وله ملابسة به.

فالنداء الأوّل؛ لافتتاح غرض تحديد واجبات رسالته نحو ربّه ﷻ.

(١) يعني قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ اللَّهَ لَا يُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

﴿[الأحزاب: ١]﴾.

والنداء الثاني^(١)؛ لافتتاح غرض التَّنويه بمقام أزواجه واقترابه من مقامه.

والنداء الثالث^(٢)؛ لافتتاح بيان تحديد تقلُّبات شؤون رسالته في معاملة الأمة.

والنداء الرابع^(٣) في طالعة غرض أحكام تزوجه وسيرته مع نسائه.
والنداء الخامس^(٤) في غرض تبليغه آداب النساء من أهل بيته ومن المؤمنات.

فهذا النداء الأوَّل افتتح به الغرض الأصلي لبقية الأغراض، وهو تحديد واجبات رسالته في تأدية مراد ربه ﷺ على أكمل وجه دون أن يفسد عليه أعداء الدين أعماله، وهو نظير النداء الذي في قوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، وقوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَا الرَّسُولُ لَا يَحْرُوكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١]. ونداء النبي ﷺ بوصف النبوة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف؛ ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به

(١) يعني قوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لَا زَوْجَ لَكَ إِن كُنْتُمْ تُدْرِكُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أُمْتَعْتَكُمْ وَأَسْرَحَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

(٢) يعني قوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

(٣) يعني قوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ إِنَّا أَعْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ مَاتَتْ أَجُورُهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

(٤) يعني قوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لَا زَوْجَ لَكَ وَبَنَاتِكَ وَرِسَالَتُكَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَ مِنْ حَلِيبِيهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

غيره؛ ولذلك لم يناد في القرآن بغير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، أو ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ بخلاف الإخبار عنه فقد يجيء بهذا الوصف كقوله ﷺ: ﴿يَوْمَ لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ٨]، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُ﴾ [الفرقان: ٣٠]، ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿النَّبِيُّ أَوْكَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ويجيء باسمه العلم كقوله ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد يتعين إجراء العلم ليوصف بعده بالرسالة كقوله ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وتلك مقامات يقصد فيها تعليم الناس بأن صاحب ذلك الاسم هو رسول الله ﷺ، أو تلقين لهم بأن يسموه بذلك ويدعوه به، فإن علم أسمائه من الإيمان لثلاً يلتبس بغيره^(١).

ز. ما يكون بعد نداء النبي ﷺ في القرآن:

جاء النداء للنبي ﷺ في القرآن الحكيم - كما سبق - في (سبعة عشر) موضعاً جاء في غالبها بعد النداء الطلب، ففي (عشرة) مواضع منها جاء بعد النداء الأمر، وهي قوله ﷺ:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ [الأنفال: ٧٠].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣].

(١) التحرير والتنوير (٢١/٢٤٩ - ٢٥٠).

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ أَنَّ اللَّهَ وَلَا تُطِيعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَفَقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأُسْرِخْكُمْ سِرًّا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيدٍ بَهِيمٍ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

﴿يَتَأْتِيَا الْمُرْسَلُ﴾ [١] ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٢] [المزمل: ١ - ٢].

قال ﴿يَتَأْتِيَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [١] ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ [٢] [المدثر: ١ - ٢].

وفي موضعين جاء عقب النداء النهي، إمّا مباشرة، وهو قوله ﴿يَتَأْتِيَا الْمُرْسَلُ﴾ وفي موضعين جاء عقب النداء النهي، إمّا مباشرة، وهو قوله ﴿يَتَأْتِيَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

[المائدة: ٤١].

وإمّا معطوفاً على الأمر، وهو قوله ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ أَنَّ اللَّهَ وَلَا تُطِيعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَفَقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

وفي موضع واحد جاء بعد النداء للنبي ﷺ الاستفهام، وذلك في قوله ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم: ١].

أمّا المواضع التي جاء فيها بعد النداء الخبر فهي (خمسة):

وهي قوله ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وقوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وقوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَاتَيْتَ أَجْرَهُمْ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وقوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [المتحنة: ١٢].

وقوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: ١].

ح. إجمال ما يستفاد من المعاني التي تضمنتها آيات النداء للنبي ﷺ: بعد النظر في الآيات السابقة يمكن أن نقسم المعاني التي تضمنتها هذه الآيات إلى ما يلي:

١ - الأمر بإبلاغ الرسالة وما يتعلق بها، كالحذر من المعوقات مع ذكر أركان هذه الرسالة وصفات المرسل بها والبيعة عليها.

٢ - الحث على الجهاد في سبيل الله ﷻ، وتأيد الله ﷻ لرسوله ﷺ، كبيان بعض أحكامه، مع التصديق بموعد الله ﷻ، والثقة بنصره وتأيده لرسوله ﷺ والمؤمنين وكفايته ورعايته لهم.

٣ - الأمر بتقوى الله ﷻ بفعل الطاعات، والبعد عن المخالفات.

٤ - بيان بعض الأحكام المتعلقة بالنساء، كتخييرهن بين البقاء معه أو تخلية سبيلهن، وبيان ما أحل الله ﷻ له من النساء، وبيان بعض

أحكام الطلاق.

● ثالثاً: ما يستفاد من نداء الرُّسل - عليهم الصَّلَاة والسلام-

أما نداء الله ﷻ للرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسلام- فهو لتبليغ الخطاب إليهم، وليبين أهليتهم لتلقّي الخطاب، ولتُعلم عند المخاطبين مكانتهم... وأنَّ الله ﷻ قد اصطفاهم واختارهم من بين الخلق للتبليغ، فكانوا أهلاً للتبليغ، وأُسوةً للخلق في العمل والتطيق، وتفعل أفعال الخطاب في الواقع..

وأما نداء الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسلام- إلى أقوامهم فهو لتبليغهم الخطاب، وبيانهم لهم، وإفادتهم ما لا يستقلُّون بمعرفته، وقطع أَعذارهم...، كما أنَّ (خطاب الرُّسل) -عليهم الصَّلَاة والسلام- فيه: التشريع والتنظيم لما يعتري المكلفين من الأحوال التي تكون محلَّ نزاع فيما بينهم...، وفي هذه التشريعات تنظيم لمرور الإنسان وسيره في طريق الحياة، وفيها منع الصُّدام بين المكلف وغيره، حماية له من الخطر أن يصيبه هو، أو يصيب غيره من جرّاء انطلاقه من غير قيود ولا حدود.

ولأنَّ العقل البشري إذا خلا من الإيمان بالله ﷻ الذي جاء به الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسلام- اشتغل تلقائياً بالإيمان بسواه، سيؤمن مثلاً بهواه فيتبعه على نحوٍ بهيميٍّ ليس له ضابط^(١)، سيؤمن بالمال فيجعله إلهه المعبود، سيؤمن باللذة فيتحلَّل من كلِّ ضابط... سيؤمن

(١) يقول الله ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

بفكر فلانٍ أو فلان من شياطين الإنس، وتعصف به رياح الأهواء وتتجاذبه.. إلى غير ذلك.

والقرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى حيث يقول الله ﷻ: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الْضَلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، أي: لا فراغ ولا يمكن أن يرتفع النقيضان .
يقول ابن القيم رحمه الله :

(هربوا من الرُّقِّ الَّذِي خَلَقُوا لَهُ فبَلَوْ بِرُقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ)
(لا تَرْضَ مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنَفْسِهِمْ فقد ارتضوا بالذل والحرمان)
(لو ساوت الدنيا جناح بعوضة لم يسق منها الربُّ ذا الكفران)^(١).

ولم أتعرض هنا لبيان كل صيغة من صيغ نداء الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- لأقوامهم؛ لكثرتها؛ ولأنَّ الهدف من بعثة الرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- واحد، وحيث جاء ذلك مبيَّنًا في (الفصل الأوَّل)، ومما يدلُّ على ذلك على سبيل المثال قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، إلى غير ذلك.

(١) متن القصيدة الثنوية (ص: ٣٠٨).

● رابعًا: نداء من اختلف في نبوته

(لقمان - مريم) عليهما السلام

وأما نداء من قيل: إنه كان نبياً، والأكثر على خلافه: (لقمان) - عليه السلام^(١).

وقد جاء النداء في وصيته لابنه في [لقمان: ١٣].

أما نداء من اختلف في نبوتها (مريم - عليها السلام) فقد ذكر البعض الإجماع على كون مريم - عليها السلام - ليست نبيّة - كما بينت ذلك في (الوحي) -، وذكرت أنّ القول بالإجماع بجانب للصواب على القول الصحيح في التفريق بين النبوة والرّسالة، وكون مريم - عليها السلام - نبيّة مختلف فيه كما ذكر القرطبي في (تفسيره)^(٢).

قلت: وذلك الاختلاف يرجع إلى أنّ هذا الأمر مسكوت عنه، لا دليل يثبته، ولا دليل ينفيه، وإن كان الإجماع صحيح على كونها ليست مرسلّة، وذلك للنّص القرآني.

والنداء لمريم - عليها السلام - أقسام:

القسم الأوّل: نداء من زكريّا عليه السلام: [آل عمران: ٣٧].

القسم الثّاني: نداء من الملائكة: [آل عمران: ٤٢، ٤٣، ٤٥].

القسم الثّالث: نداء من قومها: [مريم: ٢٧].

(١) انظر: تفسير الطّبري (٦٧/٢١ - ٦٨)، تفسير ابن كثير (٣/٤٤٤ - ٤٤٦)، الدر المنثور

(٦/٥١٦)، تفسير السّمقندي (٣/٣٧٠)، الإتيقان (٢/٣٧٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/٨٣).

● خامساً: نداء (مالك) - عليه السلام - من الملائكة

أ. في موضع واحد من أهل النار:

[الزخرف: ٧٧]

ومالك عليه السلام هو: (خازن جهنم)^(١)، أو يقال: (خازن النار)^(٢)، والمعنى واحد.

وقد جاء في خطاب أهل النار لمالك عليه السلام مادة النداء (نادوا)، وكذلك أداة النداء (يا) في قول الله عز وجل: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُوتُونَ ﴿٧٧﴾. والجمع بينهما في خطابهم يدل على شدة ما هم فيه من الكرب والغم.

وقراءة: ﴿يا مال﴾ - بحذف الكاف - على الترخيم؛ للإشارة إلى أن العذاب أوهنهم عن إتمام الكلام، ولذا قالوا: ﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا﴾. وفي (الكشاف): «حسن الترخيم أنهم يقطعون بعض الاسم؛ لضعفهم وعظم ما هم فيه»^(٣).

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٧/١٨)، (٩٨/٢٥)، القرطبي (١١٦/١٦)، روح المعاني (٣٥/٣٠)، تفسير ابن كثير (٨/٣)، (١٦/٣)، (٢٢/٣)، الدر المنثور (٢١٥/٥).

(٢) انظر: الطبري (٥٩/١٨)، (١١٢/٢١)، (٩٩/٢٥)، القرطبي (٢٠٤/٧)، (٤٦/١١)، (٩٥/١٦)، (١٥٠/١٦)، (٢٤٠/١٩)، روح المعاني (١٢٣/٨)، ابن كثير (٣/٤٦٤). إلخ.

(٣) الكشاف (٤٩٦/٣)، وانظر: تفسير أبي السعود (٥٥/٨)، روح المعاني (١٠٣/٢٥)، تفسير البضاوي (١٥٣/٥)، التسنفي (١٨١/٤)، نظم الدرر (٥٣/٧)، المحرر الوجيز (٦٤/٥)، «قيل لابن عباس رضي الله عنه: إن ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ: (يا مال)، فقال: «ما أشغل أهل النار عن الترخيم». وأجيب عنه: بأنه إما حسن الترخيم؛ لأنهم بلغوا من الضعف =

«فإن قلت: كيف قال: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ﴾ بعد ما وصفهم بالإبلاس؛^(١) قلت: تلك أزمئة متطاولة وأحقاب ممتدة، فتختلف بهم الأحوال فيسكتون أوقاتاً لغلبة اليأس عليهم، وعلمهم أنه لا فرج لهم، ويغوثنون^(٢) أوقاتاً لشدة ما بهم ﴿مَنْكُوثٌ﴾ لا بثون»^(٣).

وجروا على عادتهم في الغباوة والجلافة فقالوا: ﴿رَبِّكَ﴾، أي: المحسن إليك فلم يروا لله **رَبِّكَ** عليهم إحساناً وهم في تلك الحالة، فلا شك أن إحسانه ما انقطع عن موجود أصلاً، وأقل ذلك أنه لا يعذب أحداً منهم فوق استحقاقه؛ ولذلك جعل النار دركات كما كانت

= والنحافة إلى حيث لا يمكن أن يذكروا من الكلمة إلا بعضها. وقرأ أبو السرار العنوي: (يا مَالُ) مَبْنِيًّا عَلَى الضَّمِّ عَلَى لُغَةٍ مِنْ لَا يَنْوِي. انظر: الكشف (٣/٤٩٦)، روح المعاني (١٠٢/٢٥)، البحر المديد (٧/٣٤). وانظر قراءة ابن مسعود **رَبِّكَ** أيضاً في (تفسير الطبري) (٩١/١)، تفسير الثوري (ص: ٢٧٤). وفي (البحر): «وقرأ الجمهور: ﴿يَمْلِكُ﴾. وقرأ عبد الله، وعلي، وابن وثاب، والأعمش: (يا مال)، بالترخيم، على لغة من ينتظر الحرف». البحر المحيط (٨/٢٧)، فتح القدير (٤/٨٠٤). وفي (زاد المسير): «وقرأ علي بن أبي طالب **رَبِّكَ**، وابن مسعود **رَبِّكَ**، وابن يعمر: (يا مال) - بغير كاف مع كسر اللام-». زاد المسير (٧/٣٢٩). قال الزجاج: وهذا يسميه التحويون: الترخيم، وهو كثير في الشعر في (مالك)، و(عامر)، ولكني أكرهما لمخالفة المصحف. معاني القرآن، للزجاج (٤/٤٢٠)، وانظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري (١/٣٦١).

(١) أي في الآيات السابقة: ﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّمِينَ فِي عَذَابٍ مُتَخِلِّفُونَ﴾ **٧٥** لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ **٧٦** وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ **٧٦** [الرَّحْف: ٧٤-٧٦].

(٢) (عَوْتُ الرَّجُلِ): قال واغوثاً. انظر: الصحاح، مادة: (غوث) (١/٢٨٩). وفي (تاج العروس): «عَوْتُ الرَّجُلِ، واستغاث: صاح: واغوثاً، وتقول: ضَرَبَ فُلَانٌ فَعَوْتَ تَغْوِيئًا، قال: واغوثاً. تاج العروس، مادة: (غوث) (٥/٣١٣)، لسان العرب (٢/١٧٤).

(٣) الكشف (٣/٤٩٦)، روح المعاني (١٠٢/٢٥).

الجنة درجات.. (١).

و«جملة ﴿وَنَادَوْا﴾ حال من ضمير: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٢)، أو عطف على جملة: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾. وحكي نداؤهم بصيغة الماضي مع أنه مما سيقع يوم القيامة، إمّا لأنّ إيلاسهم في عذاب جهنّم، وهو اليأس يكون بعد أن نادوا: ﴿يَمْلِكُ﴾، وأجابهم بما أجاب به، وذلك إذا جعلت جملة: ﴿وَنَادَوْا﴾ حالية، وإمّا لتنزيل الفعل المستقبل منزلة الماضي في تحقيق وقوعه تخريباً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر نحو قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]، وهذا إن كانت جملة: ﴿وَنَادَوْا﴾ إلخ معطوفة. و﴿مَلِكٍ﴾ (المنادى): اسم الملك الموكّل بجهنّم. خاطبوه ليرفع دعوتهم إلى الله ﷻ شفاعاً. واللام في ﴿لَيَقْضَىٰ عَلَيْنَا رَيْكُ﴾: (لام الأمر) بمعنى الدعاء. وتوجيه الأمر إلى الغائب لا يكون إلّا على معنى التبليغ كما هنا، أو تنزيل الحاضر منزلة الغائب لاعتبار ما مثل التعظيم في نحو قول الوزير للخليفة: (ليّر الخليفة رأيّه). و(القضاء) بمعنى: الإماتة كقوله ﷻ: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، سألوا الله ﷻ أن يزيل عنهم الحياة؛ ليستريحوا من إحساس العذاب. وهم إنما سألوا الله ﷻ أن يميتهم فأجيبوا بأنهم

(١) نظم الدرر (٧/ ٥٣)، وانظر: السراج المنير (٣/ ٦٧٩).

(٢) وقام الآيات: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٧٦) لَا يُفَرِّقُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لَيَقْضَىٰ عَلَيْنَا رَيْكُ قَالَ إِنَّا أَنْكُرُ مَكَرُوتٍ ﴿٧٧﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٧].

ماكثون جوابًا جامعًا لنفي الإمامة، ونفي الخروج، فهو جواب قاطع لما قد يسألونه من بعد^(١).

ب. إجمال ما يستفاد من صيغة النداء ومما ولي المنادى:

١ - الجمع في خطابهم بين مادة النداء (نَادَوْا)، وكذلك أداة النداء (يَا) يدلُّ على شدة ما هم فيه من الكرب والغم.

٢ - إِنَّ من الملائكة من لهم مهامٌ مختلفة لا يعصون الله عَلَيْكَ فيما أمرهم، ومن هذه المهام: ما كُلِّفَ به (مالك) الطَّلِيلُ من كونه خازنًا للنار.

٣ - بيان حال أهل النار من الضعف والوهن، وأنه لا شفاة لهم تنقذهم أو ترفع عنهم العذاب، وأنهم لا يظلمون، بل يجزون ما كانوا يعملون في الدنيا.

٤ - إن ما جاء من ذكر أحوال أهل النار إنما هو من الغيبات التي لا سبيل لمعرفة إلا عن طريق السمع، فيقتصر في ذلك على ما ورد من صحيح الكتاب والسنة.

٥ - إن دخولهم النار بسبب رفضهم قبول الحق واستعلائهم. قال الله

عَلَيْكَ: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٧٨)

[الزخرف: ٧٨]، ثم بين حالهم من الغفلة والانغماس في أحوال

المعاصي، فقال سبحانه: ﴿أَمْ أَرْمَوْا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا

(١) التحرير والتنوير (٢٥/٢٥٩-٢٦٠).

سَمِعَ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ [الزخرف: ٧٩-٨٠]. والله ﷻ ليس بغافل عما يعمل الظالمون، ولهم يوم يقفون فيه بين يدي الله ﷻ ويحاسبون.

• سادساً: نداء بقيّة الأعلام

وأذكر هنا عقب ما ذكر من نداء أهل الفضل والتّشريف بقيّة الأعلام وهم: (إبليس، فرعون، هامان، السّامري).

١ - نداء إبليس

أ. أمّا نداء إبليس من الله ﷻ ففي موضعين :
[الحجر: ٣٢]، [ص: ٧٥].

ب. بيان ما يستفاد مما ولي المنادى:

وفي بداية الأمر يذكر الله ﷻ خلق آدم ﷺ في ملائكته قبل خلقه له، وتشريفه إيّاه بأمره الملائكة بالسّجود له. ويذكر تخلف إبليس عدوّه عن السّجود له من بين سائر الملائكة، حسداً وكفراً، وعناداً واستكباراً، وافتخاراً بالباطل، ولهذا قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿لَمْ أَكُنْ لَاسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣]، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْنَنَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

وقد ذكر جمع كبير من المفسّرين ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما من أنّ أوّل

من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدّين بشيء من رأيه قرنه الله ﷻ مع إبليس. وذكروا ما قاله الحسن وابن سيرين: ما عبدت الشمس إلا بالقياس^(١).

أقول: وتوجيه خطأ إبليس في القياس أن يقال: إن إبليس قد استعمل القياس في إثبات أنه خير من آدم ﷺ لثلاث يسجد له حينما أمر بالسجود له فيما حكاه الله ﷻ عنه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. وهو قياس من الشّكل الأوّل^(٢) حذفت منه

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣١/٨)، وانظر: القرطبي (١٧١/٧)، روح المعاني (٨٩/٨)، الدر المنثور (٤٢٥/٣)، ابن كثير (٢٠٤/٢)، الثعالبي (٦/٢)، البغوي (١٥٠/٢)، فتح القدير (١٩٣/٢)، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٥/١٥)، (٢٤٠/١٦). وأورد ابن كثير ما ذكره الطبري: «..عن الحسن في قوله ﷻ: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] قال: قاس إبليس، وهو أوّل من قاس. [قال] إسناده صحيح.. وعن ابن سيرين قال: أوّل من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس. [قال] إسناده صحيح أيضًا». تفسير ابن كثير (٢٠٤/٢).

(٢) الشّكل الأوّل: ما كان الحد الأوسط فيه محمولاً في الصّغرى، موضوعاً في الكبرى، مثل: كل طائر حيوان، وكل حيوان متنفّس = كل طائر متنفّس.. وشرطه: ١- أن تكون مقدّمته الصّغرى موجبة. ٢- أن تكون مقدّمته الكبرى كلّية. فإن فقد الشرط الأوّل وكانت الصّغرى سالبة صدقت النتيجة مرّة وكذبت أخرى، والنتيجة لا بدّ أن يطرّد صدقها. فلو قلنا: لا شيء من الفضة بذهب، وكل ذهب معدن، فالنتيجة = لا شيء من الفضة بمعدن، وهي كاذبة مع صدق المقدمتين. وإنما نشأ كذب النتيجة من الإخلال بالشرط الأوّل، وهو إيجاب الصّغرى. وكذلك لو فقد الشرط الثّاني، وكانت الكبرى جزئية فإنّ النتيجة أيضًا تكذب، مثل: كل نبات قمح، وبعض الثّبات ورد، فالنتيجة = بعض القمح ورد، وهي كاذبة مع صدق المقدمتين؛ وذلك لفقد الشرط الثّاني، وهو كلّية الكبرى. قال صاحب السّلم:

المقدمة الثانية للعلم بها. ونظمه هكذا: أنا مخلوق من النار، وآدم مخلوق من الطين، وكل مخلوق من النار خير من المخلوق من الطين = أنا خير من آدم..

وقد أخطأ إبليس في قياسه؛ لأنَّ الفضل عند الله ﷻ بحسن العمل لا بشرف الأصل. فإذا سلّمنا جدلاً أنَّ المخلوق من النار خير من المخلوق من الطين فيرد عليه ما سبق.

أعني إنَّ سلّم لإبليس أنَّ المخلوق من النار خير من المخلوق من الطين من حيث أصل الخلق فإنَّه يرد عليه ما سبق.. كيف ولم يسلم له ذلك؟! فممن أين له أنَّ المخلوق من النار خير من المخلوق من الطين من حيث أصل الخلق؟! وقد علم أنَّ الإنسان المخلوق من الطين أفضل من الجنِّ المخلوق من النار.. حيث إنَّ فيهم -أي الإنس- الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- الَّذِينَ اصطفاهم الله ﷻ وفضلهم من بين سائر الخلق..

والحاصل أنَّ تقرير إبليس ليس حجة.

= (حَمَلٌ بِصُغْرَى وَضَعُهُ بِكُبْرَى يُدْعَى بِشَكْلِ أَوَّلٍ وَيُذَرَى ثُمَّ قَالَ:

(فَشَرُطُهُ الْإِيجَابُ فِي صُغْرَاهُ وَأَنْ تُرَى كُُلِّيَّةٌ كُتْبَرَاهُ).

انظر: شرح الشَّيخ درويش القويسني على متن السُّلَّم في علم المنطق (ص: ٣٤ - ٣٥)، توضيح المنطق القديم (ص: ١٠٤)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرُّسوم (ص: ١٢٥)، طرق الاستدلال (ص: ٢٤٣ - ٢٤٥)، الجديد في الحكمة (ص: ١٧٨)...

قال محمد بن جرير: «ظَنَّ الخبيثُ أَنَّ النَّارَ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْفَضْلَ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ ﷻ لَهُ الْفَضْلَ، وَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ ﷻ الطِّينَ عَلَى النَّارِ مِنْ وَجْهِ مِنْهَا: أَنَّ مِنْ جَوْهَرِ الطِّينِ الرَّزَانَةَ وَالْوَقَارَ وَالْحِلْمَ وَالصَّبْرَ، وَهُوَ الدَّاعِي لِآدَمَ ﷺ بَعْدَ السَّعَادَةِ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالتَّوَضُّعِ وَالتَّضَرُّعِ فَأَوْرَثَهُ الْاجْتِبَاءَ وَالتَّوْبَةَ وَالْهَدَايَةَ، وَمِنْ جَوْهَرِ النَّارِ الْخَفَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْحَدَّةَ وَالْإِرْتِفَاعَ، وَهُوَ الدَّاعِي لِإِبْلِيسَ بَعْدَ الشَّقَاوَةِ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ إِلَى الْإِسْتِكْبَارِ وَالْإِصْرَارِ، فَأَوْرَثَهُ اللَّعْنَةَ وَالشَّقَاوَةَ؛ وَلِأَنَّ الطِّينَ سَبَبُ جَمْعِ الْأَشْيَاءِ وَالنَّارَ سَبَبُ تَفْرِقِهَا؛ وَلِأَنَّ الثُّرَابَ سَبَبُ الْحَيَاةِ، فَإِنَّ حَيَاةَ الْأَشْجَارِ وَالتَّنْبَاتِ بِهِ، وَالنَّارَ سَبَبُ الْهَلَاكِ»^(١).

أقول: ما أورده الطَّبْرِيُّ، ونقله عنه غير واحدٍ من المفسِّرين إنما

(١) تفسير الطَّبْرِيِّ (١٣١/٨)، وانظر: تفسير القرطبي (١٧١/٧)، ابن كثير (٢٠٤/٢)، البغوي (١٥٠/٢)، ابن عادل (٣٢/٩)، السَّراج المنير (٥٣٦/١)، تفسير السَّمْعَانِي (١٦٨/٢). وفي (أضواء البيان): «لَا نَسْلُمُ أَنَّ النَّارَ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ، بَلِ الطِّينُ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ؛ لِأَنَّ طَبِيعَتَهَا الْخَفَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْإِفْسَادَ وَالتَّفْرِيقَ، وَطَبِيعَتُهُ الرَّزَانَةَ وَالْإِصْلَاحَ فَتَوَدَّعَ الْحَبَّةَ فَيُعْطِيكُمَا سِنْبَلَةً، وَالتَّنَوُّةَ فَيُعْطِيكُمَا نَخْلَةً. وَإِذَا أَرَدَتْ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَ الطِّينِ فَانْظُرِي إِلَى الرِّيَاضِ النَّاضِرَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الثَّمَارِ اللَّذِيذَةِ، وَالْأَزْهَارِ الْجَمِيلَةِ، وَالرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ. تَعْلَمُ أَنَّ الطِّينَ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ. [وَقَالَ] إِنَّا لَوْ سَلِمْنَا تَسْلِيمًا جَدَلِيًّا أَنَّ النَّارَ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ، فَإِنَّهُ لَا يَلْزِمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ ﷺ؛ لِأَنَّ شَرَفَ الْأَصْلِ لَا يَقْتَضِي شَرَفَ الْفَرْعِ، بَلِ قَدْ يَكُونُ الْأَصْلُ رَفِيعًا، وَالْفَرْعُ وَضِيعًا..». انظر: أضواء البيان (٣٣/١ - ٣٥)، كتب ورسائل ابن تيمية في التفسير (١٥/٥ - ٦)، والمعنى قريب في (البحر المديد) (٣٣٩/٢)، والبحر المحيط (٢٧٣/٤)، كذلك في (المنار) (٢٩٤/٨).

يسلّم له من حيث تميّز الطّين عن النّار، ولكن لا يسلّم له أنّ أصل الخلق سببٌ للاستجابة أو الإعراض، أو دافع من الدّوافع فقد جعل الله ﷻ كلّ مكلفٍ مختاراً، ويجازى على اختياره إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وإلاّ لكان ذلك مدخلا لكلّ من خلق من النّار -وهم الجنّ- أن يكونوا مدفوعين من أصل الخلق إلى نوازع الشرّ.. ولا قائل بذلك، وهو ممّا يتنافى مع الحكمة فتنبه.

وقد قال الله ﷻ له: ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾ [الحجر: ٣٢]، [ص: ٧٥]، «وهذا يقتضي أنّه ﷻ تكلم معه، فعند هذا قال بعض المتكلّمين: إنّهُ ﷻ أوصل هذا الخطاب إلى إبليس على لسان بعض رسله -عليهم الصّلاة والسّلام-، إلّا أنّ هذا ضعيف؛ لأنّ إبليس قال في الجواب: ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ﴾ [الحجر: ٣٣]، فقلوه: ﴿خَلَقْتَهُ﴾ (خطاب الحضور) لا (خطاب الغيبة)، وظاهره يقتضي أنّ الله ﷻ تكلم مع إبليس بغير واسطة، وأنّ إبليس تكلم مع الله ﷻ بغير واسطة، وكيف يعقل هذا مع أنّ مكالمة الله ﷻ بغير واسطة من أعظم المناصب وأشرف المراتب؟! فكيف يعقل حصوله لرأس الكفرة ورئيسهم؟! ولعلّ الجواب عنه أنّ مكالمة الله ﷻ إنّما تكون منصباً عالياً إذا كان على سبيل الإكرام والإعظام، فأما إذا كان على سبيل الإهانة والإذلال فلا»^(١).

(١) انظر: تفسير الرّازي (١٨٢/١٩ - ١٨٣)، تفسير ابن عادل (٤٥٦/١١)، السّراج المنير (٢/ ٢٢٤).

واختُلِفَ في تَسْمِيَّتِهِ بـ: (إبليس) على قولين:
أحدهما: أَنَّهُ اسمُ أعجميٍّ، وليس بمشتقٍّ.
والثاني: أَنَّهُ اسمُ اشتقاقٍ، اشتُقَّ من (الإبلاس)، وهو اليأس من
الحَيْرِ، ومنه قوله ﷺ: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، أي: آيسُونَ
من الخير. (١).

والرَّاجح أَنَّهُ اسمُ أعجميٍّ، ومنعه من الصَّرْفِ للعلميَّة والعجمة.
والإبلاس: اليأس (٢). قال العلامة محمد الطَّاهِر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ:
وزاد الزَّمَخْشَرِيُّ (٣) في معنى: (الإبلاس) قيد السُّكُوتِ، ولم يذكره
غيره. والحقُّ أَنَّ السُّكُوتَ من لوازم معنى (الإبلاس)، وليس قيِّداً في
المعنى (٤).

أقول: وما ذكره قد أشار إليه الرَّاعِب من قبله في (المفردات)،

(١) الثُّكْتُ والعيون (١/١٠٢)، تفسير العز بن عبد السلام (١/٢٧)، تفسير القرطبي
(١/٢٩٥)، روح المعاني (١/٢٢٩)، زاد المسير (١/٦٥).

(٢) التَّعَارِيف (ص: ٣١)، المصباح المنير، مادَّة: (بلس) (١/٦٠)، وانظر: تفسير الطُّبري
(١/٢٢٧).

(٣) ونصُّ ما قاله الزَّمَخْشَرِيُّ: (الإبلاس): أي يبقى بائساً ساكناً متحيراً. يقال: ناظرته فأبلس.
إذا لم ينبس، وبس من أن يحتجَّ. ومنه (الثَّاقَةُ المِبْلَاسُ): التي لا ترغو. وقرئ: (يُبْلَسُ)
بفتح اللام، من أبلسه إذا أسكته. الكشف (٣/٢١٦)، وانظر: البحر المحيط (٧/١٦٠)،
تفسير البيضاوي (٤/٣٢٩)، روح المعاني (٢١/٥٢). وقال الزَّمَخْشَرِيُّ في موضع آخر:
«الإبلاس: اليأس من كلِّ خير. وقيل: السُّكُوت مع التَّحْيِير». الكشف (٣/٣٨). وذكر
الزَّمَخْشَرِيُّ ذلك أيضاً في (أساس البلاغة) مادَّة: (بلس) (ص: ٢٩)، وفي (المخصص،
لابن سيده): (أَبْلَسَ الرَّجُلُ): سَكَتَ. المخصص (١/٢٢٩).

(٤) التَّحْرِير والتَّنْوِير (٢٥/٢٥٨).

حيث قال: «ولما كان (المبلس) كثيرًا ما يلزم الشُّكوت، وينسى ما يعنيه قيل: (أبلس فلان): إذا سكت، وإذا انقطعت حجَّته»^(١). وكذلك يرد ذلك -أي: ما ذكره الطَّاهر والرَّاغِب- على ما ذكره البقاعي في (نظم الدرر) وغيره^(٢) من «الشُّكون والانكسار، والحزن والتَّحير، وانقطاع الحجَّة والندم»^(٣)..

وخطاب الله ﷻ لإبليس؛ للتَّقرُّيع والتَّوبيخ، والمعنى: أيُّ: سبب حملك على أن لا تكون مع السَّاجدين لآدم عليه السلام مع الملائكة، وقد أمرك الله ﷻ بذلك... وهم في الشَّرَف بالمنزلة التي قد علمتها؟.

٢ - نداء فرعون

أ. وأما نداء فرعون ففي موضعين من موسى عليه السلام:

[الأعراف: ١٠٤]، [الإسراء: ١٠٢].

ب. بيان المعنى مع ما يستفاد مما ولي المنادى:

«يخبر الله ﷻ عن مناظرة موسى عليه السلام لفرعون، وإلجائه إيَّاه بالحجَّة، وإظهاره الآيات البيِّنات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر، فقال ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾»

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للرَّاغِب (١/١١٥).

(٢) انظر: البحر المحيط (٧/١٦٠)، تفسير البضاوي (٤/٣٢٩)، روح المعاني (٢١/٥٢)، ابن عادل (١/٥٤٠).

(٣) انظر: نظم الدرر (٤/٢٢١).

[الأعراف: ١٠٤]، أي: أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربّه ومليكه»^(١).

«وهذه محاوره من موسى عليه السلام لفرعون، وخطاب له بأحسن ما يدعى به وأحبها إليه؛ إذ كان مَنْ مَلَكَ (مِصْرَ) يقال له: (فرعون) كنمرود في (يونان)، وقيصر في (الرُّوم)، وكسرى في (فارس)، والنَّجاشي في (الحبشة)، وعلى هذا لا يكون فرعون وأمثاله علماً شخصياً، بل يكون علم جنس كإسماء وثعالة، ولما كان فرعون قد ادَّعى الربوبية فاتحه موسى بقوله: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لينبئه على الوصف الذي ادعاه، وأنه فيه مبطل لا محق، ولما كان قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥] أردفها بما يدلُّ على صحتها، وهو قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، ولما قرَّر رسالته فرَّع عليها تبليغ الحكم، وهو قوله: ﴿فَأَرْسِلْ﴾، ولم ينازعه فرعون في هذه السُّورة في شيء مما ذكره موسى عليه السلام إلا أنه طلب المعجزة. ودلَّ ذلك على موافقته لموسى عليه السلام، وأنَّ الرِّسالة ممكنة لإمكان المعجزة؛ إذ لم يدفع إمكانها، بل قال: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِثَآئِفَةٍ﴾ [الأعراف: ١٠٦]»^(٢).

وأما قوله عليه السلام: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَشْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]. (الظنُّ) هنا بمعنى التحقيق.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٦).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٤٢٠).

و(الثُّبُور): الهلاك والخسران أيضًا^(١).

قال الرَّازِي رَحِمَهُ اللهُ: «ثُمَّ حَكَّى تَعَالَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِفِرْعَوْنَ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾. واعلم أَنَّ فِرْعَوْنَ قَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]، فعارضه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾»^(٢).

«والظاهر أَنَّ خطاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِرْعَوْنَ بقوله: ﴿يَفِرْعَوْنُ﴾ خطاب إكرام؛ لأنَّه ناداه بالاسم الدالَّ على الملك والسُّلطان بحسب متعارف أُمَّتِه فليس هو بترفع عليه؛ لأنَّ الله ﷻ قال له ولهارون -عليهما السَّلام-: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَنَّا﴾ [طه: ٤٤]. والظاهر أيضًا أَنَّ قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا هو أوَّل ما خاطب به فِرْعَوْنَ كما دلَّت عليه (سورة طه)^(٣).

ج. إجمال النتائج المستفادة:

١ - إِنَّ الشُّرْكَ أَوْ الْكُفْرَ هُوَ أَقْبَحُ الظُّلْمِ، كما أنَّه كذلك أكبرُ الذُّنُوبِ، وأَشْنَعُ المعاصي..والَّذِينَ يكفرون أو يشركون يظلمون الحقيقة الكبرى -حقيقة الألوهية، وحقيقة التَّوحيد- ويظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلكة في الدنيا والآخرة.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣٣٧/١٠)، أضواء البيان (٢٧/٦).

(٢) تفسير الرَّازِي (٦٦/٢١).

(٣) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (٣٧/٩).

٢ - الحكمة في الدَّعوة إلى الله ﷻ، والتزام آداب البحث والمناظرة في الحوار، حيث خاطب موسى عليه السلام فرعون بخطاب الإكرام الَّذي ينزُّل المدعوَّ المنزلَة اللَّائقة به في حال الخطاب والمناظرة..

٣ - إنَّ دعاة الباطل، وعلى الأخصَّ من كان له نفوذ وسلطة يظلمون النَّاس بإخراجهم من العبوديَّة لله ﷻ الواحد إلى العبوديَّة للطَّواغيت المتعدِّدة والأرباب المتفرِّقة.

٤ - الاعتبار بالعاقبة والمآل في الدُّنيا والآخرة لمن ظلم نفسه، وأنكر حقيقة التَّوحيد، وتسبَّب في إضلال غيره. قال الله ﷻ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

٥ - قطع أعدار فرعون ومن تبعه بإقامة الحُجَّة عليهم، بالمحاورة والمناظرة، وبالمعجزات الماديَّة الَّتِي جاء بها موسى عليه السلام، ومع ذلك كفروا وجحدوا..

٦ - اقتداء المخاطبين بالرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- في دعوتهم إلى الله ﷻ، والصبر على الإيذاء في سبيل ذلك.

٧ - إن للرُّسل -عليهم الصَّلَاة والسَّلَام- منهجا قويِّما في الدَّعوة، يتأسَّى به كلُّ داعية.

«وإنَّ الحياة لا تستقيم ولا تصلح إلَّا على أساس الإيمان بالله ﷻ الواحد، والعبوديَّة لإله واحد، وإنَّ الأرض لتفسد حين لا تتمخَّض

العبودية لله ﷻ في حياة الناس.. إِنَّ العبوديَّةَ لله ﷻ وحده معناها أن يكون للنَّاس سيِّد واحد، يتوجَّهون إليه بالعبادة وبالعبوديَّة كذلك، ويخضعون لشريعته وحدها، فتخلص حياتهم من الخضوع لأهواء البشر المتقلِّبة، وشهوات البشر الصَّغيرة!.

إِنَّ الفساد يصيب تصوُّرات النَّاس كما يصيب حياتهم الاجتماعية حين يكون هناك أرباب متفرِّقون يتحكَّمون في رقاب العباد - من دون الله ﷻ - وما صلحت الأرض قطُّ ولا استقامت حياة النَّاس إلَّا أيام أن كانت عبوديتهم لله ﷻ وحده - عقيدة وعبادة وشريعة - وما تحرَّر الإنسان قطُّ إلَّا في ظلال الرُّبوبيَّة الواحدة. ومن ثمَّ يقول الله ﷻ عن فرعون وملئه: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٣]. وكلُّ طاغوت يُخضع العباد لشريعة من عنده، وينبذ شريعة الله ﷻ، هو من المفسدين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون!«^(١).

٨ - الحاجة في كلِّ زمان إلى الدُّعاة الذين يدعون إلى الله ﷻ، وهم على بصيرة ودراية بأحوال المخاطبين، واختلاف ثقافتهم، وقدراتهم العقلية، يحسنون فنَّ المناظرة والحوار، ويعتمدون على الدَّلِيل والحُجَّة والبرهان الَّذي يقنع المخاطبين، ويدحض حجج المخالفين.

٩ - أن يكون الغرض من المناظرة والحوار: الوصول إلى الحق.

(١) الظَّلال (٩/١٣٤٥).

٣ - نداء هامان

أ. وأما نداء هامان ففي موضعين من فرعون:
[القصص: ٣٨]، [غافر: ٣٦].

ب. بيان المعنى:

يخبرُ الله ﷻ عن كفر فرعون وطغيانه وافتراءه في دعوى الإلهية لنفسه حيث دعا قومه مستخفاً بهم، حيث لم يعملوا عقولهم، ولم يتفكروا كما قال ﷻ: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتْسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]، فقد جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مُصْرِّحًا لهم بذلك، ودعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية، فأجابوه سامعين مطيعين. فأجابوه إلى ذلك، يقول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. وقال ﷻ حكاية عن فرعون: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ (٣٢) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٣٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾ [النازعات: ٢٣ - ٢٦]. وقوله: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَيْ إِلَهِ مُوسَى﴾ [القصص: ٣٨]، أي: أمر وزيره هامان أن يوقد له على الطين؛ ليتخذ له أجرًا لبناء الصرح - وهو القصر المنيف الرفيع - كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَرَعَوْنَ يَهْمَنُنْ أَبْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]؛ وذلك لأن فرعون بنى هذا الصرح الذي لم يُر في الدنيا بناء أعلى منه، إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى ﷺ فيما زعمه من

دعوى إله غير فرعون، ولهذا قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]^(١). أمّا قوله: ﴿فَأَوْفِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ﴾، أي: اطبخ لي الآجر، روي عن ابن عباس رضي الله عنه^(٢). وقال قتادة: هو أوّل من صنع الآجر، وبنى به^(٣).

ولما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصّرح جمع هامان العمال. - قيل: (خمسين ألف) بناء سوى الأتباع والأجراء- وأمر بطبخ الآجر والجص، ونشر الخشب، وضرب المسامير، فبنوا ورفعوا البناء، وشيّدوه بحيث لم يبلّغه بنيانٌ منذ خلق الله تعالى السموات والأرض، فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه، حتى أراد الله تعالى أن يفتنهم فيه. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ الظنُّ هنا شكٌّ، فكفر على الشكِّ؛ لأنّه قد رأى من البراهين ما لا يخيل^(٤) على ذي فطنة^(٥).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩١)، وتفسير الطبري (٧٧/ ٢٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٢٨٨)، الواحدي (٢/ ٨١٩)، والشوكاني في (فتح القدير) (٤/ ١٧٣). إلخ. قال الزّحشري: ولم يقل: اطبخ لي الآجر واتخذ؛ لأنّه أوّل من عمل الآجر، فهو يعلمه الصّنع؛ ولأنّ هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن، وعلوّ طبقته وأشبه بكلام الجبابة. وأمر هامان وهو وزيره وردّيفه بالإيقاد على الطّين منادى باسمه بـ: (يا) في وسط الكلام.. دليل التّعظيم والتّجبر. الكشف (٣/ ١٧٩ - ١٨٠).

(٣) انظر: القرطبي (١٣/ ٢٨٨)، الدر المنثور (٦/ ٤١٦)، معاني القرآن الكريم، للنّحاس (٥/ ١٨٠). (٤) لا يخيل: أي: لا يشكّل.

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٩)، وانظر: إعراب القرآن، للنّحاس (٣/ ٢٣٨)، الكشف (٣/ ١٣٠)، تفسير الثعلبي (٧/ ٢٥٠)، تفسير البغوي (٣/ ٤٤٦)، الخازن (٥/ ١٧٤)، السّراج المنير (٣/ ١٤٨)، الرّازي (٢٤/ ٦٠٥).

ويستفاد مما ولي المنادى من قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرٍ﴾ أنه يستدلّ بعدم الدليل على عدم المدلول -على حدّ زعمه-، وهو خطأ من جهة أنّ الدليل على المدلول -وهو وجود الصّانع- أكثر من أن يحصى، ومن جهة أنّ عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول. وأمّا قوله: ﴿غَيْرٍ﴾ فقد تكلف له بعضهم أنّه لم يرد به أنّه خالق السموات والأرض وما فيهما؛ فإنّ امتناع ذلك بدهي، وإنما أراد به نفي الصّانع والاقتصار على الطّباع، وأنّه لا تكليف على النّاس إلّا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا لأمره.

أمّا قوله: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَكْهَمُنْ عَلَى الْطِينِ﴾ فقد تكلفوا له ههنا أيضًا، فقليل: إنّّه يبعد من العاقل أن يروم صعود السّماء بآلة، ولكنّه أراد أنّه لا سبيل إلى إثبات الصّانع من حيث العقل -كما مرّ-، ولا من حيث الحس؛ فإنّ الإحساس به يتوقّف على الصّعود وهو معتدّر، وإلّا فابن يا هامان مثل هذا البناء، وإنما قال ذلك تهكّمًا. فبمجموع هذه الأشياء قرّر أنّه لا دليل على الصّانع، ثمّ ربّ النتيجة عليه، وهو قوله: ﴿وَلِي لَأُظَنُّهُ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ يحتمل أن يريد: لأعلمه من الكاذبين. والأكثر من المفسّرين على أنّه بنى مثل هذا البناء جهلاً منه، أو تلبيساً على ملئه حيث صادفهم أغبى النّاس وأخلاه من الفطن..

وإنما قال: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَكْهَمُنْ عَلَى الْطِينِ﴾ ولم يقل: اطبخ لي الآجر؛ لأنّ هذه العبارة أحسن؛ ولأنّ فيه تعليم الصّناعة، وقد كان أوّل من عمل الآجر فرعون.. -كما سبق- والظّلوع والاطّلاع: الصّعود.

يقال: طلع الجبل واطّلع.

وفي قوله ﷻ: ﴿وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَحُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٣٩]، يعني: أرض (مصر) ﴿يَغْيِرُ الْحَقَّ﴾، إشارة إلى أنّ الاستكبار بالحقّ إنما هو لله ﷻ، وكلّ مستكبرٍ سواه ﷻ فاستكباره بغير الحقّ^(١).

ج. إجمال النتائج المستفادة مما سبق:

أما قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ .. فهي «كلمة فاجرة» كافرة، يتلقّاها الملأ بالإقرار والتّسليم. ويعتمد فيها فرعون على الأساطير التي كانت سائدة في (مصر) من نسب الملوك للآلهة. ثمّ على القهر، الذي لا يدع لرأسٍ أن يفكر، ولا للسانٍ أن يُعبّر. وهم يرونه بشراً مثلهم يحيا ويموت، ولكنّه يقول لهم هذه الكلمة فيسمعونها دون اعتراض ولا تعقيب!!! ثمّ يتظاهرُ بالجدّ في معرفة الحقيقة، والبحث عن إله موسى عليه السلام، وهو يلهو ويسخر: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَنْهَمَنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ .. في السّماء. كما يقول وبلهجة التّهكم ذاتها يتظاهر بأنّه شاكٌّ في صدق موسى عليه السلام، ولكنه مع هذا الشكّ يبحث وينقّب ليصل إلى الحقيقة: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ! وفي هذا الموضع كانت حلقة المباراة مع السّحرة. وهي محذوفة هنا للتّعجيل بالنهاية.. ﴿وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَحُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ

(١) انظر: الكشف (٣/١٨٠)، ابن عادل (١٥/٢٦٠)، روح المعاني (٢٠/٨٢)، الرّازي

(٢٤/٦٠٥)، تفسير التيسابوري (٥/٣٤٣).

الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِنَّا لَا نَرْجِعُهُمْ ﴿٣٩﴾ [القصص: ٣٩]»^(١).

كما يستفاد أن عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول -كما سبق-.
وقال الله ﷻ في بيان العاقبة والمآل: ﴿وَقَرُّوْكَ وَفِرْعَوْنُ وَهَمَكُ ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ ﴿٣٩﴾ [العنكبوت: ٣٩]. أي: فائتين عذاب الله ﷻ، أي: فارّين منه، بل أدركهم.
قال الله ﷻ: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَخُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فأنظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ [القصص: ٤٠].

قال الله ﷻ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤١﴾ [العنكبوت: ٤٠].

والحاصل أنه يقال في هذه الصيغة من النداء ما قيل في السابقة من العبر والعظات من حيث الاعتبار ببيان عاقبة الظالمين المستكبرين.

٤ - نداء السَّامري

وأما نداء السَّامري^(٢) ففي موضع واحد من موسى ﷺ:

[طه: ٩٥]

(١) الظلال (٢٠/٢٦٩٤ - ٢٦٩٥).

(٢) و(السَّامري): قيل اسمه: هارون، وقيل اسمه موسى بن ظفر، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه من قوم كانوا يعبدون البقر، وقيل: كان رجلاً من القبط. وكان جازاً لموسى ﷺ آمن به وخرج معه. وقيل: كان عظيمًا من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف =

والخطاب من موسى عليه السلام حيث ترك هارون عليه السلام ومال إلى السَّامري^(١).

قال قتادة: كان السَّامري عظيمًا في بني إسرائيل، ولكن عدوّ الله ﷻ نافق بعد ما قطع البحر مع موسى عليه السلام، فلَمَّا مَرَّتْ (بنو إسرائيل) بالعمالقة، وهم يعكفون على أصنام لهم، ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فاعتنمها السَّامري، وعلم أنهم يميلون إلى عبادة العجل فاتَّخذ العجل^(٢). فقال له موسى عليه السلام بصيغة النداء: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمَرِيُّ﴾ [طه: ٩٥]، أي: ما شأنك وما قصتك؟! وهذه الصيغة تشير إلى جسامة الأمر، وعظم الفعلة. وخطابه -عليه السلام- إيَّاه بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه، ويفعل به وبما أخرجه ما يكون نكالا للمفتونين، ولمن خلفهم من الأمم^(٣).

= (بالسامرة)، وهم معروفون بالشَّام. قال سعيد بن جبیر -رحمه الله-: كان من أهل (كرمان). وقيل: كان من أهل (باجرما). انظر: أضواء البيان (٧٨/٤)، تفسير الطُّبري (٢٨٢/١)، تفسير ابن كثير (١٦٤/٣)، تفسير القرطبي (٢٣٤/١١)، الدر المنثور (٥٨٨/٥). إلخ. و(باجرما): قرية من أعمال البليخ قرب (الرَّقَّة)، من أرض الجزيرة. (ياقوت). ويقال: موضع قبل نصيين (معجم ما استعجم) (٢٢٠/١)، وانظر: معجم البلدان (٣١٣/١).

(١) انظر: تفسير الطُّبري (٢٨٦/١).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٣٩/١١).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود (٣٨/٦)، روح المعاني (٢٥٢/١٦)، الدر المنثور (٤٣٧/٦).

● سابقاً: نداء المخلوقات الأخرى غير الجمادات

وذلك كما في نداء النملة للنمل في موضع واحد: [النمل: ١٨].

أ. فوائد تتعلق بالآية:

وهنا فوائد تتعلق بالآية، وما فيها من النداء فإن قوله ﷻ: ﴿حَقٌّ إِذَا أَنَا عَلَى الْغَنَمِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٨) قد جمع في هذه اللفظة (أحد عشر) جنساً من الكلام: نادى، وكنت، ونهت، وسمت، وأمرت، وقصت، وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت، وعذرت. فالنداء: ﴿يَا﴾، والكناية: ﴿أَيُّ﴾، والتنبيه: ﴿هَا﴾، والتسمية: ﴿النمل﴾، والأمر: ﴿ادخلوا﴾، والقصص: ﴿مسكنكم﴾، والتحذير: ﴿لا يحطمنكم﴾، والتخصيص: ﴿سليمن﴾، والتعميم: ﴿وجنودهم﴾، والإشارة: ﴿وهم﴾، والعذر: ﴿لا يشعرون﴾، فأدت خمس حقوق حق الله ﷻ، وحق رسوله ﷺ، وحق رعيتهما، وحق جنود سليمان عليه السلام (١).

ب. إجمال ما يستفاد في المعنى:

دلّ هذا الخطاب من النمل وفهم داود عليه السلام لندائها على أن عالم النمل عالم له خصائصه وطبائعه، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨]. ومما يدلّ على ذلك أيضاً ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

(١) الإتقان (٢/ ١٤٨)، الكلّيات (ص: ٣٢٤).

ﷺ قال: «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ^(١) فَأَخْرَجَ مِنْ تَحْتِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا فَأَخْرَقَ بِالنَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: فَهَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأَخْرَقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَخْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ»^(٣).
والشَّاهد أَنَّ النَّمْلَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ اللَّهَ ﻟَﻠَّﻪ مِثْلَ بَقِيَّةِ الْحَيَوَانَاتِ.
وقد نهى النبي ﷺ عن «قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ النَّمْلَةُ وَالنَّحْلَةُ وَالْهُذُودُ وَالصُّرَدُ»^(٤).

فلا يجوز قتل النمل إلَّا المؤذي^(٥).

● ثامناً: نداء الجمادات

١ - نداء الأرض والسَّماء: [هود: ٤٤].

(١) أي: متاعه.

(٢) أخرجه البخاري [٣٠٧٢]، ومسلم، [٥٩٨٨].

(٣) أخرجه البخاري، [٢٧٩٦]، ومسلم، [٤١٥٧].

(٤) أخرجه أبو داود، [٤٥٨٣]، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن ماجه [٣٢١٥]، وأحمد [٢٩٠٧]، والدارمي [١٩١٥]. والحديث صحيح. انظر: البدر المنير (٦/٣٤٥). و(الصُّرَدُ): طائر فوق العصفور، وقيل: طائر أبقع ضخم الرأس يكون في الشجر، نصفه أبيض ونصفه أسود، ضخم المنقار، له بُرثن عظيم. انظر: مادة: (صرد) (٣/٢٨٤)، وكذلك انظر: العين، مادة: (صرد) (٧/٩٧)، المغرب (١/٤٧١).

(٥) انظر على سبيل المثال: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب (٢/٦٥٧)، بغية المسترشدين (ص: ٥٥١)، كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع (٥/٥١١)، المبدع شرح المقنع (٣/٩٠).

٢ - نداء النَّار: [الأنبياء: ٦٩].

٣ - نداء الجبال: [سبا: ١٠].

أ. أما نداء الأرض والسَّماء:

أما نداء الأرض والسَّماء فقد جاء في آية واحدة، وهي قوله ﷻ: ﴿وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَغِي مَاءَكَ وَنَسَمَاءُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

وأورد هنا إلى ما يتعلّق بندااء الجمادات، فإنَّ قوله ﷻ: ﴿وَقِيلَ﴾، يدلُّ على أنَّه سبحانه في الجلال والعلوِّ والعظمة، بحيث أنَّه متى قيلَ قيلٌ لم ينصرف العقل إلَّا إليه، ولم يتوجَّه الفكر إلَّا إلى أنَّ ذلك القائل هو هو. وهذا تنبيه من هذا الوجه على أنَّه تقرَّر في العقول أنَّه لا حاكم في العالمين ولا متصرِّف في العالم العلويِّ والعالم السفليِّ إلَّا هو. وإنَّ الحسَّ يدلُّ على عظمة هذه الأجسام، وشدَّتْها وقوَّتْها، فإذا شعر العقل بوجود موجود قاهر لهذه الأجسام مستول عليها متصرِّف فيها كيف شاء وأراد، صار ذلك سببًا لوقوف القوَّة العقلية على كمال جلال الله ﷻ وعلوِّ قهره، وكمال قدرته ومشيتته. والسَّماء والأرض من الجمادات، ويدلُّ ذلك على أنَّ أمره وتكليفه نافذٌ في الجمادات^(١).

وهل النداء هنا مجاز أم حقيقة؟

قيل: هذا مجاز؛ لأنها موات. وقيل: جعل فيها ما تميِّز به^(٢).

(١) انظر: تفسير الرّازي (١٧/ ٢٣٤)، وانظر: تفسير ابن عادل (١٠/ ٤٩٩).

(٢) انظر: القرطبي (٩/ ٤٠)، وكذلك ينظر تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى =

وقد سبق بيان ذلك وتحقيق القول الرَّاجح في (بيان من الذي ينادى؟).
أَمَّا (ما ولي المنادى) فقد ذكر النَّيسابوري أَنَّهُ «استعار لغور الماء في الأرض (البلع) الذي هو إعمال القوَّة الجاذبة في الطُّعوم للشَّبه بين الغور والبلع، وهو الذَّهاب إلى مقرِّ خفيٍّ. وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل إلى المفعول، وفي جعل الماء مكان الغذاء أيضًا استعارة؛ لأنَّه شَبَّه الماء بالغذاء؛ لتقوى الأرض بالماء في الإنبات للزُّروع والأشجار تقوي الأكل بالطَّعام، وجعل قرينة الاستعارة لفظة: ﴿أَبْلَعِي﴾؛ لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء. ثمَّ أمر الجماد على سبيل الاستعارة؛ للشَّبه المقدم ذكره، وخاطب في الأمر دون أن يقول لبلع ترشيحًا لاستعارة النداء^(١)؛ إذ كونه مخاطبًا من صفات الحيِّ، كما أنَّ كونه منادى من صفاته. ثمَّ قال: ﴿مَاءَكِ﴾ بإضافة الماء إلى الأرض

= اسْتَوْرَتْ وَالْأَرْضُ وَالْجَالِ فَأَبْرَكَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقَ مِنْهَا ﴿[الأحزاب: ٧٢]، وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ اسْتَوْرَتْ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله ﷻ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَشَعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

(١) الاستعارة المرشحة ما ذكر معها ملائم المشبَّه به، والمجرَّدة ما ذكر معها ملائم المشبَّه، والمطلقة ما خلت من ملائم المشبَّه به أو المشبَّه. ولا يعتبر التَّرشيح والتَّجريد إلَّا بعد أن تتمَّ الاستعارة باستيفائها قرينتها لفظيَّة أو حاليَّة؛ ولهذا لا تسمَّى قرينة التَّصريحية تجريديَّة؛ لأنَّه قد ذكر المشبَّه نفسه، ولا قرينة المكنية ترشيحًا؛ لأنَّ المرشحة فيها ملائم المشبَّه، أمَّا المكنية ففيها لازم من لوازمه، وثمة فرق بينهما. وهنا المشبَّه: غور الماء، والمشبَّه به: البلع، ووجه الشَّبه: الذَّهاب إلى مقرِّ خفيٍّ، والقرينة نسبة الفعل إلى المفعول... كما شَبَّه الماء بالغذاء، فلما ماء، والغذاء مشبَّه به، والتَّرشيح نداء الجماد، والملائم البلع... .

على سبيل المجاز تشبيهاً؛ لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك. واختار ضمير الخطاب دون أن يقول: (ليبلغ ماؤها) لأجل الترشيح المذكور. ثم اختار مستعيراً لاحتباس المطر (الإقلاع) الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان، ثم أمر على سبيل الاستعارة، وخاطب في الأمر لمثل ما تقدّم في ﴿أَبْلَى﴾ من ترشيح استعارة النداء^(١). وقد ذكر النيسابوري^(٢) أَنَّ (نداء الأرض)، و(نداء السماء).. من المجاز لا من الحقيقة.. وقد عكس هو ما قد رجّحته آنفًا. والحاصل أَنَّ الآية تتضمّن أوجهًا من البلاغة ذكرت منها في (الإقناع) ما يزيد على (اثنين وعشرين) وجهًا^(٣).

ب. نداء النار:

وأما نداء النار فقد جاء في قوله ﷻ: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، ويستفاد من هذا النداء أمور منها: أَنَّ الطّبيعة لا تؤثر في شيءٍ إلّا بمشيئته ﷻ، وأنَّ النار مع شدّة طبيعة الإحراق فيها ألقى فيها الحطب وإبراهيم عليه السلام، ولا شكَّ أَنَّ الحطب أصلب وأقسى وأقوى من جلد إبراهيم عليه السلام ولحمه، فأحرقت الحطب بحرّها، وكانت على إبراهيم

(١) تفسير النيسابوري (٤/ ٢٥).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤/ ٢٥).

(٣) انظر: الإقناع بين طريقة القرآن وعرض المفسر (٣٧٥-٣٨٢)، وينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٠٢)، الإتقان (٢/ ١٢١)، (٣/ ٢٢٧)، دلائل الإعجاز (ص: ٩١-٩٢)، فتح القدير (٢/ ٥١٣)، مقدّمة تفسير ابن الثّقيب (ص: ٣٩٧)، و(ص: ٣٧٠).

الصلوات برداً وسلاماً، فسبحان من لا يقع شيء كائناً ما كان إلا بمشيئته وَعَلَيْكُمْ، فعّال لما يريد. ولو شاء الله وَعَلَيْكُمْ تخلف تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلف. فإن طبيعة الإحراق في النار معنى واحد لا يتجزأ إلى معانٍ مختلفة، ومع هذا أحرقت الحطب فصار رماداً من حرّها في الوقت الذي هي كائنة برداً وسلاماً على إبراهيم الصلوات. فدلّ ذلك دلالة قاطعة على أنّ التأثير حقيقة إنما هو بمشيئة خالق السموات والأرض وَعَلَيْكُمْ، وأنّه يسبّب ما شاء من المسبّبات على ما شاء من الأسباب، وأنّه لا تأثير لشيء من ذلك إلا بمشيئته وَعَلَيْكُمْ ^(١).

«وقد أظهر الله وَعَلَيْكُمْ ذلك معجزة لإبراهيم الصلوات؛ إذ وجّه إلى النار تعلّق الإرادة بسلب قوّة الإحراق، وأن تكون برداً وسلاماً إن كان الكلام على الحقيقة ^(٢)، أو أزال عن مزاج إبراهيم الصلوات التأثير بحرارة النار إن كان الكلام على التشبيه البليغ ^(٣)، أي: كوني كبرد في عدم تحريق الملقى فيك بحرّك. وأمّا كونها سلاماً فهو حقيقة لا محالة ^(٤)،

(١) انظر: أضواء البيان (٣٤٢/٢)، (٧٦/٢٠).

(٢) أي: لو كان الخطاب للنار لكان المعنى أنّها تحوّلت إلى بردٍ لانقلاب الحقيقة. أمّا لو بقيت النار نازاً على حقيقتها ولكنها كانت كالبرد على إبراهيم الصلوات من حيث عدم التأثير فإنّ المعنى يكون: كوني كبرد في عدم تحريق الملقى فيك بحرّك، فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه. (٣) هو التشبيه الذي لم تذكر فيه أداة التشبيه، ولم يُذكر فيه أيضاً وجه الشبه. نحو قوله وَعَلَيْكُمْ: «مَنْ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهُنَّ» [البقرة: ١٨٧]. ومن التشبيه البليغ المصدر المضاف الميّن للنوع نحو: (راغ روغان الثعلب)، ومنه أيضاً: إضافة المشبّه به للمشبّه نحو: (لبس فلان ثوب العافية)... (٤) أي: لأنّه لا يتأتّى حملها على المجاز لأنّ إبراهيم الصلوات خرج منها سالماً في كلّ الأحوال، أي: سواء تحوّلت حقيقة النار إلى برّد أو أزال عن مزاجه التأثير...

وذكر ﴿سَلَمًا﴾ بعد ذكر البرد كالاحتراس؛ لأنَّ البرد مؤذٍ بدوامه ربما إذا اشتد، فعُقِّب ذكره بذكر السَّلام لذلك»^(١).

وأما (ما أعقب المنادي) من الأمر فإنَّ هذه هي الكلمة التي تكون بها أكوان، وتنشأ بها عوالم، وتخلق بها نواميس: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

فلا نسأل: كيف لم تحرق النَّار إبراهيم عليه السلام؟ والمشهود المعروف أنَّ النَّار تحرق الأجسام الحيَّة؟! فالَّذي قال للنَّار: كوني حارقةً هو الَّذي قال لها: كوني بردًا وسلامًا. وهي الكلمة الواحدة التي تنشئ مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول، مألوفًا للبشر أو غير مألوف.

إنَّ الَّذِينَ يقيسون أعمال الله ﷻ إلى أعمال البشر هم الَّذِينَ يسألون: كيف كان هذا؟ وكيف أمكن أن يكون؟ فأما الَّذِينَ يدركون الاختلاف بين الخالق والمخلوق، فإنهم لا يسألون أصلًا، ولا يحاولون أن يخلقوا تعليلًا علميًا أو غير علميٍّ. فالمسألة ليست في هذا الميدان أصلًا. ليست في ميدان التَّعليل والتَّحليل بموازين البشر ومقاييس البشر. وكلُّ منهج في تصوُّر مثل هذه المعجزات غير منهج الإحالة إلى القدرة المطلقة هو منهجٌ فاسدٌ من أساسه؛ لأنَّ أعمال الله ﷻ غير خاضعة لمقاييس البشر، وعلمهم القليل المحدود.

(١) التَّحرير والتَّنوير (١٧/١٠٦).

إِنَّ عَلَيْنَا فَقَطْ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ هَذَا قَدْ كَانَ؛ لِأَنَّ صَانِعَهُ يَمْلِكُ أَنْ يَكُونَهُ.
أَمَّا كَيْفَ صَنَعَ بِالنَّارِ فَإِذَا هِيَ بَرْدٌ وَسَلَامٌ؟ وَكَيْفَ صَنَعَ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَلَا تَحْرِقُهُ النَّارُ.. فَذَلِكَ مَا سَكَتَ عَنْهُ النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ؛ لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى
إِدْرَاكِهِ بِعَقْلِ الْبَشَرِ الْمَحْدُودِ. وَلَيْسَ لَنَا سِوَى النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ مِنْ دَلِيلٍ.
وَمَا كَانَ تَحْوِيلُ النَّارِ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا مَثَلًا تَقَعُ
نُظَائِرُهُ فِي صُورٍ شَتَّى. وَلَكِنَّهَا قَدْ لَا تَهْزُ الْمَشَاعِرُ كَمَا يَهْزُهَا هَذَا الْمَثَلُ
الْجَاهِرُ. فَكَمْ مِنْ ضَيِّقَاتٍ وَكِرْبَاتٍ تَحِيطُ بِالْأَشْخَاصِ وَالْجَمَاعَاتِ مِنْ
شَأْنِهَا أَنْ تَكُونَ الْقَاصِمَةَ الْقَاضِيَةَ، وَإِنْ هِيَ إِلَّا لَفْتَةٌ صَغِيرَةٌ، فَإِذَا هِيَ
تَحْيِي وَلَا تَمِيتُ، وَتَنْعَشُ وَلَا تَخْمَدُ، وَتَعُودُ بِالْخَيْرِ وَهِيَ الشَّرُّ
الْمُسْتَطِيرُّ؟!.

إِنَّ ﴿يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ لَتَتَكَرَّرُ فِي حَيَاةِ الْأَشْخَاصِ
وَالْجَمَاعَاتِ وَالْأُمَمِ، وَفِي حَيَاةِ الْأَفْكَارِ وَالْعَقَائِدِ وَالِدَّعَوَاتِ، وَإِنْ هِيَ
إِلَّا رَمَزٌ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي تَبْطُلُ كُلُّ قَوْلٍ، وَتَحْبُطُ كُلُّ كَيْدٍ؛ لِأَنَّهَا الْكَلِمَةُ
الْعَلِيَا الَّتِي لَا تَرُدُّ..

ج. نداء الجبال:

وَأَمَّا نَدَاءُ الْجِبَالِ فَقَدْ جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ:
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوِّى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ
﴿١٠﴾﴾ [سبأ: ١٠]، وَيُقَالُ فِي نَدَاءِ الْجِبَالِ مَا قِيلَ فِي سَابِقِهِ مِنْ نَدَاءِ
الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.. مِنْ عَظْمَةِ الْمَنَادَى -بِفَتْحِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ-، وَانْقِيَادِهِ
لِقُدْرَةِ اللَّهِ ﷻ، حَيْثُ جَعَلَهُ مَسْحَرًا لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْبَيَانُ

موجَّهًا للمخاطبين؛ لبيان نِعَمِ الله ﷻ، وتصريفه في مخلوقاته ما يوضِّح استيلاء قهره وملكه، ويشير إلى عظيم ملكه كما يبيِّن في غير موضع أنَّ الله ﷻ له ما في السَّموات وما في الأرض. وفي الآية إشارة إلى فضيلة داود عليه السلام. ولقد منَّ الله ﷻ على داود عليه السلام وآتاه من العلم النَّافع، والعمل الصَّالح، والنَّعم، ومن نعمه عليه، ما خصَّه به من أمره ﷻ الجمادات، كالجبال، والحيوانات من الطُّيور أن تُؤوِّبَ معه، وتُرْجَعَ التَّسبيح بحمد ربها ﷻ، مجاوبةً له، وكان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده.

ومن فائدة ذلك: أن يكون محفِّزًا ومنهضًا لغيره من المخاطبين على التَّسبيح؛ فإنَّهم إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات، تتجاوب بتسبيح ربها ﷻ، وتمجيدته، وتكبيره، وتحميده، كان ذلك مما يهيِّج على ذكر الله ﷻ. فقد جاء في القرآن قول الله ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ومن المعلوم أنَّ (النكرة في سياق النفي والنهي تعم). وفي خطاب الجماد إشعارٌ بأنَّه ما من صامتٍ ولا ناطقٍ إلَّا وهو منقادٌ لمشيئته.

وقد ألانَ الله ﷻ له الحديدَ كالشَّمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقةٍ وذلك في قدرة الله ﷻ يسير، أو لأنَّ الحديدُ في يده لما أُوتي من شِدَّةِ القوَّة^(١).

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/٢٦٦)، تفسير ابن عادل (١٦/٢٣)، المحرَّر الوجيز =

وهل تُسَبِّح حقيقة أم بظهور أثر الصَّنعة فيها، ودلالاتها على وجود الخالق ﷻ؟ للمفسرين قولان.

وقد سبق تحقيق أن تسبيح الجبال والطير مع داود عليه السلام تسبيح حقيقي، يجعل الله ﷻ لها إدراكات تسبِّح بها، يعلمها هو ﷻ ونحن لا نعلمها .

د. النتائج المستفادة:

ومما سبق يتبين أن الصيغة التي فيها: (نداء الأرض والسماء) تدلُّ على عظمة المنادى -بكسر الدال المهملة-، وأيضاً: تدلُّ على عظمة المنادى -بفتح الدال المهملة-، وأنها أجسام عظيمة مخلوقة، وأنها على عظمها خاضعة لقدرة الله ﷻ وإرادته، وأن الجمادات تؤمر وتنقاد..

وأما (نداء النار) فيدلُّ على عظمة المنادى -بفتح الدال المهملة-، وقوة تأثيره في المخلوق البشري، ومع ذلك فهو لا يؤثر في شيء إلا بمشيئة الله ﷻ، فهو خالق الأسباب والمسببات، ولو شاء تخلف تأثير الأسباب عن مسبباتها لفعل، وذلك يدلُّ على قدرته، كما يدلُّ على مكانة إبراهيم عليه السلام، وتأييد الله ﷻ له، كما يستفاد أن البون شاسع بين صفات الخالق ﷻ، وصفات المخلوق.

= (٤٠٧/٤)، تفسير أبي السعود (١٢٤/٧)، روح المعاني (١١٤/٢٢ - ١١٥)، البحر المحيط (٢٣٥/٧)، تفسير النيسابوري (٤٨٦/٥)، الخازن (٢٨٣/٥)، الثعالبي (٢٤٠/٣)، السراج المنير (٣٥٠/٣)، الرازي (١٩٨/٢٥)، نظم الدرر (١٥٨/٦).

كما يجب الإيمان والتسليم بذلك كله، وأن لهذا الإيمان، ولهذه القصة من الأثر ما ينعكس في نفوس المخاطبين وأفعالهم، وأن الحق لا بد أن يعلو ويتصر..



المبحث الرابع

تقسيم المنادى إلى معرب ومبني

● ويتضمن:

- المطلب الأول : المنادى المبني.
- المطلب الثاني : المنادى المعرب.

وأتناول هنا ما له صلة بالخطاب القرآني، وأبتعدُ عن الاستطراد إلا ما كان بغرض توضيح المقصود، فيذكر مختصراً، مع الإشارة إلى موضعه من تقسيمات المنادى الأخرى.

وبيان ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول : المنادى المبني

● ويتضمَّن :

- ١ - المنادى المفرد المعرفة.
- ٢ - إذا كان نكرة مقصودة.
- ٣ - المنادى الموصوف بآبن.
- ٤ - المنادى بلفظ (أي) و(أية).

وبيان ذلك على النحو التالي :

يبنى النداء في بعض الحالات، وهي:

● الأولى: المنادى المفرد المعرفة

وهو كثير جدًا في الخطاب القرآني وهو يبنى على ما يرفع به في محل نصب، وذلك نحو الآيات التالية: ﴿يَكَادُمْ أَتْنِيهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، ونحو قوله ﷻ: ﴿يَجِئَالُ أَوِي مَعَهُ﴾ [سبا: ١٠].
«فألزم الضم أو نائبه، ونائب الضم: الألف في المثنى، والواو في جمع المذكر السالم، ونعني (بالمفرد): ما ليس مضافًا ولا شبيهًا بالمضاف، ولو كان مثنى أو مجموعًا.

ونعني (بالمعرفة): ما أريد به معين سواء كان علمًا أو غيره.

فهذا النوع يبنى على الضم في مسألتين:

١ - أن يكون غير مثنى ولا مجموع جمع مذكر سالما، [وهو كثير في النداء القرآني] نحو: ﴿يَصْلِحُ أَتْنَانَا﴾ [الأعراف: ٧٧]، ﴿يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]، ﴿يَنُوحُ أَهِيْطُ يَسْلَمِ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿يَهْدُوْا مَا جِئْتَنَا﴾ [هود: ٥٣].

٢ - أن يكون جمع تكسير: ﴿يَجِئَالُ أَوِي﴾ [سبا: ١٠].

ويبنى على الألف إذا كان مثنى نحو: يا زيدان، يا رجлан، ويبنى على الواو إذا كان جمع مذكر سالما: يا زيدون، يا مسلمون، إذا أريد بهما معيّن^(١)

(١) بتصرف عن (شدور الذهب) (ص: ١٤٣ - ١٤٤).

● الثانية: إذا كان نكرة مقصودة

وهي النكرة التي تقصد قصدًا في النداء؛ ولذلك تكتسب التعريف منه؛ لأنه يحددها من بين النكرات، وهي تبنى على ما ترفع به في محل نصب^(١).
وأما نداء (النكرة المقصودة) في الخطاب القرآني فقد جاء في (أربعة) مواضع، وهي:

قوله ﷻ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْأَأْ أَفْلَحِي﴾ [هود: ٤٤].
وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُورِ مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ: ١٠].

وقوله ﷻ: ﴿قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلَامٌ﴾ [يوسف: ١٩].
وقوله ﷻ: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وقد سبق بيان ما يتعلق بمعنى هذه الآيات..
أما قوله ﷻ: ﴿قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلَامٌ﴾ فإن قوله ﷻ: ﴿بَشْرِي﴾ - بسكون الياء - نكرة مقصودة، نادى البشري، كأنه يقول: فهذا أوانك.. واحتمل أن يكون نكرة غير مقصودة فهو معرب، وحذف الثنوين لمنع الصّرف؛ لأنّ ألف (فُعَلَى) لا تكون إلّا للتّأنيث^(٢).

(١) انظر: اللّباب في علل البناء والإعراب (٣٣٩/١)، وانظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢٥٨/٣)، و(ص: ٢٢٩)، و(ص: ٢٦٢) من الجزء نفسه.
(٢) انظر ذلك مفصلاً في: دراسات لأسلوب القرآن (٣/ ٥٢٣)، معاني القرآن، للفرّاء (٢/ ٣٩-٤٠)، الكشف (٢/ ٢٤٧)، البحر المحيط (٥/ ٢٩٠)، العكبري (٢/ ٢٧)، القرطبي (٤/ ٣٣٨٢).

● الثالثة: المنادى الموصوف بابن

إذا كان العلم المفرد موصوفاً بكلمة: (ابن) أو (بنت) بشرط أن يكونا مضافين إلى علم ففيه وجهان: البناء على الضم، والبناء على الفتح^(١).
أمّا لفظ (ابن) الواقع صفةً للعلم فلا يجوز فيه إلّا النصب.
ومثال ذلك من القرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿إِذْ قَالَ آلْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]؛ ولأنّ (عيسى) اسم مقصور فالفتح والضم مقدّران^(٢).

وفي (الفريد): «يحتمل أن يكون (عيسى) مفتوحاً على إتباع حركته لا حركة الابن؛ لأنّه قد وصفت به، وهو بين علمين، كقولك: (يا زيد بن عمرو)، فحركة (زيد) الإتياع، وحركة (ابن) حركة إعراب، وأن يكون مضموماً كقولك: (يا زيد بن عمرو)، فـ: (زيد) مضموم؛ لأنّه منادى مفرد، و(ابن) منصوب؛ لأنّه صفة مضافة، كقولك: (يا زيد صاحب بشر). فإن قلت: (عيسى) آخره ألف لا تكون عليها فتحة ولا ضمة؛ قلت: تقدّر عليها»^(٣).

(١) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٤/ ٢٢-٢٣)، شذور الذهب (١/ ١٤٨-١٤٩).

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٣١)، الشواهد على القواعد (ص: ٩٢).

(٣) الفريد (٢/ ١٠٣-١٠٤). والحاصل أنّ (يا) حرف نداء، و(عيسى) منادى مفرد علم مبني

على الضمّ المقدّر على الألف في محلّ نصب، و(ابن) بدل أو نعت لـ (عيسى)، و(مريم) مضاف إليه..

● الرَّابِعَةُ: المنادى بلفظ: (أي) و(آية):

ويأتي مبنياً على الضم في محل نصب، وتدخل على ما فيه (أل)، وعلى المشتق وغير المشتق، ومجموع الصيغ في القرآن الكريم تأتي على النحو التالي:

قال الله ﷻ:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾ [يوسف: ٤٣]، ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ﴾ [يوسف: ٧٨]، ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّعْلُ﴾ [النمل: ١٨]، ﴿يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]، ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَرْمَلُ﴾ [المزمل: ١]، ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدَنِيُّ﴾ [المدثر: ١]، ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ﴾ [الانفطار: ٦]، ﴿يَتَأْتِيهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

كما يلاحظ أنها تؤنث مع المؤنث، وقد جاء في موضعين، كما في قول الله ﷻ: ﴿أَتَيْتَهَا الْعِبرُ﴾ [يوسف: ٧٠]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧].

أما قوله ﷻ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّعْلُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، فقد سبق بيانه في موضعه في (نداء المخلوقات الأخرى غير الجمادات).

وتدخل (أي) على (الذي)، وقد جاء في موضع واحد: وهو قول الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وتدخل على (الَّذِينَ)، وهو كثير في القرآن الكريم، وعددها: [٩٢] موضعًا.

وأعتمد هنا أوّل ورود للصيغة، حيث إنّ التفصيل في ذلك قد سبق في (النداءات العامة):

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [النساء: ٤٧]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الجمعة: ٦]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التحریم: ٧].

وقال ابن هشام في (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، (أقسام تابع المنادى المُنَبِّئ وأحكامه): وأقسامه أربعة: «أحدها: ما يجبُ نصبه مراعاةً لمحلّ المنادى، وهو ما اجتمع فيه أمران:

أحدهما: أن يكون نعتًا أو بيانًا أو توكيدًا.

الثاني: أن يكون مضافًا مجردًا من (أل)، نحو: (يا زَيْدُ صَاحِبَ عمرو)، و(يا زَيْدُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ)، و(يا تَمِيمُ كُلَّهُمْ أو كُلَّكُمْ).

الثاني: ما يجبُ رفعه مراعاةً للفظ المنادى، وهو نعت (أي) و(أَيَّة)، ونعت اسم الإشارة اسم الإشارة وُضِلَّة لندائه نحو: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَتَأْتِيهَا أَنْفُسُ﴾ [الفجر: ٢٧].. وقولك (يا هذا الرَّجُلُ) إن كان المراد أوّل نداء (الرَّجُل). ولا يُوصَف اسم الإشارة أبداً إلّا بما فيه (أل). ولا تُوصَف (أي) و(أَيَّة) في هذا الباب إلّا بما

فيه (أل) أو باسم الإشارة نحو: (يَأْيُهَا الرَّجُلُ)^(١).

الثالث: ما يجوز رفعه ونصبه وهو نوعان:

أحدهما: النعت المضاف المقرون بـ: (أل) نحو: (يَا زَيْدُ الْحَسَنُ الْوَجْهَ).

والثاني: ما كان مفرداً من نعتٍ أو بيانٍ أو توكيدٍ كان معطوفاً مقروناً بـ (أل) نحو: (يَا زَيْدُ الْحَسَنُ) و(الْحَسَنُ)، و(يَا غُلَامُ بَشْرُ) و(بَشْرًا)، و(يَا تَمِيمُ أَجْمَعُونَ) و(أَجْمَعِينَ).

وقال الله ﷻ: ﴿يَجِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ: ١٠].

قرأه السبعة بالنصب، واختاره أبو عمرو وعيسى، وقرئ بالرفع، واختاره الخليل^(٢)، وسيبويه^(٣)، وقدروا النصب بالعطف على ﴿فَضْلًا﴾ من قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠]. وقيل: إن كانت (أل) للتعريف مثلها في الطير فالمختار النصب أو لغيره مثلها في (اليسع) فالمختار الرفع.

والرابع: ما يُعطى تابعاً ما يستحقه إذا كان منادى مستقلاً، وهو البدل، والمنسوق المجرد من (أل)؛ وذلك لأن البدل في نيّة تكرار العامل والعاطف، كالتائب عن العامل تقول: (يَا زَيْدُ بَشْرُ) بالضم،

(١) انظر: أوضح المسالك (٣٣/٤ - ٣٤)، أسرار العريّة، لأبي البركات الأنباري (ص: ٢٠٨)، توضيح المقاصد (١٠٧٨/٢)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (٣٧٦/١)، شذور الذهب (ص: ٣٢٣)، بصائر ذوى التمييز (٣٦٠/٦).

(٢) انظر: الجمل في النحو، للخليل (ص: ١٠٩-١١٠).

(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه (١٨٧/٢).

وكذلك (يا زَيْدُ وَيَسْرُ)، وتقول: (يا زَيْدُ أبا عَبْدِ اللهِ)، وكذلك: (يا زَيْدُ وأبا عَبْدِ اللهِ)، وهكذا حكمهما مع المنادى المنصوب^(١).
والحاصل أن النَّصْب فيه أوجه:

- ١ - أن يكون عطفاً على محلّ (الجبال).
- ٢ - أن يكون منصوباً بإضمار فعل.. التّقدير: وسَخَرْنَا له الطَّيْر..
- ٣ - أن يكون عطفاً على ﴿فَضَلًا﴾.. التّقدير: وآتَيْنَاهُ الطَّيْر..
والرّفع: عطفاً إمّا على لفظ: (الجبال)، وإمّا على المنويّ في

(١) أوضح المسالك (٣٣/٤ - ٣٦)، وانظر: المقتضب، للمبرّد (٢١٢/٤ - ٢١٣)، الثّبيان في إعراب القرآن الكريم (١٩٥/٢) وفي (مشكل إعراب القرآن): من نصب ﴿الطَّيْر﴾ عطفه على موضع الجبال؛ لأنها في موضع نصب بمعنى النّداء، وهو قول سيّويه. وقيل: هي مفعول معه، وقال أبو عمرو: هو منصوب بإضمار فعل تقديره: (وسَخَرْنَا له الطَّيْر). وقال الكسائي: تقديره: (وآتَيْنَاهُ الطَّيْر)، كأنّه معطوف على ﴿فَضَلًا﴾. وقد قرأه الأعرج بالرفع عطفه على لفظ: (الجبال). وقيل: هو معطوف على المضمّر المرفوع في ﴿أَوْيَ﴾. وحسن ذلك؛ لأنّ معه قد فصلت بينهما فقامت مقام التّأكيد. مشكل إعراب القرآن، لمكي (٥٨٣/٢ - ٥٨٤). انظر: تفسير القرطبي (٢٦٦/١٤)، روح المعاني (٧٦/١٧). وانظر: الفريد (٥٨/٤)، المحرّر الوجيز (٤٦٩/٤)، البحر المحيط (٢٥٣/٧). وفي (زاد المسير) قوله ﷺ: ﴿الطَّيْر﴾ «قرأ أبو رزين وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو العالية وابن أبي عبيدة: ﴿الطَّيْر﴾ بالرفع. فأما قراءة النَّصْب فقال أبو عمرو بن العلاء: هو عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا﴾، و﴿الطَّيْر﴾، أي: وسَخَرْنَا له الطَّيْر. قال الرّجاج: [انظر: معاني القرآن وإعرابه، للرّجاج (٢٤٢/٤ - ٢٤٣)] ويجوز أن يكون نصّباً على النّداء كأنّه قال: دعونا الجبال والطَّيْر، فالطَّيْر معطوف على موضع (الجبال). وكلّ منادى عند البصريين فهو في موضع نصب، قال: وأمّا الرّفع فمن جهتين: إحداهما: أن يكون نسقاً على ما في ﴿أَوْيَ﴾، فالمعنى: ﴿يَجِبَالُ﴾ رجعي التّسبيح معه أنت والطَّيْر. والثّانية: على النّداء، المعنى: (يا جبألُ ويا أيّها الطَّيْر أَوْيَ معه). زاد المسير (٤٣٦/٦).

﴿أَوِّي﴾ ، وأغنت ﴿مَعَهُ﴾ عن تأكيده.
وقد ذكر الزّجاج وجهًا رابعًا، وهو أنّه مفعول معه، ولكنه ردّ بأنّ
قبله لفظ: ﴿مَعَهُ﴾، ولا يقتضي العامل أكثر من مفعول معه واحد إلّا
بالبدل أو العطف. لا يقال: جاء زيد مع بكر مع عمرو..^(١)
والخلاصة في إجمال الإعراب أن يقال: إنّ ﴿يَا﴾ حرف نداء،
و﴿جِبَالٍ﴾ منادى نكرة مقصودة، و﴿أَوِّي﴾ فعل أمر مبني على حذف
النون، والياء فاعل، ومعه ظرف متعلّق بـ ﴿أَوِّي﴾، و﴿الطَّيْرِ﴾ عطف
على محلّ الجبال، وهو النّصب، وقُرىّ بالرفع عطفاً على
اللفظ.. ويقال في النّصب والرفع ما سبق بيانه^(٢).



(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزّجاج (٢٤٢/٤ - ٢٤٣)، الدرّ المصون (٤٣٤/٥).
(٢) انظر: إعراب القرآن وبيانه (٧٣/٨)، تفسير ابن عادل (٢١/١٦)، الكشف (٢٨١/٣)،
البحر المحيط (٢٥٣/٧)، معاني القرآن، للقرّاء (٣٥٥/٢)، مشكل إعراب القرآن، لمكي
(٥٨٣/٢ - ٥٨٤)، معاني القرآن، وإعرابه، للزّجاج (٢٤٣/٤)، الدرّ المصون
(٤٣٣/٥ - ٤٣٤).

المطلب الثاني: المنادى المعرب

• أقسام المنادى المعرب:

أولاً: نداء المضاف

ويكون منصوباً، وهو أكثر الأنواع في القرآن الكريم، وأمّا صيغ (نداء المضاف) فهي على النحو الآتي مرتبةً على حسب الترتيب المصحفي بالنسبة لأوّل موضع ترد فيه، مع بيان ما لم يسبق بيانه:

١ - ﴿يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ﴾ [البقرة: ٤٠]:

وقد سبق ما يتعلّق بمعنى هذه الصيغة، ومواقعها في (النداءات العامة)، كما سبق أنّه من (نداء النسبة).

٢ - ﴿يَقُوْمُ﴾ [البقرة: ٥٤]:

وقد سبق ما يتعلّق بمعنى هذه الصيغة، ومواقعها في (النداءات العامة).

٣ - ﴿يَبْنِيْ﴾ [البقرة: ١٣٢]:

الأصل (بنين)، حذفت النون عند الإضافة، وأدغمت (ياء الجمع) في (ياء المتكلم)، وحرّكت المشدّدة بالفتحة.

وقد جاءت في (ثلاثة) مواضع:

أ. نداء إبراهيم عليه السلام بنيه:

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. والمعنى أن إبراهيم عليه السلام وصَّى، ثم وصَّى بعده يعقوب عليه السلام بنيه، فقالا جميعاً: ﴿يٰبَنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾.. (١).
يعني: اختار لكم الدين، أي: الإسلام.

وقد أخبر الله ﷻ أنه أمر الخليل عليه السلام بالإسلام، وأنه قال: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وأن إبراهيم عليه السلام وصَّى بنيه، ويعقوب عليه السلام وصَّى بنيه أن لا يموتنَّ إلّا وهم مسلمون (٢).

أمّا تفصيل (الوصية) فقد «أمر أبناءه أن يكونوا على ملّة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق - عليهم السّلام-، وهي نظير ما وصَّى به إبراهيم عليه السلام بنيه، فأجمل هنا اعتماداً على ما صرّح به في قوله سابقاً:

﴿يٰبَنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وهذا تنويه بالحنيفيّة التي هي أساس الإسلام، وتمهيد لإبطال قولهم: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥]، وإبطال لزعمهم أن يعقوب عليه السلام كان على اليهوديّة، وأنه أوصى بها بنيه فلزمت ذريّته فلا يحولون عنها» (٣).

(١) انظر: الثّكت والعيون (١/ ١٩٣)، القرطبي (٢/ ١٣٥)، السّراج المنير (١/ ٨٦)، مقاتل

(٧٩/١)، النّيسابوري (١/ ٤٧).

(٢) انظر: الجواب الصّحيح (٢/ ١٢٩)، دقائق التّفسير (١/ ٣٣٨).

(٣) التّحرير والتّنوير (١/ ٧٣٠).

والحاصل أنَّ الإسلام هو أساس قبول العمل فقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فَإِنَّ من الكافرين من عمل شيئاً من الصَّالِحَاتِ فإذا أعمالهم هباءً منثوراً.. يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩] ، أي: الأعمال التي كانوا يظنون أنها تنفعهم كالصدقة، وصلة الرَّحِم، وإغاثة الملهوف، والإنفاق أو الكرم.. فهي كالسراب، وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظَّهيرة، فيظنُّ أنه ماء يجري على وجه الأرض، حتَّى إذا وصل إليه لم ير ماءً ولا شرباً، وإنَّما رأى سراباً، فعظمت حسرته، ووجد الله ﷻ له بالمرصاد فوقاه جزاء عمله، فكذلك الكافر يحسب أنَّ عمله ينفعه حتَّى إذا مات لم يجد شيئاً من الأعمال.. قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْآخِرِينَ أَعْمَلًا﴾ [١٠٣] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

قال القاضي عياض -رحمه الله تعالى-: «وقد انعقد الإجماع على أنَّ الكفَّار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، لكن بعضهم أشدَّ عذاباً من بعض بحسب جرائمهم»^(١). وشبَّهها في موضع آخر بالرَّمَاد الَّذِي عصفت به الرِّيح في يوم شديد

(١) إكمال المعلم، للقاضي عياض (١/٥٩٧). وانظر: شرح التَّووي على صحيح مسلم (٣/٨٧)، فتح الباري (٩/١٤٥).

هبوب الرِّيح، فأصابَت تلك الرِّيح المدمِّرة زرعَ قوم ظلموا أنفسهم بالمعاصي فأفسدته وأهلكته، فلم ينتفعوا به. يقول الله ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨].

وقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: ابْنُ جُدْعَانَ^(١) كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّجِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»^(٢).

ب. الموضع الثاني (نداء يعقوب عليه السلام بنيه): ﴿يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧]. ومما يستفاد من نداء يعقوب عليه السلام هنا أنه «لم يناقض توكله، بل قال: ﴿وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾» [يوسف: ٦٧]^(٣).

«ومما يوضح أن تعاطي الأسباب لا ينافي التَّوَكُّل على الله ﷻ:

(١) قال العلماء: وكان بن جدعان كثير الإطعام، وكان اتخذ للضييفان جفنة يرقى إليها بسلم يأكل منها القائم والراكب لعظمها، وكان من (بني تميم بن مرة) أقرباء عائشة رضي الله عنها وكان من رؤساء قريش، واسمه: عبد الله، و(جدعان) -بضم الجيم، وإسكان الدال المهملة، وبالعين المهملة-، شرح الثَّوَوِي على صحيح مسلم (٨٧/٣).

(٢) أخرجه مسلم [٣١٥].

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١١٣/١٥-١١٤).

قوله ﷺ عن يعقوب عليه السلام: ﴿يَبْتَئَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ أمرهم في هذا الكلام بتعاطي السَّبَب، وتسبب في ذلك بالأمر به؛ لأنَّه يخاف عليهم أن تصيبهم النَّاس بالعين؛ لأنَّهم (أحد عشر) رجلاً أبناء رجلٍ واحد، وهم أهل جمالٍ وكمالٍ وبسطةٍ في الأجسام. فدخلهم من بابٍ واحدٍ مظنةً لأن تصيبهم العينُ فأمرهم بالتَّفرُّق، والدَّخول من أبوابٍ متفرقة تعاطياً للسَّبَب في السَّلامة من إصابة العين، كما قال غير واحد من علماء السَّلف. ومع هذا التَّسبب فقد قال الله ﷻ عنه: ﴿يَبْتَئَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾. فانظر كيف جمع بين التَّسبب في قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾، وبين التَّوكل على الله ﷻ في قوله: ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾، وهذا أمرٌ معلومٌ لا يخفى إلَّا على من طمس الله ﷻ بصيرته!! والله ﷻ قادر على أن يسقط لها [أي: لمريم - عليها السلام] الرُّطب من غير هزِّ الجذع، ولكنَّه أمرها بالتَّسبب في إسقاطه بهزِّ الجذع^(١).

ج. الموضع الثالث (نداء من يعقوب عليه السلام لبنيه أيضًا): ﴿يَبْتَئَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، أي: فتعرَّفوا، وهو تَفَعُّلٌ من (الحسَّ)، وهو في الأصل: (الإدراك) بالحاسة، وكذا أصل (التَّحسس): طلب الإحساس، واستعماله في التَّعرُّف استعمال له في

(١) أضواء البيان (٣/ ٤٥٩).

لازم معناه^(١). وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، أي: لا تقنطوا من فرجه ﷻ وتنفيسه، وأصل معنى: (الروح) -بالفتح-: التنفس. يقال: (أراح الإنسان) إذا تنفس، ثم استعير للفرج كما قيل: (له تنفيس) من النفس^(٢). كأنه -عليه السلام- تنسم نسائم الفرج بعد أن رفع الأمر إلى مولاه ﷻ^(٣).

ومن رحمته وفرجه وتيسيره ولطفه في جمع الشتات، وتيسير المراد^(٤).

«وكلمة: ﴿رَوْحِ﴾ أدقُّ دلالة وأكثر شفافية. ففيها ظلُّ الاسترواح من الكرب الخانق بما ينسم على الأرواح من رُوح الله ﷻ الندي: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، فأما المؤمنون الموصولة قلوبهم بالله ﷻ، الندية أرواحهم بروحه، الشاعرون بنفحاته المحيية الرخية، فإنهم لا يياسون من رُوح الله ﷻ، ولو أحاط بهم الكرب، واشتدَّ بهم الضيق. وإنَّ المؤمن لفي روح من ظلال إيمانه، وفي أنس من صلته برُّبه ﷻ، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه ﷻ»^(٥).

(١) انظر: روح المعاني (٤٤/١٣)، انظر: القرطبي (٢٥٢/٩)، تفسير أبي السعود (٣٠٢/٤).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (٣٠٢/٤)، روح المعاني (٤٤/١٣)، البحر المديد (٣٠٠/٣)، فتح

القدير (٧١/٣)، المفردات، للزَّاعب، مادة: (روح) (٢٠٦/١)، بصائر ذوي التَّمييز

(٤١/٣)، مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة: (روح) (٤٥٤/٢).

(٣) انظر: روح المعاني (٨١/١٣).

(٤) انظر: نظم الدرر (٩٢/٤).

(٥) الظلال (٢٠٢٦/١٣).

ويمتنع أن يكون للأنبياء -عليهم الصّلاة والسّلام- يأسٌ من رُوح الله ﷻ، وأن يقعوا في الاستيئاس، بل المؤمنون ما داموا مؤمنين لا ييأسون من روح الله ﷻ، وهذه السّورة تضمّنت ذكر المستيئسين، وأنّ الفرح جاءهم بعد ذلك، لثلاً ييأس المؤمن، ولهذا فيها: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] ^(١).

٤ - ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩]:

وقد سبق ما يتعلّق بمعنى هذه الصّيغة، ومواضعها في (النّداءات العامّة).

٥ - ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ [آل عمران: ٢٦]، [الزمر: ٤٦]:

أ. الميم في قوله ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ عوض عن حرف النّداء؛ ولذلك لا يجتمعان. وهذا من خصائص الاسم الجليل، كدخوله عليه مع حرف التعريف، وقطع همزته، ودخول تاء القسم عليه. وقيل: أصله: (يا الله آمنا بخير)، أي: اقصدنا به، فخفّف بحذف حرف النّداء ومتعلّقات الفعل وهمزته ^(٢).

ب. ﴿الْمَلِكُ﴾ .. قال العلامة محمد الطّاهر: (المُلْك) «بضمّ الميم: اسم لأكمل أحوال (المِلْك) -بكسر الميم-، و(المِلْك): -بالكسر- جنس

(١) انظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التّفسير (١٥٢/١٥).

(٢) انظر: تفسير أبي السّعود (٢١/٢)، الدّر المصون (٥٣/٢)، المحرّر الوجيز (٤١٧/١)، معاني القرآن وإعرابه، للزّجاج (٣٩٤/١)، الثّبيان (١٣٠/١)، تفسير الثّسفي (٢٢٨/١)، تفسير الثّيسابوري (١٣٦/٢). وقد سبق بيان ذلك مفصّلاً.

للملِك بالضم، وفَسَّر (الملِك) المضموم بضبط الشَّيء المتصَرَّف فيه بالحُكم. وهو تفسير قاصر، وأرى أن يُفسَّر بأنَّه تُصَرَّف في طائفة من النَّاس ووطنهم تصرُّفاً كاملاً بتدبيرٍ ورعاية، فكلُّ (مُلِك) بالضم (مِلِك) بالكسر، وليس كلُّ (مِلِك) مُلْكاً^(١).

ج. إجمال ما يستفاد مما ولي المنادى:

«نداءٌ خاشعٌ في تركيبه اللَّفْظِي إيقاع الدُّعاء. وفي ظلاله المعنويَّة روحُ الابتهاال. وفي التفاتاته إلى كتاب الكون المفتوح استجاشةٌ للمشاعر في رفقٍ وإيناس. وفي جمعه بين تدبير الله ﷻ، وتصريفه لأُمور النَّاس، ولأُمور الكون إشارةٌ إلى الحقيقة الكبيرة: حقيقة الألوهيَّة الواحدة القوامة على الكون والنَّاس، وحقيقة أن شأن الإنسان ليس إلَّا طرفاً من شأن الكون الكبير الَّذي يُصَرِّفه الله ﷻ، وأنَّ الدَّينونة لله ﷻ وحده هي شأن الكون كلُّه كما هي شأن النَّاس، وأنَّ الانحراف عن هذه القاعدة شذوذٌ وسفه وانحراف! إنها الحقيقة النَّاشئة من حقيقة الألوهيَّة الواحدة.. إله واحد فهو المالك الواحد.. هو ﴿مَلِك﴾ المَلِك بلا شريك..، ثُمَّ هو من جانبه يملك من يشاء ما يشاء من ملكه..»^(٢).

د. و﴿مَلِك﴾ المَلِك.. قيل: هو نداء ثان، أي: يا مالك الملك^(٣).

(١) التَّحرير والتَّنوير (١١/٢٩).

(٢) الظَّلال (٣/٣٨٤).

(٣) انظر: التَّبيان في إعراب القرآن الكريم (١/١٣٠). معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (١/٣٩٤)، =

٦ - ونحوه قوله ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: ٤٦].

٧ - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٦٤]:
وقد سبق ما يتعلق بمعنى هذه الصيغة، ومواقعها في (النداءات العامة)، وسبق أنها من نداء التخصيص.

٨ - ﴿يَتَوَلَّى﴾ [المائدة: ٣١]:

في (ثلاثة) مواضع:

الموضع الأول: ﴿يَتَوَلَّى أَعْرَضْتُ﴾ [المائدة: ٣١]^(١):

أ. بيان ما ولي المنادى:

في هذه القصة بيان لتأثير الحسد، وأنه يؤدي إلى المخاطر

= الدر المصون (٢/٥٣-٥٤)، ابن عادل (٥/١٢٥)، تفسير أبي السعود (٢/٢١)، تفسير الرّازي (١٢/٤٦٣)، تفسير القرطبي (٤/٥٤)، التّسفي (١/٢٢٨)، فتح القدير (١/٤٩٧)، إعراب القرآن، للتحاس (١/٣٦٥). وفي (الفريد): «نداء ثان، أي: يا مالك الملك، ولا يجوز أن يكون صفة لقوله: ﴿اللَّهُمَّ﴾ عند صاحب (الكتاب) [أي: سيبويه. انظر: (الكتاب) بتحقيق عبد السلام هارون، (٢/١٩٦)] وموافق؛ لأنه لحقه شبه الصّوت، والأصوات لا توصف ك: (فاق) وشبهه. وأجاز ابن السّراج والزّجاج والمبرد وغيرهما من البصريين والكوفيين أن يكون ﴿مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ نعتا لقوله: ﴿اللَّهُمَّ﴾، قائلين: إنّ الاسم ومع الميم بمنزلة، ومع (يا)، فكما يجوز أن يوصف ومع (يا) يجوز أن يوصف ومع الميم. ونظيره: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾. الفريد: (١/٥٥٨)، معاني القرآن وإعرابه، للزّجاج (١/٣٩٤)، المقتضب، للمبرد (٤/٢٣٩)، الكتاب، لسيبويه (٢/١٩٦)، الأصول في النّحو، لابن السّراج (١/٣٣٨).

(١) وقام الآية: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَتَوَلَّى أَعْرَضْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْقَرْبِ فَأُورِى سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾.

والمهالك والقبائح، فيقضي على رابطة الأخوة، ويؤدّي إلى سفك الدماء^(١).

ومعنى (الاستفهام) هنا: «الإنكار على نفسه والتّعي، أي: لا أعجز عن كوني مثل هذا الغراب، وفي ذلك هضمٌ لنفسه، واستصغار لها بقوله: مثل هذا الغراب. وأصل (النداء) أن يكون لمن يعقل، ثمّ قد ينادي ما لا يعقل على سبيل المجاز كقولهم: (يا عجباً) و(يا حسرة)، والمراد بذلك التّعجب. كأنّه قال: انظروا لهذا العجب، ولهذه الحسرة، فالمعنى: تنبّهوا لهذه الهلكة. وتأويله: (هذا أوانك فاحصري)^(٢).

وكلمة: ﴿يَوَلِّتْ﴾ كلمة جزع وتحسّر، بمعنى: (يا هلاكي)، والألف فيها بدلٌ من (ياء المتكلّم). والمعنى: (يا ويلتي احصري فهذا أوانك)، و(الويل) و(الويلة): الهلكة^(٣).

و(البعث) في قول ﷻ: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ «مستعملٌ في الإلهام بالطّيران إلى ذلك

(١) سبق التّعريف (بالحسد) وبيان آثاره.

(٢) البحر المحيط (٣/٤٨١). وقد ((قرأ الجمهور: ﴿يَوَلِّتْ﴾ بألف بعد التاء، وهي بدل من ياء المتكلّم، وأصله: (يا ويلتي) بالياء، وهي قراءة الحسن. وأمال حمزة والكسائي وأبو عمرو ألف ﴿ويلتي﴾. وقرأ الجمهور: ﴿أَعَجَزْتُ﴾ - بفتح الجيم - وقرأ ابن مسعود، والحسن، وفيات، وطلحة، وسليمان: بكسرهما وهي لغة شاذّة، وإنما مشهور الكسر في قولهم: عجزت المرأة إذا كبرت عجيزتها. البحر المحيط (٣/٤٨١).

(٣) انظر: تفسير أبي السّعود (٣/٢٨)، روح المعاني (٦/١١٦)، تفسير البيضاوي (٢/٣١٨)، السّراج المنير (١/٤٢٥). وسيأتي بيان معنى (الويل) مفصّلاً..

المكان، أي: فألهم الله ﷻ غرابًا ينزل بحيث يراه قابيل. وكأنَّ اختيار الغراب لهذا العمل؛ إمَّا لأنَّ الدَّفْنَ حيلة في الغربان من قبل، وإمَّا لأنَّ الله ﷻ اختاره لذلك لمناسبة ما يعتري النَّاطِر إلى سواد لونه من الانقباض بما للأسيف الخاسر من انقباض النَّفس. ولعلَّ هذا هو الأصلُ في تشاؤم العرب بالغُرَاب، فقالوا: (غُرَابُ البين). والضَّمير المستتر في ﴿لِيُرِيَهُ﴾^(١) إن كان عائداً إلى اسم الجلالة فالتعليل المستفاد من اللام وإسناد الإرادة حقيقتان^(٢)، وإن كان عائداً إلى الغراب فاللام مستعملة في معنى (فاء التَّفريع)^(٣)، وإسناد (الإرادة) إلى الغراب مجاز؛ لأنَّه سبب الرؤية فكأنَّه مُرِيءٌ^(٤). و﴿كَيْفَ﴾ يجوز أن تكون مجردة عن الاستفهام مرادًا منها الكيفيَّة، أو للاستفهام، والمعنى: ليريه جواب^(٥) كيف يُواري؟^(٥). و(السَّوْءة): مَا تَسُوءَ رُؤْيَتُهُ، وَهِيَ هُنَا

(١) أقول: فيكون المعنى: أرى الله ﷻ -وهو فاعل الرؤية حقيقة- القاتل..

(٢) أقول: فَرَّعَ عن رؤية الغراب -وهو وسيلة وسبب- ما قام به من البحث في الأرض والموارة..

(٣) أقول: أي: أنَّه أقام السَّبب -الَّذِي هو الغراب- مقام السَّبَب -الرؤية، فكأنَّه، أي:

الغراب- وهو لا يعقل - هو الَّذِي أراه معلِّمًا إيَّاه؛ لأنَّه لَمَّا كان سبب تعليمه فكأنَّه قصد

تعليمه، وفيه أيضًا تنزيلٌ ما لا يعقل - الغراب -منزلةً من يعقل - فاعل الرؤية الحقيقي،

وذلك على طريقة المجاز المرسل.

(٤) أقول: أي: جواب الاستفهام الَّذِي قد انبثق من نفسه، ماذا يفعل في هذه الجثَّة؟ كيف

يوارِيها؟

(٥) أقول: والمعنى أنَّ الضَّمير المستكنَّ - أي: المستتر- في قوله ﷻ: ﴿لِيُرِيَهُ﴾ لله ﷻ، أو

الغراب، والهَاءُ لِقَابِيل - القاتل -، أي: ليريه الله ﷻ أو ليريه الغراب، أي: ليعلمه؛ لأنَّه

لَمَّا كان سبب تعليمه فكأنَّه قصد تعليمه على سبيل المجاز المرسل. وجملة: ﴿كَيْفَ يُوَارِي﴾

في موضع نصب على أنَّها مفعول ثانٍ ليرى.

تغيّر رائحة القليل وتقطع جسمه»^(١).

وفي (التحرير والتنوير أيضًا): كلمة: ﴿يَوَيْلَتِي﴾ «من صيغ الاستغاثة المستعملة في التعجب، وأصله: (يا لَوَيْلَتِي)، فعوّضت الألف عن (لام الاستغاثة) نحو قولهم: (يا عَجَبًا). ويجوز أن يجعل الألف عوضًا عن ياء المتكلم، وهي لغة، ويكون النداء مجازًا بتنزيل (الويلة) منزلة ما يُنادَى^(٢)، كقوله: ﴿بِحَصْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]. والاستفهام في ﴿أَعَجَزْتُ﴾ إنكاري. وهذا المشهد العظيم هو مشهد أوّل حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب ستر المشاهد المكروهة. وهو أيضًا مشهد أوّل علم اكتسبه البشر بالتقليد وبالتجربة، وهو أيضًا مشهد أوّل مظاهر تلقّي البشر معارفه من عوالم أضعف منه كما تشبّه الناس بالحيوان في الزينة، فلبسوا الجلود الحسنة الملونة وتكلّلوا بالريش الملون وبالزهور والحجارة الكريمة، فكم في هذه الآية من عبرة للتاريخ والدين والخلق؟!»^(٣).

(١) التحرير والتنوير (١٧٣/٦).

(٢) أقول: أي: تنزيل ما لا يعقل منزلة من يعقل، وهي علاقة من علاقات المجاز المرسل، والقربة (نداء الويل)، وهو لا يعقل، والثكئة: زيادة التحسّر، فكان المتحسّر ينادي ويلته ويطلب حضورها، بعد تنزيلها منزلة من ينادي، ولا يكون ذلك إلا في أشد الأحوال المأثمة.

(٣) التحرير والتنوير (١٧٣/٦-١٧٤).

ب. إجمال ما يستفاد:

أولاً: بيان العاقبة:

وبعد أن فعل ما فعل من قتل أخيه ماذا كانت العاقبة؟ قال ﷻ:

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[المائدة: ٣٠].

وقال ﷻ: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

وفي هاتين الآيتين بيان لما آل إليه حاله بعد ما اقترفت يده من القتل؛ إذ رأى الغراب - وهو لا يعقل - يحتفل بإكرام أخيه الميت، ورأى نفسه - وهو يعقل - يجترىء على قتل أخيه، وهذه الموازنة إن دلّت فإنّما تدلّ على عظم الجرم بالنسبة له، وفيها تعليم للمخاطبين ببيان جسامته مثل هذا الفعل، وفي الآيات بيان يدلّ على أنّ عاقبة كلّ ظالم الندم والخسران.

ويحتمل أنّ هذا الندم منه لم يكن ناشئاً عن خوف عذاب الله ﷻ، ولا قصد توبة، فلذلك لم ينفعه. وقيل: إنما ندمه كان على فقدّه لا على قتله، وإن كان فلم يكن موفياً شروطه، أو ندم ولم يستمر ندمه^(١). وفي (أحكام القرآن): «فَنَقُولُ: من الغريب أنّ الله ﷻ قد أخبر عنه أنّه نديم، وهو في النار!!»، وقال ﷺ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ». قلنا: عن هذه (ثلاثة) أجوبة:

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦/١٤٢).

الأول: أَنَّ الحديث ليس يَصِحُّ^(١)، المعنى صحيح، وَكُلُّ مَنْ نَدِمَ فقد سَلِمَ، لكنَّ النَّدَمَ له شروطٌ، فكلُّ من جاء بشروطه قَبِلَ منه، ومن أخلَّ بها أو بشيءٍ منها لم يقبل.

الثاني: أَنَّ معناه ندم ولم يَسْتَمِرَّ ندمُهُ، وإنَّما يقبل النَّدَمُ إذا استَمَرَ.

الثالث: أَنَّ النَّدَمَ على الماضي إنَّما ينفع بشرط العزم على ألا يفعل في المستقبل^(٢).

ثانيًا: طبيعة الإنسان فيها نوازغ الخير والشر:

وممَّا يستفاد من هذه القِصَّة ما أجمله صاحب (الظلال) بقلمه

الصَّناع، وبيانه المطواع حيث قال:

«هذه القِصَّة تقدِّم نموذجًا لطبيعة الشرِّ والعدوان، ونموذجًا كذلك من العدوان الصَّارخ الَّذي لا مبرر له. كما تقدِّم نموذجًا لطبيعة الخير والسَّماحة، ونموذجًا كذلك من الطَّيبة والوداعة. وتقفهما وجهًا لوجه، كلُّ منهما يتصرَّف وفق طبيعته.. وترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشرِّ والعدوان الصَّارخ الَّذي يثير الضَّمير، ويثير الشُّعور بالحاجة إلى

(١) والغريب أنَّه ذكر أنَّ الحديث لا يَصِحُّ، والحديث أخرجه غير واحد، وهو مرويٌّ من أكثر من طريق، فقد أخرجه من أصحاب السُّنن ابنُ ماجه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، [٤٢٤٢]، وأحمد [٣٣٨٧]. والحديث صحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي. انظر: المستدرک على الصَّحیحین (٢٧١/٤)، [٧٦١٢]، (٢٧١/٤)، [٧٦١٣]. قال الحافظ في (الفتح) (٤٧١/١٣): «وهو حديث حسن من حديث بن مسعود رضي الله عنه أخرجه بن ماجه، وصحَّحه الحاكم..». وانظر: مرعاة المفاتيح، (٣١/٨)، [٢٣٥٧]، مشكاة المصابيح (٧١/٨)، مصباح الزُّجاجة (٢٤٨/٤)، أسنى المطالب (ص: ٣١٠)، كشف الخفاء (٣١٥/٢).

(٢) أحكام القرآن، لابن العربي (٥٩٠/٢).

شريعة نافذة بالقصاص العادل، تكفُّ النموذج الشرير المعتدي عن الاعتداء، وتخوّفه وتردعه بالتخويف عن الإقدام على الجريمة، فإذا ارتكبها -على الرغم من ذلك- وجد الجزاء العادل، المكافئ للفعلة المنكرة. كما تصون النموذج الطيب الخير، وتحفظ حرمة دمه. فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش، وأن تصان، وأن تؤمن في ظلّ شريعة عادلة رادعة^(١).

والحاصل أنّ الآيات قدّمت نموذجين متقابلين، وبيّنت أنّ الإنسان مرگّب من صفات متقابلة من الخير والشرّ، والعقيدة التي جاء الرّسل -عليهم الصّلاة السّلام- هي التي توجّه الإنسان إلى ملازمة الصّفات والميول الخيرة، وإلى كبح جماح الصّفات المقابلة لصفات الخير، فإنّ الله ﷻ حينما تعلّقت إرادته بإيجاد هذا الكون، اقتضت حكمته أن يختار الإنسان من بين المخلوقات الأخرى، فيجعله سيّد هذا الكون، ويجعل سائر مظاهره مسخّرة لخدمته، فكان أن جهّز هذا المخلوق بمجموعة من الصّفات التي لا بدّ منها؛ لتكامل لديه القدرة على إدارة الكون وتعميره؛ ولتحقق فيه معنى التّكليف المتفرّع عن عبوديته لله ﷻ. ومن هذه الصّفات -مثلاً- صفة القوّة، وما يتفرّع عنها من النّزوع إلى السّيّطرة والعظمة والجاه، وبثّ فيه مجموعة من العواطف كالحُبّ والكراهية والغضب والحسد أو الغبطة... إلخ.. إلّا أنّ لهذه الصّفات آفات عظام، وهي سلاح ذو حدّين.. إن استعمل أحدهما جاء بالتّنظيم

(١) الظّلال (٦/ ٨٧٤ - ٨٧٥).

العظيم للكون، وبالخير الوفير للإنسان.. وإن استعمل الآخر جاء بالشَّرُّ الويل، والفوضى الهائلة، وأورث الإنسانية شقاء لا آخر له. ومن نتائج الخطورة لهذه الصفات أنَّ من شأنها أن تحمل صاحبها على أن يستعملَ صفةَ القدرة -مثلاً- في ظلم الآخرين، وأن تتسابق جماعاتٌ في ميدانٍ من الصِّراع الدِّمويِّ على السُّلطان والجاه والثروات والممتلكات.. الخ. ومن أجل ذلك كان لا بدَّ من قوَّةٍ توجِّهُ هذه الصفات إلى الوجهة الصَّالحة.. هذه القوَّة هي الدِّين والعقيدة الصَّحيحة التي فيها: التَّنظيم لحياة الإنسان، والحدود الرَّادعة، والتَّرهيب والتَّهريب، والثَّواب والعقاب، والقانون الأخلاقي الذي يدفع اختلاف المختلفين...

ثالثاً: الزَّمان والمكان والأشخاص...

أقول: ولا يحدِّد السِّياق القرآني غالباً لا زمان ولا مكان ولا أسماء القصَّة؛ لأنَّ القرآن الكريم لا يُعنى إلا بالمقاصد الشَّريفة، فالقرآن لا يُعنى غالباً بتقرير زمانٍ ولا مكان، ولا تحديد أشخاصٍ بدقَّة؛ لأنَّ ذلك ليس له شأنٌ في تشكيل الحدث.

رابعاً: قياسُ الشَّبه:

ذكر ابن العربي في (أحكام القرآن الكريم)، تفسير قوله: ﴿أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْفَرَبِ﴾ أن فيه دليلاً على قياس الشبه حيث قال: «فيه دليلٌ على قياسِ الشَّبه»^(١). وما ذكره ابن العربي في (أحكام القرآن

(١) أحكام القرآن الكريم، لابن العربي (٢/ ٥٩٠).

الكريم) مجملًا، ذكره مفصلاً في (المحصول)، حيث قال: «وأما قياس الشَّبه فهو على ضربين: شبه خَلْقِي، وشبه حُكْمِي، فأما (الشَّبه الخَلْقِي) فكإجماع الصَّحابة على جزاء الحمامة بالشَّاة، والنَّعامة بالبدنة لما بينهما من تشابه الخلقة. وأما (الشَّبه الحُكْمِي) كقول علمائنا في الدَّلِيل على أنَّ الوضوء يفتقر إلى النِّيَّة خلافاً لأبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ: طهارة حكمية فافتقرت إلى النِّيَّة كالتَّيمم. وقد اختلف النَّاس في (قياس الشَّبه)، فمنهم من نفاه، ومنهم من أثبته، ومنهم من فصله»^(١).

وقال في (العبادات): هي نوعٌ لا يجري فيها تعليل بحال، بل إنَّ (قياس الشَّبه) يدخلها كقول علمائنا -رحمة الله عليهم- في الوضوء: عبادة فافتقرت إلى النِّيَّة كالصَّلَاة... إلخ^(٢).

وعلى آية حال فإنَّ الخلاف مبسوطٌ في (كتب أصول الفقه)، وما أردتُ الإشارة إليه هنا أنَّ من العلماء من استدللَّ على (قياس الشَّبه) من الآية السَّابقة كابن العربي رَحِمَهُ اللهُ من المالكية، ونفاه غيره.

خامساً: الاعتبار بقصص السَّابقين..

الموضع الثَّاني: ﴿قَالَتْ يَنْوِلْنِي أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢]:

أ. ما يستفاد مما ولي المنادى:

يخبرُ الله ﷻ أَنَّهُ وَهَبَ لإبراهيمَ عليه السلامَ إِسْحَاقَ عليه السلامَ، بعد أن طَعَن في السنِّ، وآيس هو وامرأته (سارة) من الولد، فجاءته الملائكة وهم

(١) بقليلٍ من التَّصَرُّف عن (المحصول في أصول الفقه)، لابن العربي (١/١٢٦ - ١٢٧).

(٢) بقليلٍ من التَّصَرُّف عن (المصدر نفسه) (١/١٣٣).

ذاهبون إلى قوم لوط عليه السلام، فبشروهما بإسحاق عليه السلام، فتعجبت المرأة من ذلك، وقالت: ﴿قَالَ يَنْوِلَقْ ءَالِدْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْتَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْهِ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَيِّدٌ نَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٢ - ٧٣]، وبشروه مع وجوده بنبوته، وبأن له نسلًا وعقبًا، كما قال عليه السلام: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: ١١٢]، وهذا أكمل في البشارة، وأعظم في النعمة، وقال: ﴿بَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَآئِهِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١]، أي: ويولد لهذا المولود ولدٌ في حياتكما، فتقر أعينكما به كما قرّت بوالده؛ فإنّ الفرح بولد الولد شديد؛ لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنّه لا يعقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم (يعقوب)، الذي فيه اشتقاق العقب والذرّة، وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام، حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبًا إلى عبادة الله تعالى في الأرض، فعوّضه الله تعالى عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه؛ لتقرّ بهم عينه^(١)، أي: قالت: أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟!^(٢).

ب. المراد من قولها: ﴿يَنْوِلَقْ﴾...

هذه الكلمة تقال عند الإيذان بورود الأمر العظيم. ولم تُرد بها

(١) تفسير ابن كثير (١٥٥/٢)، القاسمي (٣٦٢/٣).

(٢) انظر: القرطبي (٤٧/١٧)، أبو السعود (١٤٠/٨)، الواحدي (١٠٢٩/٢)، زاد المسير

(٣٧/٨)، روح المعاني (١٣/٢٧)، الثكت والعيون (٤٨٦/٢)، تفسير العزّ بن عبد السلام

(٤٧٩/١)، فتح القدير (٧٣٨/٢).

الدُّعاء على نفسها، وإنما هي كلمة تخفُّ على ألسنة النساء عند الأمر العجيب. وقولها: ﴿أَلَدُّ﴾ استفهام تعجُّب^(١).

ج. التَّعْقِيبُ عَلَى قَوْل أَبِي حَيَّانٍ وَالْقَاسِمِيِّ: (الاستفهام هنا استفهام إنكارٍ وتعجُّب):

أقول: ولا بدَّ من التَّعْقِيبِ عَلَى ما ذكره أَبُو حَيَّانٍ فِي (البحر المحيط)، حيث قال: «استفهمت -بقولها أَلَدُّ؟!- استفهام إنكارٍ وتعجُّب»^(٢). والمراد بالاستفهام هنا: التَّعَجُّبُ مِنْ أَمْرٍ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ.. ولم ترد بذلك الإنكار، ويدلُّ عَلَى هذا المعنى قولها: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾؛ لَأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَبْعَدِ أَنْ تَنْكَرَ عَلَى الرُّسُلِ -عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ الْبَشَرِ، وَهِيَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَكِنَّهَا تَعَجَّبَتْ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ لِكَوْنِهِ مُخَالَفًا لِلْعَادَةِ وَالْمَأْلُوفِ، فَانْكَرَتْ عَلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ تَعَجُّبَهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي بَيْتِ الْآيَاتِ، وَمَهْبُطِ الْمَعْجَزَاتِ، وَالْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ، فَكَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَسْبِّحَ اللَّهَ ﷻ وَتَمَجِّدَهُ مَكَانَ التَّعَجُّبِ..

وكلام أَبِي حَيَّانٍ مُوَهِّمٌ فِي عَطْفِهِ التَّعَجُّبَ عَلَى الْإِنْكَارِ، وَالْعَطْفُ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ، فَكَأَنَّهَا أَنْكَرَتْ وَتَعَجَّبَتْ.. ويرد ذلك الاعتراضُ بِعَيْنِهِ عَلَى مَا أوردته القاسميُّ من (تفسيره) لقول الله ﷻ:

﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، أي: أُنْصَبِعِينَ مِنْ شَأْنِهِ وَقُدْرَتِهِ خَلْقِ

(١) زاد المسير (٤/١٢٣)، وانظر: القرطبي (٤/٦٩)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١/٢٥٢).

(٢) البحر المحيط (٥/٢٢٤). وقد سبقَت الإشارةُ إِلَى ذلك.

الولد من الهرمين؟! (١).

وقد بين الله ﷻ أن ذلك الاستفهام؛ لعجبها من ذلك الأمر الخارق للعادة، ويدلُّ له أيضًا: وقوع مثله من نبيِّ الله زكريَّا ﷺ عندما قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠].

د. دروسٌ للمخاطبين:

ومما يستفاد: أنَّ المرأة وبخاصَّة العقيم يهتزُّ كيانهَا كُلُّهُ لمثل هذه البشرى، وهو أمر عجيبٌ حقًّا. فالمرأة ينقطع طمُّهَا عادةً في سنٍّ معيَّنة فلا تحمل. ولكن لا شيء -بالقياس إلى قدرة الله ﷻ- عجيبٌ، ولا عجبٌ من أمر الله ﷻ. فالعادة حين تجري بأمرٍ لا يكون معنى هذا أنها سنَّة لا تتبدَّل. وعندما يشاء الله ﷻ؛ لحكمة يريدُهَا، وهي هنا: رحمته بأهلِ هذا البيت وبركاته الموعودة للمؤمنين فيه يقع ما يخالف العادة، مع وقوعه وفق السنَّة الإلهيَّة الَّتِي لا نعلم حدودَهَا، ولا نحكم عليها بما تجري به العادة في أمدٍ هو على كلِّ حال محدود، ونحن لا نستقرئُ جميع الحوادث في الوجود. ومشئئة الله ﷻ سبحانه طليقةٌ لا تتقيَّد هذه المشيئةُ بالنَّواميس. نعم إنَّ الله ﷻ يجري هذا الكون وفق النَّواميس الَّتِي قدرَهَا له.. ولكنَّ هذا شيءٌ والقول بتقييد إرادته بهذه النَّواميس بعد وجودها شيءٌ آخر! (٢).

(١) تفسير القاسمي (٤/٣٢٠).

(٢) بتصرفٍ عن (الظلال) (١٢/١٩١٢).

الموضع الثالث: ﴿يَتَوَلَّى لَيْتَى لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨].

أ. توضيح المعنى العام:

ويوم يعضُّ الظَّالم نفسه المشرك بربه على يديه ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله ﷻ، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدَّه عن سبيل ربه ﷻ، يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول ﷺ سبيلاً، يعني: طريقاً إلى النجاة من عذاب الله ﷻ^(١).

وفي الآية ما يفيد ندم الظَّالم الذي فارق طريق الرسول ﷺ، وما جاء به من عند الله ﷻ من الحق، وندمه يوم القيامة حيث لا ينفعه الندم. وفيه: التحذير والتبصير للمخاطبين...

ب. دلالة (الالتزام العرفي) أو (المعنى الكناثي):

وفي ذلك اليوم يعضُّ الظَّالم على يديه من فرط الحسرة، وعضُّ اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة؛ لأنها من روادفهما، فتذكر الرادفة، ويدلُّ بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه^(٢).

أقول: ويمكن أن نطلق على هذه الدلالة أنها من دلالات: (الالتزام

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/١٩)، تفسير البغوي (٣/٣٦٧)، الخازن (٥/٩٩).

(٢) تفسير أبي السعود (٦/٢١٣)، تفسير البيضاوي (٤/٢١٥)، تفسير التفسير (٣/٢٤١)، فتح

القدير (٤/١٠٤)، نظم الدرر (٥/٣١٣).

العرفي).

أمّا دلالة الالتزام^(١) فهي دلالة اللَّفْظ على أمرٍ خارجٍ عن معناه لازمٍ له، كدلالة السَّقْف على جدار أو عمود يحمله، ودلالة الإنسان على الضَّاحك الخارج عن معناه، ولكنه لازم له.

ومن الكلام العربي: قولهم: (طويلُ النَّجَادِ)، وقولهم: (كثيرُ الرَّمَادِ). فإنَّ قولهم: (طويلُ النَّجَادِ)^(٢)، ملزومٌ لزم منه طول صاحبه. تريد بهذا التركيب أنَّه شجاعٌ عظيم، فعدلت عن التَّصريح بهذه الصِّفة، إلى الإشارة إليها بشيءٍ ترتَّب عليه ولزمه؛ لأنَّه يلزم من طول (حمالةِ السَّيْفِ) طولُ صاحبه، ويلزم من طول الجسمِ الشَّجَاعَةُ عادةً، فالمراد طولُ قامته، وإنَّ لم يكن له نجادٌ، ومع ذلك يصحُّ أن يراد المعنى الحقيقي. ومن هنا يعلَم أنَّ الفرقَ بين قرينة المجاز وقرينة الكناية أنَّ قرينة المجاز مانعةٌ من إرادة المعنى الأصليِّ، وقرينة الكناية غير مانعةٍ من إرادة المعنى الأصليِّ. وقولهم: (كثير الرَّمَادِ)، يستدلُّون بذلك على الجود والكرم؛ لأنَّ كثرةَ الرَّمَادِ تدلُّ على كثرةِ الطَّبَخِ، وهذه تدلُّ على كثرةِ الآكلين، وكثرةُ الآكلين تدلُّ على الجود. وكلُّ هذه (لوازم عرْفِيَّة لا عقلِيَّة). لكن الدِّلالة على اللازم تسمَّى التزامًا إن التزم ذلك بالعقل،

(١) انظر: نهاية السُّؤل (١/١٧٤)، الإحكام، للآمدي (١/٣٦)، البحر المحيط في أصول الفقه (١/٤١٧)، التَّحبير (١/٣١٩)، حاشية العطار (١/٣١٣)، شرح التَّلويح على التَّوضيح (١/٢٤٥)، مختصر المعاني (ص: ١٧٥).

(٢) النَّجاد: حمالة السَّيْف، وهو هنا كناية عن طول قامته.

أي: في الذهن بأن لزم من تصوّر الملزوم في الذهن تصوّر ذلك اللازم فيه سواء لزم ذلك في الخارج كدلالة الأربعة على الزوجية، أم لم يلزمه في الخارج، بل كان منافياً له فيه كالبحر للعمى، وخرج بقيد اللازم له في الخارج فقط دون الذهن كالسواد للغراب، فلا يسمّى دلالة لفظ: (الغراب) على السواد دلالة التزام؛ لعدم لزوم السواد في العقل، وإن لزم في الخارج...

وهنا ينبغي التنبيه على أنّه ليس من شرط (دلالة الالتزام) أن تكون ذهنية عقلية فقط، بل قد تكون (دلالة الالتزام) دلالة (لزوم عرفي) أي: أنّ العقل لا يحكم إلّا بعد ملاحظة تكرار المشاهدة والتجربة التي دلّ العرف على المعنى المراد، والتكرار على لزومها.. وهذا كثير في القرآن والسنة، وكلّ باب الكناية قائم عليه. و(الملازمة العرفية) هنا إنما حكم العقل بها بالنظر إلى السياق والسباق والقرائن التي ترجّح الكناية على الحقيقة، فيحكم بالملازمة العرفية، وذلك واضح...

ج. ندم الكافر وحسرتة يوم القيامة:

وندم الكافر يوم القيامة وحسرتة الذي دلّت عليه هذه الآية، جاء موضّحاً في آياتٍ أخرى، كقوله ﷻ: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤] الآية. وقوله ﷻ: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سبأ: ٣٣] الآية. وقوله ﷻ: ﴿قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١] الآية. و(الحسرة): أشدّ الندامة. وقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

اتَّبِعُوا لَوْ أَنَا كَرَّةٌ فَتَنَبَّرًا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧]، حيث يتمنى الكافر أن يكون آمن بالرسول ﷺ في دار الدنيا، واتخذ معه سبيلاً، أي: طريقاً إلى الجنة في قوله هنا: ﴿يَلْتَمِئَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] جاء موضحاً في آيات أخر كقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَتُنَا اللَّهُ وَاطَّعْنَا الرَّسُولًا﴾ [الأحزاب: ٦٦]، إلى غير ذلك .

د. الأخوة والصداقة:

إذا كانت الأخوة والصداقة مرتبطة بالدين فهي عاطفة ومحبة منبثقة من العقيدة، وهي تفوق الأخوة في النسب؛ إذ إنَّ الأخوة في النسب تنقطع بمخالفة الدين، فلا يرث مثلاً كافرٌ من مسلم، ولا تنقطع الأخوة في الدين بمخالفة النسب.

وقد يكون تأثير عاطفة الصداقة أشدَّ من أيِّ عاطفةٍ أخرى؛ لأنَّ الصديق يتأثر بأخلاق صديقه، فإن كان صالحاً كريم الخلق صار بعد مخالطته له مثله في الصلاح والكرم، وإن كان سيئ الخلق لثيماً سار على نهجه وسيره، وأصبح فاسد الأخلاق.

فينبغي أن يصحب المسلم صديقاً ينهض بحاله إلى الكمال، ويدله على الله ﷻ مقالته، وليحذر صحبة أصدقاء السوء؛ لأنَّ الصَّاحِبَ سَاحِبَ، والمرء على دين خليله.

تأمل قول الله ﷻ: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَتَيْكَ

لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَمَّا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمُعِدُّونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأُطْلِعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّي لَكُنْتَ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٧﴾ [الصافات: ٥١ - ٥٧].

وقال الله ﷻ: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

٩ - ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨]:

وقد سبق ما يتعلق بمعنى هذه الصيغة، ومواقعها في (النداءات العامة).

١٠ - ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠]:

وقد سبق ما يتعلق بمعنى هذه الصيغة، ومواقعها في (النداءات العامة).

١١ - ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦]:

وقد سبق ما يتعلق بمعنى هذه الصيغة، ومواقعها في (النداءات العامة)، [الصافات: ٥١ - ٥٧].

١٢ - ﴿يَبْنِيْ﴾ [هود: ٤٢]:

أ. أمّا المواضع التي وردت فيها هذه الصيغة:

الموضع الأول: ﴿يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾

[هود: ٤٢].

الموضع الثاني: ﴿يَبْنِيْ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾

[يوسف: ٥].

الموضع الثالث: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣].
 الموضع الرابع: ﴿يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ [لقمان: ١٦].

الموضع الخامس: ﴿يَبْنِي أَفِرِ الصَّلَاةَ﴾ [لقمان: ١٧].
 الموضع السادس: ﴿قَالَ يَبْنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَارِ آتِيَ أَذْبَحَكَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ب. القراءات:

وفي هذه الصيغة اختلاف بين القراء، وهذا الخلاف قد ذكره بعض المفسرين، فقد اختلف في: ﴿يَبْنِي﴾ في الآيات السابقة، أعني: في الآية التي في (سورة هود)، والتي جاء ذكرها في موضع واحد، وفي (سورة يوسف) في موضع واحد، و(سورة لقمان) في ثلاثة مواضع، وفي (الصافات) في موضع. «فحفص - بفتح الياء - في (الستة)^(١)؛ ذلك لأن أصل ابن: (بنو) صغر على (بنو) فاجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، وأدغمت فيها، ثم لحقها (ياء الإضافة). فاستثقل اجتماعها مع الكسرة فقلبت ألفاً، ثم حذفت الألف اجتزاء عنها بالفتحة.

وقرأ أبو بكر^(٢) هنا كذلك بالفتح. وقرأ ابن كثير الأول من (لقمان): ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ بسكون الياء مخففة، واختلف عنه في

(١) أي: في المواضع (الستة) الآتية الذكر.

(٢) هو شعبة بن عياش الكوفي المقرئ.

الأخير منها.. ﴿يَبْنِيْ أَقْمِرَ الصُّكُوَّةَ﴾ فرواه عنه البزيُّ كحفص، ورواه عنه قبل بالتخفيف مع السكون كالأوّل، وافقه ابن محيصن على التخفيف فيهما. ولا خلاف عن ابن كثير في كسر الياء مشدّدة في الأوسط من (لقمان): ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾، وبه قرأ الباقر في (الستّة). وأدغم باء ﴿أَرْكَبَ﴾ في ميم ﴿مَعْنَا﴾ أبو عمرو والكسائي ويعقوب. واختلف عن ابن كثير وعاصم وقالون، وخلاّد.

والوجهان صحيحان عن كلّ منهم. والباقر بالإظهار^(١).

(١) إتحاف فضلاء البشر (١/٤٥٥)، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٣/٥٢٦). النّشر (٢/٣٢٥). وفي (زاد المسير): قوله ﷻ: ﴿يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعْنَا﴾ «قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يَبْنِيْ أَرْكَبَ﴾ مضافة، بكسر الياء. وروى أبو بكر عن عاصم (يا بني) -مفتوحة الياء- ها هنا، وباقي القرآن مكسورة. وروى حفص عنه بالفتح في كلّ القرآن: ﴿يَبْنِيْ﴾ إذا كان واحداً. قال الثّحويون: الأصل في ﴿يَبْنِيْ﴾ ثلاث ياءات، ياء التّصغير، وياء بعدها هي لام الفعل، وياء بعد لام الفعل هي ياء الإضافة. فمن قرأ: ﴿يَبْنِيْ﴾ أراد: يا بني، فحذف ياء الإضافة، وترك الكسرة تدلّ عليها، كما يقال: يا غلام أقبل. ومن فتح الياء، أبدل من كسرة لام الفعل فتحة؛ استثقالا لاجتماع الياءات مع الكسرة، فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثمّ حذفت الألف كما تحذف الياء، فبقيت الفتحة على حالها. وقيل: إن المعنى: يا بني آمن واركب معنا». زاد المسير (٤/١١٠)، وانظر تفسير القرطبي (٩/٣٩). المحرّر الوجيز (٣/١٧٤). وفي (الحجّة) (١/١٨٧): قوله ﷻ: ﴿يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعْنَا﴾ «يقرأ بكسر الياء وفتحها ويادغام الباء في الميم وإظهارها، فالْحِجَّةُ لمن كسر الياء أنّه أضاف إلى نفسه فاجتمع في الاسم ثلاث ياءات، ياء التّصغير، وياء الأصل، وياء الإضافة، فحذفت (ياء الإضافة) اجتزاء بالكسرة التي قبلها؛ لأنّ الثّداء تختصّ بالحذف لكثرة استعماله، والحجّة لمن فتح أنّه أراد: يا (بنياء) =

ويقول العلامة محمد الطاهر بن عاشور في قوله ﷻ: ﴿يَبْنِي لَا نَقْصُصُ رُءُيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: «النداء مع حضور المخاطب مستعمل في طلب إحضار الذهن، اهتماما بالغرض المخاطب فيه. و(بُنِّي) -بكسر الياء المشددة- تصغير (ابن) مع إضافته إلى (ياء المتكلم)، وأصله: (بُنْيُوِي) أو (بُنْيِيِي) على الخلاف في أن (لام ابن) الملتزم عدم ظهورها هي واو أم ياء. وعلى كلا التقديرين فإنها أدغمت فيها (ياء التصغير) بعد قلب الواو ياء؛ لتقارب الياء والواو، أو لتماثلهما فصار (بُنْيِي). وقد اجتمع ثلاث ياءات فلزم حذف واحدة منها، فحذفت ياء المتكلم لزوما، وألقيت الكسرة التي اجتلبت لأجلها على (ياء التصغير)؛ دلالة على الياء المحذوفة. وحذف (ياء المتكلم) من المنادى المضاف شائع، وبخاصة إذا كان في إيقائها ثقل كما هنا؛ لأنّ التقاء ياءات ثلاث فيه ثقل. وهذا التصغير كناية عن تحبيب وشفقة. نزل الكبير منزلة الصغير؛ لأنّ شأن الصغير أن يحب ويشفق عليه. وفي ذلك كناية عن إمحاض النصيح له»^(١).

= فأسقط الألف والهاء، وأبقى الياء على فتحها؛ ليدلّ بذلك على ما أسقط، والحجة لمن أدغم مقاربة مخرج الحرفين، وبناء الباء على السكون للأمر فحسن الإدغام لحسنه في قوله ﷻ: ﴿وَدَّتْ طُلُوفُ رِعْيَةٍ أَن يَأْتِيَهَا بِوَحَشٍ مُّشْوِيٍّ﴾ [آل عمران: ٦٩]. والحجة لمن أظهر أنه أتى بالكلام على الأصل؛ لأن الأصل الإظهار والإدغام فرع عليه.

(١) التحرير والتنوير (١٢ / ٢١٣). وفي (الحجة): قوله ﷻ: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ﴾، قوله ﷻ: ﴿يَبْنِي إِلَهًا﴾، ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ﴾ ((يقرآن بالتشديد وكسر الياء وفتحها، وبالتخفيف والإسكان، فالحجة لمن شدّد وكسر أنّه أراد: (يا بني) بثلاث ياءات الأولى: =

ج. ما يستفاد من النداءات بهذه الصيغة:

الحاصلُ أنَّ النداءات السابقة بهذه الصيغة فيها: النصيح والتَّحِبُّ

= (ياء التَّصْغِيرِ)، والثَّانِيَّةُ: أَصْلِيَّةٌ، وهي: (لام الفعل)، والثَّالِثَةُ: (ياء الإضافة إلى النَّفْسِ) فحذف الأخير؛ اجتزاء بالكسر منها؛ وتخفيفاً للاسم لما اجتمع فيه ثلاث ياءات. ولمن فتح الياء مع التَّشْدِيدِ وجهان: أحدهما: أنَّه أراد: (يا بنياء) فَرُخِمَ فسقطت الألف، والهاء للترخيم لأنهما زائدتان، فالألف زِيدَت لبعد الصَّوْتِ، والهاء للِسَكْتِ، فبقي الاسم على الفتح الَّذِي كان عليه قبل التَّرخِيمِ. والثَّانِي: أنَّه شَبَّهَ هذه الياء لما رآها مشدَّدةً، ومعها (ياء الإضافة) بياء الاثنين إذا أَضِيفَتْ إليها ففتحتها كما فتحوها قوله: ﴿إِحْدَى ابْنَيْ هَٰئِتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧]. فَإِنْ قِيلَ: فما الفرق بين قولك: (ابنتي)، وبين قولك: (يا بني)، وكلاهما مضاف إلى النَّفْسِ -بالياء- الشَّدِيدَةُ؛ فقل: الفرق بينهما لطيف فاعرفه، وذلك أنَّ الياء في قولك: (ابنتي) ساكنة طبعاً؛ لأنها بدل من الألف الَّتِي لا يمكن الحركة فيها بوجه، ثُمَّ يدخل (ياء الإضافة)؛ لأنَّ التَّوْنِ تذهب لمعاقبتها لها، والأصل في (ياء الإضافة) الحركة فكان الفتح أولى بها، ففتحت لذلك، وأدغمت فيها (ياء التَّثْنِيَّة)؛ لسكونها فهذا وجه الفتح في الياء المضاف إليها التَّثْنِيَّة. وأمَّا وجه كسر الياء في قولك: (يا بني) فَإِنَّ وزن (ابن) كوزن (حصن). فإذا قلت في التَّصْغِيرِ: (حصين)، كان كقولك: (بني) فاجتمع فيه ياء التَّصْغِيرِ وياء الأصل الَّتِي هي لام الفعل، وكان الإعراب عليها جارياً كما جرى على التَّوْنِ من (حصين)، ثُمَّ دخلت عليها (ياء الإضافة) فاجتذبت الياء الشَّدِيدَةُ؛ لقوَّتِها إلى الكسر؛ لأنَّ من شرطها أن تزيل الإعراب عما وليته وترده إلى الكسر، كقولك: (حصيني) فتسقط (ياء الإضافة) في (بني) لكثرة الياءات فتبقى كقولك: (حصين) بكسر التَّوْنِ وسقوط الياء، فأنت الآن تعلم ضرورة أنَّ الياء من (حصين) ساكنة، وهي (ياء التَّصْغِيرِ)، ومثلها في قولك: (بني)، والتَّوْنِ المكسورة في قولك: (حصين) مثلها ياء الأصل في (بني)، وهي مكسورة كالتَّوْنِ لتدلَّ بالكسر على (ياء الإضافة) السَّاقِطَةُ، فهذا تلخيص الفرق بين (ياء الإضافة) في التَّصْغِيرِ والتَّثْنِيَّةِ، والدَّلَالَةُ على فتح الياء في التَّثْنِيَّةِ وكسرها في التَّصْغِيرِ. وأمَّا الحُجَّةُ لِمَنْ خَفَّفَ الياء وأسكن فَإِنَّه صَغُرَ ولم يَضَفْ، فلما اجتمع في آخر الاسم ياءان حذف إحداهما وبقي الأولى، وهي (ياء التَّصْغِيرِ) على سكونها فأجحف بالاسم، ولو أتى به منادى على أصل المواجهة لقال: (يا بني)؛ لأنَّه نداء مفرد). الحُجَّةُ في القراءات السَّبْعِ (١/ ٢٨٤ - ٢٨٥). انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم =

والشفقة والعاطفة، فما يريد الوالد لولده إلا الخير، وفيها: امثال أمر الله ﷻ كما في نداء إبراهيم عليه السلام لابنه العليل. ففي النداء الأول -نداء نوح عليه السلام لابنه- يهتف بولده الشارد حتى لا ينخرط في سلك الكافرين المخالفين لأمر الله ﷻ، ولكنَّ البنوة العاقبة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، ولا تقدّر مدى الهول، وما يحدق بها من جرّاء مخالفة أمر الله ﷻ، فيأتي النصّح والشفقة من الأبوة المدركة لحقيقة الهول، كما أنّ في النداء ما يدلّ على أنّ الوشيعة التي يجتمع عليها النَّاس في هذا الدّين تميّز عن وشيعة الدّم والنّسب والقوم والعشيرة واللّون واللّغة والجنس والعنصر والحرفة والطّبة، فإنّ هذه الوشائج قد توجد، أو يوجد بعضها ثمّ تنقطع، فعلم أنّ البنوة أو الأخوة في الدّين أقوى من البنوة والأخوة في النّسب؛ لأنها قد تنقطع بمخالفة الدّين، وأمّا البنوة أو الأخوة في الدّين فلا تنقطع بمخالفة النّسب.

ولكن ماذا كانت النتيجة بعد هذا النداء وهذا النصّح؟ قال الله ﷻ: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]. حال الموج بين الولد العاق، والوالد الرّحيم، فكان الولد من المغرقين.

وفي الموضع الثّاني من هذه الصّيغة من النداء نداء يعقوب عليه السلام

= (٥٢٦/٣)، المقتضب (٢٤٩/٤)، البحر المحیط (٢٢٦/٥)، البيان في غريب إعراب القرآن الكريم (١٤/٢-١٥)، الفريد (٦٢٨/٢-٦٢٩).

لابنه يوسف عليه السلام، وتشترك رؤيا يوسف عليه السلام، مع رؤيا إبراهيم عليه السلام -التي ستأتي- في كون رؤيا الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- حق.
وفي نداء يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام ما يدل على أن يعقوب عليه السلام علم أن الله ﷻ سيصطفى يوسف عليه السلام للنبوّة، وينعم عليه بشرف الدارين، فخاف عليه حسد الإخوة؛ ولهذا نصحه بأن لا يقصّ رؤياه على إخوته حتى لا يكون للشيطان مدخل إلى نفوسهم فيدبروا ليوسف عليه السلام أمراً يسوؤه..، وإنّ الشيطان للإنسان عدوّ مبين، يوغر صدور الناس بعضهم على بعض، ويزين لهم الشر، ولكلّ نعمة حاسد، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد.

وفي نداء لقمان عليه السلام لابنه: الموعظة والعاطفة والنصح والتوجيه والإرشاد، ينهى ابنه عن الشرك، ويعلّل ذلك بأنّه ظلم عظيم، ويؤكد هذه الحقيقة مرّتين، مرّة بتقديم النّهي، وفصل علته، ومرّة ب (إنّ) و(اللام)، وهذه النصيحة هي الحقيقة الخالدة التي دعا إليها جميع الرّسل -عليهم الصلاة والسلام-، والتي يجب أن تتحقّق في كلّ مخاطب، ويعمل كلّ داعية على غرسها في نفوس السّامعين..

وفي قوله: ﴿يَبْنِيْ اِيْنَهَا اِنْ تَكَ مُتَقَالًا حَبْرٌ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِيْ السَّمَكُوْتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَأْتِيْ بِهَا اللّٰهُ﴾ مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الأعمال، وأنّه لا يفوت الله ﷻ عمل، وذلك يصوّر عظمة الله ﷻ ودقّته وعدله، وقضائه بالقسط.. قال الله ﷻ:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء: ٤٧]، وقال الله ﷻ: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِنُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩) [الكهف: ٤٩]، والله ﷻ عالم البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار.. قال الله ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥٩) [الأنعام: ٥٩]. وفي ذلك: الحثُّ على مراقبة الله ﷻ، والعمل بطاعته، والترهيب من عمل القبيح قلَّ أو كثر.

وأمر لقمان عليه السلام ابنه بأداء الصَّلاة تامَّة بأركانها وشروطها وواجباتها؛ لأنها عماد الدِّين، وأكبر العبادات البدنيَّة؛ ولذلك وصَّاه بأعظم الطَّاعات..

ونداء إبراهيم عليه السلام لابنه عليه السلام نداء شفقة وترحم.. وتنفيذ لأمر الله ﷻ، وفي ذلك دلالة على أنَّ الوحي يأتي من الله ﷻ إلى الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- في اليقظة والمنام، وكان الرِّسول ﷺ يقول: «تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»^(١)، فما كان منهما إلَّا الثَّبات والصَّبر فلا

(١) الحديث مرويٌّ عن عبد الله بن مسلمة عن مالك عن سعيد المقبري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنَّه سأل عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على (إحدى عشرة) ركعة، يصلي (أربع) ركعات فلا تسأل عن =

يتردّد في التّضحية بفلذة كبده، ويمضي في طاعة الله ﷻ، وما كان من الابن إلّا الطّاعة والتّسليم والرّضا بقضاء الله ﷻ وقدره...، فماذا كان بعد ذلك من أمر؟ يقول الله ﷻ: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَنبِ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧].

١٣ - ﴿يَتَأْتِ﴾ [يوسف: ٤]:

أ. وقد ورد في (ثمانية) مواضع على التّحو التّالي:

[يوسف: ٤ - ١٠٠].

[مريم: ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥].

[القصص: ٢٦].

[الصّافات: ١٠٢].

ب. القراءات:

«قرأ ابنُ عامر: ﴿يَتَأْتِ إِنْ رَأَيْتُ﴾ [يوسف: ٤] - بفتح التّاء - في جميع القرآن، وقرأ الباقون - بكسر التّاء - على الإضافة إلى نفسه الأصل (يا أبي) فحذفت الياء؛ لأنّ (ياء الإضافة) تحذف في النّداء كما يحذف التّنوين، وتبقى الكسرة تدلّ على الياء، كما تقول: (ربّ اغفر لي). وفي التّنزيل: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي﴾ [يوسف: ١٠١]، و﴿يَقَوْمُ﴾ [البقرة: ٥٤]، والأصل: (يا قومي) فحذفت الياء، وإنما تحذف في

= حسنهنّ وطولهنّ، ثمّ يصليّ (أربعاً) فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ، ثمّ يصليّ (ثلاثاً)، فقلت يا رسول الله: تنام قبل أن توتر؟ قال: «تنام عيني ولا ينأى قلبي». صحيح البخاري، [٣٣٠٤].

النداء؛ لأنَّ باب النداء باب التَّغيير والحذف. وأمَّا إدخال تاء التَّأنيث في (الأب) فقال قوم: إنما دخلت للمبالغة كما تقول: علامة ونسابة، فاجتمع (ياء المتكلِّم) والتَّاء التي للمبالغة فحذفوا الياء؛ لأنَّ الكسرة تدلُّ عليها.

وقال الزَّجاج^(١): إنَّ التَّاء كثرت ولزمت في (الأب) عوضاً عن (ياء الإضافة)؛ فهذا كسرت التَّاء؛ لأنَّ الكسرة أخت الياء، ومن فتح فله وجهان:

أحدهما: أن يكون أراد (يا أبتا) فأبدل من (ياء الإضافة) ألفاً، ثمَّ حذف الألف كما تحذف الياء وتبقى الفتحة دالَّةً على الألف كما أنَّ الكسرة تدلُّ على الياء. والوجه الآخر: أنَّه إنما فتح التَّاء؛ لأنَّ هذه التَّاء بدلٌ من (ياء المتكلِّم)، وأصل (ياء المتكلِّم) الفتح فتقول: (يا غلامي)، وإنما قلنا ذلك؛ لأنَّ الياء هو اسم، والاسم إذا كان على حرف واحد فأصله الحركة، فتكون الحركة تقويَّةً للاسم، فلمَّا كان أصل هذه الياء الفتحة كان الواجب أن تفتح؛ لأنَّها بدل من الحرف الَّذي هو أصله ليدلَّ على المبدل. وقف ابن كثير وابن عامر ﴿يأباه﴾ على الهاء، وحجَّتهما أنَّ التَّغييرات تكون في حال الوقف دون الإدراج فتقول: (رأيت زيداً)، فتقف عليه بالألف، ووقف الباقر بالتَّاء، وحجَّتهم أن هذه التَّاء بدل من الياء فكما أن الياء على صورة واحدة في الوصل والوقف فكذلك البدل يجب أن يكون مثل المبدل منه على

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٣/٨٨ - ٨٩).

صورة واحدة»^(١).

ج. إجمال الإعراب:

و﴿يَتَأْتِ﴾ منادى مضاف منصوب بالفتحة المقدرة على ما قبل (ياء المتكلم) المبدلة تاء، ونقلت كسرة المناسبة إلى التاء، والتاء مضاف إليه^(٢).

والحاصل أَنَّ ﴿يَتَأْتِ﴾ ممّا لم يستعملوه إلّا في النداء إدخال تاء التّأنيث على (الأب) و(الأم)، وهي عوض من (ياء المتكلم)؛ ولذلك لا يجوز الجمع بين التّاء والياء.

جاء: (يا أبتا، يا أمتا) لتغيير لفظ الياء ألفاً، والكسرة التي على التّاء هي الكسرة التي كانت على الباء في (أبي) فزحلت^(٣)، أي: إلى

(١) حجة القراءات، لأبي زرعة (ص: ٣٥٣ - ٣٥٤).

(٢) «قوله ﴿يَتَأْتِ﴾ - بكسر التّاء - على إرادة النّفس، والأصل (يا أبي) فحذف (ياء النّفس) اجتزاءً بالكسرة عنها، وجيء بهذه التّاء عوضاً عنها مكسورة». الفريد (٣/ ٢٥). وفي (الفريد) كلامٌ مطوّل في بيان هذه الكسرة فمن ذلك - وهو ما يوافق رأي الزّخشي في (الكشاف) (٢/ ٣٠١) - قال: «إنّ هذه الكسرة هي التي كانت قبل الياء في قولك (يا أبي) قد زحلت إلى التّاء؛ إذ لا يكون ما قبل تاء التّأنيث إلّا مفتوحاً. وقيل: بل كسرت التّاء لتدلّ على الياء المحذوفة. وإنما تكون هذه التّاء في النداء خاصّة إذا أضيفت إلى نفسك، ولا يجمع بينهما لثلاثا يجمع بين العوض والمعوض منه...». انظر الفريد (٣/ ٢٥ - ٢٨)، الكشاف (٢/ ٣٠١).

(٣) انظر ذلك مفصّلاً في (الدّر المصون) (٤/ ١٥١ - ١٥٢)، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٣/ ٥٢٤ - ٥٢٥)، معاني القرآن وإعرابه، للزّجاج (٣/ ٨٨ - ٩٠)، وانظر: تفسير البغوي (٢/ ٤٠٩)، وانظر: الكتاب لسيبويه، (٢/ ٢٠٩ - ٢١٢)، أمالي الشّجري (٢/ ١٠٤ - ١٠٥).

النَّاء؛ إذ لا يكون ما قبل تاء التَّانِيثِ إِلَّا مفتوحًا. وقيل: بل كسرت النَّاء لتدلَّ على الياء المحذوفة..
وقد سبق في بيان (وجوه الخطاب القرآني) أنَّ مثل هذا الخطاب للتحبيب..

١٤ - ﴿يَتَأَبَّأْنَا﴾ [يوسف: ١١]:

أ. وقد ورد في (سِتَّة) مواضع كلها في (سورة يوسف)، وهي في الآيات التالية:

[١١ - ١٧ - ٦٣ - ٦٥ - ٨١ - ٩٧].

ب. ما يستفاد من النداء بهذه الصيغة:

ويقال في هذه الصيغة من النداء ما قيل في النداء من حيث معناه العام، وما قيل في سابقتها من أنه نداء (تحبب واستعطاف).. قال أبو السعود: «خاطبوه بذلك؛ تحريكًا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرًا لرابطة الأخوة بينهم وبين يوسف عليه السلام»^(١).

«وابتداء الكلام مع أبيهم بقولهم: ﴿يَتَأَبَّأْنَا﴾ يقضي أنَّ تلك عادتهم في خطاب الابن أباه»^(٢).

والحاصل أنَّهم خاطبوه بهذا اللفظ المذكور بما بينه وبينهم من أصرة وقرابة.

ثمَّ يختلف الطَّلَب، ويعلم بالنظر فيما ولي المنادى.

(١) تفسير أبي السعود (٤/ ٢٥٧)، روح المعاني (١٢/ ١٩٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٢٧).

١٥ - ﴿يَصْدِحِي السِّجْنِ﴾ :

أ. في موضعين: [يوسف: ٣٩]، [يوسف: ٤١].

قوله: ﴿يَصْدِحِي السِّجْنِ﴾ في موضعين، الأول منهما ذكره يوسف عليه السلام حين عدل عن جوابهما إلى دعائهما إلى الإيمان، والثاني حين دعياه إلى تعبير الرؤيا لهما..^(١).

﴿يَصْدِحِي السِّجْنِ﴾ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ حَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ،
﴿يَصْدِحِي السِّجْنِ﴾ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ
فَتَأْكُلُ أَطْيَرٌ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ .

ب. سبب المناداة هنا بعنوان الصُّحبة:

قوله عليه السلام: ﴿يَصْدِحِي السِّجْنِ﴾ ، «أي: (يا صاحبي فيه) إلا أنه أضيف إلى الظرف توسعاً كما في قولهم: (يا سارق الليلة أهل الدار)^(٢)، ولعله إنما ناداهما بعنوان الصُّحبة في مدار الأشجان، ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة وتتمحض النصيحة؛ ليقبلا عليه؛ ويقبلا مقالته. ويجوز أن يراد بالصُّحبة الشكنى كما يقال: (أصحاب

(١) انظر: أسرار التكرار في القرآن الكريم، للكرمانى (ص: ١١٢) .

(٢) والمعنى: (يا سارقي في الليلة)، فأضاف (سارقاً) إلى (الليلة)، ونصب (أهل الدار)، وكان بعض التحوين ينصب (الليلة) ويخفض (أهل) فيقول: (يا سارق الليلة أهل الدار) كما في (معاني القرآن الكريم)، للقرءاء (٢/ ٨٠). وفي (الدر المصون) (٣/ ١٨٧)، و(تفسير ابن عادل) (٨/ ٤٤٦): «ولا يجوز (يا سارق الليلة أهل الدار) إلا في شعر كراهة أن يفصلوا بين الجار والمجرور». وانظر: ابن عادل (٦/ ٢٣١)، (١١/ ٤١٤)، (١٥/ ٣٣٩)، تفسير القرطبي (١٣/ ٣٣٨)، البحر المديد (٣/ ٢٧٩)، المحرر الوجيز (١/ ٧٠) ... إلخ.

النَّار) و(أصحاب الجنة)، لملازمتهم لهما، والإضافة من باب إضافة الشيء إلى شبه المفعول عند أبي حيَّان^(١)، وإلى المفعول عند غيره^(٢) ولا اتَّساع في ذلك. وقيل: بل هناك اتَّساع أيضًا، وأَنَّهُ أضافهما إلى السَّجن دونه؛ لكونهما كافرين، وفيه نظر^(٣)، ولعلَّ في ندائهما بذلك على هذا الوجه حثًّا لهما على الإقرار بالحقِّ كأنَّه قال لهما: يا ساكني هذا المكان الشَّاق والمحلُّ الضَّنك: إني ذاكركم أمرًا فقولوا الحقَّ فيه، ولا تريغوا عن ذلك، فأنتم تحت شدَّة، ولا ينبغي لمن كان كذلك أن يزيغ عن الحقِّ، وإنما حمل الصَّاحب على ما سمعت؛ لأنَّ صاحب السَّجن في الاستعمال المشهور السَّجان أو الملك، والنداء بـ (يا) بناءً على الشائع من أنها للبعيد؛ للإشارة إلى غفلتهما وهيمانهما في أودية الضَّلال.

وقد تلطف ~~الخطيب~~ بهما في ردِّهما إلى الحقِّ، وإرشادهما إلى الهدى حيث أبرز لهما ما يدلُّ على بطلان ما هما عليه بصورة الاستفهام؛ حتَّى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بإبطال ما ألفاه دهرًا طويلًا، ومضت عليه أسلافهما جيلاً فجيلاً، فقال: ﴿أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ متعدّدون

(١) انظر: البحر المحيط (٥/ ٤٢٧)، روح المعاني (١٢/ ٢٤٣).

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك قريباً.. أقول: والمفعول ما يتعدَّى إليه الفعل بذاته، وشبه المفعول ما يتعدَّى إليه الفعل بحرف الجرِّ. وعلى ذلك يكون التقدير: سَكَنَ في السَّجن، والتقدير الثاني: سَكَنَ السَّجن، فهو مسكون، ويرجع ذلك إلى (سكن) الذي يتعدَّى ولا يتعدَّى. (٣) أقول: ووجه الاعتراض أَنَّهُ ناداهما بعنوان الصُّحبة في السَّجن، وهو قدرٌ مشتركٌ بينه وبينهم، وإضافة الصُّحبة إلى السَّجن ليس فيها ما يميز بين من كان مؤمناً أو من كان كافراً. .

متكثرون يستعبدكم منهم هذا وهذا، والكلام على ما صرّح به أبو حيان^(١) على حذف مضاف، أي: أعبادة أرباب متفرّقين ﴿خَيْرٌ﴾ لكما ﴿أمر الله﴾؟! أي: أم عبادة الله ﷻ ﴿الْوَحْدُ﴾ المنفرد بالألوهية ﴿الْفَهْرُ﴾ الغالب الذي لا يغالبه أحد ﷻ»^(٢).

وفي كلام الرّمخسري في (الكشاف) زيادة في التحقيق والإيضاح حيث يقول: في قوله: ﴿يَصْدِحِي السَّجْنَ﴾ «يريد: (يا صاحبي في السّجن) فأضافهما إلى السّجن، كما تقول: (يا سارق اللّيلة) فكما أنّ اللّيلة مسروق فيها غير مسروقة، فكذلك السّجن مصحوب فيه غير مصحوب، وإنما المصحوب غيره، وهو يوسف عليه السلام. ونحوه قولك لصاحبيك: (يا صاحبي الصّدق) فتضيفهما إلى الصّدق ولا تريد أنهما صحبا الصّدق، ولكن كما تقول: (رجلا صدق) [بالثنية] وسميتهما صاحبين؛ لأنهما صحباك»^(٣).

أقول: ولعلّ هذا هو الأقرب، والأخفّ مؤونة، وهو من المعاني المستعملة بكثرة.

ج. وسبب التّعيين أنهما استفتياه في بين السّاكنين. ثمّ أنكر عليهم عبادة الأصنام..^(٤)

(١) البحر المحيط (٥/٤٢٧).

(٢) روح المعاني (١٢/٢٤٣).

(٣) الكشاف (٢/٣٢١).

(٤) انظر: تفسير التيسابوري (غرائب القرآن) (٤/٨٩).

د. حقيقة الصَّاحِب:

و(الصَّاحِب) «حقيقته الَّذي يلزم غيره في حالة من سفرٍ أو نحوه»^(١)، وسمَّيت الزَّوْجَةُ صاحبة، ويطلق مجازًا على الَّذي له مع غيره حادث عظيم وخبر، تنزيلاً لملازمة الذكر منزلة ملازمة الذات..»^(٢).

هـ. ومن الدُّروس المستفادة:

لقد هزَّ يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة قوائم الشُّرك، وأتى على قواعده بأسلوبٍ فيه ما فيه من الحكمة وإقامة الحُجَّة.. وقد استفاد من صفة الصُّحبة المؤنسة واتَّخذها طريقًا ومدخلًا إلى صلب الدَّعوة.. فكَذلك ينبغي على كلِّ داعية ماهرٍ أن يتحَيَّن الفرص؛ ليضع بذور دعوته.. وأن يدعو إلى الله تعالى بحكمة، وأن يقدِّم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة.

كما هو حال يوسف عليه السلام حيث لم يدعهما مباشرة، وإنَّما عرض دعوته في أسلوبٍ حوارِيٍّ موضوعِيٍّ يخاطبُ فيهما: العقلَ والعاطفة، ويهدم الاعتقادَ الفاسد، حيث قال: ﴿يَصْدِحِّي السِّجْنَ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٣)، وهو في ظاهره سؤال مستفهم، ولكنه في حقيقته هجومٌ على الفطرة الزَّائغة.. يحقُّ الحقَّ ويبطلُ الباطل، فإنَّ الفطرة التي يولد عليها الإنسان لا تعرف إلَّا إلهًا واحدًا.. وقد نفى

(١) ولذلك قيل: سُمِّي السَّفر سفرًا؛ لأنَّه يسفر عن أخلاق الرُّجال، أي: يكشف. انظر: الزَّاهر (٢/٢٠٦)، تفسير الرَّاзи (٧/٩٩)، ابن عادل (٢/٥٠٦).

(٢) التَّحرير والتَّنوير (٩/١٩٤).

يوسف عليه السلام في كلماته القليلة تعدّد الألهة، وأثبت وحدانيّة الله ﷻ؛ لأنّ كثرة الألهة توجب الخلل والفساد...

وما شقيت البشريّة قطّ شقاءها بتعدّد الأرباب وتفرّقهم، وتوزّع العباد بين أهوائهم وتنازعهم.. فهذه الأرباب الأرضيّة التي يعطيها سلطاناً تحت تأثير الوهم والخرافة والأسطورة، أو تحت تأثير القهر أو الخداع أو الدّعاية!!! هذه الأرباب الأرضيّة لا تملك لحظة أن تتخلص من أهوائها، ومن حرصها على ذواتها وبقائها، ومن الرّغبة الملحّة في استبقاء سلطانها وتقويتها، وفي تدمير كلّ القوى والطّاقات التي تهدّد ذلك السّلطان من قريب أو من بعيد، وفي تسخير تلك القوى والطّاقات في تمجيدها وخدمتها!!

والله ﷻ الواحدُ القهارُ غنيٌّ عن العالمين، فهو ﷻ لا يريد منهم إلّا التّقوى والصّلاح والعمل والعمارة وفق منهجه فيعدّ لهم هذا عبادة. ومن الدّروس المستفادة من قوله: ﴿يَصْنَعِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾.. أنّه لم «يعيّن من هو صاحب البشريّة، ومن هو صاحب المصير السيّئ تلطّفاً وتحرجاً من المواجهة بالشرّ والشرّوء. ولكنّه أكدّ لهما الأمر وثقاً من العلم الذي وهبه الله ﷻ»^(١).

ومن الملاحظ أنّه قد دعاهما قبل تعبير الرّؤيا إلى الإيمان برّبّه ﷻ...

(١) انظر: الظلال (١٢/١٩٩٢)، وانظر: (١٢/١٩٨٩-١٩٩١).

وقال لهما قبل ذلك: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْزِقَانِيهِ﴾ أي: في الرؤيا ﴿إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾، يعني: التأويل ﴿... ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨]. فبدأ يذكر ربه ﷻ فإن هذا ممّا علّمه ربه ﷻ له؛ لأنّه ترك ملة قوم مشركين لا يؤمنون بالله ﷻ، وإن كانوا مقرّين بالصّانع، ولا يؤمنون بالآخرة، واتّبع ملة آبائه أئمة المؤمنين، الذين جعلهم الله ﷻ أئمة يدعون بأمره -إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصّلاة والسّلام- فذكر ربه ﷻ ثمّ دعاهما إلى الإيمان بربه ﷻ.

«وقيل: إنما قدّم هذا ليعلما ما خصّه الله ﷻ من النّبوة، وليقبلا إلى طاعة الله ﷻ، وقد كان يوسف -عليه السّلام- فيما بينهم قبل ذلك زماناً، فلم يحك الله ﷻ عنه أنّه ذكر لهم شيئاً من الدّعاء إلى الله ﷻ. وكانوا قومًا يعبدون الأوثان؛ وذلك لأنّه لم يطمع منهم في الاستماع والقبول، فلمّا رأهم مقبلين إليه، عارفين بإحسانه^(١) أمل منهم القبول والاستماع، فقال: ﴿يَصْنَعِي السِّجْنَ أَزْوَاجٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ الآية. وهو من قوله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

(١) أقول: إنّ ظاهر القرآن الكريم يدلّ على أنّه لبث فيهم مدّة عرفوا فيها إحسانه، كما قال الله ﷻ حكاية عنهما في خطابهما ليوسف ﷺ: ﴿إِنَّا نُرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، [يوسف: ٣٦] ورأى منهما تجاوبًا وقبولًا فعرض عليهما دعوته..

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴿[النحل: ١٢٥]، وترقّب وقت الاستماع والقبول من الدُّعاء إلى سبيل الله ﷻ بالحكمة، وإنما حكى الله ﷻ ذلك لنا لنقتدي به فيه»^(١).

١٦ - ﴿يَتَأَسَّفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]:

أ. في موضع واحد من يعقوب عليه السلام.

ب. بيان المعنى:

أما المعنى فعن الضّحّاك: ﴿يَتَأَسَّفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ قال: يا حزناه^(٢).

وعن مجاهد: ﴿يَتَأَسَّفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ قال: (يا جزعا) ..، وعن قتادة

قال: (يا حزناه)^(٣).

وقال الزّجاج: «الأصل (يا أسفي)، فأبدل من الياء ألف؛ لخفة

الفتحة»^(٤).

و(الأسف): أشدّ الحزن على ما فات^(٥). أضافه إلى نفسه،

(١) انظر: أحكام القرآن الكريم، للجصاص (٣٨٨/٤).

(٢) انظر: تفسير الضّحّاك (٤٧٦/١)، كتاب الهمّ والحزن، لابن أبي الدنيا (٦٨/١)، تفسير الطّبري (٣٩/١٣).

(٣) تفسير الطّبري (٣٩/١٣)، تفسير مجاهد (٣١٩/١)، الدر المنثور (٥٦٧/٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٢١٨٥/٧)، فتح القدير (٧١/٣)، معاني القرآن، للنحاس (٤٥٢/٣)، القرطبي (٢٨٤/٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزّجاج (١٢٥/٣).

(٥) انظر: روح المعاني (٣٩/١٣)، تفسير الرّازي (٥٠٢/١٨)، القرطبي (٢٨٤/٩)، التّبيان في تفسير غريب القرآن، للجواني (ص: ٢٨٤)، غريب القرآن المسمّى بنزهة القلوب (ص: ٥١١).

و(الألف) بدل من (ياء المتكلم) للتخفيف، والمعنى: (يا أسفى تعال فهذا أوانك). وقيل: الألف ألف النُدبة، والهاء محذوفة، والمعول عليه الأوّل.

ولا يرد أنّ هذا مناف لمنصب النبوة؛ إذ يقتضي ذلك معرفة الله ﷻ، ومن عرفه سبحانه أحبه، ومن أحبه لم يتفرغ قلبه لحبّ ما سواه لما قيل: إنّ هذه ^(١) محبة طبعية، ولا تأبى الاجتماع مع حبه ﷻ ^(٢). «إنّ مثل هذه المحبة الشديدة تزيل عن القلب الخواطر، ويكون صاحبها كثير الرجوع إليه ﷻ، كثير الدُّعاء والتّضرع، فيصير ذلك سبباً لكمال الاستغراق..» ^(٣).

ج. وفي (البحر): «ونادى الأسف على سبيل المجاز على معنى: (هذا زمانك فاحضر). والظاهر أنّه يضاف إلى (ياء المتكلم) قلبت ألفاً، كما قالوا: في (يا غلامي): (يا غلاماً). وقيل: هو على النُدبة، وحذف الهاء التي للسّكت» ^(٤). وحذف الهاء التي هي في النُدبة علامة المبالغة في الحزن؛ تجلّداً منه -عليه السّلام-؛ إذ كان قد ارتبط إلى الصّبر الجميل.

(١) أي: محبة يعقوب عليه السّلام ليوסף عليه السّلام.

(٢) بقليل من التّصرّف عن (روح المعاني) (٣٩/١٣)، تفسير أبي السّعود (٣٠١/٤)، وانظر:

تفسير الرّازي (٥٠٨/١٨)، ابن عادل (١٩٦/١١).

(٣) روح المعاني (٣٩/١٣)، تفسير الرّازي (٢٠٠/١٨).

(٤) البحر المحيط (٣٣٣/٥).

وقيل: قوله ﷻ: ﴿يَتَأَسَفْنَ﴾ نداء فيه استغاثة^(١).

د. تجنيس التصريف:

قال الزمخشري: «والتجانس^(٢) بين لفظتي (الأسف) و(يوسف) مما يقع مطبوعاً غير مستعمل فيملح ويبدع، ونحوه: ﴿أَنَّا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ﴿مِنْ سَيِّئٍ يَبْلَغُ﴾ [النمل: ٢٢]»^(٣).

وأيضاً كقوله ﷻ: ﴿لِيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِهْدَى الْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢]، ومثل قوله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [٧٥] غافر: ٧٥.

وفي (البحر): «يسمى هذا تجنيس التصريف^(٤)، وهو أن تنفرد كلُّ

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٢).

(٢) الجناس، ويسمى أيضاً (التجنيس) في اللغة: المشاكلة والاتحاد في الجنس، يقال لغة: جائسه، إذا شاكله، وإذا اشترك معه في جنسه، وجنس الشيء أصله الذي اشتق منه، وتفرع عنه، واتخذ معه في صفاته العظمى التي تقوم ذاته. وفي الاصطلاح: أن يشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى. وهو نوعان: تام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها. كما في قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]. وغير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٣٥٤)، مختصر المعاني (ص: ٢٨٨).

(٣) الكشف (٢/ ٣٣٨)، البحر المحيط (٥/ ٣٣٣)، ابن عادل (١١/ ١٨٩)، تفسير النسفي (٢/ ٣٣٥).

(٤) تجنيس التصريف كما في قوله ﷻ: ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، وهو أن =

كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف. وذكر يعقوب عليه السلام ما دهاه من أمر بنيامين، والقائل: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ [يوسف: ٨٠] فقدانه يوسف عليه السلام، فتأسف عليه وحده، ولم يتأسف عليهما؛ لأنه هو الذي لا يعلم أحق هو أم ميت؟ بخلاف إخوته؛ ولأنه كان أصل الرزايا عنده؛ إذ ترتبت عليه، وكان أحب أولاده إليه، وكان دائماً يذكره ولا ينساه^(١). وقوله عليك: ﴿يَتَأَسَفَى﴾ الألف مبدلة من (ياء المتكلم)، والأصل: (أسفي) ففتحت الفاء، وصيرت الياء ألفاً ليكون الصوت بها أتم، و﴿على﴾ متعلقة بـ: ﴿أسفي﴾^(٢).

و﴿يَتَأَسَفَى﴾ منادى مضاف منصوب بالفتحة المقدرة على ما قبل (ياء المتكلم) المنقلبة ألفاً، والجار متعلق بحال من ﴿أسفي﴾^(٣).

= تنفرد كل كلمة عن الأخرى بحرف ف﴿يَنْهَوْنَ﴾ انفردت بالها، و﴿يَنَازُونَ﴾ انفردت بالهمزة. ومنه: ﴿يَسْبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسُونَ﴾ [الكهف: ١٠]، ﴿مِنْ سَيْلٍ يَبْرِ﴾ [النمل: ٢٢] ﴿تَقْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تَرْحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]. البحر المحيط (٤/١٠٤)، (٥/٣٣٣)، (٧/٦٤)، ابن عادل (٨/٨٤)، (١١/١٨٩)، الدر المصون (٣/٣٥)، روح المعاني (١٩/١٨٧)، وانظر: خزانة الأدب (١/٧٣). وفي (التعريفات): تجنيس التصريف: هو اختلاف الكلمتين في إبدال حرف، إما من مخرجه، كقوله عليك: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾. أو قريب منه كما بين: (المقيح)، و(المبيح). التعريفات، للجرجاني (ص: ٧٥). وفي (التعاريف): تجنيس التصريف: اختلاف الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه نحو: ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية، أو قريب منه كما بين: (المصيخ) و(المسيخ). التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص: ١٦٢).

(١) البحر المحيط (٥/٣٣٣).

(٢) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (٢/٥٨)، وانظر: الفريد (٣/٩٢ - ٩٣).

(٣) وفي (الفريد): «أضاف (الأسف)، وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه منادياً له، مقبلاً =

هـ. إجمال ما يستفاد:

١ - إِنَّ الصَّبْرَ الجميل عاقبته حميدة، والفرق بينه وبين الصَّبْر العادي أَنَّ الصَّبْرَ الجميل الَّذِي لَا يَبُوحُ فِيهِ صَاحِبُهُ بِالشَّكْوَى، بل يَفُوضُ أمره لِلَّهِ ﷻ.

٢ - حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ﷻ، وهذا من مقتضيات التَّوْحِيدِ، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله ﷻ، يستفاد ذلك من قول يعقوب عليه السلام لأولاده: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال أيضًا: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣].

٣ - إِنَّ الْبَكَاءَ لَا يَنَافِي الصَّبْرَ، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ يَتَأَسَّفَى عَلَى يُوسُفَ وَأُبَيِّضَت عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾، فمن كثرة البكاء والدَّمْعِ انقلب سوادُ عينيه بياضًا. وهناك فرقٌ بين البكاء وبين النِّياحة. فلا يجوز النَّدْبَ وَلَا النِّياحةَ وَلَا شقَّ الثَّيابِ، وَلَا لطمَ الخدودِ، وكذلك لَا يجوز الدُّعاءَ بالويل والثبور ونحوه.

و(النِّياحة): الْبَكَاءُ عَلَى الْمَيِّتِ بصياحٍ وعويلٍ، فهي رَفْعُ الصَّوْتِ بِالْبَكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ قَصْدًا، كنوح الحمام.

= عليه: هَلُمَّ فهذا أوانك، فاستثقلت الكسرة على الفاء ففتحت، وأبدلت من الياء الألف، و﴿عَلَى﴾ من صلة ﴿أَسْفَى﴾. الفريد (٣/ ٩٢-٩٣).

و(الذنب): تعداد محاسن الميِّت.

والنِّياحة من أمر الجاهلية.. وإنما كانت كذلك؛ لأنها لا تزيدُ النَّائح إلاَّ شدةً وحزنًا وعذابًا. وفيها: السُّخْطُ والاعتراض على قضاء الله ﷻ وقدره. كما أنها تهيجُ أحزان غيره، والنِّياحة يشمل حكمها الرَّجُل والمرأة، وفي الغالب وقوعها من النساء؛ ولهذا قال النَّبي ﷺ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِزْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»^(١)، أي: إن تابت قبل الموت، تاب الله ﷻ عليها. وظاهر الحديث أنَّ هذا الذَّنْب لا تُكْفَرُهُ إِلَّا التَّوْبَةُ، وأنَّ الحسنات لا تمحوه؛ لأنَّه من كبائر الذُّنوب، والكبائر لا تمحى بالحسنات، فلا يمحوها إِلَّا التَّوْبَةُ.

ومع هذه المفاسد فإنَّ القضاء لا يردُّ، ولا يرفع ما نزل. أمَّا البكاء فمن الممكن أن يكون رحمةً وشفقةً وغلبةً نفس.. والفرق بينها وبين البكاء كبيرٌ ومبسوطٌ... في كتب (الفقه والفتاوى)^(٢).

وفي ظلال ما ذكر يقال: إنَّ ما يجري في مجالس الوعظ من أمورٍ يعتقدها العوامُّ والجُهَّالُ قُرْبَةً، وهي منكرٌ وبعد. فمن ذلك أنَّ المقرئ

(١) أخرجه مسلم عن أبي مالك الأشعري ﷺ [١٥٥٠].

(٢) انظر: الشَّرح الكبير، لابن قدامة (٢/٤٣٠)، عمدة الأحكام (٢/١٧٤)، المبدع (٢/٢٨٩)، منار السَّبِيل (١/١٧٣)، الرُّوض المربع (١/٣٥٨)، الكافي (١/٢٧٣)، كُشَّاف القناع (٢/١٦٣)، فتاوى ابن تيمية (٢٤/٣٨٢)، (٢٥/٣٠٧ - ٣٠٨)، (٢٨/١٦١) الخ.

يطرب، ويخرج الألحان إلى الغناء، والواعظ ينشد أشعار الرثاء فيصفق هذا، ويقفز هذا، ويتمايل هذا، ويخرق ثوبه هذا، ويعتقدون أن ذلك قربة، ولو أنهم أمروا بالصبر، وحثوا عليه لكان خيراً لهم. ومن الوعاظ من يتكلم على طريق المعرفة والمحبة، فترى من لا يعرف فرائض الصلاة يمزق أثوابه بدعوى محبة الله ﷻ، أضف إلى ذلك أنه لا يفقه ما يقال من الأشعار والقصائد، وما فيه من المخالفات...، حتى إن كان ممّا يحوي في طياته: الشرك الصريح..

١٧ - ﴿يَذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ :

أ. في موضعين: [الكهف: ٨٦]، [الكهف: ٩٤].
 ب. وفي (البحر): «وظاهر قوله: ﴿قُلْنَا﴾^(١) أنه أوحى الله ﷻ إليه على لسان ملك. وقيل: كلمه كفاحاً من غير رسول كما كلم موسى ﷺ، وعلى هذين القولين يكون نبياً. ويبعد ما قاله بعض المتأولين: إنه إلهام وإلقاء في روعه؛ لأن مثل هذا التخيير لا يكون إلا بوحي إذ التكاليف وإزهاق النفوس لا تتحقق بالإلهام إلا بالإعلام»^(٢).
 أقول: لا يمنع أن يكون قد أعلمه بذلك نبي في زمانه، كما أن إرسال الملك أو الوحي إليه أو إلى غيره لا يقتضي ذلك نبوته، فليس

(١) تمام الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَعْرِبَ الشَّامِ وَجَدَهَا تَرْبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

(٢) (البحر المحيط ١٥٢/٦)، وانظر: روح المعاني (٣٤/١٦)، زاد المسير (١٨٦/٥)، وذكر الرازي الخلاف مفصلاً في (تفسيره): (١٦٣/٢١-١٦٥).

من محظور في كونه نبيًا. وقد سبق بيان ذلك في المبحث المتعلق بالوحي، وكذلك في (نداء من اختلف في نبوته). أمّا كونه نبيًا أو ليس بنبي فذلك أمرٌ مسكوتٌ عنه؛ فلذلك أوردت الاحتمالات السابقة مع الإحالة إلى مبحث الوحي في (التمهيد)، حيث جاء بيان ضعف القول بالإلهام لما سبق.. وأكثر من ذلك بُعدًا قول من قال: قد يكون باجتهاده في شريعته الاجتهاد المصيب - كما سيأتي قريبًا-.

ج. ما يستفاد مما ولي المنادى:

قوله ﷻ: ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾، أي: بالقتل على الكفر ﴿وَأِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، أي: بالحمل على الإيمان والهدى، إمّا أن تكفر فتُعَذِّبَ، وإمّا أن تؤمن فتحسن، فعبر في التخيير بالمسبب عن السبب^(١).

قوله ﷻ: ﴿قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، «معنى هذا: أن الله ﷻ مكّنه منهم، وحكّمه فيهم، وأظفره بهم وخيّرّه: إن شاء قتل وسبى، وإن شاء منّ أو فدى»^(٢).

د. قال الرّازي -رحمه الله-: «فإن قيل: كيف فهم ذو القرنين منهم هذا الكلام بعد أن وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣]؛ والجواب أن نقول: (كاد) فيه قولان:

الأوّل: أن إثباته نفي، ونفيه إثبات، فقوله: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لا يدلّ على أنّهم لا يفهمون شيئًا، بل يدلّ على أنّهم قد يفهمون على

(١) انظر: البحر المحيط (٦/١٥٢)، المحرّر الوجيز (٣/٥٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/١٠٣).

مشقة وصعوبة.

والقول الثاني: أَنَّ (كاد) معناه المقاربة، وعلى هذا القول فقوله: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، أي: لا يعلمون، وليس لهم قرب من أن يفقهوا. وعلى هذا القول فلا بد من إضمار، وهو أن يقال: لا يكادون يفهمونه إلا بعد تقريب ومشقة من إشارة ونحوها، وهذه الآية تصلح أن يحتج بها على صحة القول الأول في تفسير (كاد)»^(١).

وقيل: كلّم عنهم مترجم، ويدلّ عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، (قال الذين من دونهم يا ذا القرنين إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ)^(٢).

التعقيب على ما ذكره البقاعي:

أقول: ويستبعد ما ذكره البقاعي في (نظم الدرر) من أن الأمر قد يكون باجتهاده في شريعته الاجتهاد المصيب^(٣)، وذلك لقول الله تعالى: ﴿قُلْنَا﴾ وهو صريح، ولا حاجة تقتضي العدول عنه؛ ولأنّ مثل هذا التّخيير لا يكون إلا بوحى؛ إذ التكاليف وإزهاق النفوس لا تتحقّق بالاجتهاد من غير نصّ صريح.

(١) تفسير الرّازي (١٧٠/٢١). وقد فضّل الرّازي القول في بيان معنى: (يأجوج ومأجوج). انظر: تفسير الرّازي (١٧٠/٢١).

(٢) تفسير البغوي (١٨٠/٣)، تفسير ابن عادل (٥٦٢/١٢). وانظر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه في (الكشف والبيان) (١٩٣/٦)، روح المعاني (٣٨/١٦)، البيضاوي (٢٥٥/٣)، نظم الدرر (٥٠٤/٤). أقول: ولم يذكر أكثر المفسّرين هذا القول؛ لاستبعاده..

(٣) انظر: نظم الدرر (٥٠٢/٤).

والحاصل أنهم «أرادوا أن يجمعوا له من بينهم ما لا يعطونه إياه، حتى يجعل بينهم وبينهم سداً. فقال ذو القرنين بعفة وديانةً وصلاحٍ وقصدٍ للخير: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥]»^(١)، أي: إنَّ الَّذِي أعطاني الله ﷻ من الملك والتَّمكين خيرٌ لي من الَّذي تجمعونه، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿أَتَمِيدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُم بَلْ أَتَى بِهَدْيِكُمْ نَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦]، وهكذا.. قال ذو القرنين: الَّذِي أنا فيه خير من الَّذي تبذلونه، ولكن ساعدوني ﴿بِقُوَّةٍ﴾، أي: بعملكم وآلات البناء ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾»^(٢).

هـ. إجمال ما يستفاد:

- ١ - النداء فيه إعلامٌ بقربه من الله ﷻ، وأنه لا يفعل إلا ما أمره به.
 - ٢ - ما أمر به صريحٌ ليس بالهامٍ ولا باجتهاد منه.
 - ٣ - لقد قصَّ الله ﷻ علينا قصص بعض خلقه، وهم يهجرون ويغادرون أوطانهم في سبيل الله ﷻ، فمن ذلك قصَّة الفتية - (أصحاب الكهف) و (الرَّقِيم) - غادروا قومهم ووطنهم الَّذي كانت تُعبد فيه الأوثان من دون الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿أَمَّ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن ءَايَتِنَا عَجَبًا﴾ [٩] إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [١٠] [الكهف: ٩-١٠].
- كما أنَّ الله ﷻ قصَّ علينا قصَّة ذي القرنين الَّذي غادر وطنه

(١) وتام الآية: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [٩٥].

(٢) تفسير ابن كثير (١٠٥/٣).

الأصلي؛ لإقامة دين الله ﷻ، ونشر العدل في الآفاق غربًا وشرقًا، يقول الله ﷻ عن رحلته: ﴿فَأَنبَغَ سَبَبًا ۝٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْيَتَيْنِ بِمَا آتَيْنَا أَنْ نَعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ نَخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٦﴾ [الكهف: ٨٥-٨٦]، إلى أن قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنبَغَ سَبَبًا ۝٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١﴾ ثُمَّ أَنبَغَ سَبَبًا ۝٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣﴾ [٨٩-٩٣]..

وكثر تناول القرآن العظيم لقضية خروج النبي ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم- من (مكة)، بل وإخراجهم منها كما هو تعبير الكتاب المبين في كثير من المواطن، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠]. وقال الله ﷻ: ﴿إِلَّا نُنصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. ويقول الله ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝١٣﴾ [محمد: ١٣]. وقال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ [الممتحنة: ١]. إلى غير ذلك من الآيات المستفيضة في هذا الموضوع.

ولقد تحدّث القرآن المبين عمّا يقوم به أعداء الدين والملة من تهديد

أولياء الله ﷻ بالإخراج عن أوطانهم ونفيهم منها، يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤]، ومن هؤلاء قوم شعيب -عليه الصلاة والسلام- الذين هددوه بذلك، يقول الله ﷻ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: ٨٨]، وقريب من هذا ما أراده قوم نبي الله لوط عليه السلام به: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْفَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشعراء: ١٦٧-١٦٩]، وجميع هذا البلاء للنبي محمد ﷺ من طرفه حيث هدد بهذا في (مكة) على يد وألسنة قريش، وفي (المدينة) على ألسنة المنافقين.

وكذلك أصحابه -رضوان الله عليهم- كانت فتنتهم في (مكة) فتنة الإيذاء والتعذيب، وما يلقونه من المشركين من ألوان الهزء والسخرية، فلما هاجروا إلى (المدينة) أصبحت فتنتهم في ترك دورهم وأمتعتهم وأموالهم.. ولقد كانوا أوفياء ومخلصين لدينهم أمام الفتنة الأولى، وأمام الفتنة الثانية.

وإن من أعلى حقائق الإنسانية: الحرية، وقد أثر الكثير من الدعاة ترك أوطانهم حيث ضيق عليهم، ومنعوا من قول الحق، ولم يرتضوا لأنفسهم أن يخونوا دينهم وأن يكونوا أبواقاً لسلطانٍ ظالم جائر،

ينافقون ويدهنون من أجل عرض زائل، فآثروا الهجرة وترك الأهل والوطن والمال؛ فإن الحرية أغلى، وإن الصّدع بالحق أولى، يتخير الدعاة الأرض الطيبة ليضعوا بذور دعوتهم، تلك الغراس التي تثمر قيمًا وأخلاقًا ودينًا وصلاحًا وبصيرة وفهمًا..

٣ - ويستفاد من قصّة ذي القرنين: إعداد العدة لإعلاء دين الله ﷻ، ومواجهة المفسدين، حيث إنَّ بناء السّد من وسائل الصّناعة التي ذكرها القرآن الكريم في معرض التّمكن والنّجاة والامتناع من عبث المفسدين، وكيف حال ذلك السّد بين المفسدين العابثين وبين الأقوام التي كانت دون السّدين -وهي سلسلة الجبال- بيناء ذلك الرّدم العظيم، وهو سدّ بناه ذو القرنين لم يكن كغيره من سدود بني الإنسان التي تبنى باللّبن والحجارة ونحوه، وإنما كان سدًّا مبنيا بأرقى طرائق البناء، وأقوى معادن الصّناعة، وأتقن وسائل التّصميم، وإليك بيان هذا مجملًا: لقد أتى ذو القرنين على أولئك الأقوام المتخلّفين الذين لا يكادون يفقهون قولاً، ولا يعلمون شيئاً من أحوال التّحضر، فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج، وطلبوا منه إقامة سدّ ويعطونه أجراً على ذلك، وطلبهم لإقامة سدّ كان وجيهاً؛ لأنّه كان بينهم وبين يأجوج ومأجوج حواجز من شواهِق الجبال الصّمّ والتي تمتدّ بينهما على شكل سلسلتين من الجبال، بينهما فجوة هي منفذ يأجوج ومأجوج في هجماتهم على القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، وعند ذلك استعدّ

ذو القرنين ببناء السدّ، وسَمَّاهُ رَدْمًا، أي: أعظم مما طلبوه، وعمد إلى تلك الفجوة التي بين الصّدفين - وهما الجبلان العظيمان المتقابلان - فملاً الفجوة بِزُبُر الحديد، أي: قَطَعَهُ المَقْدَرَةُ مثل اللَّبَنِ حَتَّى سَاوَى بين رؤوس الجبلين وبين ما في الفجوة من الحديد فجعلهم سواء، ثم أمر فنفخت الحديد بالنّار حَتَّى جعلت من قِطْع الحديد نارًا، فأصبحت حمراء متوهّجة، فَضُبَّ عليها وهي في تلك الحال النّحاس المذاب، وهو القِطْر، فاستحكم البناء أيّما استحكام، وقوي كلّ قوّة، وأصبح غاية في الصّلابة والملاسة قال ﷻ: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧].

ولا أدلّ على قوّة صناعة سدّ ذي القرنين، وعلى ارتقاء علم الصّناعة والعمران لديه من بقاء ذلك السدّ وعدم تغيّره رغم تعاقب العصور والدّهور، والسدّ لا زال قائمًا وحَتَّى يومنا هذا، وحَتَّى يأذن الله ﷻ بقرب يوم القيامة، وخروج يأجوج ومأجوج، قال: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]. وقد كان السدّ الذي هو من منتجات الصّناعة الفائقة رحمةً من الله ﷻ للنّاس؛ ليتمكّنوا من العيش آمنين في عزلةٍ من عبث المفسدين من يأجوج ومأجوج.

١٨ - ﴿يَتَأَخَتَّ هَرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]:

أ. في موضع واحد: [مريم: ٢٨].

ب. العرض والتحليل:

﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾: استئناف لتجديد التعبير وتأکید التوبيخ^(١). وليس المراد بهارون أخا موسى بن عمران -عليهما السلام-: فعن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، قال: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ^(٢) سَأَلُونِي فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾ وموسى قَبْلَ عيسى بكذا وكذا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»^(٣). «فَقَالُوا»، أي: أهل نَجْرَانَ: «أَلَسْتُمْ تَقْرَأُونَ؟»، أي: في القرآن في (سورة مريم): ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾، وَبَعْدَهُ: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾.

أي: يا شبيهة هارون في العبادة أنت من بيت طيب طاهر، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة، فكيف صدر هذا منك؟!^(٤). وقيل: ﴿أَخْت هَارُونَ﴾، أي: أخي موسى عليه السلام، وكانت من نسله، كما يقال للتَّيْمِيَّةِ: (يا أَخَا تَيْمِيمٍ)، وَالْمُضَرِّيَّةِ: (يا أَخَا مُضَرٍّ). وقيل: نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه: (هارون)، فكانت

(١) انظر: تفسير أبي السُّعُود (٥/٢٦٣).

(٢) قوله ﷺ: «إِلَى نَجْرَانَ» قال في (النهاية) (٥/٢٠): «هو موضع معروف بين (الحجاز) و(السَّام) و(اليمن)». وقال في (القاموس) (١/٦١٧): «(نَجْرَانُ): موضع (باليمن)، فُتِحَ سَنَةَ (عَشْرٍ)، سُمِّيَ بِنَجْرَانَ بْنِ زَيْدَانَ بْنِ سَيِّأٍ، وموضع (بالبَحْرَيْنِ)، وموضع بِحُورَانَ قَرِبَ (دمشق)، وموضع بين (الكوفة) و(واسط)».

(٣) أخرجه مسلم [٣٩٨٢].

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/١١٩-١٢٠)، تفسير الطَّبْرِي (١٦/٧٧)، تفسير الصَّنْعَانِي (٣/٨)، البغوي (٣/١٩٣)، الخازن (٤/٢٤٤)، السمعاني (٣/٢٨٨)، معاني القرآن، للثَّعَالِي (٤/٣٢٧).

تقاس به في العبادة، والزهادة^(١).

وقوله ﷺ: «وَقَدْ كَانَ بَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ»، أي: من طول الزمان ما لا يمكن أن تكون مريم -عليها السلام- أختاً لهارون أخي موسى -عليهما الصلاة والسلام-، وقوله ﷺ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»، يعني أن هارون المذكور في قوله ﷺ: «يَتَأَخَّتْ هَرُونَ» ليس هو هارون النبي أخا موسى -عليهما الصلاة والسلام-، بل المراد بهارون هذا: رجل آخر مسمّى بهارون؛ لأنهم كانوا يسمّون أولادهم بأسماء الأنبياء والصالحين قبلهم^(٢).

قال ابن جرير: «وقال آخرون: بل كان ذلك رجلاً منهم فاسقاً معلناً الفسق فنسبوا إليه. ثم قال: والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله ﷺ: (يعني: حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ هَذَا) وأنها نسبت إلى رجل من قومها»^(٣).

وما رجّحه الطبري رحمه الله، ومال إليه في (التحفة)^(٤) هو الصواب؛ لأنه يستند إلى الدليل الصحيح.

ج. إجمال ما يستفاد:

١- يلاحظ أن المنكرين «عليها فيما اتهموها به، أرادوا بنفي الشؤ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١١٩-١٢٠)، تفسير الطبري (١٦/ ٧٧)، تفسير الصنعاني (٣/ ٨)، البغوي (٣/ ١٩٣)، ابن عادل (١٣/ ٥٣)، تفسير السمعاني (٣/ ٢٨٨) ... إلخ.

(٢) انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٨/ ٤٧٧).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٧٧)، تحفة الأحوذى (٨/ ٤٧٨).

(٤) انظر: تحفة الأحوذى (٨/ ٤٧٨).

والبغاء عن أبويها المبالغة في توبيخها؛ تنبيهًا على أن من كان أبواه صالحين ليس من شأنه: التَّجُرُّدُ عن طورهما، والتَّردِّي بغير ردائهما، وما كان ينبغي له إلا أن يسلك سنن أعمالهما الصَّالحة، كما أنك تجد أكثر النَّاشِئين في جحور السَّفلة، أو من أطلقت حبالهم على غواربهم زمن الحداثة في أفطع حالٍ من فساد الأذواق، وعدم الخضوع لسلطة الأحكام الدِّينية، والانخداع بالظواهر المزخرفة عن الغوص على الحقائق التي لا يلقاها إلا ذو حظٍّ عظيم من الحكمة.

تعجبُ العامَّةُ لرجلٍ يبرع في فنونٍ كثيرة، ويحسنُ التَّصرف في مباحثها المشكَّلة، فيفرغها في قالب التَّحقيق، حتَّى إذا فاوضته في أيِّ علم منها خُيِّل لك أنَّه الواضع لأصوله، ولا تلبث زمنا تجسُّ نبض أخلاقه إلا وجدت فيها عوجًا وأمتا، أمَّا الفيلسوف النَّاقِد فلا يرى ذلك شيئًا عجابًا للنُّكته التي لوَّحنا إليها، وهي سوء التَّربية الأولى. والدَّليل على ما نقوله أنَّ الصَّبي يولدُ على الفطرة الخالصة والطَّبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه السَّاذجة بخلقٍ من الأخلاق، انتقشت صورته في لوحها، ثمَّ لم تزل تلك الصُّورة تمتدُّ شيئًا فشيئًا إلى أن تأخذ بجميع أطراف النَّفس، وتصيرُ كيفةً راسخةً فيها، حائلةً لها عن الانفعال بضدِّها، يؤيِّد هذا أننا إذا رأينا من الغرباء من هو لطيف الخطاب، جميل اللِّقاء، مهذب الأَلَمعية، لا نرتاب في دعوى أنَّه ممن أنبته الله ﷻ في البيوت الفاضلة نباتًا حسنًا^(١).

(١) السَّعادة العظمى (ص: ٦٠).

وقولهم: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا﴾ تقرير لكون ما جاءت به فریاً، أو تنبيه على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش. وفيه دليل على أن الفروع غالباً تكون زاكية إذا زكت الأصول، وينكر عليها إذا جاءت بضد ذلك^(١).

٢ - اتفق العلماء على أنه إذا صرح بالزنا كان قذفاً ورمياً موجباً للحد، فإن عرّض ولم يصرّح، فقال مالك: هو قذف. وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا يكون قذفاً حتى يقول: أردت به القذف^(٢). قال أحمد في رواية: لا أرى الحد إلا على من صرح بالقذف والشّيمة..^(٣)، واختلفت الرواية عن أحمد في التعريض بالقذف^(٤).

وقد نصر القرطبي ما ذهب إليه الإمام مالك حيث قال: «والدليل لما قاله مالك هو أن موضوع الحد في القذف إنما هو لإزالة المعرفة التي أوقعها القاذف بالمقدوف، فإذا حصلت المعرفة بالتعريض وجب أن يكون قذفاً كالتصريح. والمعول على الفهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم مخبراً عن

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٢٦٣)، روح المعاني (١٦/ ٨٨)، البحر المديد (٤/ ٢١٦)، تفسير البيضاوي (٤/ ١٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٣). انظر أقوال العلماء في (أحكام القرآن الكريم)، للجصاص (٥/ ١١١)، (٢/ ١٢٩)، الفروع، لابن مفلح (٦/ ١٤١)، (٦/ ١٦٢)، شرح فتح القدير، للكمال بن الهمام (٥/ ١٣٧)، حاشية الدسوقي (٤/ ٣٢٧)، شرح الزرقاني (٣/ ٢٤٣)، التمهيد (٦/ ١٨٨-١٨٩)، المدونة الكبرى (١٦/ ٢٢٤).

(٣) المغني (٩/ ٨٠)، الشرح الكبير، لابن قدامة (١٠/ ٢٢٧)، شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، للبهوتي (٣/ ٣٥٨).

(٤) المغني (٩/ ٨١)، وانظر: المصادر السابقة.

شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، أي: السفيه الضال، فعرضوا له بالسب بكلام ظاهره المدح في أحد التأويلات. وقال عليك في أبي جهل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]. وقال حكاية عن مريم -عليها السلام-: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾، فمدحوا أباهما، ونفوا عن أمها البغاء، أي: الزنا، وعرضوا لمريم -عليها السلام- بذلك، ولذلك قال عليك: ﴿وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]، وكفرهم معروف، والبهتان العظيم هو التعريض لها، أي: ما كان أبوك امرأة سوء وما كانت أمك بغيا، أي: أنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد. وقال عليك: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، فهذا اللفظ قد فهم منه أن المراد به أن الكفار على غير هدى، وأن الله عليك ورسوله عليهم السلام على الهدى، ففهم من هذا التعريض ما يفهم من صريحه^(١).

وعلى أية حال فإن هذه المسألة مبسطة في مظانها من كتب الفقه، وشرح آيات وأحاديث الأحكام، وفيها تفصيل..

١٩ - ﴿يَبْتَوُمْ﴾ [طه: ٩٤]:

أ. في موضع واحد مصرحاً بذكر أداة النداء (يا) في [طه: ٩٤]، ومقدراً في [الأعراف: ١٥٠]. من هارون عليه السلام لموسى عليه السلام.

(١) تفسير القرطبي (١٢/١٧٣). وانظر شروط القذف (التسعة) في الموضع نفسه من (تفسير القرطبي).

والترتيب المصحفي يقتضي تقديم (سورة الأعراف) على (سورة طه)، ولكنني قدّمت ما جاء مصرّحاً بذكر أداة النداء فيه على ما جاء مقدّراً. ب. سبب العدول عن الإضافة إلى الأب مع أنّهما لأبٍ وأمّ واحدة: ولم يقل: (يا ابن أبي)، وهما لأبٍ واحد، وأمّ واحدة؛ استعطافاً له على نفسه برحم الأم^(١).

وفي (تفسير ابن كثير): «ترفّق له بذكر الأمّ مع أنّه شقيقه لأبويه؛ لأنّ ذكر الأمّ هاهنا أرقّ وأبلغ»^(٢)، أي: في الحنو والعطف^(٣). «والإنسان عند ذكر الوالدة أرقّ منه عند ذكر الوالد»^(٤).

ج. توجيه القراءات:

وقوله ﷻ: ﴿يَبْنَؤُمْ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم: ﴿ابْنَ أُمٍّ﴾ نصباً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسر الميم، وكذلك في [طه: ٩٤]^(٥).

قال الزّجاج: «من فتح الميم؛ فلكثر استعمال هذا الاسم، ومن كسر، أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسماً واحداً، ومن العرب من

(١) انظر: تفسير الطّبري (٦٨/٩)، معاني القرآن، للقرّاء (٣٩٤/١)، تفسير الثّعالبي (٥٥/٢)، (٣٧/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٤٩/٢).

(٣) انظر أيضاً: تفسير ابن كثير (١٦٤/٣).

(٤) زاد المسير (٢٦٥/٣)، وانظر: تفسير أبي السّعود (٣٨/٦).

(٥) انظر: زاد المسير (٢٦٤/٣)، الثّشر في القراءات العشر (٣٠٧/٢)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: ٣٨٨)، تفسير الطّبري (٦٧/٩)، الكشف والبيان (٢٨٦/٤).

يقول : (يا ابن أمي) بإثبات الياء^(١).

وقال الإمام الرّازي : «قرأ ابنُ عامر وحمزة والكسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصم : ﴿أَبْنُ أُمٍّ﴾ - بكسر الميم- . وفي (طه) مثله على تقدير : (أمي) ، فحذفت (ياء الإضافة) ؛ لأنَّ مبنى النداء على الحذف ، وبقي الكسر على الميم ؛ ليدلَّ على الإضافة ، كقوله : ﴿يَلْعَبَادُ﴾ [الزمر: ١٠] ، والباقون بفتح الميم في السُّورتين ، وفيه قولان : أحدهما : أنهما جعلاً اسماً واحداً وبني لكثرة اصطحاب هذين الحرفين فصار بمنزلة اسم واحد ، نحو : (حضر موت) و(خمسة عشر) . وثانيهما : أنه على حذف الألف المبدلة من (ياء الإضافة) ، وأصله : (يا ابن أُمّا)^(٢).

وفي (التَّحْرِيرِ والتَّنْوِيرِ) : «قوله في الجواب : ﴿يَبْنُوْهُمْ﴾ نداء لقصد التَّرْقِيقِ والاستشفاع . وهو مؤذن بأنَّ موسى عليه السلام حين وبَّخه أخذ بِشَعْرِ لَحْيَةِ هَارُونَ ، ويشعر بأنَّه يجذبه إليه ليلطمه ، وقد صرَّح به في (الأعراف) بقوله عَلَيْكَ : ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾

وقرأ الجمهور : ﴿يَبْنُوْهُمْ﴾ - بفتح الميم- . وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائيُّ ، وأبو بكر عن عاصم ، وخلف بكسر الميم . وأصله : (يا ابن أمي) ، فحذفت (ياء المتكلم) تخفيفاً ، وهو حذف مخصوص بالنداء . والقراءتان وجهان في حذف (ياء المتكلم) المضاف إليها لفظ : (أم)

(١) معاني القرآن وإعرابه ، للزَّجاج (٣/٣٧٣) ، زاد المسير (٣/٢٦٤) .

(٢) تفسير الرّازي (١١/١٥-١٢) . وانظر : (١٠٩/٢٢) ، وانظر : معاني القرآن ، للأخفش (ص: ٤٤٨) .

ولفظ: (عَمَ) في النداء. وعطف الرأس على اللحية؛ لأنَّ أخذه من لحيته أشدُّ ألمًا وأنكى في الإذلال. و(ابنُ الأم): الأخ. وعدل عن (يا أخي) إلى (ابن أم)؛ لأنَّ ذكر الأمِّ تذكير بأقوى أوامر الأخوة، وهي أسرة الولادة من بطنٍ واحد، والرضاع من لبنٍ واحد^(١).

د. إجمال ما يستفاد:

١ - إنَّ الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- لا يغضبون انتصارًا لأنفسهم، وإنما يغضبون لله ﷻ أن تنتهك حرمةً من حرَمِ الله ﷻ.

٢ - حرصُ الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- على الدَّعوة إلى الله ﷻ، وعلى أممهم.

٣ - ويستفاد من موقف هارون عليه السلام أنه كان حكيماً في جوابه، فقد حاول أن يهدئ من غضب موسى عليه السلام باستجاشة عاطفة الرَّحم في نفسه. ثم بين له موقفه فقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْفُقْ بِقَوْلِي﴾ [طه: ٩٤] أي: خشيت إن خرجت عنهم وتركتهم أن يتفرقوا فتقول لي: إنك فرقت جماعتهم؛ لأن هارون لو خرج لتبعه جماعة ممن لم يعبد العجل، وتخلف مع السامري عند العجل آخرون، وربما أفضى ذلك إلى القتال بينهم. فتقول: لم تعمل بوصيتي لك فيهم وتحفظها، ومراده بوصية موسى عليه السلام له

(١) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ١٦ / ٢٩٢ .

قوله هو: ﴿أَخْلَقْنِي فِي قَوْنِي وَأَصْلَحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢] قال أبو عبيدة: معناه: ولم تنتظر عهدي وقدمي؛ لأنك أمرتني أن أكون معهم. وقال ابن جريج: لم تنتظر قولي ما أنا صانع. فاعتذر هارون إلى موسى ها هنا بهذا، واعتذر إليه في (الأعراف) بما حكاه الله عنه حيث قال: ﴿إِنَّ أَلْقَوْمَ اسْتَزَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠].

٤ - إِنَّ الخطاب بهذه الصيغة هو من (خطاب التَّحِبِّ والتَّحْنُنِ والاستعطاف)، وقد سبق بيانه مفصلاً.

٢٠ - ﴿يَوَيْلَنَا﴾ : في ستة مواضع:

أ. [الأنبياء: ١٤]، [الأنبياء: ٤٦]، [الأنبياء: ٩٧]، [يس: ٥٢]، [الصافات: ٢٠]، [القلم: ٣١].

ب. معنى (الويل):

«(الويل): لفظ دالٌّ على الشرِّ أو الهلاك^(١)، ولم يسمع له فعل من لفظه؛ فلذلك قيل: هو اسم مصدر، وقيل: هو مصدر امتنع العرب من استعمال فعله؛ لأنه لو صُرِّف لوجب اعتلال فائه وعينه، وذلك بأن يجتمع فيه إعلالان، أي: فيكون ثقیلاً. و(الويلة): البليّة. وهي مؤنَّث (الويل)، قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ يَوَيْلَنَا﴾ [الكهف: ٤٩]»^(٢).

(١) انظر: لسان العرب، مادة: (ويل) (٧٣٧/١١)، تهذيب اللغة، مادة: (ويل) (٣٢٦/١٥)،

وانظر: روح المعاني (٦٨/٣٠).

(٢) بتصرفٍ عن (التحرير والتنوير) (٥٧٦/١).

ويستعمل (الويل) بدون حرف نداء كما في الآية^(١)، ويستعمل بحرف النداء كقوله ﷻ: ﴿قَالُوا يَتَوَلَّأَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤]، كما يقال: (يا حسرتا).

ج. موقعه من الإعراب:

«فأما موقعه من الإعراب فإنه إذا لم يصف أغرب إعراب الأسماء المبتدأ بها، وأُخبر عنه بلام الجر، كما في هذه الآية، وقوله ﷻ: ﴿وَيَلِّ لِلْمُطَفِّينَ﴾ [المطففين: ١].

قال الجوهري: وينصب فيقال: ويلاً لزيد^(٢) وجعل سبويه ذلك قبيحاً^(٣)، وأوجب إذا ابتدئ به أن يكون مرفوعاً، وأما إذا أضيف فإنه يضاف إلى الضمير غالباً كقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ﴾ [القصص: ٨٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَيَلَّكَ ءَامِنَ﴾ [الأحقاف: ١٧]، فيكون منصوباً، وقد يضاف إلى

(١) يعني قول الله ﷻ: ﴿وَيَلِّ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً قَوْلٌ لَهُمْ وَمَا كُنْتَ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

(٢) انظر: الصّاح، للجوهري، مادة: (ويل) (١٨٤٦/٥).

(٣) ونص عبارة سيبويه في (الكتاب): ((وأما قوله -تعالى جده-: "﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥]، و﴿وَيَلِّ لِلْمُطَفِّينَ﴾، فإنه لا ينبغي أن تقول: إنه دعاء ههنا؛ لأنّ الكلام بذلك قبيح، واللفظ به قبيح، ولكنّ العباد إنّما كلّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، فكأنّه -والله أعلم- قيل لهم: ﴿وَيَلِّ لِلْمُطَفِّينَ﴾، و﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، أي: هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم؛ لأنّ هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة، فقيل: هؤلاء ممن دخل في الشر والهلكة، ووجب لهم هذا. الكتاب، لسيبويه (٣٣١/١).

الاسم الظاهر فيعرب إعراب غير المضاف، كقول النبي ﷺ لأبي بصير^(١) **«وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ»**^(٢).

(١) هو أبو بصير الصحابي رضي الله عنه، واسمه عتبة بن أسيد -بفتح الهمزة وكسر السين- بن جارية -بالجيم- بن أسد بن عبد الله ابن أبي سلمة بن عبد الله بن غيرة -بكسر الغين المعجمة وفتح المثناة تحت- بن عوف بن ثقيف الثقفي، حليف بني زهرة، وهو مشهور بكنيته. توفي في حياة رسول الله ﷺ، وكانت وفاته بسيف البحر -بكسر السين- وهي ساحله في الموضع الذي أقام فيه، وجاءه المستضعفون من المؤمنين من (مكة)، فأقاموا هناك حتى بلغوا (ستين) أو (سبعين)، وكان أبو بصير رضي الله عنه كبيرهم، وهو أول من أقام هناك، وقصته مشهورة في (صحيح البخاري) [كما سيأتي] وغيره. وتوفي بعد (صلح الحديبية). وقيل: (فتح مكة)، وكان الصلح في ذي القعدة، سنة (ست) من الهجرة، و(فتح مكة) في رمضان سنة (ثمان)، وصلى عليه أصحابه، أبو جندل والباقون، ودفنوه هناك رضي الله عنه. تهذيب الأسماء (٤/٤٧١)، وانظر: الإصابة (٤/٤٣٣)، معرفة الصحابة (٤/٢١٣٢).

(٢) البخاري... عن المسور بن مخرمة، [٢٥٢٩]. قال الحافظ في (الفتح): «(وَيْلُ أُمِّهِ) وهي كلمة ذمّ تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذم؛ لأنّ (الويل) الهلاك فهو كقولهم: (لأُمِّهِ الويل). قال بديع الزمان -[وهو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمداني، أبو الفضل، أحد أئمة الكتاب. له (مقامات)، أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها. وكان شاعراً، وطبقته في الشعر دون طبقته في النثر. ولد في (همدان)، وانتقل إلى (هراة) سنة [٣٨٠هـ]، فسكنها، ثم ورد (نيسابور) سنة [٣٨٢هـ]، كان قويّ الحافظة يضرب المثل بحفظه. ويذكر أن أكثر (مقاماته) ارتجال، وأنه كان ربما يكتب الكتاب مبتدئاً بآخر سطره، ثم هلمّ جزءاً إلى السطر الأول فيخرجه ولا عيب فيه! مات بهراة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة مسموماً أو مسبوئاً [٣٩٨هـ]. الأعلام (١/١١٥)، سير أعلام النبلاء (١٧/٦٧-٦٨) - قال بديع الزمان في رسالة له: والعرب تطلق: (تربت يمينه) في الأمر إذا أهّم. ويقولون: (ويل أُمِّهِ)، ولا يقصدون الذم. و(الويل) يطلق على العذاب والحرب والزجر... فتح الباري (٥/٣٥٠). وانظر: عون المعبود (٧/٣١٩-٣٢٠)، نيل الأوطار =

ولما أشبه في إعرابه المصادر الآتية^(١) بدلاً من أفعالها نصباً ورفعاً مثل: (حمداً لله وصبرٌ جميل)، قال أكثر أئمة العربية: إنه مصدر أميت فعله. ومنهم من زعم أنه اسم وجعل نصبه في حالة الإضافة نصباً على النداء بحذف حرف النداء؛ لكثرة الاستعمال، فأصل: (ويله): يا ويله، بدليل ظهور حرف النداء معه في كلامهم. وربما جعلوه كالمندوب فقالوا: (ويلاه). وقد أعربه الزجاج كذلك [في (سورة طه): ٦١، كما سيأتي]. ومنهم من زعم أنه إذا نصب فعلى تقدير (فعل)^(٢).

قال الزجاج^(٣) في قوله ﷻ: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْقَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [طه: ٦١]: يجوز أن يكون التقدير: (ألزمكم الله ويلا). ويجوز أن

= (٢٠٣/٨). والحاصل أن قوله ﷻ: «وَيْلُ أُمَّه مِسْعَرٌ حَرْبٍ» قد ورد (الويل) فيه بمعنى التّعجب والمدح، و«مِسْعَرٌ حَرْبٍ»، أي: موقد حرب، يقال: سعرت النار وأسعرتها فهي مسعورة ومسعرة. و(المسعر): الخشب الذي تسعر به النار أي: توقد. و(المسعر) و(المسعار): ما تحرك به النار من آلة الحديد. يصفه بالمبالغة في الحزب والنجدة. ويجمعان على مساعر ومساعير. وفي (الفتح): «قال الخطابي: كأنه يصفه بالإقدام في الحرب والتسكير لنارها». انظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٥٠/٥)، الفائق، للزغشري (٢٨٤/١)، النهاية، مادة: (سعر) (٩٢٩/٢)، ومادة: (ويل) (٥٣٢/٥)، ومادة: (هبل) (٥٤٤/٥)، تفسير غريب ما في الصحيحين، للأزدي (ص: ١٩١)، شرح سنن ابن ماجه، لمغلطاي (٧٨٦/١)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣٢٩-٣٣٢).

(١) أي: أشبهه في (الوزن والإعراب)، ف: (حمداً) مصدر ناب عن فعله، أو مفعول مطلق لفعل محذوف...

(٢) التحرير والتنوير (٥٧٦/١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣٦٠/٣).

(ويل) كلمة مركبة من: (وي) بمعنى الحزن، ومن مجرور باللام المكسورة، فلما كثر استعمال اللام مع (وي) صيروهما حرفاً واحداً، فاختراروا فتح اللام كما قالوا: (يَالْ ضَبَّةٌ)^(١) ففتحوا اللام، وهي في الأصل مكسورة. وهو يستعمل دعاء وتعجباً وزجراً مثل قولهم: (لا أب لك)، و(ثكلتك أمك). ومعنى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٧٩] دعاءً مستعمل في إنشاء الغضب والزجر^(٢).

وقوله ﴿يَوَيْلَنَا﴾ هو نداء مضاف، والمعنى: يقول الكفار: (تعال يا ويل فهذا زمانك وأوانك)، وقيل: هو منصوب على المصدر، والمنادى محذوف، كأنهم قالوا لبعضهم: (يا هؤلاء ويلا لنا)، فلما أضاف حذف اللام الثانية. وقال الكوفيون: اللام الأولى هي المحذوفة، وأصله: عندهم: (وي لنا)، وقد أجازوا: (ويل زيد) -بفتح

(١) (ضبة بن أد): بطن من طابخة، من العدنانية، وهم (بنو ضبة) بن أد بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهم من جمرات العرب الثلاث. كانت منازلهم في جوار (بني تميم) إخوتهم، بالناحية الشمالية التهامية من (نجد)، ثم انتقلوا في الإسلام إلى (العراق) بجهة (النعمانية)، معجم قبائل العرب (٢/ ٦٦١)، معجم البلدان (٢/ ٢٧٦). وجاء في (موقعة الجمل) أنه لم يبق حول الجمل عامري مكتهل إلا أصيب، يتسرعون إلى الموت، فقال القعقاع: يا بحير بن دلجة، صح بقومك فليعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين، فقال: (يال ضبة)، يا عمرو بن دلجة، ادع بي إليك، فدعا به، فقال: أنا آمن حتى أرجع؟ قال: نعم. قال: فاجتث ساق البعير، فرمى بنفسه على شقه وجرجر البعير.. والقصة طويلة.. انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٥١)، الفتنة وموقعة الجمل، لسيف بن عمر الضبي الأسدي (ص: ١٦٦)، نهاية الأرب في فنون الأدب (٢٠/ ٤٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٣٦٠)، التحرير والتنوير (١/ ٥٧٧).

اللام-، وهي عندهم (لام الجر)، و(لام الجر) لا تفتح مع غير المضممر، وأجازوا الضم، وفي ذلك دليل ظاهرٌ بين أن الثانية هي المحذوفة»^(١). وفي (لسان العرب): «(ويل) وَيْلٌ كلمة مثل وَيْح إِلَّا أنها كلمة عذاب»^(٢)، يقال: (وَيْلُهُ) و(وَيْلُكَ) و(وَيْلِي)، وفي النَّدْبَةِ: (وَيْلَاهُ). وقد تدخل عليه الهاء فيقال: (وَيْلُهُ). و(الْوَيْلُ) حُلُولُ الشرِّ والْوَيْلَةُ الفضيحة والبَلِيَّةُ وقيل: هو تَفَجُّع، وإذا قال القائل: (واوَيْلَتاه) فإنما يعني: (وافضيتاه)...»^(٣).

د. إجمال ما يستفاد:

إنَّ (ما ولي المنادي) في هذه الصيغة من الخطاب معناه متقارب.. وهو يدلُّ على أنه لا مفرَّ ولا مهربَ من بأسِ الله ﷻ المحيط. وأنه لا ينفعهم ركضٌ، ولا ينقذهم فرارٌ. وهو من تفجع المفجوء الذي تتكشفُ له الحقيقة المروعة بغتةً، فيدعو بالويل والهلاك، ويعترف ويندم، ولكن بعد فوات الأوان!!!

٢١ - ﴿يَعْبَادِي﴾ [العنكبوت: ٥٦]:

وقد سبق ما يتعلَّقُ بمعنى هذه الصيغة، ومواقعها في (النداءات العامة)، وقد سبق أيضًا بيان أنه من (نداء الإضافة).

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن الكريم، لمكي (٢/٦٠٦)، وانظر: تاج العروس، مادة: (ويل) (١٠٦/٣١).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق بين (ويح) و(ويل) مفصلاً في (الفروق) (ص: ٥٧٩).

(٣) لسان العرب، مادة: (ويل) (١١/٧٣٧)، الصَّحاح، (٥/١٨٤٦)، مختار الصَّحاح (ص: ٧٤٠).

- ٢٢ - ﴿يَتَأْهَلُ يَرْبَ﴾ [الأحزاب: ١٣] في موضع واحد.
وقد سبق ما يتعلق بمعنى هذه الصيغة، ومواقعها في (النداءات العامة).
٢٣ - ﴿يَنْسَاءُ الْتَيَّ﴾ : في موضعين، [الأحزاب: ٣٠]،
[الأحزاب: ٣٢].

وقد سبق ما يتعلق بمعنى هذه الصيغة، ومواقعها في (النداءات العامة)، وقد سبق بيان أنه من (نداء النسبة).
٢٤ - ﴿بَحْسَرَتْنِي﴾ :

أ. في موضع واحد من [سورة الزمر: ٥٦]. وقد سبق بيان (خطاب التَّحَسُّر والتَّلَهْف) مفصلاً، وأعرض هنا لبيان هذه الصيغة فحسب (المنادى، وما ولي المنادى...) .
ب. العرض والتحليل :

أي: بادروا واحذروا أن تقول نفس. وقال الزَّجَّاج^(١): خوف أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول: ﴿بَحْسَرَتْنِي﴾ (يا ندامتا)، والتَّحَسُّر الاغتمام على ما فات، وأراد: يا حسرتي، على الإضافة، لكن العرب تحوّل (ياء الكناية) ألفاً في الاستغاثة، فتقول: (يا حسرتا)، و(يا ندامتا)، وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدلّ على الإضافة، وكذلك قرأ أبو جعفر^(٢):

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجَّاج (٤/ ٣٥٨ - ٣٥٩).

(٢) هو يزيد بن القعقاع المخزومي، المدني، أبو جعفر، أحد القراء العشرة من التابعين. وكان إمام أهل (المدينة) في القراءة وعرف بالقارئ. وكان من المفتين المجتهدين. توفي في (المدينة) =

﴿يا حَسْرَتَايَ﴾^(١).

وقيل: معنى قوله: ﴿يَحْصِرَنَّ﴾: (يا أَيُّهَا الحسرة هذا وقتك)،
﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(٢)، فيه أقوال... قيل: في طاعة الله
﴿كَفَّكَ﴾، وقيل: في حقِّ الله ﴿كَفَّكَ﴾، وقيل: في أمرِ الله ﴿كَفَّكَ﴾، وقيل: في
ذِكْرِ الله ﴿كَفَّكَ﴾، وقيل: في قُرْبِ الله ﴿كَفَّكَ﴾^(٣).

ومن قال من المفسرين: (الجَنَبُ): القُرْبُ، فَإِنَّ المعنى (في قُرْبِ
الله ﴿كَفَّكَ﴾ وجواره)، كما يقال: (فلان يعيش في جَنْبِ فلان)، أي: في
قُرْبِهِ وجواره، فعلى هذا يكون المعنى: (على ما فَرَّطْتُ في طلب قُرْبِ
الله ﴿كَفَّكَ﴾). ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾ المستهزئين بدين الله ﴿كَفَّكَ﴾ وكتابه
ورسوله ﷺ والمؤمنين. ولم يكفه أن ضيَّع طاعة الله ﴿كَفَّكَ﴾ حَتَّى جعل
يسخرُ بأهل طاعته^(٤).

وقوله ﴿كَفَّكَ﴾: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع المفعول له بتقدير مضاف.
وقدَّره الزَّمَخْشَرِيُّ^(٥): كراهة، وهو منصوب بفعلٍ محذوف يدلُّ عليه ما

= [١٣٢٢هـ]. الأعلام (٨/١٨٦)، وانظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (١/٧٢)، التيسير في

القراءات السبع، للداني (ص: ٥)، كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص: ٥٦-٥٨).

(١) انظر القراءة في (تجويد التيسير في القراءات العشر)، لابن الجزري (ص: ٥٣٦)، الكشف

(٣/٤٠٤)، التبيان في إعراب القرآن (٢/٢١٥)، إملأ ما من به الرحمن (ص: ٢١٥).

(٢) تفسير البغوي (٤/٨٥)، وانظر: تفسير القرطبي (١٥/٢٧٠-٢٧١).

(٣) انظر: زاد المسير (٧/١٩٢)، روح المعاني (٢٤/١٧)، تفسير التيسابوري (٦/١١)، ابن

عادل (١٦/٥٣٣)، الخازن (٦/٨٢)، السراج المنير (٣/٣٦٦)، الرازي (٢٧/٤٧٢).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٥/٢٧١)، زاد المسير (٧/١٩٢)، تفسير البغوي (٤/٨٥).

(٥) قال الزَّمَخْشَرِيُّ في (الكشاف): ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ كراهة أن تقول. فَإِنْ قلت: لم نُكْرِتْ؛ =

قبل، أي: أنذركم وأمركم بأحسن ما أنزل إليكم كراهة أن تقول، ومن لا يشترط للنَّصب اتحاد الفاعل يجوزُ كون النَّاصِب: ﴿وَأَنِيبُوا﴾ [الزمر: ٥٤]، أو: ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ [الزمر: ٥٥]، وأياً ما كان فهذه الكراهة مقابل الرِّضا دون الإرادة، فلا اعتزال في تقديرها^(١).

= قلت: لأنَّ المراد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر. ويجوز أن يراد: نفس متميِّزة من الأنفس، إمَّا بلجاج في الكفر شديد. أو بعذاب عظيم. ويجوز أن يراد التَّكثير. وقرئ: ﴿بَحْسَرَتْنِ﴾ على الأصل. و﴿يا حسرتاي﴾، على الجمع بين العوض والمعوض منه. والجَنب: الجانب، يقال: (أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته)، و(فلان لِيْن الجَنب والجانب)، ثم قالوا: (فَرَط في جنبه وفي جانبه)، يريدون في حَقِّه، وهذا من باب الكناية؛ لأنَّك إذا أثبت الأمر في مكان الرِّجل وحيزه، فقد أثبتته فيه. ومنه قول النَّاس: (لمكانك فعلت كذا)، يريدون: لأجلك. وقيل: ﴿فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ على معنى: فَرَطْتُ في ذاتِ الله ﷻ. فإن قلت: فمرجع كلامك إلى أنَّ ذكر (الجَنب) كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغتها، فكأنَّه قيل: فَرَطْتُ في الله ﷻ. فما معنى فَرَطْتُ في الله ﷻ؟ قلت: لا بدُّ من تقدير مضافٍ محذوف، سواء ذكر الجنب أو لم يذكر. والمعنى: فَرَطْتُ في طاعة الله ﷻ وعبادة الله ﷻ، وما أشبه ذلك. بتصرفٍ عن (الكشاف) (٣/٤٠٤).

(١) والحاصل أنَّ مذهب المعتزلة أنَّ الله ﷻ لا يشاء المعاصي والكفر، ومعلوم أنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمانُ بأنَّ ما شاء الله ﷻ كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنَّه ما في السَّموات والأرض من حركةٍ ولا سكونٍ إلا بمشيئةِ الله ﷻ، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وهو خالقٌ لأفعال العباد. وقد فرَّقوا -أي: أهل السُّنة والجماعة- بين الإرادة الكونيَّة والإرادة الشرعيَّة فقالوا: الفرق بين الإرادتين: ١- الإرادة الكونيَّة قد يحبُّها الله ﷻ ويرضاها، وقد لا يحبُّها ولا يرضاها والإرادة الشرعيَّة لا بدُّ أنَّه يحبُّها ويرضاها. فالله ﷻ أراد المعصية كوناً ولا يرضاها شرعاً. ٢- والإرادة الكونيَّة مقصودة لغيرها، كخلق إبليس وسائر الشُّرور لتحصل بسبب ذلك المجاهدة والتَّوبة والاستغفار وغير ذلك من المحابِّ. والإرادة الشرعيَّة مقصودة لذاتها، فالله ﷻ أراد الطَّاعة كوناً وشرعاً وأحبَّها ورضيها. ٣- الإرادة الكونيَّة لا بدُّ من وقوعها، والإرادة الشرعيَّة لا يلزم وقوعها فقد تقع وقد لا تقع. إلخ. انظر: روح المعاني (٨/٥٠)، تفسير القاسمي (٣/٤٥١)، تفسير ابن جزى (٣/١٩٢).

وهو أولى من تقدير (مخافة) - كما فعل الحوفي^(١) - حيث قال: ..
أي: أنذرناكم مخافة أن تقول^(٢). وابن عطية جعل العامل
﴿أنبيوا﴾، ولم يقدّر شيئاً من الكراهة والمخافة حيث قال: أي: أنبيوا
من أجل أن تقول^(٣).

أقول: ولكنّ الرّمخشريّ هنا لم يتعرّض لهذه المسألة العقديّة،
وإنما أراد بالكراهة ما يقابل الرضا دون الإرادة، حيث كره الكافر ما
قدّمت يده في الدنيا، وتحسّر على ذلك.. وهو أولى من تقدير:
(مخافة)؛ لأنّه أدلّ على التّحسّر، فيكون الاحتراز عن قول المعتزلة من
كون الإنذار لأجل كراهية وقوع ما لا يشاؤه الله ﷻ من كفرهم
وتحسّرهم.. وذلك لا يفهم من تقدير الرّمخشريّ هنا.

وذهب بعض النّحاة إلى أنّ التّقدير: (لئلا تقول)، وكذلك تنكير:
﴿تَكَلَّمْ نَفْسُ﴾ [هود: ١٠٥] للتّكثير بقريّة المقام. وجوّز أن يكون
للتّبعيض؛ لأنّ القائل بعض الأنفس، واستظهره أبو حيّان^(٤). قيل:

(١) هو علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفي ثمّ المصريّ النّحوي الأوحدي، وله التّفسير
المسمى بـ: (البرهان في تفسير القرآن) كتب في بعض المواضع هكذا، وهو تفسير جيّد في
أربعة أسفار ضخام، وأعرب فيه ما يحتاج إلى إعراب، وكتاب: (إعراب القرآن) في (عشر)
مجلّدات آخر، أخذ عن الأدفوي وأخذ عنه خلق كثير من المصريّين، وكانت وفاته سنة
(ثلاثين وأربعمئة). طبقات المفسّرين، لأحمد بن محمّد الأندروي (١/ ١١٠)، طبقات
المفسّرين، للسيوطي (ص: ٨٣)، طبقات المفسّرين، للدّاودي (١/ ٣٨٨).

(٢) وهو قول أبي البقاء العكبري. انظر: التّبيان (٢/ ٢١٥)، ابن عادل (١٦/ ٥٣١).

(٣) المحرّر الوجيز (٤/ ٥٣٨).

(٤) انظر: البحر المحيط (٥/ ٢٦٢).

ويكفي ذلك في الوعيد؛ لأنَّ كلَّ نفسٍ يحتمل أن تكون ذلك. وجوِّز أيضًا أن يكون للتَّعْظِيم، أي: نفس متميِّزة من الأنفس، إمَّا بلجاجة في الكفر شديد، أو بعذاب عظيم، وليس بذلك^(١).

وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْ﴾ بالألف بدل (ياء الإضافة)، والمعنى: (يا حسرتي احْزري) فهذا وقتك. وقرأ ابن كثير في الوقف ﴿يَا حَسْرَتَاهُ﴾ بهاء السَّكْت^(٢).

وقرأ أبو جعفر: ﴿يَا حَسْرَتَا﴾ بياء الإضافة^(٣)، وعنه: ﴿يَا حَسْرَتَايَا﴾ - كما سبق -، بالألف والياء التَّحْتِيَّة مفتوحة أو ساكنة جمعًا بين العوض والمعوِّض كذا قيل^(٤)، ..

ولا يخفى أنَّ مثل هذا غير جائز اللَّهمَّ إلا شاذًّا استعمالًا وقياسًا، فالأوجه أن يكون ثنَّى الحسرة مبالغة على نحو: (ليبك وسعديك)، وأقام بين ظهريهم وظهرانيهم على لغة: (بلحرث بن كعب)^(٥) من إبقاء

(١) أي: لأنَّ التَّحْسُر يقع على كلِّ نفسٍ كافرة. .

(٢) روح المعاني (١٧/٢٤)، وانظر: الكشاف (٤٠٤/٣)، تفسير أبي السُّعُود (٢٦٠/٧)، البحر المحيط (٤١٧/٧)، فتح القدير (٢٩٧/٦).

(٣) روح المعاني (١٧/٢٤)، الكشاف (٤٠٤/٣)، البحر المحيط (٤١٧/٧)، ابن عادل (٥٣٢/١٦)، المحرَّر الوجيز (٥٣٨/٤)، التَّنْفِي (٩٢/٤)، إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٨٢).

(٤) انظر: الكشاف (٤٠٤/٣)، تفسير أبي السُّعُود (٢٦٠/٧)، البحر المديد (٢٧٥/٦)،

وكذلك قرأ أبو جعفر: ﴿يَا حَسْرَتَايَا﴾، البغوي (٥٨/٤)، القرطبي (٢٧١/١٥)، زاد

المسير (١٩٢/٧)، نظم الدرر (٤٦٣/٦)، التَّيَّان (٢١٥/٢)، تفسير النَّيسَابُورِي (٥/٦)،

التَّنْشِير (٤٠٣/٢). ومعنى الجمع بين العوض والمعوِّض هنا أنَّه جمع بين (الألف) التي هي

عوض عن (الياء)، وبين (الياء) وكلاهما موجود.

(٥) (بلحرث): قبيلة صغيرة العدد تسكن بقرب (ديرة المسارحة) بين (جيزان) و(ميدى). معجم =

المثنى على الألف في الأحوال كلها، واختار ذلك صاحب (الكشف)^(١).

ومنهم من جَوَّز أن تكون التثنية على ظاهرها على تلك اللغة، والمراد: حسرة فوت الجنة وحسرة دخول النار، واعتبار التكثير أولى؛ لكثرة حسراتهم يوم القيامة ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ﴾ أي: بسبب تفريطي فـ ﴿عَلَى﴾ تعليلية، وـ ﴿مَا﴾ مصدرية كما في قوله ﷻ: ﴿وَلْتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والتفريط التقصير^(٢). ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ تعليل للأوامر في قوله ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٥]، على حذف (لام التعليل) مع (أَنْ) وهو كثير.

وفيه حذف (لا النافية) بعد (أَنْ)، وهو شائع أيضًا كقوله ﷻ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﷻ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﷻ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٦].

= قبائل العرب (١٠٢/١)، وانظر: تاريخ الطبري (٢٣/١١).

(١) الكشف والبيان، للثعلبي (٤٤٨/١١). و(صاحب الكشف) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسر، من أهل (نيسابور) له اشتغال بالتاريخ. كان إمامًا كبيرًا، حافظًا للغة، بارعًا في العربية، روى عن أبي طاهر بن خزيمة وأبي محمد المخلدي. أخذ عنه الواحدي. من كتبه (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء، و(الكشف والبيان) في تفسير القرآن يعرف (بتفسير الثعلبي). توفي سنة [٤٢٧هـ]. انظر: الأعلام (٢١٢/١)، بغية الوعاة (٣٥٦/١)، وانظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (١٩٣/٣).

(٢) بقليل من التصرف عن (روح المعاني) (٢٤/ ١٦-١٧).

[١٥٧]، وكقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥] ^(١).
«وتنكير ﴿نَفْسٍ﴾؛ للنَّوعِيَّة، أي: أن يقول صنف من النفوس، وهي نفوس المشركين، فهو كقوله ﷻ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ﴾ [التكوير: ١٤].

وحرف (يا) في قوله: ﴿بِحَسْرَتِي﴾ استعارة مكنية بتشبيه الحسرة بالعاقل الذي ينادى ليقبل، أي: (هذا وقتك فاحضري)، والنداء من روادف المشبه به المحذوف، أي: (يا حسرتي احضري فأنا محتاج إليك)، أي: إلى التَّحَسُّر، وشاع ذلك في كلامهم حتَّى صارت هذه الكلمة كالمثل لشدة التَّحَسُّر. و(الحسرة): التَّدَامَةُ الشَّدِيدَةُ. والألفُ عوض عن (ياء المتكلم).

وقرأ أبو جعفر وحده: ﴿يا حسرتاي﴾ ^(٢) بالجمع بين (ياء المتكلم)، و(الألف) التي جعلت عوضاً عن (الياء) في قولهم: (يا حسرتي). والأشهر عن أبي جعفر أنَّ الياء التي بعد الألف مفتوحة. وتعدي الحسرة بحرف الاستعلاء كما هو غالبها؛ للدلالة على تمكُّن التَّحَسُّر من مدخول ﴿عَلَى﴾.

و﴿مَّا﴾ في: ﴿مَّا قَرَطْتُ﴾ مصدرية، أي: على تفريطي في جنب الله ﷻ.

وحرف ﴿فِي﴾ هنا يجوز أن يكون لتعدي فعل: ﴿قَرَطْتُ﴾ فلا

(١) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (٢٤ / ٤٥).

(٢) سبق بيان هذه القراءة.

يكون للفعل مفعول، ويكون المفرط فيه هو جنب الله ﷻ، أي: جهته، ويكون (الجنب) مستعاراً للشأن والحق، أي: شأن الله ﷻ وصفاته ووصاياه تشبيهاً لها بمكان السيد وجماه إذا أهمل حتى اعتدي عليه أو أفقر^(١)، أو تكون جملة: ﴿فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ تمثيلاً لحال النفس التي أوقفت للحساب والعقاب بحال العبد الذي عهد إليه سيده حراسة حماه ورعاية ماشيته، فأهملها حتى رعي الحمى وهلك المواشي.. فيقول: (يا حسرتا على ما فرطت في جنب سيدي). وعلى هذا الوجه يجوز إبقاء (الجنب) على حقيقته؛ لأن التمثيل يعتمد تشبيه الهيئة بالهيئة. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ موصولة، وفعل ﴿فَرَطْتُ﴾ متعدياً بنفسه على أحد الاستعمالين، ويكون المفعول محذوفاً، وهو الضمير المحذوف العائد إلى الموصول، وحذفه في مثله كثير، ويكون المجرور بـ ﴿فِي﴾ حالاً من ذلك الضمير، أي: كائناً ما فرطته في جانب الله ﷻ. وجملة: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦] خبر مستعمل في إنشاء الندامة على ما فاتها من قبول ما جاءها به الرسول ﷺ من الهدى فكانت تسخر منه، والجملة حال من فاعل ﴿فَرَطْتُ﴾، أي: فرطت في جنب الله ﷻ تفريط السّاخر لا تفريط الغافل، وهذا

(١) يقال: أفقر المكان وأفقر الرجل من أهله خلا، وأفقر ذهب طعامه وجاع، وقفر ماله فقراً قل، و(أفقر) الرجل (إفقاراً) صار إلى القفر، و(القفر) المفاضة لا ماء بها ولا نبات. انظر مادة: (قفر) في (لسان العرب) (١١٠/٥)، المصباح المنير، (٥١١/٢)، المعجم الوسيط، (٧٥٠/٢)، مختار الصحاح (ص: ٥٦٠)، ومقاييس اللغة (١١٤/٥).

إقرار بصورة التفريط. ﴿أَنْتَ﴾ مخففة من (إِنَّ) المشددة، واللام في ﴿لَمَنْ السَّخِرِينَ﴾ فارقة بين (إِنَّ) المخففة و(إِنْ) النافية. ﴿لَمَنْ السَّخِرِينَ﴾ أشد مبالغة في الدلالة على اتصافهم بالسخرية من أن يقال: وإن كنت لساخرة^(١).

و(النفس): تطلق على الذات كلها كما في قوله ﷻ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ ، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْنَلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وتطلق على الروح التي بها حياة الجسد كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

ج . إجمال ما يستفاد:

إن مما يستفاد من النداء بهذه الصيغة في القرآن الكريم: التحذير من الاستمرار في الغفلة والتي تؤدي إلى الندم حيث لا ينفع. وإن الإنسان ما دام يأمل الحياة فإنه لا يقطع أمله في الدنيا، وقد لا تسمح نفسه بالإقلاع عن لذاتها وشهواتها من المعاصي وغيرها، ويرجيه الشيطان بالتوبة في آخر عمره، فإذا تيقن الموت، وآيس من الحياة أفاق من سكرته بشهوات الدنيا فندم حينئذ على تفريطه ندامة يكاد يقتل نفسه، وطلب الرجعة إلى الدنيا؛ ليتوب ويعمل صالحاً، فلا يجاب إلى شيء من ذلك، فيجتمع عليه: سكرة الموت مع حسرة الفوت، وقد حذر الله ﷻ في كتابه عباده من ذلك؛ ليستعدوا للموت

(١) بقليل من التصرف عن (التحرير والتنوير) (٤٧/٢٤) .

قبل نزوله بالتوبة والعمل الصالح.

وفي (إعجاز القرآن للباقلاني): قوله ﷻ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ ، «وهذا نهاية في التحذير من التفريط»^(١). وقد ذكر الشيوطي^(٢) ما جاء في القرآن الكريم من عتاب المرء نفسه قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]... الآيات^(٣). وقوله ﷻ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ الآيات^(٤).

٢٥ - ﴿يَقَوْمًا﴾ : في موضعين كلاهما من الجن، وهما: [الأحقاف: ٣٠]، [الأحقاف: ٣١]^(٥).

وقد سبق ما يتعلق بمعنى هذه الصيغة، ومواقعها في (النداءات العامة).

ثانياً: نداء التكررة غير المقصودة والشبيه بالمضاف

أ. جاء ذلك في آية واحدة محتملة لهما ولغيرهما:

وهي من (سورة يس)، [الآية: ٣٠].

ب. ومعنى التَّحَسَّرَ في هذه الآية واضح، وما له صلة بالتَّحَسَّرَ قد

سبق بيانه^(٦).

(١) إعجاز القرآن (١/ ٢٨٢)، البرهان في علوم القرآن الكريم (٣/ ٢٢٩).

(٢) الإتيان (٢/ ٢٤٨).

(٣) انظر: الآيات في (سورة الفرقان) من (٢٧) إلى (٢٩).

(٤) انظر: الآيات في (سورة الزمر) من (٥٦) إلى (٥٨).

(٥) وينظر في بيان كونه من المناذى المضاف: المقتضب للمبرّد (٤/ ٢٠٤).

(٦) انظر ما جاء في (خطاب التَّحَسَّرَ..) الآنف الذكر.

ج. أمّا ما يتعلّق بها من الإعراب فيما له صلة هنا بالنكرة غير المقصودة والشّبيه بالمضاف، واحتمالها لغيرهما فبيانه على النّحو التّالي:

قوله ﷻ: ﴿يَحْزَنُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠]. قال الفراء: معناه: «فيا لها حسرة»^(١). وقال أبو إسحق^(٢) في قوله ﷻ: ﴿يَحْزَنُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾: هذا أصعب مسألة في القرآن، إذا قال القائل: ما الفائدة في مناداة الحسرة، والحسرة ممّا لا يجيب؟ قال: والفائدة في مناداتها كالفائدة في مناداة ما يعقل؛ لأنّ النداء باب تنبيه، إذا قلت: يا زيد، فإن لم تكن دعوته لتخاطبه بغير النداء فلا معنى للكلام، وإنما تقول: (يا زيد) لتنبيهه بالنداء، ثمّ تقول: فعلت كذا، ألا ترى أنّك إذا قلت لمن هو مقبل عليك: (يا زيد ما أحسن ما صنعت؟!) فهو أوكد من أن تقول له: (ما أحسن ما صنعت؟!) بغير نداء، وكذلك إذا قلت للمخاطب: (أنا أعجب ممّا فعلت) فقد أفدته أنّك متعجّب، ولو قلت:

(١) معاني القرآن، للفراء (٢/ ٣٧٥). وذلك لأنّ الحسرة لا تنادى، وإنما ينادى الأشخاص؛ لأنّ فائدته التّنبية، ولكن المعنى على التّعجب. انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزّجاج (٤/ ٢٨٤). وانظر ما أورده كلّ من الشّيوطي في (الإتقان) (٢/ ١٠٧)، والزّركشي في (البرهان) (٣/ ٣٥٣)، وابن منظور في (لسان العرب)، مادّة: (حسر)، والقرطبي في (تفسيره) (١٥/ ٢٢-٢٣). وقد فضّل ما يتعلّق بهذا المعنى الأزهريّ في (تهذيب اللّغة)، مادّة: (حسر) (٢/ ١٦٨-١٦٩).

(٢) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزّجاج صاحب (معاني القرآن).

(واعجباه ممّا فعلت!) و(يا عجباه أن تفعل كذا!) كان دعاؤك العجب أبلغ في الفائدة. والمعنى: (يا عجبًا أقبل فإنه من أوقاتك)، وإنما النداء تنبيه للمتعبّب منه لا للعجب، والحسرة أشدّ الندم حتّى يبقى النّادم كالحسير من الدّوابّ الذي لا منفعة فيه. وقال ﷺ: ﴿فَلَا نَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨]، حسرات، أي: حسرة وتحسّرًا...»^(١).

وفي (الفريد): «الجمهور على تنوين ﴿حَسْرَةٍ﴾، وفيه وجهان: أحدهما: منادى مشابه للمضاف من أجل طوله، و﴿عَلَى﴾ من صلته^(٢)، كقولك: (يا خيرًا من زيد)، والمعنى: (يا حسرة إن كنت ممّن ينادى فهذا وقتك الذي حقك أن تحضري فيه)، وهو وقت استهزائهم بالرّسل -عليهم الصّلاة والسّلام- بشهادة قوله ﷺ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

والثّاني: المنادى محذوف، أي: يا قوم أو يا هؤلاء، و﴿حَسْرَةٍ﴾ مصدر، أي: أتَحَسَّرُ حسرة، وعلى هذا ﴿عَلَى﴾ صلة هذا الفعل، ويجوز أن تكون صفة للحسرة فتكون من صلة محذوف، واختلف في تأويل هذا القول، فقليل: هو الله ﷻ. وقيل: هو حبيب النّجار^(٣).

(١) انظر مادّة: (حسر) في (لسان العرب) (٤/١٨٧). وقد فصل ما يتعلّق بهذا المعنى الأزهرى في (تهذيب اللّغة)، مادّة: (حسر) (٢/١٦٨ - ٦٩) وانظر: البرهان في علوم القرآن (٣/٣٥٣ - ٣٥٤).

(٢) أي: تتعلّق بحسرة؛ فلذلك نصبت.

(٣) قال في (مروج الذهب) (١/٥٦): «حبيب النّجار كان يسكن (أنطاكية) من أرض (الشّام)، =

وقيل: الملائكة، وقيل: الهالكون..^(١)

ويقرأ في الشَّاذِّ: (يا حَسْرَةَ الْعِبَادِ)، أي: يا تحسيرهم، فالمصدرُ مضافٌ إلى الفاعل، ويجوز أن يكون مضافاً إلى المفعول، أي: أتحسّرُ على العباد^(٢).

أما قوله ﷻ: ﴿يَتَأَسَّفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، المنادى هنا ﴿أَسْفَى﴾ مضاف إلى (ياء المتكلم) المنقلبة ألفاً، وليس نكرة مقصودة، إذ لو كان كذلك لنون (أسفًا).

= وكان بها ملك متجبرٌ يعبد التماثيل والصُور، فسار إليه اثنان من تلامذة المسيح ﷺ، فدعواهُ إلى الله ﷻ، فحبسهما وضربهما، فعزّزهما الله ﷻ بثالث، وقد تنوزع فيه، فذهب كثيرٌ من النَّاسِ إلى أنّه (بطرس)، وهذا اسمه بالرومية، واسمه بالعربية: (سمعان)، وبالسريانية (شمعون)، وهو شمعون الصّفاء، وذكر كثيرٌ من النَّاسِ وإليه ذهب سائرُ فرق النصرانية أنّ الثالث المعزّز به هو (بولس)، وأنّ الاثنين المتقدّمين اللّذين أودعا الحبس (توما) و(بطرس)، فكان لهم مع ذلك الملك خطبٌ عظيمٌ طويل فيما أظهروا من الإعجاز والأعاجيب والبراهين، من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الميت، وحيلة (بولس) عليه بمدخلته إيّاه وتلطّفه له، واستنفاذ صاحبيه من الحبس، فجاء حبيب التّجار فصدّقهم، لما رأى من آيات الله ﷻ، وقد أخبر الله ﷻ بذلك في كتابه بقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [يس: ١٤]، إلى قوله ﷻ: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس: ٢٠]، وقتل (بولس) و(بطرس) بمدينة (رومية)، وضلّبا منكسين، وكان لهما فيها خبرٌ طويل مع الملك، ومع (سيما) السّاحر، ثمّ جعلاً بعد ذلك في خزانة من البلور، وذلك بعد ظهور دين النصرانية، وحرّمهما في كنيسة هناك..».

(١) الفريد (١٠٦/٤)، وكذا في (الثّبيان) (٢٠٢/٢).

(٢) الثّبيان (٢٠٢/٢)، وهي قراءة أبي وابن عباس وعلي بن الحسين -رضي الله عنهم-. انظر:

تفسير الطّبري (٢/٢٣)، تفسير القرطبي (٢٣/١٥)، البرهان (٣/٣٥٣).

والحاصلُ أنَّ في هذا النداء وجهان:

أولهما: أنَّه منادى شبيه بالمضاف؛ ولذلك نصب، وإنما كان شبيهاً بالمضاف؛ لأنَّه اتَّصل به شيءٌ من تمام معناه، وهو ﴿عَلَى الْعِبَادِ﴾. أو يقال: إنَّه منادى نكرة مقصودة كأنما المنادى حسرة معيّنة، وإنما نصبت؛ لأنها وصفت بالجار والمجرور، والمنادى النكرة المقصودة إذا وصفت نصبت.

والوجه الثاني: أنَّ المنادى محذوف و(حسرة) مصدر، أي: أتَحَسَّرُ حسرةً. وقد اختلف المفسِّرون في المتحسِّر، ولا داعي للاختلاف، فالحسرة جديرة بهم، والمستهزئون بالرُّسل أحرىء بأن يتحسَّر عليهم المتحسِّرون، أو يتحسَّروا على أنفسهم. والنداء هنا مجازيٌّ، أي: (يا حسرة احضري فهذا أوانك).



المبحث الخامس

بيان ما ولي المنادى

● توطئة:

يعقب النداء غالباً: الأمر والنهي والاستفهام، وكأنه يُعِدُّ النَّفْسَ ويهيئها لتلقي تلك الأساليب، وما تتضمنه من المعاني؛ لأنَّ النداء يوقظ النَّفْسَ، ويلفت الذَّهْنَ، وينبِّه المشاعرَ، فإذا جاء بعده الأمرُ أو النَّهيُّ أو الاستفهامُ صادف نفساً مهيأةً يقظةً مستعدةً للقبول والامتثال، كما أنَّه دليلٌ على اهتمام المتكلِّم وعنايته بهذا الطَّلَب وحرصه الأكيد على تنفيذه وأدائه.

أمَّا (ما ولي المنادى) فقد حكى الأنباريُّ في (الإنصاف) عن (الكوفيين) قولهم: النداء لا ينفكُّ عن الأمر والنهي أو ما جرى مجراه من الطَّلَب والنهي، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله ﷻ نداءٌ ينفكُّ عن أمرٍ أو نهي، ولهذا جاء بعده الخبر في قوله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ﴾ [الحج: ٧٣] شفعه الأمر في قوله ﷻ: ﴿فَاسْتَمِعُوا لِلَّهِ﴾^(١).

وقد ردَّ الأنباري على (الكوفيين) حيث قال: «وأمَّا قولهم: إنَّ النداء لا يكاد ينفكُّ عن الأمر أو ما جرى مجراه؛ ولذلك لا يكاد

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف (١/١٠٣).

يوجد في كتاب الله ﷻ نداءٌ ينفك عن أمرٍ أو نهى، قلنا: لا نسلم، بل يكثر مجيء الخبر والاستفهام مع النداء كثرة الأمر والنهي^(١).

أمّا (الخبر) فقد قال الله ﷻ: ﴿يَبْعَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨]^(٢)، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَتَأْتِي إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَتَأْتِي إِيَّيْ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُذَّابًا﴾ [يوسف: ٤]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَتَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَتَأْتِي النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَتَأْتِي النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥] إلى غير ذلك من المواضع.

وأمّا (الاستفهام) فقد قال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَا الْبُتَّى لِمَ تُحَرِّمُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿يَتَأْتِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]، وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١]، إلى غير ذلك من المواضع. فإذا كثر مجيء (الخبر)

(١) وقد أحصيت (ما ولي المنادى) في القرآن الكريم، فيمكن النظر فيما يليه من الأمر أو النهي أو غيرهما عقب هذه المقدمة..

(٢) أقول: ولكن قد يرد على هذا الموضع ما جاء عقب بيان حالهم من قوله ﷻ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمُ الْمُحِبُّونَ﴾ [الزخرف: ٧٠].

و(الاستفهام) كثرة (الأمر) و(النهي) فقد تكافأ في الكثرة، فلا مزية لأحدهما عن الآخر^(١).

ويأتي هذا المطلب استكمالاً لجوانب هذا الفصل المتعلق بالنداء في الخطاب القرآني. أمّا بيان المواضع (لما ولي المنادي) فيأتي على النحو التالي:

• أولاً: فعل الأمر

البقرة: ٢١ ﴿اعْبُدُوا﴾ بعد: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ، ٣٥ ﴿أَسْكَنْ﴾ بعد: ﴿يَتَأْتِيهَا﴾ ، ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا﴾ ، ٤٠ - ٤٧ - ١٢٢ - ٢٧٨ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا﴾ . آل عمران: ٤٣ ﴿يَمُرِّمُ أَقْنِي﴾ ، ٦٤ ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا﴾ ، ١٠٢ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ . النساء: ٧١ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ . المائدة: ٢٠ ﴿يَقُومِ أَذْكُرُوا﴾ ، ٢١ ﴿يَقُومِ ادْخُلُوا﴾ ، ٣٥ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، ١١٠ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُر﴾ ، الأنعام: ١٣٥ ﴿قُلْ يَقُومِ اعْمَلُوا﴾ ، الأعراف: ٣١ ﴿يَبْنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ ، ٥٩ ﴿يَقُومِ اعْبُدُوا﴾ - ٦٥ - ٦٧ - ٧٣ - ٧٧ - ٨٥ . الأعراف: ١٣٨ ﴿يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا﴾ . التوبة: ٧٣ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِد﴾ ، ١١٩ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، هود: ٤٢ ﴿يَبْنِي أَرْكَب﴾ ، ٥٠ - ٦١ - ٨٤ ﴿يَقُومِ اعْبُدُوا﴾ ، ٥٢ ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا﴾ ، ٩٣ ﴿وَيَقُومِ

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف (١/١٢٠ - ١٢١).

اعْمَلُوا ، المؤمنون: ٢٣ ﴿يَقْوِمُوا﴾ ، القصص: ٢٦ ﴿يَتَأْتِ
 أَسْتَجِرَّةً﴾ ، ٣١ ﴿يَمُوسِجَ أَقِيلَ﴾ ، العنكبوت: ٣٦ ﴿يَقْوِمُوا﴾ ،
 الأحزاب: ٧٠ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، سبأ: ١٠ ﴿يَجِبَالُ
 أَوْبَى﴾ ، يس: ٢٠ ﴿يَقْوِمُوا اتَّبِعُوا﴾ ، الصافات: ١٠٢ ﴿يَتَأْتِ
 أَفْعَلُ﴾ ، الزمر: ١٠ ﴿قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ، ١٦ ﴿يَعْبَادُ
 فَاتَّقُونِ﴾ ، ٣٩ ﴿قُلْ يَقْوِمُوا﴾ ، غافر: ٣٨ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ
 يَقْوِمُوا اتَّبِعُونِ﴾ ، الأحقاف: ٣١ ﴿يَقْوِمَنَا أَجِيبُوا﴾ ، محمد: ٣٣
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَلَكُمْ﴾ ،
 الحجرات: ١٢ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا﴾ ، الحديد: ٢٨ ﴿يَتَأْتِيهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، الحشر: ١٨ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا
 اللَّهَ﴾ ، الصف: ١٤ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ ، التَّحريم: ٦
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ ، ٨ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَى﴾ ،
 ٩ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ﴾ ، المزمل: ٢ ﴿يَتَأْتِيهَا الزَّمْلُ﴾ ﴿قُرْ أَيْلَ إِلَّا قِيلًا
 ﴿٢﴾﴾ ، المدثر: ٢ ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾ ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ ﴿٢﴾﴾ ، الفجر: ٢٧، ٢٨
 ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٧٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً﴾ ﴿٧٨﴾ .

• ثانيا: مضارع مجزوم بلام الأمر

[الزخرف: ٧٧] ﴿وَنَادَا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ .

• ثالثا: مضارع مجزوم بلا الناهية

البقرة: ١٠٤ ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ ، وهي من
 الآيات التي جمع ما ولي المندى فيها بين النهي والأمر، ٢٦٤ ﴿يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ ﴿١١٨﴾ . آل عمران: ١١٨ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ ، ١٣٠ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ ، ١٥٦ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . النساء: ٢٩ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ ، ٤٣ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرَى﴾ ، ١٤٤ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ ، ١٧١ ﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا﴾ . المائدة: ٢ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ ، ٤١ ﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ ، ٥١ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ ، ٥٧ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ ، ٧٧ ﴿قُلْ يَتَأْهَلِ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا﴾ ، ٨٧ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا﴾ ، ويلاحظ أن في هذه الآية نهيين ، ٩٥ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ ، ١٠١ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ فَسْأَلُكُمْ﴾ . الأعراف: ٢٧ ﴿يَنْبِئُ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ . الأنفال: ٢٧ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ . التوبة: ٢٣ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ﴾ . يوسف: ٥ ﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ﴾ ، ٦٧ ﴿وَقَالَ يَبْنَئُ لَا تَدْخُلُوا﴾ ، مريم: ٤٤ ﴿يَتَأْتِ لَا تَعْبُدْ﴾ . طه: ٩٤ ﴿يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَاقِ وَلَا بِرَأْسِ﴾ . النور: ٢١ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ، ٢٧ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ . النمل: ١٠ ﴿يَمْوَسَى

لَا تَخَفْ ﴿١٣﴾ لَقَمَانُ : ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ . الأحزاب : ٥٣ ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ ، ٦٩ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى﴾ . يس : ٦٠ ﴿يَنْبَغِي ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ .
الزمر : ٥٣ ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ .
الحجرات : ١ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ، ٢
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ، ١١ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ . الممتحنة : ١ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ، ١٣ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ﴾ . المنافقون : ٩ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ . التحريم : ٧ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا
أَلْيَوْمَ إِنَّمَا تُخْرَجُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ .

وقد سبق بيان مواضع النهي.

أمّا ما يستفاد من الأمر والنهي فمن ذلك: التوجيه والإرشاد لما
يفيد العباد...، ويلاحظ تميز (الخطاب المكي) عن (الخطاب المدني)
والعكس، وقد سبق بيان ذلك مفصلاً. كما يلاحظ: التنوع الذي فيه
تذوق روعة بلاغة الخطاب.. وفي ذلك من الحكم والمقاصد ما فيه.

● رابعاً: (لا) النافية

النساء : ١٩ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ .
هود : ٥١ ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ .
الأحزاب : ١٣ ﴿يَتَأَهَّلَ يَرْبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ .

الزُّحُف: ٦٨ ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ .
 الكافرون: ٢ ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ .
 (لا) النَّافِيَةُ الَّتِي تَعْمَلُ عَمَلُ (لَيْسَ) الْأَحْزَاب: ١٣ ﴿يَتَّاهِلَ يَتْرَبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ .

● خامسًا: (ما) النَّافِيَةُ
 هود: ٥٣ ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ . هود: ٩١ ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ﴾ .

● سادسًا: اسم الفعل
 المائدة: ١٠٥ ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ .
 الأنفال: ٦٤ ﴿يَتَّيِّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ .

● سابعًا: الاستفهام بـ (هل)
 المائدة: ٥٩ ﴿قُلْ يَتَّاهِلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾
 ١١٢ ﴿وَإِذْ قَالَ الْهَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ .

طه: ١٢٠ ﴿يَتَّادِمُ هَلْ أَذْلُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ .
 الصَّف: ١٠ ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْلُكُمْ عَلَىٰ مُجْرَمٍ يُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ ٱلْهِمِ ﴿١﴾﴾ .

● ثامنًا: الاستفهام بالهمزة
 المائدة: ١١٦ ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُنِّى إِلَهَيْنِ﴾ .

هود: ٢٨ ﴿يَقْوِرْ أَرْعَابُهُمْ إِنْ كُنْتَ عَلَىٰ يَمِينِهِمْ مِنْ رَبِّي﴾ ٨٧ ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَمْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ ٩٢ ﴿قَالَ يَنْقَوِرْ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ .

يوسف: ٣٩ ﴿يَصْلَحِي السَّجْنَءَازِبَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ٣٩ ﴿

القصص: ١٩ ﴿يُتَوَسَّى أُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ .

تاسعاً: الاستفهام بـ: (ألم)

الأنعام: ١٣٠ ﴿يَمَعَشَرُ الْيَمِينَ وَالْأَيْمِينَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ﴾ .

طه: ٨٦ ﴿قَالَ يَنْقَوِرْ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ .

عاشراً: الاستفهام بـ: (أليس)

الزُّحُف: ٥١ ﴿قَالَ يَنْقَوِرْ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ﴾ .

الحادي عشر: الاستفهام بـ: (ما)

التوبة: ٣٨ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ .

يوسف: ١١ ﴿قَالُوا يَتَأَبَّأْنَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ .

الحجر: ٣٢ ﴿قَالَ يَبْنَائِيلُ مَا لَكَ أَلَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ٣٢ ﴿

ص: ٧٥ ﴿قَالَ يَبْنَائِيلُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ .

غافر: ٤١ ﴿وَيَنْقَوِرْ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ ٤١ ﴿

● الثاني عشر: (من) الاستفهامية

هود: ٣٠ ﴿وَيَنْقَوِرْ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٣٠ ﴿

● الثالث عشر: (أَنْى) الاستفهامية

آل عمران: ٣٧ ﴿يَمَرِّمُ أَنْ لَّيْ هَذَا﴾ .

● الرابع عشر: الاستفهام ب: (لِمَ)

آل عمران: ٦٥ ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ ٧٠
﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ ٧١ ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَلِيْسُونَ الْحَقَّ
بِالْبَطْلِ﴾ ٩٨ ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ﴾ ٩٩ ﴿قُلْ
يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

مريم: ٤٢ ﴿يَتَأْتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ .

النمل: ٤٦ ﴿قَالَ يَنْقُورُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ .

الصف: ٢ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٦
﴿يَنْقُورُ لِمَ تَوَدُّونِي﴾ .

التحریم: ١ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ .

● الخامس عشر: (فعل ماض مثبت)

أ. فعل ماض مثبت غير مقرون بقد:

يوسف: ٦٣ ﴿يَتَأَبَّانَا مُنِعَ مِنَّا الْكِتَابُ﴾ .

الحج: ٧٣ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ .

ب. ماض مقترن بقد:

النساء: ١٧٠ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾

١٧٤ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ .

المائدة: ١٥ ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾

- ١٩ ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ﴾ .
 الأنعام: ١٢٨ ﴿يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْرَرْتُمْ﴾ .
 الأعراف: ٢٦ ﴿يَبْنِي عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَاةً﴾ .
 يونس: ٥٧ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾ ١٠٨ ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا
 النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .
 هود: ٣٢ ﴿قَالُوا يَنْفُخُ قَدْ جَدَلْتَنَا﴾ ٦٢ ﴿يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا
 قَبْلَ هَذَا﴾ .
 طه: ٣٦ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ ﴿٣٦﴾ ٨٠ ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ
 أَبْغَيْنَاكُمْ﴾ .

ج. ماض مقترن بـ (لقد):

- الأعراف: ٧٩ ﴿يَقُومُوا لَقَدْ أَتَلَفْتُمْ رَسُولَ رَبِّي﴾ ٩٣ ﴿يَقُومُوا لَقَدْ
 أَتَلَفْتُمْ رَسُولَ رَبِّي﴾ .
 مريم: ٢٧ ﴿قَالُوا يَمْرِيءُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ .
 د. (ليس):

- المائدة: ٦٨ ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ﴾ .
 الأحزاب: ٣٢ ﴿يَلْسَاءُ النَّبِيُّ لَسَانًا كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ .
 هـ. ماض بعد (إنما):

- طه: ٩٠ ﴿يَقُومُوا إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ .

و. ماض منفي بما:

- هود: ٥٣ ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ .

مريم: ٢٨ ﴿يَتَأَخَذَتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءً﴾ .

● السادس عشر: مضارع منفي بـ (لن)

أ. ما أتى عقب المنادى من غير فاصل:

البقرة: ٥٥ ﴿يَمْوَسَّىٰ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَقَّ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ . البقرة: ٦١

﴿يَمْوَسَّىٰ لَنْ نَصِيرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدٍ﴾ .

ب. ما أتى التثني فيه بعد فاصل مؤكّد للتثني:

المائدة: ٢٤ ﴿يَمْوَسَّىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ .

● السابع عشر: مضارع منفي بـ (لا)

هود: ٢٩ ﴿وَيَنْقُورِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا﴾ .

هود: ٥١ ﴿يَنْقُورِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ .

● الثامن عشر: مضارع منفي بـ (ما)

هود: ٥٣ ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ .

هود: ٩١ ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا وَمَا نَقُولُ﴾ .

يوسف: ٦٥ ﴿يَتَأَبَّأْنَا مَا نَبْغِي﴾ .

● التاسع عشر: بعده (إمّا) العاطفة

الأعراف: ١١٥ ﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِمَّا أَنْ تُتْلَىٰ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ

الْمُتْلِقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ .

الكهف: ٦٨ ﴿يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ .

طه: ٦٥ ﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِمَّا أَنْ تُتْلَىٰ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ .

- العشرون: بعده (أما) التفصيلية
يوسف: ٤١ ﴿يُصْحِجِ السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ .
- الحادي والعشرون: بعده (إما) الشرطية
الأعراف: ٣٥ ﴿يَبْقَىٰ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ .
- الثاني والعشرون: بعده (إن) الشرطية
آل عمران: ١٤٩ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا﴾ .
يونس: ٧١ ﴿يَقُومِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ . يونس: ٨٤ ﴿يَقُومِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُونَ بِاللَّهِ﴾ .
لقمان: ١٦ ﴿يَبْقَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ .
الحجرات: ٦ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ .
الرَّحْمَن: ٣٣ ﴿يَنْتَقِرَ الْجِنَّ وَالْإِنسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ .
الجمعة: ٦ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيََاءُ لِلَّهِ﴾ .
- الثالث والعشرون: بعده (من) الشرطية
الأحزاب: ٣٠ ﴿يُنْسَاءُ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ﴾ .
- الرابع والعشرون: الجملة الاسمية مؤكدة بـ (إن)
البقرة: ٥٤ ﴿يَقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ١٣٢ ﴿يَبْقَىٰ إِنْ أَلَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ﴾ .
آل عمران: ٤٢ ﴿يَمْرِي إِنْ أَلَّهَ أَصْطَفَىٰ﴾ ٤٥ ﴿يَمْرِي إِنْ أَلَّهَ

- يُبَشِّرُكَ ﴿٥٥﴾ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ .
- المائدة: ٢٢ ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا﴾ ٢٤ ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ .
- الأنعام: ٧٨ ﴿يَنْقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ .
- الأعراف: ١٠٤ ﴿يَنْفِرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ﴾ ١٤٤ ﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ .
- ١٥٨ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ .
- هود: ٤٦ ﴿يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ٨١ ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ .
- يوسف: ٤ ﴿يَتَأْتِي إِنِّي رَأَيْتُ﴾ ١٧ ﴿يَتَأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا﴾ ٨١ ﴿يَتَأَبَانَا إِنَّكَ سَرَقٌ﴾ .
- الكهف: ٩٤ ﴿يَنذَا الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ .
- مريم: ٧ ﴿يَنْزَكِرْنَا إِنَّا نَبْشِرُكَ﴾ ٤٥ ﴿يَتَأْتِي إِنِّي أَخَافُ﴾ .
- طه: ١١-١٢ ﴿يَمُوسَىٰ﴾ ، ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ ١١٧ ﴿يَتَعَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِرِزْوَجِكَ﴾ .
- النمل: ٩ ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ .
- القصص: ٢٠ ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَلَاءُ﴾ ٣٠ ﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ .
- العنكبوت: ٥٦ ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ﴾ .
- الصفافات: ١٠٢ ﴿يَبْنِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ﴾ .
- غافر: ٣٠ ﴿يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ ٣٢ ﴿يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ .
- الزُّحُف: ٨٨ ﴿يَرْبِ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

- الأحقاف: ٣٠ ﴿يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا﴾ .
- الحجرات: ١٣ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ .
- الصَّف: ٦ ﴿يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ إِلَيَّ رَسُولٌ﴾ .
- التَّغَابِن: ١٤ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاتِّ مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوَّلِدِكُمْ عُدُوًّا لَّكُمْ﴾ .
- نوح: ٢ ﴿يَقَوْمِ إِلَيَّ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ .
- الخامس والعشرون: الجملة الاسمية من غير مؤكِّد
- غافر: ٢٩ ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ .
- هود: ٦٤ ﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ ٧٨ ﴿يَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ .
- الزُّخْرَف: ٦٨ ﴿يَعْبَادِ لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ .
- يوسف: ١٠٠ ﴿يَتَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ﴾ .
- السادس والعشرون: لا النافية للجنس
- الأحزاب ١٣ ﴿يَتَأَهَّلَ يَتَرَبَّ لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ .
- السابع والعشرون: بعده (إذا)
- البقرة: ٢٨٢ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ .
- النِّسَاء: ٩٤ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّسُّوا﴾ .
- المائدة: ٦ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ .
- الأنفال: ١٥ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ٤٥

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِيكُمْ﴾ .
- الأحزاب: ٤٩ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ .
- المجادلة: ٩ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ﴾ ١١ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ ١٢ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ .
- الممتحنة: ١٠ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ ١٢ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعَنَّ﴾ .
- الجمعة: ٩ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ .
- الطلاق: ١ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ﴾ ^(١) .



(١) وفي الختام أشير إلى ما كتبه الأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق عزيمة في كتابه: (دراسات لأسلوب القرآن) (٣/ ٥٣٢-٥٣٤) فيما يتعلق بهذا المبحث. وقد رأيت أن بعض ما ذكره فيه الخطأ والنقص، فاستدركت عليه، وزدت، ولا أبرئ نفسي من النقص والخطأ، فيقاس ما لم أذكره على ما ذكرته، وليصلح الخطأ ويتدارك..

المبحث السادس

خروج صيغة النداء عن معناها الأصلي

- وقد يستعمل النداء في غير معناه مجازاً في مواضع، فمن ذلك:
- أ. تنزيلُ البعيدِ منزلةَ القريب:
 - إنَّ أصلَ النداءِ بـ (يا) أن تكونَ للبعيدِ المتوسِّطِ البعدَ حقيقةً أو حكماً - كما سبق بيان ذلك-، وقد ينادى بها القريب لنتك منها:
 - ١ - إظهارُ الحرصِ في وقوعه على إقبال المدعوِّ:
نحو: ﴿يَمْوِسَى أَقْبِلْ﴾ [القصص: ٣١].
 - ٢ - ومنها كون الخطاب المتلوَّ معتنىً به:
نحو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].
 - ٣ - ومنها قصد تعظيم شأنِ المدعوِّ:
نحو: ﴿يَرْبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠].
 - ٤ - ومنها قصد انحطاطه كقول موسى عليه السلام لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
 - يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]^(١).

(١) بتصرف عن (الإتقان) (٢/ ٢٢٣).

ب. خروج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تفهم من السياق بمعونة القرائن.

فمن ذلك:

١ - التَّحَسُّرُ والتَّوَجُّعُ:

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿يَلْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣].

ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلْتَنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّيَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢]. إنَّ تقليب الكفَّين وعضُّ اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايةات عن الغيظ والحسرة؛ لأنها من روادفهما، فتذكر الرادفة، ويدلُّ بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الرُّوعة ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه. وتقليب الكفَّين حركة يفعلها المتحسِّر، وذلك أن يقلبهما إلى أعلى، ثمَّ إلى قبالة، تحسُّراً على ما صرفه من المال في إحداث تلك الجنة، فهو كناية عن التَّحَسُّر^(١).

ومن ذلك الآيات التالية:

﴿يَلْتَنِي مِثُّ قَبْلَ هَذَا﴾ [مريم: ٢٣].

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [٧]

(١) انظر: التَّحَرِيرُ والتَّنْوِيرُ (٣٢٧/١٥)، ..، وانظر: (٨/٢٣).

يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨] ^(١).

﴿يَلْبِسَنِي لَمْ أُوتِ كَتِيبَةً﴾ [الحاقة: ٢٥] ^(٢).

﴿يَلْبِسَنِي كُتُّ رَبَّنَا﴾ [النبا: ٤٠] ^(٣).

﴿يَلْبِسَنِي قَدَمْتُ لِحْيَانِي﴾ [الفجر: ٢٤].

وكذلك يقال في (نداء الحسرة) وقد سبق في غير موضع ..
وذلك كما في قوله ﷻ:

﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْزَرُنَا
عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]. فقولهم: ﴿يَحْزَرُنَا﴾: «نداء مقصود
به التعجب والتندم، وهو في أصل الوضع نداء للحسرة بتنزيلها منزلة
شخص يسمع وينادى؛ ليحضر. كأنه يقول: (يا حسرة احضري فهذا
أوان حضورك). ومنه قولهم: (يا ليتني فعلت كذا)، و(يا أسفي أو يا
أسفا)، [وقد سبق بيان ذلك أيضا في ثنايا البحث]. وأضافوا الحسرة
إلى أنفسهم؛ ليكون تحسُّرهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسِّرون
والمتحسِّر عليهم، بخلاف قول القائل: (يا حسرة)، فإنه في الغالب
تحسُّر لأجل غيره، فهو يتحسُّر لحال غيره؛ ولذلك تجيء معه (على)
التي تدخل على الشيء المتحسِّر من أجله داخلة على ما يدلُّ على غير

(١) انظر في بيان ذلك: المصدر السابق (٢٢/٢١٠).

(٢) انظر في بيان ذلك: المصدر السابق (٢٩/١٣٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٩/١٣٦)، وانظر: روح المعاني (٣٠/٢٢)، البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٥)، الإتقان (٢/٢٢٢-٢٢٣)، وانظر: مع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي (٢/٣٢).

التَّحَسُّرُ، كقوله ﷻ: ﴿يَحْزَنُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]. فأما مع (يا حسرتي)، أو (يا حسرتا) فإنما تجيء (على) داخلة على الأمر الذي كان سببا في التَّحَسُّر كما هنا: ﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾. ومثل ذلك قولهم: (يا ويلي)، و(يا ويلتي)، قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَلَنَّا﴾ [الكهف: ٤٩]»^(١).

٢ - الاختصاص^(٢):

وهو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير؛ لبيان، نحو قوله ﷻ: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]. والحاصل أن قوله ﷻ: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ في نصبه وجهان: أحدهما: أنه مُنَادَى. والثاني: أنه منصوبٌ على المدح^(٣). وقيل: على الاختصاص^(٤). قال أبو حيان^(٥): وبينهما فرق، ولذلك جعلها (سيويه) في بابين^(٦)، وهو أنَّ المنصوب على المدح لفظٌ يتضمَّن بوضعه المدح، كما أنَّ المنصوب على الذَّم يتضمَّن بوضعه الذَّم، والمنصوب على الاختصاص يقصدُ به المدح أو الذَّم لكنَّ لفظه لا

(١) التَّحَرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (٧/ ١٩٠)، وانظر: البحر المحيط (٨/ ٤٦٦).

(٢) بيان ذلك أنَّ النداء تخصيص المنادى بطلب الإقبال. فجُرد عن طلب الإقبال، واستعمل في تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه.

(٣) فَيَقْدَرُ: أَمَدَحُ أو أعني.

(٤) فَيَقْدَرُ: أَخْصُ.

(٥) البحر المحيط (٥/ ٢٤٥).

(٦) انظر: الكتاب، لسيويه (٢/ ٢٣١ - ٢٣٣) ..

يتضمَّن بوضعه ذلك، كقوله:

(بِنَا تَمِيمًا يُكْشَفُ الضَّبَابُ)^(١).

وفي (المحرَّر.. «كأنَّه مَيَّرَ النَّصْبَ عَلَى المَدْحِ بِأَنْ يَكُونَ المُنْتَصِبُ لَفْظًا يَتَضَمَّنُ بِنَفْسِهِ مَدْحًا، كَمَا تَقُولُ: (هَذَا زَيْدٌ عَاقِلٌ قَوْمُهُ)^(٢). وجعل الاختصاص إذا لم تتضمَّن اللَّفْظَةُ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٣). قال القاضي أَبُو مُحَمَّدٍ: وَلَا يَكُونُ الْاِخْتِصَاصُ إِلَّا بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ لَكِنْ لَيْسَ فِي نَفْسِ اللَّفْظَةِ الْمَنْصُوبَةِ»^(٤).

(١) عزاه الخليل في (الجَمَل) إلى رؤية ابن العَجَّاج، وهو من بني تميم، انظر: الجَمَل في النُّحو، للخليل (٩٤/١)، وهو أيضًا من شواهد سيبويه في (الكتاب) (٢٣٤/٢)، خزانة الأدب (٣٦٦/٢)، وانظر: ديوان رؤية (ص: ١٦٩)، مع الهوامع (٣١/٢). والشَّاهد أَنَّهُ نَصَبَ (تَمِيمًا) عَلَى الْاِخْتِصَاصِ. فقوله: (تَمِيمًا): اسم منصوب على الاختصاص، أي: أَخْصُصْ تَمِيمًا، وَقَدْ أُتِيَ بِهِ بَعْدَ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِينَ: (نَا)، فَأَزَالَ غَمُوضَهُ، وَبَيَّنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ.

(٢) أي: وفي الاختصاص لا يقتضي اللَّفْظُ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «رَحِمَتْهُ اللَّهُ وَرَكْنَتْهُ عَلَيْهِ أَهْلُ أَلَيْتٍ» فِيمَنْ نَصَبَ «أَهْلٍ».

(٣) قوله ﷺ: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ» مَرْوِيٌّ بِالْفَاضِلِ مُخْتَلَفٌ، فَقَدْ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي (الكَبِيرِ) [١٠٨٧٣]، [١١٥٠٩] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَمَرْنَا بِتَعْجِيلِ فِطْرِنَا وَتَأْخِيرِ سَحُورِنَا، وَأَنْ نَضَعَ أَيْمَانَنَا عَلَى شِمَائِلِنَا فِي الصَّلَاةِ». وَفِي (الزَّوَائِدِ) (٢٧٥/٢)، [٢٦٠٩]، وَكَذَلِكَ (٣٦٨/٣)، [٤٨٨٠] «وَرَجَالَهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ». وَرَوَى أَحْمَدُ وَالتَّبْرَانِيُّ فِي (الكَبِيرِ) [٢٠٦٥٢]: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ يَضَاعِفُ عَلَيْنَا الْبَلَاءَ». وَإِسْنَادُ أَحْمَدَ حَسَنٌ كَمَا فِي (الزَّوَائِدِ) (١٢/٣)، [٣٧٤٠]. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي (الصَّغِيرِ) [٢٧٩] وَالْأَوْسَطِ (٣/٢٣٨) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَمَرْنَا بِثَلَاثٍ: بِتَعْجِيلِ الْفِطْرِ، وَتَأْخِيرِ السَّحُورِ، وَوَضْعِ الْيَمَنِ عَلَى الْيَسْرَى فِي الصَّلَاةِ». وَفِي (الزَّوَائِدِ) (٣/٣٦٩)، [٤٨٨١]: «وَفِيهِ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ بْنُ سَالِمٍ الْقَدَاحِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ».

(٤) بِقَلِيلٍ مِنَ التَّصْرُفِ عَنْ (المَحَرَّرِ الْوَجِيزِ) (١٩١/٣).

٣ - التَّعَجُّبُ:

﴿قَالَتْ يَوْنَيْتَنِي ۖ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾

﴿٧٢﴾ [هود: ٧٢]. وقد سبق بيان ذلك.

وكقوله ﷻ: ﴿يَحْزَنُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠] ^(١).

٤ - التَّمَنِّي:

﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوقِيَ قُرُونُ﴾ [القصص: ٧٩] وقد سبق بيان

ذلك.

٥ - التَّنْبِيهِ:

ومثَّلَ له الزَّرْكَشِيُّ وغيره بقوله ﷻ: ﴿يَلَيْتَنِي مِثْلَ قَبْلِ هَذَا﴾

[مريم: ٢٣]؛ لأنَّ حرف النِّداء يختصُّ بالأسماء ^(٢).

ومثَّلَ له الطَّاهِرُ بن عاشور وغيره ^(٣) بقوله ﷻ: ﴿يَحْزَنُهُ عَلَى

الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠].

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/٣٥٣)، الإتيقان (٢/١٠٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٥)، وقد ذكر ذلك أبو السعود في (تفسيره) (٦/٢١٤)،

وذكر هذا المعنى أيضًا ابن عجيبة في تفسيره (البحر المديد)، حيث قال: «الياء [هنا] لمجرد

التنبيه، من غير تعيين المنبه، أو المنبه محذوف، أي: يا هؤلاء». البحر المديد (٥/١٢٢)،

وانظر: تفسير ابن عادل (١٦/٢٠٣)، البحر المحيط (٤/١٠٧)، الإتيقان (١/٥٢٧).

(٣) قال أبو البقاء العكبري: التقدير: (يا حسرة احضري هذا أوانك)، وهو نداء مجازي،

ومعناه: تنبيه أنفسهم لتذكير أسباب الحسرة؛ لأنَّ الحسرة نفسها لا تطلب ولا يتأتَّى إقبالها،

وإنما المعنى على المبالغة في ذلك حتَّى كأنهم ذهلوا فنادوها، ومثَّل ذلك: (نداء الويل)

ونحوه، ولا يخفى حسنه. التبيان في إعراب القرآن (١/٢٣٩)، روح المعاني (٧/١٣٢)،

ابن عادل (١٦/٢٠٣). وقد سبق بسط هذه المسألة.

فإنَّ «حرف النداء هنا لمجرّد التّنبية على خطر ما بعده ليصغي إليه السّامع، وكثر دخوله في الجمل المقصود منها إنشاء معنى في نفس المتكلّم دون الإخبار، فيكون اقتران ذلك الإنشاء بحرف التّنبية إعلاناً بما في نفس المتكلّم من مدلول الإنشاء كقولهم: (يا خيبة)، و(يا لعنة)، و(يا ويلي)، و(يا فرحي)، و(يا ليتني)، ونحو ذلك»^(١).

وقال في موضع آخر: «أصلُ هذا النداء أنّه على تنزيل المعنى المثير للإنشاء منزلة العاقل فيقصد اسمه بالنداء لطلب حضوره. فكأنّ المتكلّم يقول: (هذا مقامك فاحضر)^(٢)، كما ينادي من يقصد في أمر عظيم، ويتقل من ذلك^(٣) إلى الكناية عمّا لحق المتكلّم من حاجة إلى ذلك المنادى، ثمّ كثر ذلك وشاع حتّى تنوسي ما فيه من الاستعمال والكناية، وصار لمجرّد التّنبية على ما يجيء بعده، والاهتمام حاصل في الحالين^(٤)»^(٥).

ورجّح أبو حيّان في (البحر) كونها للتّنبية، قال: «والأصحّ أنّ (يا) في قوله: ﴿يَلَيْتَ﴾ حرفُ تنبيه لا حرف نداء والمنادى محذوف؛ لأنّ في هذا حذف جملة النداء وحذف متعلقه رأساً^(٦)، وذلك إجحاف

(١) التّحرير والتّنوير (٢٨ / ٣). فهذه الأقوال إنشاءات؛ لأنّه لا نسبة لمدلولها في الخارج.

(٢) أي: إنّ وجود المكان اللّائق بالمنادى هو الذي أثار الإنشاء في نفس المتكلّم.. وما يثير الإنشاء في نفس المتكلّم أمورٌ كثيرة، ومن أوضحها مثلاً إذا دهم المنادى خطراً فيقال له تنبّه أو احذر.

(٣) أي: من حقيقة النداء.

(٤) أي: في كلّ من الكناية والتّنبية.

(٥) المصدر السابق (٢٣ / ٨).

(٦) حيثُ حذف المنادى، وتقديره مثلاً: (يا قومنا ليت..)، وكذلك حذف ما يريد منهم..

كثير»^(١).

أقول: ومن العلماء من جوّز أحد الأمرين، قال الألوسي في تفسير قوله **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنعام: ٢٧]: «(يا) للتّنبية أو للنّداء، والمنادى محذوف، أي: (يا قومنا) مثلاً»^(٢).

ولعلّ ما يترجّح هو أنّ الأمر فيه شيء من التّفصيل، وهو أنّ تقدير المنادى محذوفاً في كلّ ما وقع فيه حرف النّداء قبل فعل الأمر أو جملة الدّعاء بسبب وقوع النّداء قبلهما في فصيح الكلام، وذلك نحو قوله **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [مريم: ١٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [يوسف: ٩٧]^(٣)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [القصص: ٣١]^(٤).

فإذا وجدنا (حرف نداء) قد وليه (فعل أمر) أو (جملة دعائيّة) علمنا أنّ المنادى بحرف النّداء محذوف؛ لكثرة ما رأينا مثله مذكوراً في الكلام، فأمّا إذا وجدنا حرف النّداء قد وقع بعده: (ليت) أو (رُبّ) فالرّاجح أن نجعل هذا الحرف دالا على التّنبية؛ لأنّه لم يكثر وقوع المنادى مذكوراً قبله.

(١) البحر المحيط (١٠٧/٤). ورجّح الشّيخ الغلايني هذا الرّأي، وهو كونها (حرف تنبيه)، وذكر أنّه المعتمد عند المحقّقين. الدّروس العربيّة (١١٩/٢). وينظر في ذلك: روح المعاني (١٩١/١٩). وانظر: تفسير أبي السّعود (٢٨١/٦)، تفسير القرطبي (١٨٦/١٣).

(٢) روح المعاني (١٢٨/٧)، وانظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦١٨/٣).

(٣) وقد وقع هنا قبل جملة الدّعاء من حيث معناه الشّرعي.

(٤) وقد وقع هنا قبل جملة الدّعاء من حيث معناه اللّغوي.

ومنهم من مثَّل للتَّنبيه^(١) بقول الله ﷻ: (ألا يا اسجدوا) [النمل: ٢٥]. ف (يا) في هذه المواضع (حرف تنبيه)، لا (حرف نداء). هذا مذهب قوم من النحويين. قال بعضهم: وهو الصحيح. وذهب آخرون إلى أنها في ذلك (حرف نداء)، والمنادى محذوف. والتقدير: (ألا يا هؤلاء اسجدوا)، و(ألا يا هذان اسقياني). وكذلك تقدَّر في سائرهما. وضَعَفَ بوجهين:

أحدهما: أنَّ (يا) نابت مناب الفعل المحذوف، فلو حذف المنادى لزم حذف الجملة، بأسرها. وذلك إخلال.

والثاني: أنَّ المنادى معتمد المقصد، فإذا حذف تناقض المراد. وذهب ابن مالك في (التسهيل)^(٢) إلى تفصيل في ذلك. وهو أن (يا) إن وليها أمر أو دعاء فهي حرف نداء، والمنادى محذوف. وإن وليها (ليت) أو (رب) أو (حبذا) فهي لمجرد التَّنبيه^(٣).

(١) وقد سبق بيان ذلك مفصلاً..

(٢) التسهيل، لابن مالك (٣/ ٣٨٩ - ٣٩٠).

(٣) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٣٥٧ - ٣٥٨)، وانظر: الكليات (ص: ٩٧٩)، ومغني اللبيب (ص: ٤٨٩)، التسهيل، لابن مالك (٣/ ٣٨٩ - ٣٩٠).

خاتمة في بيان الأهداف والمقاصد العامة من الاهتمام بمبحث النداء

سبق بيان أهمية النداء في الخطاب القرآني، والتعريف به، وسأتي هنا على بيان مقاصد النداء العامة في الخطاب القرآني..

وقد سبق بيان أنه يصحب الأمر والنهي، والاستفهام والخبر..

وفي ذلك ما فيه من الأهمية ولفت المخاطب إلى ما يعقب النداء من الأمر، أو النهي، أو التوجيه، أو الإرشاد، أو التحذير أو الإغراء، أو الترغيب أو التهريب، وكذلك الإجابة عما يرد على ذهنه من التساؤلات.. وذلك يدلُّ على أنَّ الاتصال مع المخاطب ﷺ -بكسر الطاء المهملة- ليس مجرد ادِّعاء يدَّعيه المخاطب -بفتح الطاء المهملة-، وإنما هو مجموعة من الأوامر والنواهي والصفات التي تدلُّ على تحقُّق معنى الإيمان في المخاطب، وإذعانه وامتناله لما تضمنه الخطاب، والوفاء لنعم المخاطب ﷺ عليه... إلخ.

«وربما تقدَّمت (جملة الأمر) (جملة النداء) كقوله ﷺ: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]. وإذا جاءت (جملة الخبر) بعد النداء تتبعها (جملة الأمر) كما في قوله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]. وقد تجيء معه الجمل الاستفهامية والخبرية كقوله ﷺ في الخبر: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ﴾ [الزخرف: ٦٨].

وفي الاستفهام: ﴿يَتَأْتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢] ﴿وَيَنْقُورِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾ [غافر: ٤١] ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١] .

وهنا فائدتان:

إحدهما: كل نداء في كتاب الله ﷻ يعقبه فهم في الدين إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين، وإما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى، كل ذلك راجع إلى الدين الذي خلق الخلق لأجله وقامت السموات والأرض به، فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة.

الثانية: النداء إنما يكون للبعد حقيقة أو حكما. وفي قوله ﷻ: ﴿وَنَدَبْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا﴾ [مريم: ٥٢] لطيفة فإنه ﷻ بين أنه كما ناداه ناجاه أيضا، والنداء: مخاطبة الأبعد، والمناجاة مخاطبة الأقرب، ولأجل هذه اللطيفة أخبر ﷻ عن مخاطبته لآدم عليه السلام -حواء- بقوله ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يٰكَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وفي موضع: ﴿وَيَكَادُمْ اسْكُنْ﴾ [الأعراف: ١٩]. ثم لما حكى عنهما ملابسة المخالفة قال في وصف خطابه لهما: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَهِيمًا﴾ [الأعراف: ٢٢] فأشعر هذا اللفظ بالبعد؛ لأجل المخالفة كما أشعر

اللفظ الأول بالقرب عند السلامة منها»^(١).

ومما سبق يتبين:

- ١ - أن النداء وسيلة من وسائل الاتصال بين البشر^(٢).
- ٢ - فيه ما يدل على اجتماعية اللغة العربية.
- ٣ - كثرة استخدامه في القرآن الكريم، وكثرة استخدامه بين البشر تدل على أهميته.
- ٤ - إن النداء هو من أنواع الخطاب القرآني المباشر، وإن التعرف على أساليب الخطاب القرآني المباشر تعرف على أرقى أنواع الخطاب مع الآخر. وفيه: التنوع والتلوين والتعليم والتوجيه والإرشاد والتحذير والترغيب والترهيب للمكلف وأيضا فيه: ما فيه من الإعجاز والتناسق والتوافق التام مع المقام ومقتضى الحال.



(١) البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٣ - ٣٢٥)، وانظر: الكشف (١/٢٢٦).

(٢) انظر: أهمية النداء في الخطاب في مقدمة هذا الفصل.. وقد سبق بيان المقاصد من النداء عقب كل صيغة من الصيغ في مواضع متفرقة من موضوع البحث، وسيأتي ذكرها إجمالا في الخاتمة العامة مندرجة ضمن مقاصد الخطاب العامة.. .

الخاتمة العامة

وتتضمن :

المقاصد العامة من الخطاب

و

نتائج البحث والدِّراسة

يتبين ممّا سبق من بيانٍ لأساليب الخطاب القرآني أنّه خطابٌ يخاطبُ النَّفسَ البشريّةَ من كلّ مداخلها، يخاطبُ الإنسانَ ويكرّمه، ففيه: الأمر والنهي والاستفهام والعرض والتّمني والنداء والترجي والتّمني والنفي.. إلخ. وفيه: التّوجيه والتّعليم والتّشخيص والقصة والعبرة، والآية الكونية والحجّة والدليل والإقناع والإعجاز.. يدخلُ قلبَ المؤمن حتّى يتمكّن منه فيزيده إيمانًا وطاعة. كما يتبيّن أنّ الأسلوبَ القرآني المباشرَ يتميّز بأنّه عميقُ التأثير، يلامسُ الأحاسيسَ الإنسانيّة، ويثيرُ الأفكارَ العقليّة، فيؤسّسُ فيها القناعة..

كما أنّه يتلاءمُ مع الواقع، حيثُ يتنوّعُ الخطابُ من حيثُ التّزول، ويتدرّجُ في تشريعه الأحكامَ للمكلّفين بما يتلاءمُ مع حالهم واستجابتهم، فإنّ وجوه المخاطبات فيها: التّوافق التّامُّ مع المقام ومقتضى الحال، كما في الخطابِ المكيّ والخطابِ المدنيّ، وكما في خطابِ أهل الكتاب.. إلى غير ذلك..

ولا يحتاجُ المرءُ لكثيرٍ تدبّرٍ ليلحظَ ذلك التّنوع. وقد تبيّنَ من دراسةِ هذه النّصوصِ أنّ هذا التّنوعَ لا يجري عبثًا، بل إنّه يأتي دائمًا بحيثُ يعبرُ بأقصى درجاتِ الدّقة، وبحساسيّةٍ بالغةٍ عن تغيّر المعنى المراد تبعًا للمواقف والموضوعات والمخاطبين، وبما يليقُ بجلالِ ربوبيّة الله ﷻ، وبما يناسبُ قدرَ المخاطبِ ﷻ -بكسر الطاء المهملة- أو المخاطبين المكلّفين. كما أنّ التّنوعَ يتلاءمُ مع مقتضيات المعاني والألفاظ، ومع طبيعة المخاطبين، ومكانة المخاطب -بكسر الطاء

المهملة-.

فمن ذلك مثلاً: ما سبق من الخطاب المباشر من الله ﷻ بضمير المتكلم (نحن)، أو (أنا)، أو ضمائر المتكلم، كنون الفعل (نفعل)، وكالألف اللينة (نا)، أو الياء (ني) -كلاهما ضميران للمتكلم- الفاعل، أو المضاف إليه، ولا يكون الخطاب بهذه الصيغ إلا تعبيراً عن جلال الربوبية:

● وهو يأتي إما لتقرير نعم الله ﷻ على خلقه -كما في الآيات التالية-:

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١]..

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ [المائدة: ٧].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٢٠].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦].

﴿وَلَا تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٩].

● وإما لبيان أن المخاطب ينبغي أن يقابل النعمة بشكر المنعم ﷻ على نعمه:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا

عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

• ويأتي الخطابُ لبيان القضاء المبرم:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾
[الحجر: ٦٦].

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ
عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: ٤].

• أو الحكم القاطع:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٨].
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة: ١٨٠].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].
﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ
أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا
أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٥].

• أو الوعد النافذ:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ
﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

● أو الوعيد المنذر:

﴿وَلِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً قَرَيْنَا مُتَرَفِّهًا فَفَعَلْنَا فِيهَا فَنحًّا عَلَيَّهَا الْقَوْلَ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، أو القدرة المطلقة في الخلق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ [يس: ١٢]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].

أمَّا ذكر الله ﷻ باسم الجلالة، أو بصفاته، أو بضمير الغائب (هو)، فإنَّ ذلك في مجالات الوصف والتعريف، والإخبار عنه والتذكير به، وما إلى ذلك.

ومثال ذلك قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَمَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ [الرحمن: ١ - ٤]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

وفي هذه الأمثلة، وغيرها من المواضع التي يذكر فيها الله ﷻ بصيغ الغيبة، والتي فيها: التعبير والإشعار أيما إشعار بجلال الربوبية. وفي ذلك ما يدلُّ على البون الشاسع بين مستوى وأسلوب

المخاطب ﷺ في الخطاب، وبين طريقة وأسلوب المخاطبين المكلفين.

والنصوص في القرآن الكريم تفق عند الثوابت والقواعد والكليّات، وتترك التجديد ومواكبة العصور للفقهاء الإسلاميين -الذي هو علم الفروع-، وللإعجاز بألوانه المختلفة والمتجددة... وفي ذلك ما يدل على مرونة ألفاظ الخطاب، وذلك بما يتلاءم مع تجدد الزمان... واختلاف الواقع .

وبعد ذلك العرض والتحليل لصيغ الخطاب القرآني، وبيان الأهداف والمقاصد لكل صيغة، ولكل مبحث وفصل... أشير هنا إلى إجمال مقاصد الخطاب العامة في الجملة:

أ. التذكير بالآلاءِ الله ﷻ ونعمه، وتكريمه للإنسان:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَطُلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن يَمِيدَ بِكُمْ وَآتَاهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتْهُ بِالْتَجْوِيمِ هُم يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٥-١٨].

[النحل: ١٥-١٨].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] .

ب. التذكير بقدرة الله ﷻ، ومدى حاجة المخاطب إلى الرجوع إليه:
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧] .

﴿وَهُوَ الْغَايُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١] .
ج. بيان أهمية الإيمان بالغيب، والإيمان باليوم الآخر والجزاء:
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢-٣] .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] .
﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧] .

د. بيان دور الرسول ﷺ (المبلغ) وصلته بالمخاطبين:
﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨] .

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] .

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾
[الأحزاب: ٤٥].

هـ. ما كَانَ تَشْيِيتًا لِلرَّسُولِ ﷺ وَشَدًّا لِأَزْرِهِ، وَتَسْلِيَةً لَهُ:
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ﴿٣﴾ ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾
﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [الضحى: ٣-٨].

و. ما كَانَ مِنَ الْخُطَابِ تَشْرِيفًا لَهُ وَتَكْرِيمًا:
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾
﴿٤١﴾ [النساء: ٤١].

﴿وَمِنْ آيَاتِ فَتْحِجَدٍ بِهِ نَافِلَةٌ لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾
﴿٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾
[الأحزاب: ٤٠].

ز. ما كَانَ مِنَ الْخُطَابِ تَذْكِيرًا بِنِعَمِ اللَّهِ ﷻ عَلَيْكَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ:
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنَّا وِزْرَكَ﴾ ﴿٢﴾ أَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ﴿٣﴾
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ﴿٤﴾ [الشرح: ١-٤].

ح. ما كَانَ مِنَ الْخُطَابِ أَمْرًا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ خَاصًّا بِهِ:
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
﴿١﴾ [التحریم: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْزُوقُ﴾ ﴿١﴾ قُرْ آتِلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٢﴾ [المزمل: ١-٢].

ط. ما كَانَ من الخطابِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ من خِلالِهِ ﷺ:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

ك. ما كَانَ من الخطابِ جَوَابًا لِسُؤَالِ الْمُؤْمِنِينَ أو غيرهم:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وانظر الآيات التالية: [البقرة: ٢١٧، ٢١٩]، [المائدة: ٤]،

[الأعراف: ١٨٧]، [الأنفال: ١]، [التَّازِعَات: ٤٢].

ل. ما كَانَ من الخطابِ تَسْجِيلًا وَتَذْكِيرًا لِأَحْدَاثٍ:

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿١٣١﴾ [آل عمران: ١٢١].

م. ما كَانَ من الخطابِ كَشْفًا لِضَلَالِ الْكَافِرِينَ أو الْمُنَافِقِينَ ومكرهم:

﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ

كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ

بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ

الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤١ - ١٤٢].

وإنَّ (سورة التوبة) تَسْمَى: (الفاضحة)؛ لأنها فضحت المنافقين^(١).

(١) ولذلك قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «كُتِبَ نَسْمَى (سورة التوبة): سورة الفاضحة».

ومثل ذلك قوله ﷺ: ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُزَلَّ

عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] فلا حاجة لبيان أنها نزلت لما أظهر بعض

وانظر الآيات من (سورة المنافقون) من الآية: (١) إلى الآية: (٨).

ن. ما كان من الخطاب ردًا على أباطيل:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٧].

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ اتَّبِعُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٥ - ٧٦].

ص. ما كان من الخطاب توجيهًا أو إرشادًا لأسلوب التعامل معهم:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١].

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلْمِ وَالْعُدُونِ﴾ [المائدة: ٢].

وفي هذه المواضع كلها ما يبرز دور الرسول ﷺ، وموقفه من الخطاب القرآني، في أنه لا يخرج عن كونه متلقيًا للوحي، مستقلًا عن

اليهود مودة المؤمنين. التحرير والتنوير (١/٤٨-٤٩)، وانظر: (١٠/٩٥-٩٦)،

(١٠/٢٤٩)، (٢٨/١٢٩)، القرطبي (٨/٦١)، (٨/١٩٦)، الدر المنثور (٤/١٢٠-١٢١)،

(٤/٢٢٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٢٩)، الكشف والبيان (٥/٦٤) ... إلخ.

مصدره، مبلِّغًا له بحذافيره لا يزيد فيه ولا ينقص.
وممَّا ينبغي التَّنبيه له أنَّ سائر أنواع الكلام الَّتِي لا تتعلَّق بمبحثنا
هذا، من سرِّدٍ للقصص والأخبار، ومن بيانٍ لحقائق وآياتٍ، ولِحَكَمٍ
وأحكامٍ، ووعدٍ ووعدٍ وما إلى ذلك في سائر أساليب النَّصِّ القرآنيِّ،
فإنَّ القارئ المنصف، والمتنبِّع لهذا التَّنوع -ليس في أساليب الخطاب
المباشر فحسب- يعلم أنَّ مصدره خارجٌ مستقلٌّ عن ذاتِ الرُّسول
المبلِّغ ﷺ. وخارجٌ مستقلٌّ عن كلِّ المخاطبين. كما أنه خطابٌ جليلٌ
يوجِّه الخطاب دومًا بما يناسب قدره وجلاله، وينأى به عمَّا لا يليق
به، كما أنَّه حكيمٌ عليهم بطبيعة المخاطبين وحالهم، وبالخطاب الأمثل
لهدايتهم والتأثير عليهم .

كما أنَّ الخطاب القرآنيَّ معجزةٌ المعجزات، اجتمعت فيه أقصى
درجات الجمال والسُّمو والكمال، بحيث تعجز عقول البشر -أفرادًا أو
مجتمعين- عن الإتيان بمثله، أو الوفاء بأيٍّ من شتَّى جوانب إعجازه،
فضلا عن الوفاء بها مجتمعة - وقد تقرر ذلك فيما سبق من (خطاب
التَّحْدِي والتَّعْجِيز)^(١).

كما أنَّ شأنَ الرُّسول الكريم ﷺ مع الوحي لا يتجاوز شأنَ المتلقِّي
المترقَّب، والمبلِّغ الأمين حرفًا بحرف، وآيةً بآية...
وذلك كلُّه يؤكِّد بأنَّ هذا الخطاب القرآنيَّ وإدارته بهذه الدِّقة

(١) انظر: (خطاب التَّحْدِي والتَّعْجِيز).

والبراعة، والتي ما بعدها دقة أو براعة، إنما ينبع من خارج الرسول ﷺ المبلِّغ الأمين، من مصدر عليم فوق كلِّ البشر، من العليم الحكيم - سبحانه وتعالى ..

ولا يحتاج قارئ القرآن لأكثر من التَّمهل والانتباه، وقليل من التدبر لمسار الخطاب وتغيُّره من موضع لآخر، حتَّى يدرك ويلحَّ عليه اليقين أنَّ هذا النصَّ إنما هو كلام الله ﷻ إلى كلِّ خلقه، يعلن فيه عن نفسه، ويتجلَّى بشئى أساليب الخطاب مخاطبًا الرسول ﷺ، ومخاطبًا فئاتٍ من النَّاس، ومخاطبًا النَّاس جميعًا؛ إذ ليس في مقدورِ بشرٍ أن يتصنَّع كلامًا بهذا الطُّول، وبهذا التَّنوع في السِّياق، وتوجيه الخطاب، والالتفات المتكرَّر، وبما يأتي على أتمِّ وجه من التَّوافق مع الموضوع، وحال المخاطبين، وبما له أعظمُ التأثير في نفوسهم كما في القرآن.. وعلى المستوى نفسه من البلاغة والبراعة.

فالقرآن كلُّه معجز.. وما سبق بيانه أساليب الخطاب من أقوى وجوه الإعجاز؛ لأنَّه يتعلَّق باستحالة أن يصطنع بشرٌ كلامًا يوجِّه فيه الخطاب بحيث يتقمَّص فيه دور الله ﷻ وجلاله؛ إذ ليس في مقدورِ بشرٍ أن يتجاوزَ بفكره وإدراكه حدودَ أفكاره الخاصَّة، وقیود مشاعره الدَّائِية. وهذا من التَّحدِّي القائم إلى قيام السَّاعة، ونتيجته معروفة مسبقًا، وثابتة بشهادة التَّاريخ، وبما هو واقع مدرك من طبائع البشر وقدراتهم النَّفسیَّة واللُّغویَّة.

وقد أجمل العزُّ بن عبد السَّلام -رحمه الله- (المقاصد العامَّة للخطاب)^(١)، فقال: «وعلى الجملة فمقاصدُ القرآن أنواع: أحدها: الطَّلَب، وهو أربعةٌ أُضرب.

النَّوعُ الثَّانِي: الإِذْنُ والإِطْلَاق.

النَّوعُ الثَّالِث: النِّدَاءُ، والنِّدَاءُ تنبيهٌ للمنادَى؛ لیسمع ما یلقى إلیه بعد النِّدَاء من الكلام؛ ليعمل بمقتضاه، ولذلك كثر النِّدَاء في القرآن. أمَّا وصف المنادَى^(٢) فأربعة أقسام:

أحدها: ما لا حثَّ فيه، كقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]. الثَّانِي: فيه حثٌّ، كالوصف بالإيمان، وله فائدتان:

إحدهما: الحثُّ على ما يأمر به وينهى عنه بعد النِّدَاء؛ فإنَّ الإيمان موجب للطَّاعة والإِذعان.

الفائدة الثَّانية: إكرامُ المؤمنينَ بندايتهم بأشرف أوصافهم وأحبِّها، فيحثُّهم ذلك الإكرام على لزوم الطَّاعة والإِذعان.

القسمُ الثَّالِث: نداءُ النَّبيِّ ﷺ بالنبوة. وفيه: فائدة التَّفخيم والإكرام والحثُّ على الطَّاعة والإِذعان؛ شكرًا لنعمة النبوة.

القسمُ الرَّابِع: النِّدَاءُ بالرَّسالة، وفيه الفائدتان المذكورتان في النِّدَاء بالنبوة، مع التَّأكيد بذكر الرَّسالة، وهي من النِّعمِ الجسام؛ لأنَّها تستلزم

(١) قد سبق بيان المقاصد من الخطاب في مواضع متفرقة من موضوع البحث، وإنما تذكر هنا إجمالاً.

(٢) ولا أتعرَّض هنا لما ولي المنادَى، وإنما للمنادَى فحسب إجمالاً...

النُّبُوَّة، وتحتُّ على تبليغ الرِّسالة، فما أحسن قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ
يَلْفُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

النُّوعُ الرَّابِعُ: مدحُ الأفعالِ.

النُّوعُ الخامسُ: مدحُ الفاعلينَ لأجلِ الفعلِ الَّذي وُصفوا به.

النُّوعُ السادسُ: ذمُّ الأفعالِ.

النُّوعُ السَّابعُ: ذمُّ الفاعلينَ؛ لأجلِ الفعلِ الَّذي وُصفوا به.

النُّوعُ الثَّامنُ: الوعدُ بالخيرِ العاجلِ.

النُّوعُ التاسعُ: الوعدُ بالخيرِ الآجلِ.

النُّوعُ العاشرُ: الوعيدُ بالشرِّ العاجلِ.

النُّوعُ الحادي عشرُ: الوعيدُ بالشرِّ الآجلِ.

وكلُّ هذه الأخبارُ تابعةٌ للأحكامِ مؤكَّدةٌ لها، إمَّا بالتَّرهيبِ فيها إن كانت قربة، أو بالتَّرهيبِ منها إن كانت معصية.

النُّوعُ الثَّاني عشرُ: الأمثالُ، وهي مؤكَّدةٌ للأحكامِ ترغيبًا أو ترهيبًا أو تقييحًا أو تحسينًا.

النُّوعُ الثَّالث عشرُ: التَّكرارُ، وهو دالٌّ على الاعتناء والاهتمام بالمكرَّر^(١).

كما أنَّنا نلاحظُ أنَّ الخطابَ القرآنيَّ إمَّا أن يرويَ أحداثًا، أو يصفَ نفوسًا، أو يصفَ أفعالًا، أو يقرِّرَ حقائقَ، أو يثبتَ قواعدَ دنيويَّةٍ أو

(١) الإشارةُ إلى الإيجازِ في بعض أنواعِ المجازِ، للعزَّ بن عبد السَّلام (ص: ٢١٧-٢١٨)، وانظر:

تفسير القاسمي (١/ ١٥٧-١٥٨)، الإقناع بين طريقة القرآن وعرض المفسر (ص: ٣٠٢).

أخروية، أو يقرّر أحكاماً، أو يشير إلى معارف ومفاهيم.. كما أن فيه: أنموذجاً بديعاً من البيان الذي يفهم المخاطب كيفية توجيه الخطاب إلى المخاطب بالطريقة التي ترضيه .

وإنّ له من الأثر ما ينعكس على مخاطبات المكلف لأبناء جنسه.. وقد بينت المقاصد والحكم والأثر لكل لون من ألوان الخطاب كل في موضعه، وفي خاتمة كل فصل ومبحث.. ووضعت مصطلحات يميّز الباحث من خلالها ما له صلة بمحور البحث، وكانت العناية بإبراز وجه المناسبة بين السابق واللاحق، وأن يكون المنهج فريداً ومتميّزاً. ويتبيّن ممّا سبق أنّ الله ﷻ لا يخاطب المكلفين إلّا بالموضوعات التي فيها السعادة والمصلحة لهم، ولا يخاطبهم إلّا بما يدخل في وسعهم وطاقاتهم، وأنّ المشقّة تجلب التيسير.

وفي الختام لعليّ أكون من خلال هذا البحث التفصيلي قد أجبت عن التساؤلات التي قد أثارها في (مشكلة الدراسة) سائلاً المولى ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلّا من أتى الله ﷻ بقلب سليم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .



فهرس الموضوعات التفصيلي

الموضوع	الصفحة
- تصدير	٥
- مقدمة	٩
- مقدمة الرسالة	١٦
- أولًا: مقدّمة التعريف بالموضوع	١٧
- ثانيًا: أهمية الموضوع	٢١
- أهمية موضوع الدراسة بالنسبة للعلم	٢١
- أهميته بالنسبة للمكثف المخاطب	٢١
- ثالثًا: مشكلة الدراسة	٢٣
- رابعًا: أسباب اختيار الموضوع	٢٦
- خامسًا: الدراسات السابقة والطرح الجديد في الموضوع	٢٩
- سادسًا: توطئة للتعريف بمخطط البحث	٣١
- سابعًا: منهج البحث	٣٥
- ثامنًا: الصّعوبات التي واجهتني	٤١
- التمهيد	٤٣
- توطئة	٤٥
- ثانيًا: أهميتها بالنسبة للموضوع	٤٦
- ثالثًا: أثر هذه المعرفة في المخاطب	٤٦
- رابعًا: أهمية هذه المعرفة بالنسبة للعلوم الأخرى	٤٧
- خاتمة في إبراز أهم النتائج	٥٠
- ٢- الوحي (الواسطة بين المخاطب- بكسر الطاء المهملة- ومبلّغ الخطاب)	٥١
- أ. توطئة تبين أهمية هذا البحث	٥١

الموضوع	الصفحة
- ب. الصلة بين (الوحي) وموضوع البحث .	٥٢
- ج. الوحي والإلهام .	٥٥
- د. تعريف الوحي في الاصطلاح الشرعي .	٦٠
- هـ. بيان معنى الإلهام والفرق بينه وبين الوحي .	٦٠
- و. تعريف الشيخ محمد عبده للوحي والإلهام في الاصطلاح الشرعي .	٦٠ ..
- ز. تعقيب لرئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر .	٦٠
- ح. حقيقة الوحي إلى أم موسى عليها السلام .	٦٢
- ط. تعقيب على ما ذكر من أقوال المفسرين .	٦٣
- ي. المقاصد من الوحي ، وتمثّل في مراتب الهداية الخاصة والعامة .	٧٠ ...
- المرتبة الأولى : مرتبة تكليم الله ﷻ لعبده يقظة بلا واسطة بل منه إليه .	٧٠ ...
- الثانية : مرتبة الوحي المختص بالأنبياء .	٧٠
- الثالثة : إرسال الرّسول الملكي إلى الرّسول البشري .	٧١
- الرابعة : مرتبة التّحديث ، وهذه دون مرتبة الوحي الخاص .	٧١
- الخامسة : مرتبة الإفهام .	٧٢
- السادسة : مرتبة البيان العام .	٧٢
- السابعة : البيان الخاص .	٧٢
- الثامنة : مرتبة الإسماع .	٧٣
- المرتبة التاسعة : مرتبة الإلهام .	٧٣
- المرتبة العاشرة : الرؤيا الصادقة .	٧٣
- ك : التّائج ..	٧٤
- ٣ - التّعريف بالنّزول .	٧٥
- أ. تقدّم مبحث النّزول على غيره من مباحث علوم القرآن .	٧٥

الموضوع	الصفحة
- ب. معنى (النزول) لغة .	٧٥
- ج. معنى (النزول) اصطلاحاً .	٧٧
- ٤ - مبلغ الخطاب .	٧٩
- توطئة .	٧٩
- أولاً: التعريف بمبلغ الخطاب القرآني . .	٧٩
- ثانياً: موافقة بعض أسماء أو صفات النبي ﷺ بعض أسماء الله ﷻ	
الحسنى .	٨٣
- ثالثاً: أسماء أو صفات أخرى في القرآن الكريم .	٨٦
- رابعاً: صيغ مخاطبة الرسول ﷺ .	٨٨
- أ. ما كان الخطاب في وصفه بأنه مرسل .	٨٨
- ب. ما كان في وصفه بأنه نبي .	٨٩
- المغايرة بين الوصفين .	٨٩
- ج. ما كان وصفاً لحاله .	٩٠
- خامساً: صيغ أخرى لخطاب الله ﷻ لنبه ﷺ .	٩١
- أ. الخطاب القرآني بصيغة الأمر ﴿قُلْ﴾ .	٩١
- ب. ما كان تخويلاً من الله ﷻ لرسوله ﷺ .	٩٣
- سادساً: الخطاب المباشر بصيغة النداء .	٩٣
- سابغاً: الخطاب بضمير المخاطب .	٩٤
- أ. الخطاب بضمير المخاطب: ﴿أَنْتَ﴾ .	٩٤
- ب. الخطاب بضمير المخاطب: (التاء) .	٩٥
- الأول: تاء الفعل المضارع .	٩٥
- الثاني: تاء الفعل الماضي .	٩٧

الموضوع	الصفحة
- الثالث: الخطاب بضمير المخاطب (الكاف)	٩٨
- ١ - للمفعول به.	٩٨
- ٢ - للمجرور.	٩٩
- ٣ - للمضاف إليه.	١٠٠
- ثامناً: أقسام الخطاب الموجه إلى الرسول ﷺ.	١٠١
- تاسعاً: واجب المكلف نحو المبلغ (الرسول ﷺ).	١٠٢
- عاشراً: المقاصد العامة من إرسال الرسل.	١٠٥
- الحادي عشر: خطاب العتاب.	١٠٧
- الثاني عشر: أثر بشرية الرسول ﷺ في تفعيل الخطاب.	١٠٨
- ٥ - التعريف بالخطاب	١١٧
- أ. التعريف اللغوي	١١٧
- ب. مادة (الخطاب) في النصوص القرآنية.	١١٨
- ج. تعريف الخطاب عند الأصوليين والفقهاء.	١٢٧
- د. مسألة في بيان المراد من الخطاب عمومًا.	١٣١
- ٦ - التعريف بالقرآن الكريم.	١٣٣
- توطئة لبيان سبب الاهتمام بهذا التعريف.	١٣٣
- أ. التعريف اللغوي.	١٣٣
- ب. تعريف القرآن شرعًا.	١٣٤
- ٧ - التعريف بالمخاطب المكلف	١٤٣
- ٨ - بيان معنى تعلق الخطاب بفعل المكلف	١٤٤
- ٩ - التعريف بالأسلوب.	١٤٦
- ١٠ - المعنى الاصطلاحي لمفهوم الخطاب في هذه الدراسة	١٤٨

الموضوع	الصفحة
- الاصطلاح الأول: مصطلح الخطاب بالمعنى الأعم .	١٤٨.....
- الاصطلاح الثاني: مصطلح الخطاب بالمعنى الأخص .	١٤٨.....
- ١١ - نتائج البحث التي توصلت إليها من التمهيد	١٥٢.....
- الفصل الأول: تنوع وجوه المخاطبات في القرآن الكريم	١٥٥.....
- أ. المنهجية في تقسيم وجوه المخاطبات.	١٥٧.....
- ب. توطئة في بيان أنواع الخطاب	١٦٢.....
- المبحث الأول: توجيه الخطاب في القرآن الكريم	١٦٧.....
- توطئة.	١٦٧.....
- أولاً: ما كان خطاباً من الله ﷻ بصيغة المتكلم.	١٧١.....
- أ. (نحن).	١٧١.....
- ب. خطاب من الله ﷻ بصيغة المتكلم (إنّي)	١٧١.....
- ١ - إلى الملائكة.	١٧٢.....
- ٢ - إلى إبراهيم عليه السلام.	١٧٢.....
- ٣ - إلى عيسى عليه السلام.	١٧٢.....
- ٤ - إلى بني إسرائيل.	١٧٢.....
- ٥ - إلى الحوارين.	١٧٢.....
- ٦ - إلى موسى عليه السلام.	١٧٢.....
- ٧ - إلى الرسل - عليهم الصلاة والسلام -	١٧٢.....
- ٨ - إلى المؤمنين.	١٧٢.....
- ٩ - إلى آل داود عليه السلام.	١٧٢.....
- ج. خطاب من الله ﷻ بصيغة المتكلم (أنّي).	١٧٣.....
- ١ - إلى المؤمنين.	١٧٣.....

الموضوع	الصفحة
٢ - إلى الملائكة ..	١٧٣
د. خطاب من الله ﷻ بصيغة (أنا) - بتشديد النون - .	١٧٣
هـ. خطاب من الله ﷻ بصيغة (أنا) - بالتخفيف - .	١٧٣
و. خطاب من الله ﷻ بصيغة (إننا) أو الضمائر غير المباشرة .	١٧٣
ز. ضمير الياء للمتكلم ﴿فَإِنِّي﴾ .	١٧٤
ثانيًا: خطاب عن الله بصيغة العينة .	١٧٤
ثالثًا: خطاب موجه من الله ﷻ إلى النبي ﷺ بلفظ مباشر .	١٧٥
١ - النداء: (يا أيُّها) .	١٧٥
٢ - لفظ: (قُلْ) .	١٧٥
٣ - ضمير المخاطب (التاء) .	١٧٥
٤ - الكاف .	١٧٦
رابعًا: خطاب موجه إلى جماعات بعينها .	١٧٦
خامسًا: الخطاب من الرُّسل - عليهم الصلاة والسلام - .	١٧٦
سادسًا: الخطاب من غير الرُّسل .	١٧٧
سابعًا: خطاب من اختلف في نبوته .	١٧٧
ثامنًا: خطاب غيرهم من البشر .	١٧٩
تاسعًا: خطاب غيرهم من المخلوقات .	١٧٩
عاشرًا: النتائج .	١٧٩
المبحث الثاني: تنوع أساليب الخطاب من حيث النزول .	١٨١
توطئة لبيان صلة هذا المبحث بموضوع البحث .	١٨٣
أولاً: أهمية العلم بالخطاب المكي والخطاب المدني .	١٨٥
ثانيًا: الاصطلاحات في معنى المكي والمدني .	١٨٦

الموضوع	الصفحة
- الاصطلاح الأول .	١٨٦.....
- الاصطلاح الثاني .	١٨٧.....
- الاصطلاح الثالث .	١٩٠.....
- ثالثاً: بيان ما يميّز به كلٌّ من الخطاب المكّي عن المدني من حيث	
الأسلوب والموضوع	١٩٢.....
- رابعاً: ما يستفاد من كلٌّ من الخطاب المكّي، والخطاب المدني .	١٩٤.....
- خامساً: ضوابط ومميزات الخطاب القرآني المكّي .	١٩٨.....
- سادساً: ضوابط ومميزات الخطاب القرآني المدني .	١٩٩.....
- سابغاً: نتائج البحث .	١٩٩.....
- المبحث الثالث: التنوع في العموم والخصوص	٢٠١.....
- المطلب الأول: العموم والخصوص .	٢٠٣.....
- وهو أقسام	٢٠٣.....
- الأول: خطاب العام المراد به العموم .	٢٠٣.....
- الثاني: خطاب الخاص والمراد به الخصوص .	٢٠٣.....
- الثالث: خطاب الخاص والمراد به العموم .	٢٠٤.....
- الرابع: خطاب العام والمراد الخصوص .	٢٠٨.....
- المطلب الثاني: الجمع والإفراد والتثنية .	٢١٨.....
- وهو أقسام .	٢١٨.....
- الأول: خطاب الجنس .	٢١٨.....
- الثاني: خطاب النوع .	٢٢٣.....
- الثالث: خطاب العين .	٢٢٦.....
- الرابع: خطاب الاثنين .	٢٢٩.....

الموضوع	الصفحة
- المبحث الرابع: العدول إلى غير الظاهر في الأفراد والثنائية والجمع ٢٣١	
- المطلب الأول: خطاب الجمع بلفظ الواحد... ٢٣٣	
- أ. بيان أهمية هذا اللون من ألوان الخطاب، واهتمام المفسرين والباحثين به... ٢٣٣	
- إطلاق المفرد وإرادة الجمع مع تعريف المفرد وتنكيره وإضافته... ٢٣٨	
- ب. سرد النماذج والأمثلة... ٢٤٢	
- ج. النتائج... ٢٥٤	
- المطلب الثاني: خطاب الواحد بلفظ الجمع... ٢٥٥	
- أ. العرض والتحليل... ٢٥٥	
- ب. النتائج... ٢٧٤	
- المطلب الثالث: خطاب الواحد بلفظ الاثنين... ٢٧٥	
- المطلب الرابع: خطاب الاثنين بلفظ الواحد... ٢٨٥	
- المطلب الخامس: خطاب الاثنين بلفظ الجمع... ٢٩٣	
- المطلب السادس: خطاب الجمع بعد الواحد... ٣٢٩	
- المطلب السابع: خطاب الواحد بعد الجمع... ٣٣١	
- المطلب الثامن: خطاب الاثنين بعد الواحد... ٣٣٢	
- المطلب التاسع: خطاب الواحد بعد الاثنين... ٣٣٥	
- المطلب العاشر: خطاب عين والمراد غيره... ٣٣٦	
- المطلب الحادي عشر: خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره... ٣٥٧	
- المطلب الثاني عشر: خطاب الكل وإرادة البعض... ٣٦١	
- المطلب الثالث عشر: خطاب الملائكة وإرادة غيرهم... ٣٦٢	

الموضوع	الصفحة
- المطلب الرابع عشر: الخطاب القرآني العام الذي لم يقصد به مخاطب معين	٣٦٣
- المطلب الخامس عشر: أساليب الالتفات في الخطاب القرآني . . .	٣٧٠
- أ. تعريف الالتفات	٣٧٠
- ب. ومن صور الالتفات	٣٧٢
- ج. بيان ما يستفاد من الأهداف والمقاصد العامة من الالتفات . . .	٣٧٣
- المبحث الخامس: ما يتعلق من الخطاب بحال الإنسان ومشاعره وأحاسيسه .	٣٧٥
- المطلب الأول: خطاب الكرامة	٣٧٧
- المطلب الثاني: خطاب الإهانة	٣٨٢
- المطلب الثالث: خطاب التَّهْكَم	٣٩٦
- ١ - توطئة	٣٩٦
- ٢ - الأمثلة على التَّهْكَم من الخطاب القرآني	٤٠٠
- فرع في بيان (خذلان المخاطب)	٤٢٩
- المطلب الرابع: خطاب الاعتبار والاعتاظ	٤٣٠
- أ. بيان معنى الاعتبار والاعتاظ	٤٣٠
- ب. المعنى الإجمالي المستفاد من الآيات	٤٣٥
- ج. سرد الآيات وبيان وجه الدلالة	٤٣٨
- د. النتائج	٤٥٩
- المطلب الخامس: خطاب التَّهْيِيج	٤٦٢
- أ. توطئة في بيان المعنى اللغوي لمادة التهيج	٤٦٢
- ما جاء دالاً بمادَّته على هذا المعنى من الألفاظ القرآنية	٤٦٢
- ب. ما يتبيّن من المعاني اللغوية لهذا اللون من ألوان الخطاب . . .	٤٦٦

الموضوع	الصفحة
- ج. العرض والتحليل لآيات التَّهْيِيج .	٤٦٩
- المطلب السادس: خطاب الإغضاب .	٤٨٨
- أ. ما دلَّ بمادته على الإغضاب ..	٤٨٨
- ب. ما كان القصد منه إغضاب المخاطب ..	٤٨٩
- ج. النتائج ..	٤٩٢
- المطلب السابع: خطاب التَّشْجِيع والتَّرْغِيب وخطاب التَّنْفِير والتَّرهيب .	٤٩٤
- توطئة .	٤٩٤
- أولاً: بيان معنى هذا الاصطلاح وأهميته .	٤٩٦
- ثانياً: نماذج من أساليب التَّرْغِيب والتَّرهيب في الخطاب القرآني ..	٤٩٨
- أ. التَّرْغِيب بِالْجَنَّةِ والتَّرهيب مِنَ النَّارِ .	٤٩٨
- ب. التَّرْغِيب والتَّرهيب بذكر الجزاء .	٤٩٨
- ج. التَّرْغِيب بذكر النِّعَم، والتَّرهيب مِنَ النَّقَم .	٤٩٩
- د. سرد النِّمَاجِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّشْجِيع .	٥٠١
- ثالثاً: تفسير الآيات ..	٥٠٣
- الآيات الَّتِي جَاءَ فِيهَا مَعْنَى التَّنْفِيرِ وَاضِحًا .	٥١٠
- رابعاً: النتائج .	٥١٨
- المطلب الثامن: خطاب التَّحْنِ والاسْتِعْطَافِ والتَّحْبِيبِ .	٥٢٠
- أ. ما دلَّ بمادته على معنى التَّحْنِ والاسْتِعْطَافِ .	٥٢٠
- ب. ومن خطاب التَّحْنِ والاسْتِعْطَافِ والتَّحْبِيبِ الآيات التَّالِيَةُ .	٥٢٠ ...
- ج. ومما يدخل في هذا الباب ..	٥٢٩
- المطلب التاسع: خطاب التَّحْسِرِ والتَّلَهْفِ .	٥٣١
- توطئة ..	٥٣١

الموضوع	الصفحة
- أ. بيان مادة: (حسر).	٥٣١
- مادة: (حسر) في القرآن الكريم..	٥٣١
- ب. الخطاب الذي يدلُّ على تحسير المخاطب.	٥٣٤
- ج. بيان الخبر الذي يراد منه (إنشاء التَّحْسِر).	٥٣٤
- د. الخطاب الدَّال على التَّحْسِر بصيغة مباشرة من المخاطب..	٥٤٢
- هـ. ورود الاستفهام في معنى التَّفي الدَّال على التَّحْسِر.	٥٤٢
- و. ورود التَّمني في معنى التَّحْسِر..	٥٤٤
- ز. بيان مائة: (الويل).	٥٤٤
- ح. وقد يوضع (الويل) موضع التحسر والتفجع..	٥٤٤
- ط. النتائج...	٥٤٥
- المبحث السادس: خطاب المدح والذم.	٥٤٧
- المطلب الأول: خطاب المدح..	٥٤٩
- أ. توطئة في تحديد المصطلحات.	٥٥٠
- ب. (نعم) من الخطاب القرآني بمعناه الأعم.	٥٥٤
- ج. فاعل (نعم) المقرون بأل في الخطاب القرآني.	٥٥٧
- د. فاعل (نعم) مضاف إلى ما فيه (أل) في الخطاب القرآني.	٥٥٨
- هـ. ما جرى مجرى (نعم)..	٥٥٨
- و. صلة خطاب المدح بموضوع البحث.	٥٥٩
- المطلب الثاني: خطاب الذم.	٥٦٦
- أ. تعريف الذم..	٥٦٧
- ب. أفعال الذم.	٥٦٧
- (يُس) في الخطاب القرآني.	٥٦٧

الموضوع	الصفحة
- ج. ما يلحق بأفعال الذم.	٥٧٢
- ما يلحق ببئس..	٥٧٢
- ١ - (سَاء).	٥٧٢
- ٢ - ما جرى مجرى (بئس) في الخطاب القرآني (خَبَثٌ وَكَبُرَ) ..	٥٧٦
- د. صلة خطاب الذم بموضوع البحث.	٥٧٧
- هـ. خطاب الذم من حيث معناه الأخص ..	٥٧٧
- و. النتائج ..	٥٧٨
- المبحث السابع: ما يتعلق ببيان عجز المخاطب عن الإتيان بمثل ما خوطب به ودحض تكذيبه	٥٨١
- المطلب الأول: خطاب التحدي والتعجيز	٥٨٣
- أ. التعريف بالتعجيز والتحدي.	٥٨٣
- ب. ما يتحقق به الإعجاز.	٥٨٦
- ج. الآيات التي تدل على التعجيز.	٥٨٩
- د. التخصيص الذي يكون بمعنى التعجيز.	٦٠٣
- هـ. ما يخاطب به المرسلون من أقوامهم ليس في حقيقته بتعجيز.	٦٠٦
- و. ما يدل بمادته على التعجيز.	٦١٠
- ز. النتائج ..	٦١١
- المطلب الثاني: خطاب التكذيب.	٦١٢
- أ. بيان مادة: (كذب)	٦١٢
- ب. خطاب من كذب.	٦١٣
- ١ - ما يكون الغرض منه تكذيب المخاطب..	٦١٣
- ٢ - ما يفهم من دلالة الكلام..	٦١٤

الموضوع	الصفحة
٣ - ما يدلُّ بصريح مادته .	٦١٤
٤ - ما كان من الخطاب القرآني وصفًا لحال المكذبين ، وبيانًا لعاقبتهم .	٦١٦
٥ - ما كان من خطاب المكذِّبين أنفسهم .	٦٢١
ج. التَّنائج .	٦٢١
المبحث الثامن: خطاب التَّكليف .	٦٢٣
أ. مكانة العقل في الخطاب .	٦٢٣
ب. نصيب الفرد من الخطاب التَّكليفي .	٦٢٥
ج. خطاب التَّكليف وخطاب الوضع .	٦٢٨
د. التَّنائج .	٦٣٠
المبحث التاسع: خطاب المعدوم ومن ليس منتظمًا في سلك التَّكليف وقت الوحي والإناث والعبيد والأمم الماضية ، وبيان المقصود من الخطاب الشَّفاهي ..	٦٣١
المبحث العاشر: خطاب الجمادات .	٦٤٧
الإشارة هنا إلى موضعه ، مع الإحالة إلى الفصل الثالث .	٦٤٧

المجلد الثاني

الفصل الثاني: أساليب الطَّلَب في الخطاب القرآني	٦٤٩
توطئة في بيان معنى الإنشاء الطَّلبي ..	٦٥١
المبحث الأول: التَّعريف بموضوعات الأمر والنَّهي في الخطاب القرآني	٦٥٥
المطلب الأول: التَّعريف بالأمر في القرآن	٦٥٧
أولاً: بيان السَّبب في تقديم الأمر على النَّهي ..	٦٥٨
ثانيًا: بيان أهمية الأمر والنَّهي في الخطاب القرآني .	٦٥٨
ثالثًا: تعريف الأمر .	٦٥٩

الموضوع	الصفحة
- رابعًا: بيان هل يشترط في الأمر (في الخطاب القرآني) إرادة الفعل؟ .. ٦٦١	
- خامسًا: التعبير عن إرادة الفعل بالفعل .. ٦٦٢	
- سادسًا: صيغ الأمر في القرآن الكريم .. ٦٦٤	
- ١ - فعل الأمر .. ٦٦٤	
- ٢ - المضارع المجزوم بلام الأمر .. ٦٦٤	
- أ. دخول لام الأمر على المضارع المبدوء بتاء الخطاب .. ٦٦٥	
- ب. لام الأمر غير المسبوقة بحرف عطف .. ٦٦٥	
- ج. لام الأمر للمتكلم .. ٦٦٦	
- د. لام الأمر بعد الفاء .. ٦٦٦	
- هـ. لام الأمر بعد الواو .. ٦٦٨	
- و. لام الأمر بعد (ثم) .. ٦٦٩	
- ٣ - اسم فعل الأمر .. ٦٦٩	
- تنبيه ترد (ها) (اسم فعل) بمعنى (خذ) .. ٦٧١	
- ٤ - المصدر النائب عن فعل الأمر .. ٦٧٢	
- فرع في بيان ما اختلف في كونه فعل أمر .. ٦٧٣	
- سابعًا: موجب الأمر .. ٦٧٧	
- ثامنًا: دلالة الأمر على التكرار .. ٦٧٩	
- تاسعًا: المأمور به المطلق والمؤقت .. ٦٨٠	
- عاشرًا: المأمور به المخير .. ٦٨١	
- المطلوب الثاني: أفعال الأمر في القرآن .. ٦٨٣	
- المطلوب الثالث: خروج صيغة الأمر عن معناها الأصلي في الخطاب القرآني .. ٧٠٢	
- ١ - الإباحة .. ٧٠٢	

الموضوع	الصفحة
٢ - الاحتقار ..	٧٠٢
٣ - الإرشاد ..	٧٠٣
٤ - الاعتبار ..	٧٠٤
٥ - الإكرام ..	٧٠٤
٦ - الامتنان ..	٧٠٤
٧ - الإنذار ..	٧٠٥
٨ - الإهانة ..	٧٠٧
٩ - التَّبَصُّر ..	٧٠٩
١٠ - التَّحذير والإخبار عما يؤول إليه الأمر ..	٧١٠
١١ - التَّحْسِير ..	٧١٠
١٢ - التَّخِير ..	٧١٠
١٣ - التَّسْخِير ..	٧١١
١٤ - التَّسْوِية ..	٧١٢
١٥ - التَّعْجِب ..	٧١٣
١٦ - التَّعْجِيز ..	٧١٣
١٧ - التَّفْوِض ..	٧١٤
١٨ - التَّكْذِيب ..	٧١٤
١٩ - التَّهْدِيد ..	٧١٤
٢٠ - التَّكْوِين ..	٧١٥
٢١ - الجزاء ..	٧١٥
٢٢ - الخبر ..	٧١٥
٢٣ - الدُّعَاء ..	٧١٦

الموضوع	الصفحة
- ٢٤ - الدَّوام .	٧١٧
- ٢٥ - قرب المنزلة .	٧١٨
- ٢٦ - كمال القدرة .	٧١٩
- ٢٧ - المشورة .	٧١٩
- ٢٨ - النَّدب .	٧١٩
- ٢٩ - الوعد .	٧٢٠
- ٣٠ - الوعيد .	٧٢٠
- المطلب الرابع: التَّعريف بموضوعات النَّهي في القرآن .	٧٢٢
- أ. التَّعريف وبيان الصَّيغ .	٧٢٢
- ب. ذكر مواضع الصَّيغ من القرآن الكريم .	٧٢٥
- ١ - مواضع (لا) النَّاهية .	٧٢٥
- ٢ - مواضع (فلا) في الخطاب القرآني .	٧٢٦
- ٣ - موضع (ولا) في الخطاب القرآني ..	٧٢٧
- المطلب الخامس: خروج صيغة النَّهي عن معناها الأصلي في الخطاب القرآني ..	٧٢٩
- ١ - الاحتقار والتَّقليل .	٧٢٩
- ٢ - الإرشاد .	٧٢٩
- ٣ - الإهانة ..	٧٣٠
- ٤ - بيان العاقبة .	٧٣٠
- ٥ - التَّأديب .	٧٣٠
- ٦ - التَّسلية أو الاتِّناس .	٧٣٠
- ٧ - التَّسوية ..	٧٣١

الموضوع	الصفحة
- ٨ - التّفويض.	٧٣١
- ٩ - الدُّعاء.	٧٣١
- ١٠ - الكراهة.	٧٣١
- ١١ - اليأس.	٧٣٢
- المبحث الثاني: تنوع أساليب الأمر والنهي والإباحة.	٧٣٣
- توطئة.	٧٣٥
- المطلب الأول: تنوع أساليب الطّلب التي يراد بها الوجوب.	٧٣٦
- ١ - صريح مادّة الأمر.	٧٣٧
- لفظ: (الأمر) في القرآن الكريم يأتي على عدّة معانٍ.	٧٤٠
- ٢ - الإخبار بأنّ الفعل مكتوبٌ على المخاطبين.	٧٤٥
- ٣ - الإخبار بأنّ الفعل على النَّاس عامّة، أو على طائفةٍ تتصفّ بوصفٍ مخصوص.	٧٤٦
- ٤ - إطلاق الخبر على الطّلب.	٧٤٧
- ٥ - أن يطلب بصيغة الأمر الطّلية.	٧٥٠
- أ. فعل الأمر.	٧٥٠
- ب. المضارع المجزوم بلام الأمر.	٧٥٠
- ج. اسم فعل الأمر.	٧٥٠
- د. المصدر النائب عن فعله.	٧٥٠
- ٦ - التّعبير بالفرض.	٧٥٠
- أ. فَرَضَ.	٧٥٠
- ب. فَرَضْتُمْ.	٧٥١
- ج. فَرَضْنَا.	٧٥١

الموضوع	الصفحة
- د. فَرَضْنَاهَا .	٧٥١
- هـ. تَفَرَّضُوا	٧٥١
- و. فَرِيضَةً.	٧٥١
- ز. مَقْرُوضًا	٧٥٢
- ٧ - التَّجَوُزُ بجواب الشرط عن الأمر.	٧٥٢
- ٨ - ذكر الفعل مقرونًا بلفظ: (خير).	٧٥٢
- ٩ - ذكر الفعل مقرونًا بوعده	٧٥٢
- ١٠ - وصف الفعل بأنه برٌّ أو موصل للبرِّ	٧٥٣
- ١١ - ترتيب الفعل على شرط قبله	٧٥٣
- المطلب الثاني: تنوع أساليب النّهي.	٧٥٤
- ١ - صريح مادة النّهي.	٧٥٥
- ٢ - ما كان بصيغة التّحريم.	٧٥٦
- ٣ - ما كان فيه تصريح بعدم الحلّ	٧٥٨
- ٤ - ما كان بصيغة من صيغ النّهي.	٧٥٩
- أ. مواضع المضارع المسبوق بلا النّاهية.	٧٥٩
- ب. مواضع فعل الأمر الدالّ على طلب الكفّ	٧٦٠
- ٥ - نفي البرِّ عن الفعل.	٧٦١
- ٦ - نفي الفعل.	٧٦٢
- ٧ - ذكر الفعل مقرونًا باستحقاق الإثم.	٧٦٢
- ٨ - ذكر الفعل مقرونًا بوعيد.	٧٦٢
- ٩ - وصف الفعل بأنه شرٌّ.	٧٦٣
- ١٠ - إطلاق الخبر وإرادة النّهي..	٧٦٣

الموضوع	الصفحة
- ١١ - ترتيب وصف بغيض شنيع على ترك الفعل ٧٦٤	
- ١٢ - التَّجُوز بلفظ النَّهْي عن أشياء ليست مرادة بالنَّهْي ، وإنما المراد بها ما يقاربها أو يلازمها ، أو تكون مسببة عنه ٧٦٤	
- ١٣ - التَّجُوز بالنَّهْي لمن لا يصحُّ نهيه ، والمراد به من يصحُّ نهيه ٧٦٥	
- معنى التضمين ٧٦٩	
- ١٤ - التَّجُوز بنهي من يصحُّ نهيه والمنهي في الحقيقة غيره ٧٦٩	
- ١٥ - النَّهْي لوصف منفك عن الفعل ، ومجاور له ٧٧٠	
- المطلوب الثالث : أساليب الطَّلَب الَّتِي يراد بها الإباحة ٧٧١	
- ١ - لفظ الحلُّ مسندًا إلى الفعل ، أو متعلقًا به ٧٧٢	
- ٢ - نفي الإثم ٧٧٢	
- ٣ - نفي الجناح ٧٧٣	
- ٤ - ما اختلف في دلالة على الإباحة ٧٧٣	
- المبحث الثالث : الاستفهام والسؤال والدُّعاء والتَّمني والتَّرجي والعرض والتَّحضيض ٧٧٧	
- وفي بداية هذا المبحث توطئة تتضمَّن ٧٧٩	
- أولاً : الصُّلَّة بين الاستفهام وموضوع البحث ٧٧٩	
- ثانيًا : تعريف الاستفهام ٧٧٩	
- ثالثًا : أهميَّته ٧٨١	
- رابعًا : فائدته ٧٨١	
- خامسًا : وظيفتا الاستفهام ٧٨٣	
- ١ - طلب التَّصديق ٧٨٣	
- ٢ - طلب التَّصور ٧٨٤	

الموضوع	الصفحة
- سادسًا: أنواع الاستفهام	٧٨٥
- أ - الاستفهام المثبت	٧٨٥
- ب - الاستفهام المنفي	٧٨٥
- المطلوب الأول: استفهام الإنكار في القرآن الكريم	٧٨٦
- توطئة	٧٨٦
- أ. نماذج الاستفهام الإنكاري من القرآن الكريم	٧٨٧
- ب. ما يستفاد من الاستفهام الإنكاري	٨١٠
- المطلوب الثاني: استفهام التقرير في القرآن الكريم	٨١٢
- أ. التعريف وبيان الأهمية	٨١٢
- ب. نماذج الاستفهام التقريري من القرآن الكريم	٨١٨
- المطلوب الثالث: خروج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي	٨٣٦
- ١ - الإخبار	٨٣٩
- ٢ - الاستثناس	٨٤٠
- ٣ - الاستبطاء	٨٤٠
- ٤ - الاستبعاد	٨٤١
- ٥ - الافتخار	٨٤١
- ٦ - الأمر	٨٤١
- ٧ - الإنكار	٨٤٢
- ٨ - التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله	٨٤٢
- ٩ - التجاهل	٨٤٢
- ١٠ - التَّحْضِيز	٨٤٢
- ١١ - التَّحْقِير	٨٤٣

الموضوع	الصفحة
- ١٢ - التذكير ..	٨٤٣
- ١٣ - التَّسْوِية ..	٨٤٣
- ١٤ - التَّشْوِيق ..	٨٤٤
- ١٥ - التَّعْجِبْ أَوْ التَّعْجِيب ..	٨٤٦
- ١٦ - التَّعْظِيم ..	٨٤٦
- ١٧ - التَّفْخِيم ..	٨٤٦
- ١٨ - التَّقْرِير ..	٨٤٧
- ١٩ - التَّكْثِير ..	٨٤٧
- ٢٠ - التَّمْنِى ..	٨٤٧
- ٢١ - التَّنْبَه ..	٨٤٧
- أ. التَّنْبِيْهُ عَلَى الْخَطَا ..	٨٤٧
- ب. التَّنْبِيْهُ عَلَى ضَلَالِ الطَّرِيق ..	٨٤٧
- ج. التَّنْبِيْهُ عَلَى الْبَاطِل ..	٨٤٨
- ٢٢ - التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيد ..	٨٤٨
- ٢٣ - التَّهْكَم ..	٨٤٨
- ٢٤ - التَّهْوِيلُ وَعَكْسُهُ ..	٨٤٨
- ٢٥ - التَّوْبِيخ ..	٨٥٠
- ٢٦ - الْعَرْض ..	٨٥١
- ٢٧ - التَّنْهِي ..	٨٥١
- الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: أدوات الاستفهام في القرآن الكريم ..	٨٥٣
- أ. استعمالات ألفاظ الاستفهام ..	٨٥٣
- ١ - ما يستعمل لطلب التَّصَوُّر فقط ..	٨٥٣

الموضوع	الصفحة
- ٢ - ما يستعمل لطلب التصديق فقط ..	٨٥٣
- ٣ - ما يستعمل لطلب التصور تارة والتصديق تارة أخرى ..	٨٥٣
- ب. تقسيم أدوات الاستفهام ..	٨٥٤
- أولاً: حرفا الاستفهام : (هل)، و(الهمزة) ..	٨٥٤
- أ. هل ..	٨٥٤
- وتنفرد (هل) دون الهمزة ..	٨٥٦
- وردت (هل) في كثير من الآيات القرآنية الكريمة بمعنى : (قد) ..	٨٥٧
- يخرج الاستفهام بـ: (هل) عن حقيقته إلى معانٍ أخرى ..	٨٥٨
- ١ - الإنكار ..	٨٥٨
- ٢ - الأمر ..	٨٥٨
- ٣ - التذكير ..	٨٥٨
- ٤ - الترغيب ..	٨٥٨
- ٥ - التقرير ..	٨٥٨
- ٦ - التمني ..	٨٥٩
- ٧ - النصيح والإرشاد ..	٨٥٩
- ٨ - النفي ..	٨٥٩
- ب. الهمزة ..	٨٦٠
- أولاً: يطلب بالاستفهام بها أحد أمرين ..	٨٦٠
- ١ - التصور ..	٨٦٠
- ٢ - التصديق ..	٨٦٠
- ثانياً: ما تختص به همزة الاستفهام دون سائر الأدوات ..	٨٦٢
- ثالثاً: قد تخرج (الهمزة) عن الاستفهام الحقيقي ..	٨٦٤

الموضوع	الصفحة
١ - التَّسْوِية . . .	٨٦٤
٢ - الاستبطاء . . .	٨٦٤
٣ - الأمر . . .	٨٦٤
٤ - الإنكار . . .	٨٦٤
٥ - التَّعْجَب . . .	٨٦٤
٦ - التَّقْرِير . . .	٨٦٤
٧ - التَّهْكُمْ . . .	٨٦٤
٨ - التَّوْيِخ . . .	٨٦٤
ثانياً : أسماء الاستفهام . . .	٨٦٥
١ - (ما) . . .	٨٦٥
أ. بيان معناها . . .	٨٦٥
ب. حذف ألف (ما) الاستفهامية . . .	٨٦٨
ج. خروج (ما) عن معناها الأصلي . . .	٨٦٩
١ - الإنكار . . .	٨٦٩
٢ - التَّحْقِير . . .	٨٦٩
٣ - التَّعْجَب . . .	٨٦٩
٤ - التَّعْظِيم . . .	٨٧٠
٢ - (ماذا) . . .	٨٧٠
٣ - (مَنْ) . . .	٨٧٢
أ. يستفهم بها عن الأجناس الصَّالِحَة للخطاب أو (أجناس العقلاء) . . .	٨٧٢
ب. وقد يُشْرَب معنى (التَّنْفِي) . . . كذلك قد يُشْرَب معنى (التَّهْوِيل) . . .	٨٧٣
ج. بيان موقعها من الإعراب . . .	٨٧٣

الموضوع	الصفحة
- د. وقد تقرن: (مَنْ) بـ (ذا)، ويستفهم بهما معاً ٨٧٣	
- هـ. تخرج (مَنْ) عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى ٨٧٤	
- ٤ - (متى) ٨٧٤	
- ٥ - (أيان) ٨٧٤	
- ٦ - (أين) ٨٧٧	
- ٧ - (أَنَّى) ٨٧٨	
- ٨ - (كيف) ٨٨١	
- أ. يسأل بها عن الأحوال والصفات لا عن الذوات وغيرها. ٨٨١	
- ب. وهي من الأسماء ٨٨١	
- ج. ما يتعلق بالإعراب ٨٨٢	
- د. والاستفهام بـ: (كيف) يكون حقيقةً ٨٨٢	
- هـ. خروج الاستفهام بـ: (كيف) عن حقيقته ٨٨٢	
- أولاً: الاستبعاد ٨٨٢	
- ثانياً: الإنكار ٨٨٤	
- ثالثاً: التعجب ٨٨٤	
- رابعاً: التعظيم ٨٨٦	
- خامساً: التقرير والتوبيخ ٨٨٧	
- سادساً: التهديد والوعيد ٨٨٧	
- سابعاً: النفي ٨٨٧	
- ٩ - (أي) ٨٨٨	
- ١٠ - (كم) ٨٨٩	
- فرع في بيان الاستفهام المثبت والاستفهام المنفي ٨٩٠	

الموضوع	الصفحة
- أوّلاً: أجوبة الاستفهام المثبت	٨٩٠
- ثانياً: أجوبة الاستفهام المنفي	٨٩١
- خاتمة في إجمال النتائج	٨٩٢
- المطلب الخامس: السؤال في القرآن الكريم من حيث عموم معناه	٨٩٣
- أ. تعريف السؤال	٨٩٣
- ب. أهمية السؤال وبيان حكمه وأنواعه في القرآن الكريم	٨٩٧
- السؤال في كتاب الله والحديث نوعان	٨٩٨
- السؤال ورد في القرآن على عشرين وجهًا	٩٠٣
- ج. مادة سأل في القرآن الكريم	٩٠٦
- د. السؤال الاستفهامي	٩٠٨
- هـ. السؤال الاستفهامي الإنكاري	٩١٢
- و. السؤال الاستفهامي التقريري	٩١٢
- ز. السؤال الاستفهامي التوبيخي	٩١٢
- ح. سؤال الحساب	٩١٣
- ط. السؤال الطلبي	٩١٧
- خلاصة إجمالية	٩١٩
- المطلب السادس: الدعاء في القرآن الكريم	٩٢١
- التعريف مع بيان الصلة بموضوعات البحث	٩٢١
- دعاء المسألة ودعاء العبادة	٩٢٩
- عرض الدعاء من المحاور الثلاثة	٩٣١
- أوّلاً: ما صُرح فيه بمادة الدعاء	٩٣١
- يأتي في القرآن على أوجه	٩٣١

الموضوع	الصفحة
- أحدها: القول.....	٩٣١
- الثاني: العبادة.....	٩٣٢
- الثالث: النداء.....	٩٣٣
- الرابع: الاستعانة.....	٩٣٤
- الخامس: السؤال.....	٩٣٥
- السادس: الاستفهام والاستعلام.....	٩٣٥
- السابع: العذاب.....	٩٣٥
- الثامن: التسمية.....	٩٣٦
- التاسع: العرض.....	٩٣٦
- ثانيًا: ما صُرح فيه بمادة الخطاب المراد منها الدعاء من حيث معناه الديني	٩٣٦
- ثالثًا: ما كان دعاءً من المخاطب باستخدام أداة الخطاب ظاهرة أو مقدرة..	٩٣٧
- أ. ما كانت فيه أداة النداء ظاهرة.....	٩٣٧
- ب. ما كانت فيه أداة النداء مقدرة.....	٩٣٧
- ١- ربّ.....	٩٣٨
- ٢- ربّنا.....	٩٤١
- ٣- اللهم.....	٩٤٦
- رابعًا: الجمل الخبرية المراد منها إنشاء الدعاء.....	٩٤٧
- النماذج والأمثلة.....	٩٤٧
- خامسًا: ألفاظ السلام هل هي من قبيل الإنشاء الخبر؟.....	٩٥٩
- سادسًا: ألفاظ الصلاة التي هي من قبيل الدعاء.....	٩٦٥
- سابعًا: الاستفتاح بالدعاء القرآن.....	٩٦٨
- ثامنًا: الأهداف والمقاصد.....	٩٦٩

الموضوع	الصفحة
- المطلب السابع: التمني والترجي في الخطاب القرآني .	٩٧٣
- أولاً: التعريف والأدوات	٩٧٣
- أ. التعريف	٩٧٣
- ب. الأدوات	٩٨١
- ج. ما ورد بصورة التَّرجي مع تعذُّر حصوله	٩٨٤
- د. استعمال لفظ: (ليت) في التَّرجي لغرض بلاغي	٩٨٥
- هـ. بيان معنى كلٍّ من (عسى ولعلّ) في القرآن	٩٨٦
- تعقيبان لابن عرفة على أبي حيان	٩٨٧
- اقتران خبر عسى بأن في القرآن الكريم	٩٨٩
- و. مواضع (عسى) في القرآن الكريم	٩٩٠
- ثانياً : دراسة (ليت) في الخطاب القرآني	٩٩٠
- مواضع (ليت) في القرآن الكريم	٩٩١
- ١ - ﴿يَلَيْتَ﴾	٩٩١
- ٢ - ﴿يَلَيْتَنِي﴾	٩٩٢
- ٣ - ﴿يَلَيْتَنَّا﴾	٩٩٢
- المطلب الثامن: العرض والتَّحضيض في القرآن	٩٩٦
- أ. التعريف	٩٩٦
- ب. حروف التَّحضيض	٩٩٩
- ج. (لولا) التَّحضيضية في القرآن	١٠٠١
- د. (لوما) التَّحضيضية في القرآن	١٠٠٧
- هـ. مجيء أدوات التَّحضيض للتَّوْيِيح والتَّنْذِير	١٠٠٩
- و. (ألا) أداة عرضٍ وتحضيض	١٠١٠

الموضوع	الصفحة
- أولاً: (ألا) - بالفتح والتخفيف - أداة عرض وتحضيض... ١٠١١..	
- ثانيًا: (ألا) - بالفتح والتشديد - الدالة على التحضيض... ١٠١٥.....	
- الفصل الثالث: النداء في القرآن الكريم ١٠١٩.....	
- المبحث الأول: التعريف بالنداء ١٠٢١.....	
- توطئة. ١٠٢١.....	
- المطلب الأول: مادة النداء في القرآن الكريم، وبيان اللغات في لفظ النداء، وما يتعلق بالاشتقاق. ١٠٢٥.....	
- أولاً: مادة النداء في القرآن الكريم... ١٠٢٦.....	
- ثانيًا: أوجه النداء في القرآن الكريم. ١٠٢٨.....	
- ثالثًا: بيان اللغات في لفظ النداء، وما يتعلق بالاشتقاق. ١٠٣٠.....	
- المطلب الثاني: تعريف النداء لغة واصطلاحًا وتوضيح المعنى من خلال تفسير الآيات. ١٠٣٢.....	
- أولاً: تعريف النداء لغة واصطلاحًا.. ١٠٣٣.....	
- ثانيًا: توضيح معنى النداء من خلال تفسير آيات.. ١٠٣٦.....	
- ثالثًا: بيان من الذي ينادى؟... ١٠٣٨.....	
- رابعًا: حذف أداة النداء في الخطاب القرآني. ١٠٤٣.....	
- خامسًا: حذف المُنَادَى ١٠٤٥.....	
- المطلب الثالث: أقسام النداء في القرآن الكريم في الجملة وبيان ما يصحب النداء. ١٠٤٧.....	
- ١ - نداء تنبيه مع مدح. ١٠٤٨.....	
- ٢ - نداء تنبيه مع ذم. ١٠٤٨.....	
- ٣ - نداء تنبيه. ١٠٤٨.....	

الموضوع	الصفحة
٤ - نداء إضافة ..	١٠٤٨.....
٥ - نداء نسبة ..	١٠٤٨.....
٦ - نداء التسمية ..	١٠٤٨.....
٧ - نداء التخصيص ..	١٠٤٨.....
ب. بيان ما يصحب النداء ..	١٠٤٨.....
المبحث الثاني: أدوات النداء وما وليها، وبيان المستخدم في القرآن من هذه الأدوات	١٠٥١.....
المطلب الأول: بيان أدوات النداء ..	١٠٥٣.....
أ. التعريف بأدوات النداء ..	١٠٥٣.....
ب. تصرف البلّغ في استعمال أدوات النداء ..	١٠٥٥.....
المطلب الثاني: أداة النداء المستخدمة في القرآن الكريم ..	١٠٥٨.....
المطلب الثالث: بيان الحكمة من استخدام حرف النداء (يا) دون غيره ..	١٠٨٢.....
المطلب الرابع: دخول حرف النداء: (يا) على الاسم في الخطاب القرآني ..	١٠٨٦.....
المطلب الخامس: بيان معنى (أي) والحكمة من ذكره ..	١٠٩٠.....
المطلب السادس: حكمة التنبيه بـ (ها)، ونداء ما فيه (أل) ..	١٠٩٧.....
أولاً: حكمة التنبيه بـ (ها) ..	١٠٩٨.....
ثانياً: نداء ما فيه (أل) ..	١١٠١.....
المبحث الثالث: صيغ النداء في القرآن	١١٠٧.....
توطئة ..	١١٠٨.....
المطلب الأول: النداء القرآني العام إلى المخلوق	١١٠٩.....
١ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ ..	١١٠٩.....
أ. بيان المعنى ..	١١٠٩.....

الموضوع	الصفحة
- ب. ما يستفاد ممّا ولي المنادى (نماذج تطبيقية) ١١٠٩	
- ٢ - يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ١١١١	
- ٣ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ١١١٤	
- ٤ - يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ١١١٦	
- ٥ - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ١١١٦	
- أ. بيان المعنى ١١١٦	
- ب. ما يستفاد ممّا ولي المنادى ١١١٧	
- ٦ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ١١١٨	
- أ. بيان المعنى ١١١٨	
- ب. ما يستفاد ممّا ولي المنادى ١١١٩	
- ٧ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ ١١٢٠	
- أ. بيان المعنى ١١٢٠	
- ب. ما يستفاد ممّا ولي المنادى ١١٢١	
- ٨ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ١١٢٦	
- ٩ - يَا بَنِي آدَمَ ١١٢٦	
- أ. ما يستفاد من النداء بهذه الصيغة، ومما ولي المنادى ١١٢٦	
- ب. النتائج ١١٣٠	
- ١٠ - .. يَا قَوْمَ ١١٣٢	
- ١١ - .. يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ١١٣٥	
- ١٢ - ﴿يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، ، ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ﴾ ١١٣٥	
- أ. يَا عِبَادِي ١١٣٦	
- ب. يَا عِبَادَ ١١٣٦	

الموضوع	الصفحة
- ١٣ - يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ..	١١٣٩
- أ. بيان المعنى ..	١١٣٩
- ب. التَّرجيح ..	١١٤٢
- ج. ما يستفاد مما ولي المنادى ..	١١٤٢
- تعقيب ابن عرفة - رحمه الله - على قول ابن عطية ..	١١٤٣
- د. إجمال النتائج المستفادة ..	١١٤٥
- ١٤ - .. يَا أَهْلَ يَثْرِبَ	١١٤٦
- ١٥ - يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ	١١٤٨
- أ. بيان المعنى ..	١١٤٨
- ١٦ - .. يَا قَوْمَنَا ..	١١٥١
- ١٧ - .. يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ..	١١٥٢
- استدلال جمع من المفسرين بهذه الآية على الاحتجاج القياس ..	١١٥٢
- ١٨ - .. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ..	١١٥٦
- ١٩ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ..	١١٥٨
- أ. بيان المعنى ..	١١٥٨
- ب. إجمال ما يستفاد مما ولي المنادى ..	١١٥٩
- ٢٠ - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ	١١٥٩
- أ. بيان المعنى ..	١١٥٩
- ب. إجمال ما يستفاد مما ولي المنادى ..	١١٥٩
- ٢١ - .. يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ	١١٦١
- أ. بيان المعنى ..	١١٦١
- ب. إجمال ما يستفاد مما ولي المنادى ..	١١٦٤

الموضوع	الصفحة
- خاتمة عامة لما سبق ..	١١٦٥.....
- المطلب الثاني: نداء الأعلام ..	١١٦٧.....
- أولاً: توطئة للتعريف بالعلم في الخطاب القرآني	١١٦٨.....
- ١ - العلم الشخصي ..	١١٦٨.....
- أ. أولو العلم من المذكرين والمؤنثات ..	١١٦٩.....
- ب. أعلام القبائل ..	١١٦٩.....
- ج. أعلام البلاد والأمكنة في الدنيا ..	١١٦٩.....
- د. أعلام الأماكن الأخروية ..	١١٦٩.....
- هـ. أعلام الكواكب والنجوم والشهب ..	١١٦٩.....
- و. أعلام الطيور ..	١١٦٩.....
- ٢ - العلم الجنسي ..	١١٧٠.....
- أ. أعيان ..	١١٧٠.....
- ب. أمور معنوية ..	١١٧٠.....
- ثانياً: نداء الأنبياء في القرآن الكريم ..	١١٧١.....
- ١ - نداء آدم عليه السلام ..	١١٧١.....
- ٢ - نداء نوح عليه السلام ..	١١٧١.....
- ٣ - نداء هود عليه السلام ..	١١٧١.....
- ٤ - نداء صالح عليه السلام ..	١١٧٢.....
- ٥ - نداء إبراهيم عليه السلام ..	١١٧٢.....
- ٦ - نداء لوط عليه السلام ..	١١٧٢.....
- ٧ - نداء شعيب عليه السلام ..	١١٧٢.....
- ٨ - نداء يوسف عليه السلام ..	١١٧٢.....

الموضوع	الصفحة
٩ - نداء موسى عليه السلام	١١٧٣
١٠ - نداء هارون عليه السلام	١١٧٤
١١ - نداء زكريا عليه السلام	١١٧٤
١٢ - نداء عيسى عليه السلام	١١٧٤
١٣ - نداء الرسول ﷺ ، أو النبي ﷺ	١١٧٤
أ. نداء الرسول ﷺ	١١٧٤
ب. نداء النبي ﷺ	١١٧٤
ج. نداء النبي ﷺ إلى قومه بلفظ: (قل)	١١٧٥
د. نداء النبي ﷺ على لسان الكافرين	١١٧٥
هـ. ما كان وصفاً لحاله	١١٧٥
و. نماذج من مقاصد من الخطاب بصيغة: ﴿يَتَأْتِيهَا الْبَقَى﴾	١١٧٥
ز. ما يكون بعد نداء النبي ﷺ في القرآن	١١٧٧
ح. إجمال ما يستفاد من المعاني التي تضمنتها آيات النداء للنبي ﷺ	١١٧٩
ثالثاً: ما يستفاد من نداء الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ...	١١٨٠
رابعاً: نداء من اختلف في نبوته (لقمان - مريم) - عليهما السلام -	١١٨٢
خامساً: نداء (مالك) - عليه السلام - من الملائكة	١١٨٣
أ. بيان الموضع الذي وردت فيه هذه الصيغة	١١٨٣
ب. إجمال ما يستفاد من صيغة النداء ومما ولي المنادى	١١٨٦
سادساً: نداء بقية الأعلام	١١٨٧
١ - نداء إبليس	١١٨٧
أ. بيان المواضع التي وردت فيها هذه الصيغة	١١٨٧
ب. بيان ما يستفاد مما ولي المنادى	١١٨٧

الموضوع	الصفحة
- ٢ - نداء فرعون ..	١١٩٣
- أ. نداء فرعون في موضعين ..	١١٩٣
- ب. بيان المعنى مع ما يستفاد مما ولي المنادى ...	١١٩٣
- ج. إجمال النتائج المستفادة ...	١١٩٥
- ٣ - نداء هامان ..	١١٩٨
- أ. نداء هامان في موضعين ..	١١٩٨
- ب. بيان المعنى ...	١١٩٨
- ج. إجمال النتائج المستفادة مما سبق ..	١٢٠١
- ٤ - نداء السامري ..	١٢٠٢
- سابقاً: نداء المخلوقات الأخرى غير الجمادات ...	١٢٠٤
- أ. فوائد تتعلق بالآية ...	١٢٠٤
- ب. إجمال ما يستفاد ..	١٢٠٤
- ثامناً: نداء الجمادات ..	١٢٠٥
- أ. نداء الأرض والسماء ..	١٢٠٦
- ب. نداء النار ..	١٢٠٨
- ج. نداء الجبال ..	١٢١١
- د. النتائج المستفادة ..	١٢١٣
- المبحث الرابع: تقسيم المنادى إلى معرب ومبني ..	١٢١٥
- المطلب الأول: المنادى المبني ..	١٢١٧
- يبنى النداء في بعض الحالات ..	١٢١٨
- الأولى: المنادى المفرد المعرفة ..	١٢١٨
- ١ - أن يكون غير مثنى ولا مجموع جمع مذكر سالمًا ...	١٢١٨

الموضوع	الصفحة
- ٢ - أن يكون جمع تكسير	١٢١٨
- الثانية: إذا كان نكرة مقصودة	١٢١٩
- الثالثة: المنادى الموصوف بابن	١٢٢٠
- الرابعة: المنادى بلفظ (أي) و(آية)	١٢٢١
- المطلوب الثاني: المنادى المعرب	١٢٢٦
- أولاً: نداء المضاف	١٢٢٦
- ١ - يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ	١٢٢٦
- ٢ - يَا قَوْمِ	١٢٢٦
- ٣ - يَا بَنِيَّ	١٢٢٦
- أ. نداء إبراهيم عليه السلام بنيه	١٢٢٧
- ب. الموضع الثاني (نداء يعقوب عليه السلام بنيه). يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ	١٢٢٩
- ج. الموضع الثالث (نداء من يعقوب عليه السلام لبنيه أيضاً) .. يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا	١٢٣٠
- ٤ - يَا أُولِي الْأَلْبَابِ	١٢٣٢
- ٥ - قُلِ اللَّهُمَّ	١٢٣٢
- أ. الميم في قوله ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾	١٢٣٢
- ب. ﴿الْمَلِكُ﴾	١٢٣٢
- ج. إجمال ما يستفاد مما ولي المنادى	١٢٣٣
- د. ﴿مَلِكِ الْمَلِكِ﴾	١٢٣٣
- ٦ - قوله ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٢٣٤
- ٧ - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ	١٢٣٤
- ٨ - يَا وَيْلَتَى	١٢٣٤

الموضوع	الصفحة
- الموضوع الأول: يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ ..	١٢٣٤
- أ. بيان ما ولي المنادى ..	١٢٣٤
- ب. إجمال ما يستفاد ..	١٢٣٨
- أولاً: بيان العاقبة ...	١٢٣٨
- ثانياً: طبيعة الإنسان فيها نوازع الخير والشر ..	١٢٣٩
- ثالثاً: الزمان والمكان والأشخاص ..	١٢٤١
- رابعاً: قياسُ الشَّبه ..	١٢٤١
- خامساً: الاعتبار بقصص السابقين ...	١٢٤٢
- الموضوع الثاني: قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ...	١٢٤٢
- أ. ما يستفاد مما ولي المنادى ..	١٢٤٢
- ب. المراد من قولها: ﴿يَوَيْلَتَى﴾ ..	١٢٤٣
- ج. التّعقيب على قول أبي حيان والقاسمي (الاستفهام هنا استفهام إنكار وتعجب).	١٢٤٤
- د. دروس للمخاطبين ..	١٢٤٥
- الموضوع الثالث: يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ..	١٢٤٦
- أ. توضيح المعنى العام ..	١٢٤٦
- ب. دلالة (الالتزام العرفي) أو (المعنى الكنائي) ..	١٢٤٦
- ج. ندم الكافر وحسرتة يوم القيامة ..	١٢٤٨
- د. الأخوة والصداقة ..	١٢٤٩
- ٩- يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ ..	١٢٥٠
- ١٠- يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ..	١٢٥٠
- ١١- يَا بَنِي آدَمَ ..	١٢٥٠

الموضوع	الصفحة
- ١٢- يَا بُنَيَّ ..	١٢٥٠
- أ. المواضع التي وردت فيها هذه الصيغة ..	١٢٥٠
- ب. القراءات ..	١٢٥١
- ج. ما يستفاد من النداءات بهذه الصيغة ..	١٢٥٤
- ١٣- يَا أَبَتِ ..	١٢٥٨
- أ. المواضع التي وردت فيها هذه الصيغة ..	١٢٥٨
- ب. القراءات ..	١٢٥٨
- ج. إجمال الإعراب ..	١٢٦٠
- ١٤- يَا أَبَانَا ..	١٢٦١
- أ. المواضع التي وردت فيها هذه الصيغة ..	١٢٦١
- ب. ما يستفاد من النداء بهذه الصيغة ..	١٢٦١
- ١٥- يَا صَاحِبِي السَّجْنِ ..	١٢٦٢
- أ. المواضع التي وردت فيها هذه الصيغة ..	١٢٦٢
- ب. سبب المناداة هنا بعنوان الصُّحبة ..	١٢٦٣
- ج. سبب التَّعيين ..	١٢٦٤
- د. حقيقة الصَّاحب ..	١٢٦٥
- هـ. ومن الدُّروس المستفادة ..	١٢٦٥
- ١٦- يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ ..	١٢٦٨
- أ. الموضع الذي وردت فيها هذه الصيغة ..	١٢٦٨
- ب. بيان المعنى ..	١٢٦٨
- ج. نداء الأسف على سبيل المجاز ..	١٢٦٩
- د. تجنيس التَّصريف ..	١٢٧٠

الموضوع	الصفحة
- هـ. إجمال ما يستفاد	١٢٧٢
- ١٧- يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ	١٢٧٤
- أ. المواضع التي وردت فيها هذه الصيغة	١٢٧٤
- ج. ما يستفاد مما ولي المنادى	١٢٧٥
- التعقيب على ما ذكره البقاعي	١٢٧٦
- هـ. إجمال ما يستفاد	١٢٧٧
- ١٨- يَا أُخْتَ هَارُونَ	١٢٨١
- أ. الموضع الذي وردت فيها هذه الصيغة	١٢٨١
- ب. العرض والتحليل	١٢٨٢
- ج. إجمال ما يستفاد	١٢٨٣
- ١٩- يَا ابْنَ أُمِّ	١٢٨٦
- أ. موضع الصيغة من القرآن الكريم	١٢٨٦
- ب. سبب العدول عن الإضافة إلى الأب	١٢٨٧
- ج. توجيه القراءات	١٢٨٧
- د. إجمال ما يستفاد	١٢٨٩
- ٢٠- يَا وَيْلَنَا	١٢٩٠
- أ. الموضع الذي وردت فيها هذه الصيغة	١٢٩٠
- ب. معنى (الويل)	١٢٩٠
- ج. موقعه من الإعراب	١٢٩١
- د. إجمال ما يستفاد	١٢٩٥
- ٢١- يَا عِبَادِي	١٢٩٥
- ٢٢- يَا أَهْلَ يَثْرَبَ	١٢٩٦

الموضوع	الصفحة
- ٢٣ - يَا نِسَاء النَّبِيِّ	١٢٩٦
- ٢٤ - يَا حَسْرَتِي	١٢٩٦
- أ. الموضوع الَّذِي وردت فيها هذه الصيغة	١٢٩٦
- ب. العرض والتَّحْلِيل	١٢٩٦
- ج. إجمال ما يستفاد	١٣٠٤
- ٢٥ - يَا قَوْمَنَا	١٣٠٥
- ثانيًا: نداء التَّكْرَر غير المقصودة والشَّيْبَه بالمضاف	١٣٠٥
- أ. الموضوع الَّذِي وردت فيها هذه الصيغة	١٣٠٥
- ب. معنى التَّحْسُر	١٣٠٥
- ج. يتعلَّق بها من الإعراب	١٣٠٦
- المبحث الخامس: بيان ما ولي المنادى	١٣١١
- توطئة	١٣١١
- أوَّلًا: فعل الأمر	١٣١٣
- ثانيًا: مضارع مجزوم بلام الأمر	١٣١٤
- ثالثًا: مضارع مجزوم بلا التَّاهِيَة	١٣١٤
- رابعًا: (لا) النَّافِيَة	١٣١٦
- خامسًا: (ما) النَّافِيَة	١٣١٧
- سادسًا: اسم الفعل	١٣١٧
- سابعًا: الاستفهام بـ (هل)	١٣١٧
- ثامنًا: الاستفهام بالهمزة	١٣١٧
- تاسعًا: الاستفهام بـ: (ألم)	١٣١٨
- عاشرًا: الاستفهام بـ: (أليس)	١٣١٨

الموضوع	الصفحة
- الحادي عشر: الاستفهام بـ: (ما)	١٣١٨
- الثاني عشر: (مَنْ) الاستفهامية.	١٣١٨
- الثالث عشر: (أَنْتَ) الاستفهامية...	١٣١٩
- الرابع عشر: الاستفهام بـ: (لِمَ)	١٣١٩
- الخامس عشر: (فعل ماضٍ مثبت)	١٣١٩
- أ. فعل ماضٍ مثبت غير مقرون بقـد..	١٣١٩
- ب. ماضٍ مقترن بقـد..	١٣١٩
- ج. ماضٍ مقترن بـ (لقد) ...	١٣٢٠
- د. (ليس)	١٣٢٠
- هـ. ماضٍ بعد (إنما)	١٣٢٠
- و. ماضٍ منفي بما.	١٣٢٠
- السادس عشر: مضارع منفي بـ (لن)	١٣٢١
- أ. ما أتى عقب المنداد من غير فاصل..	١٣٢١
- ب. ما أتى النفي فيه بعد فاصل مؤكّد للنفي.	١٣٢١
- السابع عشر: مضارع منفي بـ (لا)	١٣٢١
- الثامن عشر: مضارع منفي بـ (ما)	١٣٢١
- التاسع عشر: بعده (إمّا) العاطفة.	١٣٢١
- العشرون: بعده (أمّا) التفصيليّة.	١٣٢٢
- الحادي والعشرون: بعده (إمّا) الشرطيّة.	١٣٢٢
- الثاني والعشرون: بعده (إن) الشرطيّة.	١٣٢٢
- الثالث والعشرون: بعده (مَنْ) الشرطيّة.	١٣٢٢
- الرابع والعشرون: الجملة الاسمية مؤكدة بـ (إن)	١٣٢٢

الموضوع	الصفحة
- الخامس والعشرون: الجملة الاسمية من غير مؤكد	١٣٢٤
- السادس والعشرون: لا النافية للجنس	١٣٢٤
- السابع والعشرون: بعده (إذا)	١٣٢٤
- المبحث السادس: خروج صيغة النداء عن معناها الأصلي	١٣٢٧
- أ. تنزيل البعيد منزلة القريب	١٣٢٧
- ١ - إظهار الحرص في وقوعه على إقبال المدعو	١٣٢٧
- ٢ - كون الخطاب المملوء معتنى به	١٣٢٧
- ٣ - قصد تعظيم شأن المدعو	١٣٢٧
- ٤ - قصد انحطاطه	١٣٢٧
- ب. خروج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى ..	١٣٢٠
- ١ - التَّحَسُّر والتَّوَجُّع	١٣٢٨
- ٢ - الاختصاص	١٣٣٠
- ٣ - التَّعَجُّب	١٣٣٢
- ٤ - التَّمَنِّي	١٣٣٢
- ٥ - التَّشْبِيه	١٣٣٢
- خاتمة في بيان الأهداف والمقاصد العامة من الاهتمام بمبحث النداء ..	١٣٣٦
- الخاتمة العامة	١٣٣٩
- فهرس الموضوعات التفصلي	١٣٥٥



المؤلف في سطور

الدكتور عبد القادر محمد المعتصم دهمان
الباحث في إدارة الفروانية

- من مواليد مدينة حمص [١٩٧٢م] في سوريا .

المؤهل والخبرات

- حاصل على شهادة المعهد العلمي الشرعي التابع لجمعية العلماء في مدينة (حمص) بتاريخ (١٥/١٢/١٤١٣هـ)، بتقدير: (امتياز).
- حاصل على شهادة الثانوية الأزهرية (القسم الأدبي) من (القاهرة).
- حاصل على درجة الإجازة العالية (الليسانس) من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر في (القاهرة)، بتاريخ (٢) من ربيع الآخر [١٤١٨هـ]، (٦/ أغسطس/ ١٩٩٧م) بتقدير: جيد جداً.
- حاصل على الدكتوراه، بعد مناقشة رسالة بعنوان: (أساليب الخطاب في القرآن الكريم). دراسة تحليلية شاملة لأساليب الخطاب والطلب في القرآن الكريم. تنوع أساليب الخطاب وأساليب الإنشاء الطلبي في القرآن الكريم (الأمر والنهي والاستفهام والسؤال والدعاء والتّمني والترجّي والعرض والتّحضيض والنداء)، إشراف: الأستاذ الدكتور

محمود عبود هرموش، والأستاذ الدكتور عبد الله سلقيني، وذلك يوم السبت الواقع في (٣٠/٠٧/٢٠١١) الموافق (٢٩/ شعبان/ ١٤٣٢هـ).

● عمل إمامًا وخطيبًا ومدرّسًا في (سوريا)، وكذلك في (الكويت) ولا يزال.

● عمل مُوجِّهًا فنيًا في المراقبة الثقافية في وزارة الأوقاف إدارة مساجد محافظة (الفروانيّة)، ثمّ باحثًا شرعيًا وإمامًا وخطيبًا في محافظة (الفروانيّة) ولا يزال.



كتب للمؤلف

- ١ - الإرشادات المنهجية إلى تفسير الآيات الكونية (إضاءات على تعريف التفسير العلمي وضوابطه، ومبادئه العشرة).
 - ٢ - المحبة صورها وأحكامها، إدارة مساجد محافظة الفروانية.
 - ٣ - عقبات في طريق الهداية.
 - ٤ - وسائل الإقناع في القرآن، دار الفتح، الأردن.
 - ٥ - أخطاء تهدد الأسرة، إدارة الفروانية.
- المشاركة في تحقيق ودراسة وشرح الكتب التالية:

- ١ - ثلاث رسائل في الفقه، للعلامة حسن الشرنبلالي المتوفى سنة [١٠٦٩هـ] :
- أ- دُرُّ الكنوز
- ب- سعادة الماجد بعمارة المساجد
- ج- إتحاف ذوي الإتقان بحكم الرهان، دار الضياء، الكويت.
- ٢ - سبيل الوصول إلى عنوان الأصول (في الأصول)، وهو شرح وتحقيق ودراسة لعنوان الأصول في أصول الفقه، لأبي حامد المطرزي، دار الضياء، الكويت.
- ٣ - تنوير المستبصر الفائز ببيان أحكام الجنائز، شرح وتحقيق كتاب الجنائز للفقير إلى رحمة ربّه العلي إبراهيم بن يوسف البولوي، توفي سنه [١٠٤١هـ].

٤ - إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين مختصر (تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين للعلامة الشيخ مرعي الحنبلي)، للعلامة الشيخ أحمد الدمنهوري المتوفى سنة [١١٠١هـ]، دار الضياء، الكويت.

٥ - تحقيق ودراسة وشرح منظومتي الشهداء (أ. داعي الهدى بشرح منظومة الشهداء، للإمام أحمد بن عبد الرزاق المغربي الرشيدي. وشرح منظومة الشهداء، للإمام علي بن محمد الأجهوري)، الطبعة الأولى، دار الضياء، الكويت [١٤٣٤هـ].

٦ - تحقيق ودراسة رسالتان في الأصول، لإسماعيل بن غنيم الجوهري المتوفى سنة [١١٦٥هـ]:

أ- رسالة في جواز النسخ.

ب- الكلم الجوامع في مسألة الأصولي لجمع الجوامع، الطبعة الأولى، دار الضياء، الكويت [١٤٣٤هـ].

٧ - دراسة وتحقيق (سورة الفاتحة) من التيسير في التفسير المسمى ببحر علوم التفسير، لنجم الدين عمر بن محمد النسفي [٥٣٧هـ].

٨ - (حاشية على إتمام الدراية لقراء النقاية)، مع دراسة وتحقيق ومقابلة، وإتمام الدراية شرح نقاية العلوم، وهي خلاصة مختارة من أربعة عشر علماً، للإمام جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة [٩١١هـ]

قائمة إصدارات

الوعي الإسلامي

- القدس في القلب والذاكرة
- حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية
- المجموعة القصصية للأطفال (الأولى)
- الحوار مع الآخر المنطلقات والضوابط
- النقد الذاتي رؤية نقدية إسلامية
- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح
- الحج ولادة جديدة
- الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد
- لا إنكار في مسائل الاجتهاد
- المجموعة الشعرية للأطفال
- التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط
- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي
- مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام
- موسوعة الأعمال الكاملة الخضر حسين
- علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي
- براعم الإيمان نموذج رائد في صحافة الأطفال
- الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره
- الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام
- الحوالة
- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف فيها عن الإمام مالك بن أنس
- الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي
- الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة
- التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد
- فقه المريض في الصيام
- القسمة
- أصول الفقه عند الصحابة- معالم في المنهج
- السنن المتنوعة الواردة في موضع واحد في أحاديث المبادات
- لطائف الأدب في استهلال الخطب
- نظرات في أصول البيوع الممنوعة
- الإعلاء الإسلامي للعقل البشري
- ديوان شعراء الوعي الإسلامي
- ديوان خطب ابن نباتة
- الإظهار في مقام الإضمار
- مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم

• الحافظ أبو الحجاج يوسف المزني وجهوده في كتابه تهذيب الكمال
 • في رحاب آل البيت النبوي
 • الصعقة الفضائية في الرد على منكري العربية
 • منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب
 • معجم القواعد الفقهية ومصادرها
 • كيف تدو فصيحا
 • موائد الحيس في فضائل امرؤ القيس
 • إتحاف البرية فيما جد من المسائل الفقهية
 • تبصرة القاصد على منظومة القواعد
 • حقوق المطلقة في الشريعة الإسلامية
 • اللغة العربية الفصحى
 • المذهب عند - الحنفية - المالكية - الشافعية - الحنابلة
 • منظومات أصول الفقه
 • أجواء رمضان
 • المنهج التعليقي بالقواعد الفقهية عند الشافعية
 • نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده
 • دراسات وأبحاث نشرت في مجلة الوعي الإسلامي
 • ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه
 • التقصي لما في الموطأ من حديث النبي
 • المجموعة القصصية للأطفال (الثانية)
 • كراسة لون للأطفال
 • موسوعة رمضان
 • جهد المقل
 • المذاق الحواني على رسالة القيرواني
 • قواعد الإملاء
 • العربية والتراث
 • النسمات الندية في الشمائل المحمدية
 • اهتمامات تربوية
 • أثر الاحتساب في مكافحة الإرهاب
 • القرائن وأثرها في علم الحديث
 • جهود علماء الحديث في توثيق النصوص وضبطها
 • سيرة حميدة ومنهج مبارك
 • أبحاث مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول
 • نظام الوقف
 • قراءة في دفتر قديم الأصمعيات
 • قراءة أخرى في دفتر قديم الكامل
 • الترجيح بين الأقيسة المتعارضة
 • التلفيق وموقف الأصوليين منه
 • التربية بين الدين وعلم النفس

- مختصر السيرة النبوية
- معجم الخطاب القرآني في الدعاء
- المسائل الطبية المعاصرة في باب الطهارة
- المسائل الفقهية المستجدة في النكاح
- دليل قواعد الإملاء
- علم المخطوط العربي
- التراث العربي
- من قضايا أصول النحو عند علماء أصول الفقه
- نهاية المرام في معرفة من سماه خير الأنام (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ١)
- الجزء المسلسل بالأولية والكلام عليه (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٢)
- مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٣)
- السراج الوهاج في ازدواج المعراج (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٤)
- الاستدراك (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٥)
- جواب العلامة السفاريني (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٦)
- مأخذ العلم (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٧)
- تحفة الأمين فيمن يقبل قوله بلا يمين (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٨)
- تلوين الخطاب
- التاريخ في الإسلام
- رسالة في الوقف
- أغاريد البراعم
- أخلاقنا الجميلة
- قصص للأطفال
- قواعد العدد والمعدود
- أسرار العربية
- علماؤنا وتراث الأمم، القوس المذراء وقراءة التراث
- المسائل الأصولية المستدل لها بقوله تعالى « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا »
- إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين
- الحسبة على المدن والعمران
- عبقرية التأليف
- الأمالي اللغوية في المجالس الكويتية
- التقريب والإرشاد
- سلسلة أضيائي «قصص للأطفال»
- حكايات لا تتسى مع ديمة
- علاج السمينة أحكامه وضوابطه
- المسجد الأقصى أربعون معلومة نجهلها
- تفسير عبد الله بن مسعود الهذلي جمعا وتحليلا
- الإرفاد لمن غدى على نظم قطر الندى
- القول المأثور في إحياء الصواب المهجور
- أساليب الخطاب في القرآن الكريم